المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ

جهود المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا

(١١١٠ – ١٣١٣ هـ / ١٦٩٨ – ١٨٩٥م)

دراسة تاريخية حضارية

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي الحديث

إعداد الطالبة

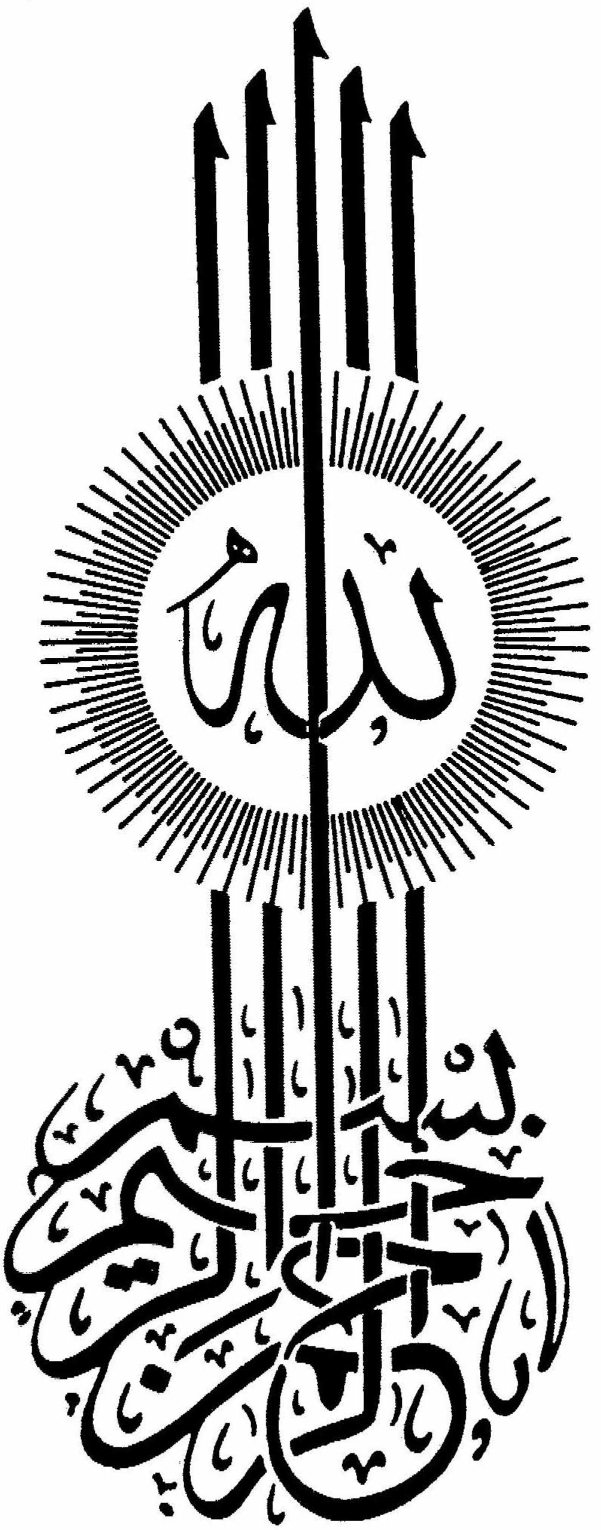
جميلة بنت عبده بن موسى معشي

الرقم الجامعي: ٤٣٠٨٠٠٦٢

إشراف الأستاذ الدكتور

عمربن سالم بابكور

١٤٣٥هـ – ٢٠١٤م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد :

فهذه الرسالة بعنوان "جهود المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا خلال الفترة (١١١٠ – ١٣١٣ هـ / ١٦٩٨ – ١٨٩٥م " وقد اشتملت الرسالة على التالي:

مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول بمباحثها . ففي المقدمة : عرضت أهمية اختيار الموضوع ، ودراسة تحليلية لأهم مصادر البحث . وفي التمهيد : كان الحديث عن تعريف بالمزارعة وهجرتهم إلى شرق إفريقيا . والفصل الأول عن: العوامل التي ساعدت المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا واشتمل على أربعة مباحث المبحث الأول: الأوضاع الدينية . واشتمل على مطلبين المطلب الأول: انتشار الوثنية . والمطلب الثاني: الحملات التنصيرية . والمبحث الثاني : الأوضاع السياسية . واشتمل على مطلبين المطلب الأول : انقسام الدولة العُمانية . والمطلب الثاني : تدخل القوى الأوروبية. والمبحث الثالث : الأوضاع الاقتصادية . واشتمل على مطلبين المطلب الأول : التجارة ودورها في نشر الإسلام .والمطلب الثاني : المزارعون والحرفيون ودورهم في نشر الإسلام . والمبحث الرابع : دور العلماء والدعاة في نشر الإسلام في شرق إفريقيا. أما الفصل الثاني فكان الحديث فيه عن انتشار الإسلام في المناطق الداخلية في شرق إفريقيا على يد المزارعة وفيه أربعة مباحث. المبحث الأول : انتشار الإسلام في

الساحل الشرقي (ممباسة – مالندي – لامو). والمبحث الثاني : انتشار الإسلام في منطقة جنوب شرق زنجبار . والمبحث الثالث : انتشار الإسلام في المديرية الغربية بتنجانيقا . والمبحث الرابع : انتشار الإسلام في منطقة أعالي الكونغو . والفصل الثالث عن : آثار انتشار الإسلام في شرق إفريقيا في عهد المزارعة وفيه ثلاثة مباحث . المبحث الأول : الآثار الدينية . واشتمل على مطلبين : المطلب الأول : بناء المساجد والمدارس الدينية . والمطلب الثاني : انحسار المد التنصيري في شرق إفريقية . والمبحث الثاني : النشاط الاقتصادي . المطلب الأول : انتشار الأسواق وزيادة التبادل التجاري في الداخل والخارج . والمطلب الثاني : تطور الحقلين الزراعي والصناعي في شرق إفريقيا .

والمبحث الثالث : الآثار الاجتماعية واشتمل على مطلبين : المطلب الأول النمو الحضاري للمزارعة . والمطلب الثاني : تغيير التركيبة الاجتماعية للسكان . وخاتمة ، وملاحق، وقائمة بمصادر البحث ومراجعه .

وقد أظهرت الدراسة أن قبيلة المزارعة لعبت دوراً أساسياً ورائداً في نشر الإسلام في شرق إفريقيا منذ وصولها إلى تلك البقاع من خلال جهود علمائها وأفرادها .

والله ولي التوفيق

الباحثة	**المشرف**
جميله عبده معشي	**أ.د.عمر سالم بابكور**

Summary

Praise be to Allah, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon the Messenger of Allah and his family and companions. Then:

The title of this message is " **The efforts of Al-Mazareaa to spread Islam in East Africa within the period from (1110 – 1313 H.) to (1698 – 1895 G.)**", and it includes the following:

An introduction, a preface and three chapters with their topics. The introduction shown the importance of the choice of subject and an analytical study of the most important sources of research. The preface shown who are Al-Mazareaa and their immigration to East Africa. The first chapter was about the factors which helped Al-Mazareaa to spread Islam in East Africa, and it included four topics; the first is the religious positions, it contained two requirements: the first requirement is the spreading of Paganism, and the second was about missionary campaigns. The second topic discussed the political positions, and it included two requirements, where the first was the division of Omani Empire, and the second one was about the intervention of the European powers. The third topic is the economical positions, and it contained two requirements; where the first one examined the commerce and its role in the spreading of Islam, while the second was about the farmers and craftsmen and their role in the spreading of Islam. The fourth topic is the role of scientists and preachers in the spreading of Islam in East Africa.

The second chapter was related to the spreading of Islam in the interior areas in East Africa by Al-Mazareaa and it composed of four topics; the first one was about the spreading of Islam in East Coast (Membasa – Malendy – Lamo), and the second topic: the spreading of Islam in Southeast Zanzibar. The third topic was about the spreading of Islam in the Western Directorate in Tanganyika, and the fourth topic was related to the spreading of Islam in Upper Congo.

The third chapter was about the effects of the spreading of Islam in East Africa during the period of Al-Mazareaa, and it composed of three topics. The first topic: the religious effects, and it included two requirements: the first is the construction of mosques and religious schools, and the second requirement: receding of evangelize extension in East Africa. The second topic: the economical effects. The first requirement: the spreading of markets and increase of the commercial reciprocity inside and outside, and the second requirement: the development of both agricultural and industrial fields in East Africa.

The third topic: the social effects and it contained two requirements: the first requirement is the urban growth of Al-Mazareaa, and the second requirement: the change of the social structure of inhabitants.

A conclusion, a list of the research sources and its references and its appendices are mentioned.

The study shown that Al-Mazareaa tribe played an essential and pioneer role in the spreading of Islam in East Africa since its arrival to such areas through the efforts of its scientists and individuals.

God is the source of strength,,

Researcher	**Supervisor**
Gameela Abdu Maashy	Prof. Dr. Omar Salem Babakour

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين،وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

تتناول هذه الدراسة تاريخ قبيلة عُمانية كان لها دورها في صياغة الأحداث التي واكبت الوجود العُماني في الساحل الشرقي لإفريقية ودورها في نشر الإسلام في تلك الديار ، وجميع نواحي الحياة في شرق إفريقية .

جاء المزارعة إلى شرق إفريقية في عهد دولة اليعاربة صاحبة الفضل الأول في بسط السيادة العُمانية على تلك الجهات ، تقود جيشاً ساهم في تحرير المناطق العربية الإسلامية في شرق إفريقية من الاستعمار البرتغالي .

أقام المزاريع مملكة مزروعية في سواحل كينيا فدخلت تحت ولايتهم أكثر البلاد السواحلية الآهلة بالعرب والسواحليين .

وقام المزارعة بدور في نشر العلم والحضارة ، ومارسوا نشاطاً دينياً وتعليمياً في الساحل ، فالمزاريع أسرة عريقة كانت في خدمة الإسلام على مدى العصور. واندمجوا بالأهالي اندماجاً كلياً وكان منهم الولاة والتجار والمزارعون، ومنهم المرشدون لتعليم الأهالي الدين الإسلامي الحنيف .

و لاشك أن سحق سلطة المزاريع في الساحل من جانب آل بوسعيد ، نال حظاً وافراً واهتماماً كبيراً من الباحثين والدارسين خاصة في المراحل المتأخرة ؛

إذ اتجهت الدراسات التاريخية في غالبها إلى دراسة الجانب السياسي للقبيلة والدور الثوري الذي لعبته في تاريخ جزيرة ممباسة بصفة خاصة ، ومنطقة الساحل الشرقي لإفريقية بصفة عامة .

و قد كان للقبيلة نفوذ ديني في ممباسة وما جاورها من بلدان ، وساهم عدد من أفراد القبيلة في نشر الإسلام وتدريس المذهب الشافعي وإنكار الملل والبدع التي تخالف النظام الإسلامي .

وبرزت القبيلة أيضاً في الجانب الاقتصادي والحضاري والعلمي في شتى جوانبه الذي ما يزال يفتقر إلى العديد من الدراسات الجيدة . ومن هذا المنطلق كان التوجه نحو اختيار موضوع (جهود المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقية خلال الفترة ١١١٠ – ١٣١٣هـ / ١٦٩٨ – ١٨٩٥م) .

و ما يجب أن نقرره هنا أن ميدان الدراسة يحدده معياران زمني ومكاني ، وقد تحددت الفترة الزمنية التي تعني الدراسة بدءاً من عام (١١١٠هـ / ١٦٩٨م) وهو تاريخ وصول القبيلة إلى حكم ممباسة وقد استوطنوا إفريقية الشرقية وأظهروا حضوراً فاعلاً فيها ، برز ذلك من خلال جهودهم الحثيثة لنشر الإسلام بين شعوبها ، وانتهاءً بعام (١٣١٣هـ / ١٨٩٥م) هذه السنة هي التي فيها كانت آخر قيادة المزروع بعد ما تغلب عليهم البريطانيون لما بدؤوا استعمارهم للمنطقة .

و المعيار المكاني : يقصد بشرق إفريقية في هذا البحث المنطقة التي تضم الآن دولة كينيا وتنزانيا .

ومن الأمور التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع تمثلت بما يلي :

- الرغبة في دراسة تاريخ شرق إفريقية الحديث .

- أن الموضوع لا يزال يستحق الدراسة الأكاديمية الجادة بحكم الدور الذي لعبته قبيلة المزارعة في تاريخ نشر الإسلام في شرق إفريقية .

- توضيح الأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها السلطنة العربية خلال تلك الفترة وساعدت في نشر الإسلام .

و مما لا شك فيه أن البحث في تاريخ قبيلة عربية لعبت دوراً في نشر الإسلام في شرق إفريقية يتطلب من الباحث جهداً كبيراً وبحثاً مضيناً في بطون المصادر المختلفة . ومن أهم المصاعب التي واجهت الباحثة إضافة إلى تناثر المعلومات في بطون المصادر والمراجع والمقالات ، عدم توفر بعض الكتب المتعلقة بالبحث مما دفعنا للسفر من أجلها.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في **مقدمة**، و**تمهيد**، و**ثلاثة فصول**، و**خاتمة** . ففي **المقدمة** : تحدثت عن أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، والوقوف على أهم مصادر البحث ومراجعه .

وفي **الفصل الأول** : بمباحثه كان الحديث عن العوامل التي ساعدت قبيلة المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقية ، الأوضاع الدينية وأشتمل على

مطلبين (انتشار الوثنية - الحملات التنصيرية) والأوضاع السياسة (انقسام الدولة العُمانية – وتدخل القوى الأوروبية) والأوضاع الاقتصادية (التجارة ودورها في نشر الإسلام – المزارعون والحرفيون ودورهم في نشر الإسلام) والمبحث الرابع : عن دور العلماء والدعاة في نشر الإسلام في شرق إفريقية .

و تحدثت في **الفصل الثاني** : عن انتشار الإسلام في المناطق الداخلية في شرق إفريقية على يد المزارعة ، وقد اشتمل على أربعة مباحث ، المبحث الأول : تناولت فيه انتشار الإسلام في الساحل الشرقي (ممباسة – مالندي – لامو) . والمبحث الثاني : عن انتشار الإسلام في منطقة جنوب شرق زنجبار .والمبحث الثالث : عن انتشار الإسلام في المديرية الغربية بتنجانيقا . والمبحث الرابع : عن انتشار الإسلام في منطقة أعالي الكونغو .

أما **الفصل الثالث** : خصص للحديث عن آثار انتشار الإسلام في شرق إفريقية في عهد المزارعة ، استعرضت فيه الآثار الدينية وأشتمل على مطلبين (بناء المساجد والمدارس الدينية ، انحسار المد التنصيري) ، والنشاط الاقتصادي (انتشار الأسواق وزيادة التبادل التجاري في الداخل والخارج ، وتطور الحقلين الزراعي والصناعي في شرق إفريقية) والآثار الاجتماعية (النمو الحضاري للمزارعة ، وتغيير التركيبة الاجتماعية للسكان) .

أما **الخاتمة** : فقد عرضت فيها نتائج موجزة توصل إليها البحث .

يمكن أن نقسم المصادر والمراجع المهمة التي تلقي الضوء على الموضوع إلى ما يلي :

أولاً : الوثائق :

منها المنشور وغير المنشور وهي وثائق تناولت جوانب عديدة من الدراسة، حيث تشمل العلاقة بين مسقط والساحل الشرقي الإفريقي، كذلك طلب دعم زنجبار المالي من قبل سلطان مسقط من حكومة بومباي ، إضافة إلى رسالة من الوكالة السياسية والقنصل في مسقط إلى المقيم السياسي في الخليج فيما يخص دفع دعم زنجبار إلى تركي بن سعيد سلطان مسقط .

ثانياً : المخطوطات :

- عربية :

١ - (نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية) للعلامة عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر باحسن جمل الليل العلوي (ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) احتوى على معلومات مهمة عن منطقة الشحر الموطن الأول لقبيلة المزارعة والتي تنحدر منها القبيلة .

- سواحلية :

2- BAADHI YA WANAVYUONI WA KISHAFI WA MASHARIKI YA AFRIKA. مؤلفه الشيخ عبدالله بن صالح الفارسي وقد أثرى المكتبة بعدد كبير من المؤلفات التاريخية والدينية والتي صدر

معظمها باللغة السواحلية ، تناول هذا المخطوط علماء شرق إفريقية بإسهاب ودورهم الديني في شرق إفريقية .

ثالثاً : المصادر :

١ - " إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان " لسالم بن حمود السيابي ويعتبر هذا الكتاب من المصادر المهمة التي أفادت البحث فيما يتعلق بنسب القبيلة ومواطن سكناهم في سلطنة عُمان .

٢ - " تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية " للشيخ الأمين بن علي المزروعي من أهم المصادر العربية التي تناولت الموضوع ذلك أن مؤلفه يعد من أحد أفراد القبيلة ، حيث تناول دور القبيلة في التطورات التاريخية المختلفة التي شهدتها إفريقية الشرقية في التاريخ الحديث ، واعتمد عليه البحث في كافة فصوله ومباحثه .

٣ - " جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار " لسعيد بن علي المغيري وقد كان هذا المصدر جم الفائدة وسجل لنا أحداث زنجبار وسلاطينها وكذلك فيما يتعلق بأوضاع زنجبار السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

٤ - " البوسعيديون حكام زنجبار " للشيخ عبدالله بن صالح الفارسي من المصادر التي أغنت الرسالة بمعلومات مهمة حيث ركز على الأوضاع السياسية والاجتماعية في عهد السلطان سعيد .

٥ - " تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان " نور الدين عبدالله بن حميد السالمي ،

انحصر في سرد الأحوال الداخلية للوطن الأم (عُمان) ولم يتجاوزها إلى توابعها في شرق إفريقية .

٦- "سقوط عرب الكونغو" مؤلف الكتاب سيدني هايند وترجمه إلى العربية أحمد العبيدلي ، يحكي صدامات القوتين العسكريتين العربية والبلجيكية في الكونغو في نهاية القرن الثالث عشر الهجري .

رابعاً: المراجع :

أ- المراجع العربية

١ - "الرياض بين ماضيه وحاضره" للمؤلف صالح محمد بدوي ،يوضح فيه المؤلف دخول الإسلام إلى السواحل ، ثم تحدث عن بناء مسجد الرياض بلامو.

٢- "إفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي" للمؤلف رجب حراز ، كان هذا الكتاب من المراجع الهامة التي اعتمدت عليها في استكمال بعض جوانب النقص وبخاصة فيما يتعلق بالناحية السياسية .

ب - المراجع الأجنبية

كما أفادت الدراسة كثيراً من كتاب :

1-A.I.SALIM : The Swahili-speaking peopies of Kenya coast1895-1965.

تطرق هذا الكتاب لأمور عدة تتعلق بالمزاريع ودرهم في التجارة والزراعة

ويمثل وجهة النظر المحلية فمؤلفه ابن منطقة شرق إفريقية من كينيا هو الدكتور أحمد عيضة سالم الذي ينحدر من أصول عربية والأستاذ بجامعة نيروبي سابقاً .

2- Ghalib Yusuf Tamim :Maisha Ya Sh.Al-Amin bin Ali Mazrui 1891-1947.

كتاب باللغة السواحلية يتناول أسرة الشيخ الأمين المزروعي ومؤلفه هو غالب يوسف تميم أحد أحفاد القبيلة وقد أفاد البحث من الكتاب معلومات قيمة عن علماء قبيلة المزارعة .

و غيرها أيضاً العديد من المصادر والمراجع والدوريات العلمية ذات الصلة بالدراسة وهي بدورها ساعدت كثيراً في إلقاء الضوء على جوانب مختلفة من الدراسة .

و لا يسعني إلا أن أقدم الشكر والدعاء المقرونين بالاعتراف بالتقصير والاعتذار إلى والدي الكريمين ، وإلى إخوتي الأفاضل ، على ما أسدوه إلي من مساعدة وتوجيه ومعاونة ؛ فمهما فعلت فلن أفي بحقكم ، فجزاكم الله عني خير الجزاء ، وأدامكم لي عزاً وذخراً .

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير لسعادة الأستاذ الدكتور عمر سالم بابكور الذي تولى مهمة الإشراف على هذا البحث فكان معي بعلمه وجهده ووقته ، مما كان لتوجيهاته وإرشادته الأثر الطيب في فصول هذه الدراسة فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور / عبدالله عبدالرزاق إبراهيم أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، الذي أمدني بإحدى الرسائل التي أشرف عليها ، فأسأل الله له دوام الصحة والعافية .

و إلى الدكتور عبدالمنان محمد الذي أرشدني إلى من أتعامل معهم في كينيا فجزاه الله عني خير الجزاء .

وأتقدم بخالص الشكر والتقدير والعرفان إلى قبيلة المزارعة في مسقط وعلى رأسهم جمعة بن محمد بن راشد المزروعي لما أتاحه لي من فرصة الاطلاع على الكتب والمراجع التي بحوزته ، وعلى مشاركته الوجدانية الأبوية التي تعبر عن مكارم أخلاقه .

و أتقدم بالشكر إلى المسؤولين بالمكتبة المركزية بجامعة أم القرى ، والمكتبة المركزية بجامعة الملك عبدالعزيز ، والمكتبة المركزية بجامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، ومكتبة دارة الملك عبدالعزيز ، والمكتبة المركزية بجامعة السلطان قابوس ، والمكتبة المركزية بمعهد العلوم الشرعية بمسقط ، والمركز الوطني للوثائق والبحوث بأبوظبي ، ومكتبة معهد البحوث والدراسات الإفريقية والمكتبة المركزية بجامعة القاهرة على خدماتهم الجليلة وعلى المساعدة القيمة التي بذلوها .

وكل الشكر والتقدير والاحترام للأستاذ الفاضل عبدالرحمن بافقيه على ما وفره لي مشكوراً من مصادر ومراجع مهمة ولكل من ساهم في إنجاز هذا البحث وأسدى لي نصيحة .

وأتقدم بخالص شكري وامتناني لسعادة المناقشين الكريمين اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذا البحث وتقييمه ؛ فلهما مني وافر الدعاء والتقدير .

والشكر موصول لجامعتي جامعة أم القرى متمثلة في كلية الشريعة والدراسات الإسلامية وقسم الدراسات العليا بها التي هيأت لي فرصة الدراسة والبحث .

و أخيراً : فإن حققت هذه الدراسة ما ترجوه فذلك من توفيق الله وحده ، وإن بدا خطأ أو تقصير فذلك من نفسي ، وما الكمال إلا لله وحده .

التمهيد

التمهيد

تعريف بالمزارعة وهجرتهم إلى شرق إفريقية

من ضمن القبائل والأسر العربية التي تركت بصماتها في تاريخ الساحل الشرقي لإفريقية قبيلة المزارعة والمفرد مزروعي [١] قدم المزاريع كما يطلق عليهم محلياً إلى عُمان من مدينة الشحر ميناء حضرموت الشهير [٢] وأشار باحسن إلى ذلك حينما قال : " آل مزروع من أهالي الشحر "[٣] وقد هاجر فصيل من آل مزروع إلى عُمان حيث استقروا فيها في القرون الوسطى في تاريخ غير معروف [٤] .

---

(١) بنيان سعود التركي : الشيخ مبارك بن راشد المزروعي في شرق أفريقية ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد٢٤ ، ٢٠٠٢م ، ص٦٩ ؛ انظر ملحق رقم (١) .

(٢) الشحر : بالكسر على المشهور ، هو ساحل اليمن في أقصاها بينها وبين عُمان ، وقد تضاف فيقال شحر عُمان وهو ساحل البحر بين عُمان وعدن ، مشتملة على بلاد وأودية وقرى كانت بها مساكن سبأ على ما قيل. وأشار عبدالله إلى اليمن وأقسامه وذكر حضرموت ، ومهرة ، وعُمان ، والشحر ، ونجران. وذكر أيضا : هي ساحل حضرموت بينها وبين تريم أعظم مدينة بحضرموت ثمانية أيام بسير الأثقال ،و أربعة أيام بسير الراجل. وحضرموت بلاد مشهورة متسعة من بلاد اليمن تجمع أودية كثيرة ، وساحلها العين وبروم إلى الشحر ونواحيها ، ويحدها من جردان ونواحيها إلى تريم المحروسة إلى قبر هود عليه السلام ، وما وراء ذلك بلاد المهرة . عبدالله محمد باحسن جمل الليل العلوي : نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية ، الجزء الأول ، ص ٦-٧ .

(٣) السابق ، الجزء الثاني ، ص٩٠ .

(٤) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي : الحضارم في ممباسا ودار السلام ١٩٣٠-١٩٦٠م ، المكلا ، دار حضرموت ، ط١ ، (٢٠٠٤م) ، ص ٣٢ .

يصف باحسن نشاطهم العلمي والخيري الكبير في مدينة الشحر وقيامهم بتجديد عمارة المسجد الذي بناه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله اليافعي في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي [١] حيث قال : مسجد اليافعي قيل (أنه) بناه ابن الشيخ عبدالله بن أسعد اليافعي ثم زاد في عمارته وتوسعته آل مزروع ولهذا نسب إليهم [٢] باسم قبة بن مزروع ولازال يعرف اليوم بمدينة الشحر[٣] .

وعن مساكنهم في عُمان يحدثنا الشيخ الأمين قائلاً : المزارعة كغيرهم من قبائل العرب يوجد منهم أفراد أو جماعات في شتى بلاد عُمان وقراها ، غير أن أكثرهم في الرستاق [٤] وما حولها من القرى كالغشب ووبل ومزاحيط والوشيل [٥] ولهم بالعلاية بلدة خاصة بهم محاطة بسور في جوانبها أبراج محصنة

---

(١) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي : اليمنيون في المهاجر الإفريقية (هجرة الحضارم) ، الشحر ، (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م) ، ص١١ .

(٢) عبدالله باحسن جمل الليل العلوي : المخطوط السابق ، الجزء الثاني ، ص ٩٠ .

(٣) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي : اليمنيون في المهاجر الإفريقية ، ص ١١.

(٤) مدينة تاريخية مشهورة واسم ولاية في سلطنة عُمان وتبعد عن مسقط ما يقرب ١٦٥كيلو مترا ، جنوب ولاية المصنعة وهي من المراكز العلمية في عُمان . الأمين بن علي المزروعي : دراسات في تاريخ عمان الحديث مخطوط تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية ، تحقيق إبراهيم الزين صغيرون ، لندن ، د.ن ، ط ١ ، (١٩٩٥م) ، ص ٢٠٠.

(٥) الغشب ووبل ومزاحيط : مجموعة من القرى والمناطق التابعة لولاية الرستاق . السابق ، ص ٢٠١ .

بالمدافع والبنادق يحتمون بها إذا دعت الحاجة ويـدفعون منهـا هجـمات العـدو وغاراته ، وأن أكثر الذين استوطنوا إفريقيـة الـشرقية مـنهم جـاءوا مـن تلـك البلاد وقليل منهم أتوا من منح وسمائل [١] . ونضيف على ذلـك مـا ذكـره سـالم السيابي حيث قال : هم جملة لكنهم متفرقون لا تجمعهم رئاسة ، ولا يختـصون ببلد خاص ، بـل يوجـد بعـضهم ، بـأطراف الـشمال مـن عُـمان ، ولعلهـم في القصد من أرض الـشميلية مـن أعـمال شـناص ، ويوجـد بعـضهم بالرسـتاق بالمحلة المعروفة بمحلة برج المزارعة من علاية الرستاق ، ويقال لهـم بالرسـتاق المزارعة ، وبعضهم بسفالة سمائل خصوصاً بمحلة الحـاجز منهـا ، وهـم أقـدم من بها [٢] .

و قد تعددت الآراء في نسب قبيلة المزارعة حيـث أشـار سـالم الـسيابي إلى نسبهم قائلاً : "و نسب المزاريع على الشهير من وائل " [٣] .

و ذكر مداد الهنائي رأياً آخر عن أصل قبيلة المزارعـة حـين قـال : المزاريـع قبيلة عدنانية يتصل نسبها إلى ثعلب بن وائل بن قاسط بن هنب بن أقـصى بـن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن بن معد بن عدنان [٤] .

---

(١) منح وسمائل : ولايات في المنطقة الداخلية في عُمان . السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) سالم حمود السيابي : إسعاف الأعيـان في أنـساب أهـل عُـمان ، د.م ، المكتـب الإسـلامي للطباعـة والنشر ، د.ط ، (١٩٦٥م) ، ص ٧٩ .

(٣) السابق ، ص ٨٠ .

(٤) مداد بن سـعيد الهنـائي : التـاريخ والبيـان في أنـساب قبائـل عُـمان ، لنـدن ، دار الحكمـة ، ط١ ، (٢٠١٠م) ، ص ٢٨٠ .

و البعض ذكر بأنهم قبيلة كبيرة واسعة الانتشار وأرجع نسبهم إلى اعتبارهم فرعاً من قبيلة بني ياس (١) .

و وفقاً لرواية الشيخ الأمين باعتباره أحد أفراد القبيلة عندما تطرق إلى نسب المزارعة وأصول ما استوطن السواحل الإفريقية منهم يحدثنا قائلاً : المزارعة الذين استوطنوا إفريقية الشرقية متفرعون على سبيل البسط من أربعة عشر أصلاً ينتهي نسبهم إلى زيد بن كهلان بن عدي بن عبد شمس بن وائل ويرتفع إلى سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان جد القبائل القحطانية المعروف في التاريخ (٢) .

و يعتبر عام١١١٠هـ/ ١٦٩٨م هو تاريخ وصول القبيلة إلى شرق إفريقية حيث كانوا من ضمن الجيش الذي قاده الإمام سيف بن سلطان الأول (١١٠٥-١١٢٣هـ/ ١٦٩٣-١٧١١م) الملقب بقيد الأرض (٣) لطرد البرتغال من كافة شرق إفريقية إلا موزمبيق (٤) . وهذه بداية ظهور المزاريع على الساحل

---

(١) انظر ملحق رقم (١) ، (٢) .

(٢) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٠٤.

(٣) لقب بقيد الأرض لقدرته وسطوته وضبطه للممالك وكثرة انتصاراته في جميع غزواته أو قيد الأرض بعدله . سعيد بن علي المغيري : جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، د.م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (د . ت) ، ص ١٠٩ ؛ نور الدين عبدالله بن حميد السالمي : تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج ٢ ، مسقط ، مكتبة الإمام نور الدين السالمي ، د.ط ، (١٩٩٥م)، ص ١٠٦ .

(٤) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٠٩ ؛ عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، د.م ، تريم للدراسات والنشر ، د.ط ، (د.ت) ، ص ٧١.

الشرقي الإفريقي (١) .

و مما لا شك فيه أن حركة التوسع البرتغالي لم تكن فقط لتحقيق أهداف اقتصادية وسياسية ، بل كانت متشبعة بروح صليبية حاقدة ضد النفوذ العربي الإسلامي. ولقد وقعت جميع المدن الساحلية الهامة لشرق إفريقية تحت السيطرة البرتغالية ونظراً لأهمية ممباسة اتخذها البرتغاليون عاصمة لممتلكاتهم في شرق إفريقية (٢) .

فلما تولى الإمام سلطان بن سيف اليعربي السلطة في عُمان كرس كل جهوده للتخلص من البرتغاليين وقد ذكر السالمي بأنه أعلن الجهاد ضد البرتغاليين والفرس ونجح في طردهم من سواحل عُمان. وقد كان لهذا النجاح أصداؤه في شرق إفريقية التي استنجد أهلها بالسلطان العماني (٣) .

و عن اشتراك المزارعة وإسهامهم في الحملات ضد البرتغاليين في شرق إفريقية يحدثنا الشيخ الأمين عن دورهم القيادي الذي أهلهم في النهاية لإسناد ولاية ممباسة لهم : إن الإمام سيفاً جهز جيشاً عظيماً أنفذه إلى ممباسة لاستردادها

---

(١) انظر ملحق رقم (٣) .

(٢) مديحة أحمد درويش : سلطنة عُمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، جدة ، دار الشروق ، ط١ ، (١٤٠٢ -١٩٨٢م) ، ص ٢٦ ؛ إبراهيم الزين صغيرون : التراث العربي الإسلامي في شرق أفريقية دراسة أولية لمخطوط" تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية" ، مجلة عالم الكتب ، المجلد السادس ، العدد الأول ، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ، ص١٩٨ .

(٣) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٨؛ مديحة درويش : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

من البرتغاليين وإخراجهم منها ، وأمر على هذا الجيش مبارك بن غريب المزروعي وأسند قيادته إليه وبعد إجلاء العدو من ممباسة عين الإمام ناصر بن عبدالله المزروعي والياً عليها من قبل الإمام ومشرفاً على أملاكه بإفريقية الشرقية [١] .

و قد كانت تلبية حية واستجابة شريفة لنداء إخوتهم في العقيدة ، فلم يكن غزواً ولا استعماراً وإنما هو إغاثة ونصرة لهم [٢] .

و نجح المزارعة في إقامة أسرة حاكمة في ممباسة منذ أن عين محمد بن عثمان المزروعي والياً عليها عام١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م خلفاً لصالح بن محمد الحضرمي، وبعد وفاة سيف بن سلطان الثاني إمام عُمان اليعربي استمر المزارعة حكاماً بمدينة ممباسة باختيار المواطنين بها بعد ضعف دولة اليعاربة وذلك لما قام به المزارعة من استتباب الأمن وإقامة الإنصاف وردع الظلم وغير ذلك مما حببهم إلى المواطنين ، واندمجوا بالأهالي اندماجاً كلياً وكان منهم الولاة والتجار والمزارعون ومنهم المرشدون لتعليم الأهالي الدين الإسلامي الحنيف [٣] ، وداموا في ممباسة ولاة وعلماء وأصحاب نفوذ إلى أن قدمت أسرة آل بوسعيد السواحل [٤] .

---

(١) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم في شرق إفريقيا ، ص ١٥ .

(٣) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٦؛ عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق افريقيا ، ص ٧١ .

(٤) محمد بن سعيد البيض : طي المراحل في تاريخ السواحل ، مالندي ، د.ن ، د.ط ، (١٤٢٦هـ) ، ص ٣٢ .

فعندما ضعفت دولة اليعاربة وآل حكم عُمان وأملاكها في شرق إفريقية إلى أسرة البوسعيد بتولي الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي زمام الحكم في ١١٥٧هـ/ ١٧٤٤م، عزم المزارعة وغيرهم من الحكام في شرق إفريقية الاستقلال عن حكم البوسعيد وجعلوا أنفسهم سلاطين مستقلين للمدن التي عينوا عليها [١] .

و قد أشار الشيخ الأمين إلى هذه النزعة الاستقلالية التي تميز بها المزارعة والتي أدت إلى قيام ولايتهم في شرق إفريقية حيث قال : " وعلى مر الأيام نبذ المزارعة طاعة عُمان وادعوا الاستقلال بممباسة ، ولكن حكام عُمان وأئمتها المتعاقبين لم يعترفوا لهم بهذا الحق وكانوا عصاة متمردين " [٢] .

و قد لعبت قبيلة المزارعة دوراً ثورياً ، في تاريخ جزيرة ممباسة بصفة خاصة، ومنطقة الساحل الشرقي لإفريقية بصفة عامة [٣] ، والذي كان له آثار بعيدة في بداية تدهور واضمحلال ولاية المزارعة نسبة للضربات القوية التي سددتها لهم جيوش السيد سعيد بن سلطان البوسعيدي (١٢٢١-١٢٧٣هـ/ ١٨٠٦-١٨٥٦م) [٤] ، حيث أراد ذلك السلطان أن يملك بالكامل بلاد السواحل في

---

(١) مديحة درويش : المرجع السابق ، ص ٨٠ ؛ إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٢) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

(٣) عمر مشرى بشير : دراسة في تاريخ ساحل إفريقيا الشرقي (١٦٩٨-١٨٤٠م) ، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم ، (١٩٩٣م) ، ص ٦٥ .

(٤) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

شرق إفريقيـة لأجـل توسـعة وتطـوير دولتـه العمانيـة [١] . حتـى نجـح في عام١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م في القضاء على حكم المزارعة في ممباسة وأزاحهم نهائياً عن الحكم واسترداد ولاية ممباسة إلى حظيرة الدولة العمانية [٢] ، مـستولياً عـلى جميـع مـدن سـاحل شرق إفريقيـة وكـان يحكمهـا بمـساعدة بريطانيـة وتحـت حمايتهم [٣].

و ذكر الدكتور أحمد سالم بأن راشد بن سالم بن أحمد المزروعي هو آخر ولاة المزارعة قبل هزيمتهم . وقد أضاف نفـس المـصدر باختـصار المـشهد الختـامي لهزيمة المزارعة وما ترتب عليه من نتائج في النص الآتي :

" الهزيمة الأخيرة للمزارعة في عام ١٨٣٧ أدت إلى وفاة كثير من قـادتهم . مـنهم والي ممباسـة راشـد بـن سـالم أمـا في البحـر أو في أقبـاء وزنـازين بنـدر عباس "[٤] .

---

(١) Ghalib Yusuf Tamim :Maisha Ya Sh.Al-Amin bin Ali Mazrui 1891-1947,Kenya ,Signal press Ltd ,p.21 .

(٢) سيدة سالمة بنـت الـسيد سـعيد : مـذكرات أمـيرة عربيـة ، ترجمـة عبدالمجيـد القيـسي ، مـسقط ، وزارة التراث والثقافة ، ط٩ ، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) ، ص ٣٢ ؛ حامـد أحمـد الحـداد : دراسـات عـن العـرب والإسـلام في شرق إفريقيـا ، جـدة ، دار المنهـاج ، ط١ ، (١٤٢٨هــ-٢٠٠٧م) ، ص ٥١١ .

(٣) صالح شيخ باحسن جمل الليل : كينيا ومراحـل التعلـيم ، لامـو ، كليـة الدراسـات الإسـلامية ، ط١ ، (١٤٣٢هـ-٢٠١١) ، ص ٦ .

(٤) A.I.SALIM : The Swahili-speaking peopies of Kenya coast (1895-1965) ,1973,p26.

وهنا لابد من القول إن كان السيد سعيد قد قضى على حكم الأسرة المزروعية في ممباسة ، فإنه لم يقض على نفوذ هذه الأسرة في شرقي إفريقية [١] ، وظلت ذات نفوذ ديني في ممباسة وما يجاورها من بلدان ، فجمعت شتاتها وأقامت لها سلطنات [٢] .

وذكر المغيري "بأن ولاة المزارعة الاستقلاليين قد ابتدأوا عام١١٤٣هـ واستمروا إلى عام١٢٥٢هـ . فيكون مجموع سنينهم مائة سنة وتسع سنين وشهرين وثمانية أيام" [٣] .

و قد تملك المزارعة في إفريقية الشرقية قبل سقوط حكمهم جميع البلاد الواقعة بين رأس نغمين شمالاً ونهر بنغان جنوباً [٤] . فدخلت تحت ولايتهم أكثر البلاد السواحلية الآهلة بالعرب والسواحليين . وبسطوا أيديهم على ديوانية فومب [٥] ، وسلطنة بورى التي كان يحكمها أمراء تانغة [٦] الأصليون ،

(١) بنيان سعود التركي : الشيخ مبارك بن راشد المزروعي في شرق أفريقية ، ٦٩ .

(٢) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي : الحضارم في ممباسا ودار السلام ، ص ٣٣ .

(٣) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) رأس نغمين شمالاً ونهر بنغان جنوباً : رأس نغمين جاءت في " جهينة الأخبار" (أنغوميني) وهي منطقة شمال ملندي جنوب نهري تانا وتيفا. ونهر بنغاني يصب في أقصى شمال الساحل التنزاني حالياً. سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٨٨ ؛ الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٥) ديوانبة فومب : تقع جنوب الساحل الكيني وتعرف لأهلها بسلطنة فومبه ثم استولى عليها الأشراف من بني علوي وهم الأشراف الساكنون جزيرة واسين ، وقد هاجرت أسرة الأشراف الحاكمة من حضرموت في جنوب شبه الجزيرة العربية في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٠٥ .

(٦) تانغة : مدينة في جنوب الساحل الكيني وغرب جزيرة واسين . السابق ، ص ٢٠٠ .

ووصل نفوذهم إلى داخل هذه البلاد غرباً من أقصاها إلى أقصاها . فخضع لهم جميع الطوائف الأفريقية الساكنة في باديتها من وغالة ووغريامة ووكومة وجبانة [١] ووشوني ووريبي ووربائي وودرومه وديغو ووبندي ووسمباء وبعض من طائفة وزغو الساكنين شمالي نهر بنغان. وتملكوا الجزيرة الخضراء (بمبا) ، وفتحوا جزيرة زنجبار غير أنه لم تستقر بها قدمهم . ووقعت سلطنة بته [٢] تحت سيطرتهم وكانت لهم فيها الكلمة المسموعة وكان بها حامية من جند المزارعة عليها أمير من أمراء بيت الوالي ، وحاولوا فتح بلاد شاغة [٣] لكنهم لم يتمكنوا من فتحها [٤].

---

(١) جبانة : منطقة بلاد الزنوج في منطقة الظهير من ممباسة من الناحية الشمالية الغربية . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٣٨ .

(٢) سلطنة بته : سلطنة إسلامية في أرخبيل لامو على الساحل الكيني بمجئ القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي كانت سلطنة بته أقوى الممالك في هذا الأرخبيل . وقد كان لها تاريخ طويل وعريق في هذا الساحل ويرجع الفضل في تأسيس هذه السلطنة إلى النباهنة من عرب عُمان في العصور الوسطى. وقد كان وصولهم في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي وأسسوا هذه السلطنة عن طريق المصاهرة مع الأسرة السواحلية الحاكمة . السابق ، ص ٢٠٧-٢٠٨ .

(٣) شاغة : أسم منطقة وأسم القبيلة وشاغة وهي في منطقة الظهير من البر الأفريقي بالقرب من هضبة كلمنجارو.

السابق ، ص ٢٤٢ .

(٤) السابق ، ص ١١٠-١١١ ، انظر الخريطة رقم (١) .

الفصل الأول

العوامل التي ساعدت المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقية

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : الأوضاع الدينية .

المبحث الثاني : الأوضاع السياسية.

المبحث الثالث : الأوضاع الاقتصادية.

المبحث الرابع : دور العلماء والدعاة في نشر الإسلام في شرق إفريقية.

المبحث الأول

الأوضاع الدينية

المطلب الأول : انتشار الوثنية :

الوثنية من الوثن ، وهو ما له جسم يعبد ، سواء كان من حجر أو خشب أو ذهب أو فضة أو غير ذلك ، وبالجملة فإن الوثنية هي مذهب من يعبد الوثن [١].

وسكان شرق إفريقية يدينون بالوثنية كغالبية الشعوب التي تقطن آسيا ، وإفريقية ، ولكن مع وثنيتهم تلك فهم يؤمنون بإله واحد أعلى هو خالق السموات والأرض ، وقد أسموه بأسماء متعددة أشهرها (ملكنجلو) وفقاً للمسعودي [٢] ، و(لومكولوجولو) وفقاً لابن الفقيه [٣] .

ومع هذا التوحيد اعتقدت معظم القبائل الإفريقية أن هذا الإله بعيد ولا يهتم بخلقه إلا قليلاً – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– ولذلك توجه العبادات

---

(١) عبدالرحمن حمود السميط ، فاروق عبدالله بلال : قبيلة الدينكا في جنوب السودان ، د.م ، مطابع القبس التجارية ، د.ط ، (د.ت) ، ص ٦٤ .

(٢) علي بن الحسين المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين ، ج٢ ، بيروت، دار المعرفة ، د.ط ، (١٩٨٢م) ، ص ١٦ ؛ محمد عبدالله النقيرة : إنتشار الإسلام في شرقي إفريقيا ومناهضة الغرب له ، الرياض ، دار المريخ ، (١٩٨٢م) ، ص ٤٥ .

(٣) ابن فقيه ، أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني : مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، مطبع بريل ، د .ط ، (١٨٨٣م) ، ص ٧٨ ؛ محمد عبدالله النقيرة : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

إلى ما دونه من الآلهة مع هذا الآله العظيم [١] وفي ذلك تقول الباحثة : وقد عبد هؤلاء جميعاً بجوار الإله الأعلى آلهة أخرى كثيرة ظاهرة كبعض الأنهار والأشجار والكواكب والحيوانات أيضاً ، أو خفية كالجن وأرواح أسلافهم ، واعتقدوا أن هذه الآلهة وسطاء ، بينهم وبين الإله الأكبر الذي وكلها برعاية الأحياء وتيسير الحياة وانتظام الكون ، وآلهة الرعد والبرق والمطر والزرع والحصاد وما ذلك إلا لاعتقادهم بأن الإله الأكبر بعيد عن العالم بعداً شاسعاً بحيث يصعب الاتصال به . واعتقدوا في الجن وفي أرواح أسلافهم وخافوا هذه الأرواح ، فاشتغلوا بالسحر والكهانة ليتقوا شرها ، وأقاموا لآلهتهم المعابد ونحروا لها الذبائح من الحيوانات والطيور والآدميين أيضاً ، تقرباً واستعطافاً ودفعاً للكوارث كما أقاموا لها احتفالات يومية وموسمية وسنوية ، ينحرون فيها الذبائح ويشربون فيها الخمور ويطبلون ويرقصون [٢] .

واعتقاد الإفريقيين في وجود خالق للكون من شأنه أن يسهل تقبلهم للعقيدة الإسلامية ؛ فهم لا يجدون أية صعوبة في التسليم بفكرة التوحيد [٣] .

---

(١) فيليب رفلة : الجغرافية السياسية لأفريقية ، د.م ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٢ ، (١٩٦٦م) ، ص ١٩٥ .

(٢) زمزم عبدالرحمن آدم : التيارات العقدية في شرق إفريقيا وموقف الإسلام منها ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، (١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م) ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

(٣) محمود سلام زناتي : الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقية ، د.م ، د.ن ، ط١ ، (١٩٦٩م) ، ص ١٩٥ .

يقول محمود زناتي نقلاً عن ديشان في صدد تفسيره لسرعة انتشار الإسلام في إفريقية :" وقد يسر انتشار الإسلام أمر آخر هو أنه دين فطرة بطبيعته سهل المتناول لا لبس ولا تعقيد في مبادئه ...هذا إلى أن عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام لم تكن غريبة عليهم بل كانت تتمشى مع عقيدتهم القديمة بوجود إله خالق " (١) .

كذلك نجد أن نظرتهم العامة في الحياة وكثيراً من شرائعهم الدينية قابلة لأن تصطبغ بصبغة إسلامية وأن تتحول إلى الإسلام دون إجراء تعديل كبير وسرعان ما يصبح الوثني المتحول إلى الإسلام مع المؤمنين على قدم المساواة ولا يحول دون ذلك لونه أو جنسه (٢) .

وأن العقلية الإفريقية وجدت في الدين الإسلامي ما تصبو إليه ، وفي هذا المجال يقول ترمنجهام المنصر البريطاني :" إن الشعوب الإفريقية تأخذ من الإسلام العناصر التي تتفق وطبيعتها القومية وطريقتها في الحياة ، فكل المسلمين مثلاً يقدسون الشريعة ويرون أنها شعار الإسلام ، إلا أنهم في الوقت نفسه يطبقون العادات التي ألفوها قبل دخولهم في الإسلام ، عن طريق الملاءمة

---

(١) محمود سلام زناتي : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٢) سير توماس أرنولد : الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم وآخرون ، د.م ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣ ، (١٩٧٠م) ، ص ٣٨٢ ؛ حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، القاهرة ، محاضرات ألقيت في معهد الدراسات العربية العالمية ، (١٩٥٧م) ص ٣٥ ؛ محمد عبدالله النقيرة : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

بينها وبين الشريعة الإسلامية "[١] .

ولما كان الوثنيون لا يهدفون إلى دعوة غيرهم إلى الوثنية فعادة لا يضعون عقبات في طريق انتشار الإسلام ، فهم محل استقطاب واستهداف من قبل المسلمين والنصارى ، ولكن توجد عقبات حالت بين هؤلاء وبين المسلمين المجاورين لهم ، بعضها ترجع إلى غير الوثنية ، وبعضها هو لازم لها . فمن هذه العقبات :

١ – كثرة العقائد الوثنية مع جهل المسلمين بها يصعب من أمر الدعوة ؛ لأن معرفة أحوالهم وعقائدهم تعد مدخلاً مهماً في دعوتهم .

٢ – شدة الولاء إلى قادتهم الدينيين بناء على تعليمات الوثنية فهذا مما يصعب الدعوة جداً ، بل إن ذلك باق حتى بعد دخول بعضهم إلى الإسلام حيث يبقى التعصب ومعه التعصب إلى القبيلة مما يصعب معه تحقيق الوحدة ، بل إن القبائل الوثنية متنافرة ومتناحرة فيما بينها ، فيضعف الاستقرار وتضعف الدعوة تبعاً لذلك .

٣ – أن الوثنيين لما كانوا مستهدفين من قبل النصارى ، فإن النصارى، في سبيل صدهم عن قبول الإسلام ، أثاروا العصبيات القبلية والشبهات على

---

(١) حسن إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٢٤ ؛ أحمد إبراهيم دياب : لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث، الرياض ، د.ن ، ط ١، (١٩٨١م) ، ص ٧٥ .

الإسلام والمسلمين والعروبة ؛ مما شكل حاجزاً نفسياً لدى الوثنيين لتقبل الإسلام.

٤- كثرة اللغات واللهجات المحلية وتعددها ، مع قلة الدعاة المؤهلين الذين يجيدونها، يصعب أمر الدعوة بينهم [١] ، وفي ذلك يقول الجنيد : " وسكان هذه الأقطار من الزنوج السود البحت وهم قبائل متعددة ، ولكل قبيلة لغتها وعوائدها الخاصة بها ، وكانت في غاية من التوحش حتى إنهم يمشون عرايا يأكلون ابن آدم " [٢] .

٥- أن طبيعة المنطقة من أنهار وغابات وأحراش وجبال ومستنقعات، وعدم توفر الأمن والغارات القبلية وندرة الطرق الجيدة ، تعوق مسيرة الدعوة إلى الإسلام [٣].

٦- أنها كانت قبائل رعوية أكثر منها تجارية مما يجعلهم دائمي التنقل [٤] .

٧- كذلك إن أهداف وجود العرب المسلمين في هذه المنطقة كان بصورة

---

(١) عبدالرحمن السميط ، فاروق بلال : المرجع السابق ، ص ٦٦-٦٧ .

(٢) عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، ص ٤ .

(٣) عبدالرحمن السميط ، فاروق بلال : المرجع السابق ، ٦٧ .

(٤) سبنسر ترمنجهام : الإسلام في شرق إفريقيا ، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، (١٩٧٣م) ، ص ١١٣ .

رئيسية تجارياً وسياسياً أكثر منه وجوداً دينياً ، ولم تكن الدعوة إلى الإسلام ونشره تمارس إلا كنشاط ثانوي [١].

وفي هذا الصدد تحدث باحث عُماني عاش جل حياته في شرق القارة الإفريقية تراخي العرب في بذل الجهود لنشر الإسلام بقوله : إن العرب قد أغفلوا خصلة من خصال المآثر الحميدة في استعمارهم للبر الإفريقي ، وهي نشر الإسلام والعلوم والدين بين جماعة الزنوج في داخلية البر الشاسع ، وأنه لو كان اهتمام العرب بانتشار الإسلام من أول رسوخ أقدامهم فيه لكان البر متنوراً بنور الإسلام ، ولكانت زنوج ذلك الصقع كلهم مسلمين على الإطلاق ، ولم يجد المبشرون بالدين المسيحي مجالاً واسعاً في تنصير الزنوج ، ولكن العرب اشتغلوا بجمع المال وعظمة السلطان الذي اضمحل ولم يبق له الآن – أي السلطان – أثر قط ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم [٢].

والأفارقة ينقسمون إلى السكان المحليين وسكان البر. والبانتو هم الشعب الغالب في شرق إفريقية منذ ألف وخمسمائة سنة ، وهم أكثر شعوب شرق

(١) الأمين أبو منقة ، كمال محمد : عوامل انتشار الإسلام في زمبابوي وأوغندا ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب العاشر ، د.م ، دار جامعة إفريقيا العالمية ، د.ط ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص ٤١٤ .

(٢) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٥٣ ؛ عبدالرحمن عبدالله الشيخ : دول الإسلام وحضارته في إفريقيا بحوث في التاريخ الحديث ، الرياض ، دار اللواء ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) ، ص ٣٢ .

إفريقية تأثراً بالعرب ، وقد نتج هذا الشعب من اختلاط الزنوج بالحاميين وسكان الغابات ، وقد أنتج هذا الاختلاط ثلاثة أجناس مختلفة ظهرت في أزمان مختلفة [١].

وشعوب البانتو هنا هي المجموعة الشرقية من مجموعة البانتو الكبرى في قارة إفريقية ، ولكن اصطدم إقليم البانتو بجماعات من الرعاة كثيرة الإغارة والتوغل من منطقة القرن الإفريقي وإقليم السافانا ، وهذا الغزو الخارجي لمناطق البانتو قد أثر في السلالة نفسها أو في الإقليم الذي تقطنه تلك السلالة .

وبسبب تلك الهجمات والإغارة انقسم البانتو إلى مجموعتين ، مجموعة آثرت الانعزال والمحافظة على الخصال الزنجية فابتعدت عن المجموعات الأخرى ، ومن الملاحظ أن هذه المجموعات المنعزلة في المناطق النائية مازالت محافظة على عاداتها وتقاليدها الزنجية ، وكذلك عبادتها الوثنية ؛ لأنها لم تحظ بنصيب من المدنية والحضارة [٢] .

ويتألف أيضاً المجتمع الشرق إفريقي من الشعوب الحامية ، وهي التي

---

(١) صالح محروس محمد : سلطنة زنجبار تحت الحماية البريطانية ١٨٩٠-١٩٦٤م ، رسالة دكتوراه ، جامعة بني سويف ، (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م) ، ص ١٢٨ .

(٢) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الإفريقية ، القاهرة ، د.ن ، د.ط ، (١٩٦٥م) ، ص٩٢؛ زمزم عبدالرحمن : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

تسكن المنطقة المتاخمة للقرن الإفريقي ، ومن الشعوب النيلية وهي السلالات التي أوطانها على مقربة دائمة من نهر النيل ، ومن الشعوب النيلية الحامية (أنصاف الحاميين) وهذه السلالة فيها نسبة من الدماء (القوقازية الحامية) بجانب الدماء الزنجية (١). وقد أدرك المسعودي أن الزنوج لا يشكلون أمة واحدة ، وإنما هم قبائل شتى وشعوب مختلفة. فذكر تحت عنوان نسب الزنوج وأنواعهم " والزنج من ولد كوش بن كنعان ، ثم افترق الذين مضوا بين المشرق والمغرب ، فصارت الزنج من المكير والمشكر وبربرا وغيرهم من أنواع الزنج" (٢).

وذكر البيض أن البانتو أصلهم من شبه جزيرة ملقا وهي جزيرة على غرب ساحل الملايو، ثم انتقلوا إلى أشور وبابل ومنها إلى بلاد الصومال ومن هناك إلى أواسط إفريقية حتى تسلطوا على جنوبي القارة .

وبانتو مركبة من كلمتين (نتو) ومعناها الشخصية ، ويتركب منها (منتو) شخص وبانتو أشخاص أو شعب (٣). ويزعم بعض المؤرخين أن أصل البانتو

---

(١) زمزم عبدالرحمن : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٢) المسعودي : المصدر السابق ، ج٢ ، ص ٥ ؛ إبراهيم عبدالمنعم أبو العلا: عُمان معبراً لتجار الأندلس وعلمائها إلى الشرق الإفريقي في القرن ٥هـ/ ١١م (ابن ظنير الأنصاري الميورقي) نموذجاً ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) ، ص ١٠ .

(٣) محمد بن سعيد البيض : المرجع السابق ، ص ١٢-١٣ .

قدموا من شمال غربي إفريقية ثم دخلوا إفريقية الشرقية من جهة كتانغا حتى انتشروا في شرق إفريقية كلها . وهذه الرواية تخالف السابقة ويمكن الجمع بينهما أن البانتو كلمة تعني الشعوب ، وبعض هذه الشعوب جاءت من الشرق ، وبعضها جاءت من الغرب فالتقوا في الوسط [١] .

و زنوج البانتو هم خليط من الزنوج والحاميين [٢] ، والبانتو يكونون ثلثي شرق إفريقية ومن لغة البانتو تفرعت أكثر من ستين لهجة إفريقية . والقبائل التي تنسب إلى البانتو هي مثل قبائل الكيكيو وإيمبو وميرو وأكمبا وكاغا وبارى وتائيتا وسمباء وأغلبية بطون مجكندا والبوكومو وقبائل تنجانيقا وقليل من الباجون والسواحل [٣] .

وفي السواحل قبائل أصيلة تسكنها منذ القدم تعرف بـ (اثنتي عشرة طائفة) تسع طوائف تسمى (مجكندا) معناها (البلدان التسعة) وهي الطوائف التي قدمت من شنغوايا [٤].

والقبائل التي تنسب إلى مجكندا هي كاؤما وغرياما وكونى وجبانا وكامبى وريبى ورباي ودروما وديغو [٥] .

---

(١) محمد بن سعيد البيض : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٢) السابق ، ص ١٣ .

(٣) السابق ، ص ١٥ .

(٤) السابق ، ص ٩ .

(٥) السابق ، ص ١٢ .

وشنغوايا قرية تطل على بركـاو القريـة المعروفـة في صـوماليا وتنقـسم إلى ثلاثـة أقسام شنغوايا العليا والوسطى ، ومنهما انتشرت قبائل الباجون التسع المشهورة باسـم بانا والعشرة المشهورة باسم مؤلى ، ومن شنغوايا السفلى نزحت قبائل القرياما الاثنتا عشرة والبوكومو الاثنتا عشرة ، فسكن القرياما أدغال السواحل بعد ما يجاوز ١٠ أميال فسموا (ونيكا) لكونهم يبنون أكواخهم بالعشب والكلأ والقش ، وأما البوكومو فاكتنفوا ضفاف نهر تانا من المصب إلى قرب المنبع (١) .

والقبائل التي خرجت من شنغوايا الوسطى ، ولا تنسب إلى مجكندا ، هـي سيغيجو، ومن السفلى البوكومو والتائيتا (٢) .

كانت مدن وجزر ساحل إفريقية الشرقي تقدم الدعم والمال اللازم لدولـة الزنج (٣) التـي تحمـي ظهـورهم ، والتـي كانـت تـشن الحـروب عـلى القبائـل

---

(١) محمد بن سعيد البيض : المرجع السابق ، ص ١٠-١١ .

(٢) السابق ، ص ١٢ .

(٣) دولة الزنج أو سلطنة كلوة : قدم حسن بن علي وأخوته الشيرازيون إلى الساحل الشرقي في النصف الأخير من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، وقاموا بتأسيس دولتهم وذلك في عام ٣٦٥هـ / ٩٧٥م وكانت عاصمتها كلوة ، ورغم عدم تعرض الباحثين إلى مدى العلاقات التي كانت بين المدن والجزر الساحلية ودولة الزنج سوى قولهم أن كل الساحل من مقديشو حتى سفالة جنوباً كانت تخضع لسلطنة كلوة ؛ إلا أن هذه العلاقات أعطت المدن والجزر الساحلية مزايا خاصة ظلت تتمتع بها حتى بعد سقوط دولة الزنج .محمد ذاكر السقاف : جزر القمر عبر العصور ، مروني(جزر القمر) ، دار الصناعة للكتابة والطباعة ، د.ط ، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م) ، ص ٧٦ .

الإفريقية الوثنية في الداخل لإيقاف غاراتها ولإدخال الإسلام ونشره وسط هذه القبائل ، فضلاً عن بعث الحضارة الإسلامية بينهم [١] .

وأكد ذلك ابن بطوطة حيث ذكر أن أهل كلوة في جهاد دائم لأنهم في بر واحد مع كفار زنوج [٢] .ووراء حدود المدن الساحلية ، وبينها ، يقع إقليم تكسوه الأشجار يعرف باسم نيكا [٣] ، حيث القبائل التي كانت تسكن وراء هذا الساحل ، إما مسالمة مثل قبائل الوانيكا التي كانت تجاور ممبسة وهي تسكن إقليم نيكا الذي يقع في منطقة الظهير للمدن الساحلية [٤] ، وتشتق قبائل الوانيكا اسمها من أحد ألفاظ اللغة السواحلية الذي يعني بلاد الغابات والشجيرات الشوكية [٥] ، وكان يعيش منها في ممباسة قبائل الشانجاموى والكيلنيديني والتانجانا وهم السكان الأصليون لمباسة ، وهي طوائف

---

(١) محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٢) ابن بطوطة ، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار(رحلة ابن بطوطة) ، تحقيق علي المنتصر الكتاني ، ج ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، د.ط ، (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م) ، ص ٢٨٣ ؛ صلاح العقاد ، جمال زكريا : زنجبار ، د.م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ط ، (١٩٥٩م) ، ص١٠ .

(٣) المصطلح يطلق على بلاد الزنج "وينكة" . سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

(٤) محمد حامد عبدالله : علاقة بريطانيا بزنجبار في عهد السلطان برغش ١٨٧٠-١٨٨٨م ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م) ، ص ٦٦ .

(٥) فاروق عبدالجواد شويقة : الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية (دراسة جغرافية) ، رسالة دبلوم ، جامعة القاهرة ،١٩٦٠م ، ص ٣٣ .

سواحلية [١]. ويشكل النييكا مجموعة مكونة من تسعة قبائل وثنية وكانت على اتصال بالمسلمين ، القبائل الكبيرة منها الجيرياما التي تعتبر من أكبر القبائل الوثنية في المنطقة ، إذ كانت تحتل المرتبة التاسعة من حيث العدد ، والرابـاي والدوروما والديجو ، والصغيرة هي كاوما ، تشوني ، وجيبانا ، وكامبي ، وريهى [٢] . وغالبية قبائل النييكا الذين يقطنون في الغابات الداخلية ظلت على وثنيتها ؛ لأن التحول إلى الإسلام في نظرهم عمل فردي معناه الخروج عن القبيلة والذوبان في المجتمع السواحيلي [٣] .

وإما قبائل شديدة البأس ولكنها تسكن المرتفعات ولا تنزل إلى الساحل بتاتاً مثل الكيكويو أو الواكمبا ، وإن قبيلتي ميزاى وكوانى كانتا تنزلان الساحل فتبعثان الرعب في قلوب سكانه من السواحلية [٤]. وعن هذا يقول ترمنجهام نقلاً عن المنصر كرابف : إن المناطق المنخفضة تقع في الغالب في أيدي السواحليين المحمديين ، أما المناطق المرتفعة فهي في أيدي القبائل الوثنية (قبائل نييكا) [٥] .

وإن معظم المدن العربية اختيرت فوق جزر يفصلها عن الأرض شريط

---

(١) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٢) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٣) السابق ، ص ١١٠ .

(٤) محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٦٦ ؛ صلاح العقاد ، جمال زكريا : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٥) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

ضيق من الماء مثل كلوة ولامو وباته حتى تكون بمأمن من غارات القبائل [١] . ولم تختف الوثنية حتى من الساحل حيث ما زالت تدين بها عدة قبائل بنتاوية خالصة ، متمسكة بديانتها الوثنية مثل قبيلة الدورما تقع في منطقة الظهير من الساحل الإفريقي غرب ممباسة وسط أغلبية من الشعب السواحلي[٢] حيث تعتبر أرض الدرومه منطقة الطائفة الشنغامية إحدى الطوائف الثلاث السواحلية [٣] .

وإذا تتبعنا انتشار الإسلام فيما وراء الساحل الإفريقي نجد أنه قد تأخر كثيراً ، فقد كان الإسلام في شرق إفريقية حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، إلى درجة كبيرة ، ظاهرة مدنية ساحلية . فمنذ وصوله إلى ساحل شرق إفريقية في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي وحتى منتصف القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي ظل الإسلام محصوراً في القرى والمدن الساحلية ونادراً ما اقتحم المناطق الداخلية [٤] .

---

(١) صلاح العقاد ، جمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٢) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ ؛ صلاح العقاد ، جمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٤ .

(٣) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ .

(٤) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الثالث عشر ، د.م ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، د.ط ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص ٣٤٠ .

و يعزى هذا التأخر الذي امتد لما يقرب من عشرة قرون لنوعية سكان الساحل المسلمين وطبيعة علاقاتهم الاقتصادية مع جيرانهم من الأفارقة وتأثير الجغرافية على هذه العلاقات. فالمسلمون الأوائل من سكان الساحل غلبت عليهم التجارة البحرية ، وارتبطت علاقاتهم التجارية بعالم المحيط الهندي أكثر من ارتباطها بالداخل الإفريقي (١) ، ومن ثم لم تكن علاقاتهم بالداخل إلا كمورد للسلع التي يتم جمعها وتصديرها عبر المحيط الهندي إلى الخليج العربي والجزيرة العربية ، وكان الأفارقة هم غالباً الذين يحملون هذه السلع إلى الساحل مما جنب التجار مشقة التوغل للبحث عنها (٢) ، بالإضافة إلى أنه كان موجهاً نحو تكوين وتطوير مشروع تجاري حضاري أكثر من كونه موجهاً نحو إحداث تكوينات اجتماعية مندمجة بعمق مع قبائل المنطقة الداخلية (٣) . كذلك الطبيعة الجغرافية الجافة لبعض مناطق الظهير الساحلي مما أدى إلى إحجام سكان الساحل المسلمين إلى اختراق تلك المناطق مما أضعف اتصالهم بسكانها . ولما كان الإسلام يعتمد في انتشاره على الاحتكاك والعلاقات بين المسلمين وغيرهم فقد كان طبيعياً في غياب التواصل أن يتأثر أهل الظهير الساحلي به (٤).

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٠ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٠ .

(٣) آي . إم . لويس : الإسلام في إفريقيا الاستوائية ، ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، (٢٠١٠م) ، ص ٦٥ .

(٤) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٠ .

وينسحب هذا بصورة خاصة على المناطق الداخلية للساحل الممتد من جزيرة لامو شمالاً إلى تانجا جنوباً .فالظهير الساحلي في هذه المنطقة ضيق يمتد إلى الداخل مسافة لا تتجاوز العشرين ميلاً ليواجه المسافر بعدها أرضاً جرداء موحشة أطلق عليها السواحلية اسم النايكا أي الأرض القفر . هذه الطبيعة الجغرافية أضعفت إلى حد كبير العلاقة التجارية بين مدن الساحل الإسلامية وجيرانهم من الوثنيين . وبما أن انتشار الإسلام كان مبنياً إلى حد كبير على علاقة وتعامل المسلمين مع غيرهم من غير المسلمين فإن انعدام تلك العلاقة أدت بالتالي إلى ضعف التأثر بالإسلام لدى الأفارقة سكان الداخل ؛ ولعل هذا ، إلى حد كبير ، يفسر قلة عدد المسلمين وسط الجماعات الداخلية مثل الماجكندا والقرياما والكيكيو والكامبا والكلنجن والماساي مع وجود عوامل أخرى – والذي سبق أن أشرت إليها – أعاقت انتشار الإسلام وسط هؤلاء [1] .

والماساي قبائل متحاربة اشتهرت بشدة بأسها ، وهي وثنية بدائية [2] ، وتعيش في منطقة جبل كلمنجارو [3] ، وتعد كيجادو من أهم مناطق الماساي ، ويعيش أفراد القبيلة على تربية الأبقار، وهؤلاء رفضوا الإسلام كما رفضوا المسيحية [4]، وكان نادراً أن تسير القوافل التجارية في مناطق الماساي بسبب حالة عدم

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤١ .

(٢) عبدالرحمن حمود السميط : رحلة خير في إفريقيا ، د.م ، د.ن ، ط ٤ ، (٢٠٠٣م) ، ص ١٥٧ .

(٣) فليب رفلة : المرجع السابق ، ص٣٧٦ .

(٤) عبدالرحمن السميط : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

الاستقرار التي تسببها [١] .

ويعطينا كل من جيمس أمري الكابتن بالبحرية البريطانية الذي مكث بممبسا لمدة ثلاثة عشر شهراً (١٢٤٠هـ / أغسطس ١٨٢٤م - ١٢٤٢هـ / يوليه١٨٢٦م) ، والمنصر الألماني لودفيج كرابف الذي مكث وسط الماجكندا وجاب بلادهم لعدة سنوات ؛ صورة حية عن علاقة أهل ممباسة المسلمين بجيرانهم الماجكندا الوثنيين . فقد تحدث أمري عن التبادل التجاري بين تجار ممباسة المسلمين ورصفائهم من الماجكندا وكيف أن هؤلاء الأخيرين كانوا يحملون سلعهم إلى ممباسة دون أن يكلفوا التجار المسلمين عناء الدخول في بلادهم لجلب تلك السلع [٢] .

ووفقاً لرواية أمري فإن التجار المسلمين كانوا نادراً ما يزورون بلاد الماجكندا . وعلى العكس من ذلك فإن عدداً من الماجكندا قد استقروا في ممبسا ودانوا بالإسلام ، كما أن عدداً من نساء الماجكندا تزوجن من مسلمي ممبسا وأصبحن من ثم مسلمات . أما داخل بلاد الماجكندا فلم يكن هناك مسلمون . ولم تتغير تلك الصورة إلا فيما بعد منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي حيث توطدت سلطة زنجبار وانتعاش التجارة ونمو

---

(١) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ١٢٤ ؛ عبدالرحمن زكي : الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا ، القاهرة ، مطبعة يوسف ، د.ط ، (١٩٦٥م) ، ص ٩٤ .

(٢) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤١ .

الزراعة [١] . وعكس ذلك تماماً نجده في المناطق الداخلية للشريط الساحلي الجنوبي الممتد من تانجا جنوباً ، والذي يعرف بساحل المريما ، حيث إن قرب تلك المنطقة من زنجبار جعلها أكثر تأثراً بنشاط زنجبار التجاري وإشعاعها الحضاري ؛ مما جعل ظهيرها يحظى بعلاقات أكثر متانة ، ويضحي تأثره بالإسلام أكثر قوة .

لكن مما يثير الانتباه أن انتشار الإسلام في كلتا المنطقتين لم يبدأ إلا في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي وإن سبق ظهوره في المنطقة جنوب تانجا تلك التي في شمالها على الرغم من أن الشمال كان هو البوابة التي دخل منها الإسلام . ويبدو السبب في تأخر انتشار الإسلام في الداخل ، إضافة لما ذكرته ، أن مجتمعات الساحل لم تتبلور لمجتمعات متينة من حيث التعمق الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية إلا بعد القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي مع هجرات العلماء وأسر الأشراف اليمنيين [٢] . وإذا كانت هجرات القرون الأولى قد غلب عليها الطابع السياسي التجاري فإن هجرات القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي غلب عليها الطابع الديني العلمي وتميزت بتجذرها لحركة الإسلام وصبغه بالصبغة العربية . وكانت كل من جزيرتي لامو وباته الواقعتين إلى الشمال من ممبسا أولى المناطق التي وصلها

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤١ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٢ .

أولئك الأشراف والعلماء [١].

وكان أشهر من وفد على السواحل السادة آل الأهدل واستوطنوا لامو، وكان جل همهم نشر الإسلام حيثما حلوا وارتحلوا ، ثم تلتهم السادة آل جمل الليل باهرون واستوطنوا بته ثم ويته [٢] والقرى الداخلية ، ثم آل السقاف واستوطنوا سيوى وزنجبار وبلداناً عديدة في السواحل ، وآل عبدالله باعلوي في واسين ، ثم جاء المشائخ آل العمودي واستوطنوا شيلا ومالندي وزنجبار ، ثم وفد السادة آل جمل الليل وآل باحسن واستوطنوا بتى ولامو وزنجبار ، ثم آل الشيخ أبي بكر بن سالم آل الحسين وآل أحمد فاستوطنوا بتى وأقام بعضهم بلامو وزنجبار ، وكل هؤلاء قدموا إلى السواحل في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، وبعضهم في القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي وإلى هؤلاء يرجع الفضل في تقدم الإسلام وترقية الثقافة والحضارة العربية والإسلامية في كافة السواحل [٣] .و أيضاً من الأسباب التي ساهمت في تأخر انتشار الإسلام في الداخل انشغال تلك المجتمعات بمقاومة الاحتلال البرتغالي بدءاً من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إذ حد كثيراً من قدرتها على الاهتمام بالدعوة للإسلام خارج محيطها الإسلامي مما

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٣٧-٣٣٨ .

(٢) ويته : في شمال الجزيرة الخضراء (بيمبا) من أعمال شكشك . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) محمد البيض : المرجع السابق ، ص ٢٤ .

ابطأ وحد كثيراً من انتشار الإسلام في الداخل وبالتالي بقاء تلك القبائل على وثنيتها (١) .

ومن الواضح أن عرب الساحل والسواحلية تركوا جيرانهم وشأنهم يحكمون أنفسهم في ظل مؤسساتهم القبلية المهلهلة (٢) .

وكان عدد من قبائل الماجكندا الوثنية تربطها صلات وعلاقات مع قبيلة المزارعة ، حيث تربط المزارعة بالقبائل الإفريقية علاقات واسعة ، وفي هذا الإطار وردت بعض الأحداث والسمات التي تؤكد ما ذهبنا إليه بالنسبة للعلاقات العربية الإفريقية التي سادت هذا الجزء في ظل دولة المزارعة (٣) .

ومما لاشك فيه أن قبيلة المزارعة بسطت نفوذها على عدد من القبائل الوثنية ، حيث قامت بينها وبين جيرانهم الأفارقة سلسلة من التحالفات العسكرية (٤) ، ومثال ذلك قبائل الغرياما ، وهي قبيلة غالبيتها من الوثنيين ولكنهم قريبون جداً للإسلام ؛ ويرجع ذلك إلى أن مبارك بن غريب المزروعي – سبق الإشارة إليه– قام بالاستعانة بقبيلة الغرياما لقتال البرتغاليين فاختلط أفراد القبيلة بالمقاتلين المسلمين من عرب وأفارقة ، حيث كانوا في نفس الجبهة

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٢ .

(٢) A.I.SALIM : Op.Cit. p25 .

(٣) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٩ ؛ بنيان التركي : الشيخ مبارك بن راشد المزروعي في شرق أفريقية ، ص ٧٢ .

(٤) A.I.SALIM : Op.Cit. p25.

وتأثروا بهم إلا أن المدة لم تكن طويلة حتى يعرفوا الإسلام ويمارسوه ، ولكن أحبوا الإسلام ولم يجدوا دعاة بعد ذلك لشرح مبادئ الإسلام لهم ، ويبدو أن لهم علاقات قوية بالمسلمين ، فأسماء الكثير منهم علي وأحمد ومحمد وخلفان ومبارك وسعيد (١) . والمجموعة القبلية التي تعرف باسم نييكا لعبت دوراً في العملية النهائية لطرد البرتغاليين من ممبسة عام ١١٤٣هـ/ ١٧٣٠م ، وأرسلوا إلى موزمبيق مع سفنهم وبحارتهم ومنذ ذلك الحين لم يعد للبرتغاليين ممتلكات على الساحل (٢) .

كذلك تحالفت قبيلة الغرياما مع الشيخ مبارك بن راشد سالم المزروعي (٣)

---

(١) عبدالرحمن السميط : المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢) A.I.SALIM : Op.Cit. p25.

كذلك انظر ملحق رقم (٤) .

(٣) مبارك بن راشد بن سالم بن حمد المزروعي : ولد في ممباسة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م ، وقد أعلن الثورة والعصيان على سلاطين زنجبار خاصة بعد المصير الذي لقيه أهله وعشيرته من زعماء المزارعة بعد سقوط القلعة واسترداد السيد سعيد لولاية ممباسة سنة ١٨٣٧م. كانت للشيخ مبارك أيضاً وقائع ومعارك مع السلطات البريطانية بعد إعلانهم للساحل الإفريقي الشرقي محمية بريطانية في ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م ، وقد أدى ذلك إلى انتشار الثورة في رقعة كبيرة من الساحل شملت جميع المنطقة من ملندي شمالاً إلى فانغا جنوباً ؛ مما دفع الإدارة البريطانية إلى الاستعانة بقوة عسكرية من الهند لإخماد الثورة التي تزعمها الشيخ مبارك ؛ وبدلاً من التسليم لجأ الشيخ مبارك وأعوانه إلى مستعمرة تنجانيقا الألمانية حيث توفى هناك في المنفى في عام ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م . سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٧٧-٢٨٣ ؛ الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

حيث كان له نفوذ واسع على العديد من القبائل الإفريقية [(١)] .

وتحالف أيضاً مع قبيلة الدرومة وقبيلة الديغو وهي قبيلة مسلمة تسكن غاسي جنوب ممباسة على الساحل في منطقة الظهير من البر الأفريقي [(٢)] ، حيث كان للأشراف من بني علوي ، وهم الأشراف القاطنون جزيرة واسين [(٣)] ، من آل المسيلة وهم أحفاد محمد بن علوي [(٤)] دور في دخول هذه القبيلة الإسلام ، وذلك عندما استولى هؤلاء الأشراف على ديوانية فومبة ، وأقامت أسرة حاكمة في المنطقة في شكل دواوين ، وقد اشتهر ملوك الأشراف بالديوان ، ثم سرعان ما تبنى هؤلاء السلاطين الألقاب الإفريقية المحلية دليلاً على التمازج والاندماج والانسجام مع العادات والتقاليد المحلية ؛ ومن ثم كان الديوان يتمتع بمركز ديني واجتماعي في أوساط الأهالي ، خاصة قبائل الديغو وسيغجو [(٥)] ؛ حيث كانت قرى قبائل الديغو تنتشر متفرقة ما بين غاسي وفومبه ، التي كانت تعتبر المستوطنة الساحلية جهة الجنوب ، وإن استيطان عشيرة الأشراف العلوية بين

---

(١) بنيان التركي : الشيخ مبارك بن راشد المزروعي في شرق أفريقية ، ص ٧٢ .

(٢) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٣) جزيرة واسين : تقع جنوب الساحل الكيني شرق مدينة فانغة على الساحل وهي إحدى مواطن الفومب مجموعة السكان الوطنية السواحيلية في المنطقة . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٠٦ .

(٤) انظر ملحق رقم (٥) .

(٥) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٠٥-٢٠٦ .

الأهالي عزز وجود نوع من الانتشار المتميز في النواحي الثقافية والدينية . وهذا لا يمكن أن ينفرد بنسبه إلى الوجود المزروعي فقط والذي تركز في غاسي على بعد ثلاثين ميلاً إلى الجنوب من ممبسا ، ولا ينتسب إلى سيادتهم السابقة على الساحل ، بل ننسبه بشكل أكبر إلى عشيرة الأشراف [(١)]. المنتشرة في تلك المنطقة هي التي قامت بأسلمة مجموعات قبلية كاملة مثل مجموعات الديغو والسيغجو التي كانت مسلمة تماماً عند قدوم الأوروبيين إلى تلك المنطقة [(٢)].

ومن الأشياء التي رواها الأمين المزروعي عن عطف ولاة المزارعة على رعاياهم من الجماعات الإفريقية وسهرهم عليهم في أوقات الشدة والمحن المجاعة التي أصابت أرض درومه وهو الإقليم موطن القبيلة التي تحمل الاسم ويقع غربي ممباسة ، وذلك في فترة ولاية عبدالله بن أحمد بن محمد بن عثمان المزروعي الوالي السابع (١٢٢٨-١٢٣٧هـ/ ١٨١٣-١٨٢٢م) ، وقد أورد المؤلف هذه القصة في مجال المقارنة بين سياسة المزارعة والبوسعيديين والحكومة البريطانية تجاه الأهالي : ".. أصابت أرض درومه مجاعة شديدة أتلفت كثيرين من أهلها ، فنزح إلى ممباسة جماعات منهم طلباً لما يسد الرمق من القوت . فعطف عليهم الوالي وآواهم وأرسل عائلات كثيرة من أهل درومه إلى الجزيرة

---

(١) A.I.SALIM : Op.Cit. p29.

(٢) تاج السر أحمد حران : الأقلية المسلمة في كينيا ، الرياض ، جامعة الأمام محمد بن سعود ، ط١ ، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م) ، ص ٦٩ .

الخضراء وأمر واليها برعايتهم. فمكثوا في الجزيرة منعمين متمتعين بخيراتها الكثيرة إلى أن ذهبت المجاعة من أرضهم فرجعوا إلى ممباسة. هذه الخصلة التي أتى بها الوالي لم يسبق إليها أحد من الولاة قبله وهي – بلا شك – منقبة عظيمة في حقه ودليل واضح على عطفه لرعاياه .." [١].

ويحكى أن المستر هبلي [٢] الذي كان والياً على ممباسة كان يجول في أرض درومه ، فلقي في بعض أحيائها رجلاً طاعناً في السن ، فجلس إليه وسأله : ما هي أعدل الحكومتين وأرأفها برعاياها أهي الحكومة العربية أو الانكليزية ؟ فقال له الشيخ لا أدري أي الحكومة العربية تعنيها ، لأنه قد تعاقبت على هذه البلاد حكومتان عربيتان ، حكومة المزارعة وحكومة آل بوسعيد .

فقال هبلي : أعنيهما جميعاً عند المقارنة بينهما وبين الحكومة البريطانية ، وكان رجاؤه أن يسمع من ذلك الشيخ جور العرب وقساوتهم على رعاياهم ، ولكن جاء الأمر على خلاف ظنه . فقال له الشائب : أرأف حكومة من هذه الحكومات هي حكومة المزارعة فسأله هبلي لماذا ؟ فحكى له حكاية المجاعة المذكورة . فتعجب المستر هبلي مما أتى به الوالي عبدالله بن أحمد وعده من غرائب

(١) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

(٢) المستر هبلي هو أحد الإداريين البريطانيين العاملين في مستعمرة كينيا إبان الحرب العالمية الأولى ومن الذين انتهجوا سياسات لتعميق النفوذ البريطاني في أوساط القبائل الأفريقية في الداخل . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٢٧ .

الأمـور إذ لا يـصدر مثـل هـذا العطـف – عـلى اعتقـاده – إلا مـن صـدور الأورباويين [١].

و عن ذلك يقول الدكتور صالح : إن العرب عاشـوا في الـساحل الجنـوبي الشرقي لإفريقية منذ ألفي عام وكانت سياستهم ناجحة في حكم الأفارقة حيث إن الأفارقة عاشوا معهم وقتاً آمناً وحاربوا بجـوارهم ولم يفكـروا يومـاً مـا أن يقفـوا ضـدهم أو أن يحكمـوا أنفـسهم. ويقـول : إن الأفارقـة الـسود رضـوا بالإسلام دينـاً الـذي علمهـم أن الجميـع سواسـية أمـام الله حتـى في الـصلاة والأعمال وأصبحوا جزءاً من العالم الإسلامي ولم يشر أحد إلى التميز العـربي أو الاستياء منه ولو كان الأفارقة غير سعداء وشعروا أنهـم مقهـورون لكـان مـن المفترض أن يقفوا ضد الحكام العرب ، ولكن هذا لم يحدث عبر ألفي عـام مـن الزمان [٢].

وهكذا يتضح مما سبق أن اندماج العرب مع أهالي الـبلاد الأصـليين ، نـتج عنـه اتصال وتعايش ساهم في نشر الإسلام بين عدد من القبائل الوثنية .

وهناك سبب ذو أهمية كبيرة لوصول الإسلام إلى القبائل الوثنية التي تقطن الأراضي الداخليـة ، وهـو أن العمانيـين ، في ظـل دولـة البوسـعيد ، قـاموا في صراعهـم للاسـتيلاء عـلى الجـزر والمنـاطق الـساحلية ، كمدينـة لامـو عـام

---

(١) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م ، وجزيرة بمبا عام ١٢٣٧هـ/ ١٨٢٢م وبات عام ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٤م ، وممباسة عام١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م ، بإرغام الكثير من العرب والمسلمين على النزوح إلى المناطق الداخلية هرباً من بطشهم والتنكيل بهم. ومن أبرز الذين فروا الأسرة النبهانية التي كانت تحكم سلطنة بته ، ثم استوطنت مع أنصارها منطقة أوزي حول دلتا نهر تانا في إثر نزوحها من الجزيرة ، وتحرك جماعات من المزروعيين من بمبا وممباسا وأتباعهم من السواحليين والعبيد [١].

وحسب التقديرات التي توصل إليها الدكتور عبدالرحمن فإن أكثر من خمسة عشر ألفاً من مواطني ممباسة وحدها هربوا إلى الداخل ، فوجدوا أنفسهم في بحر من الشعوب الإفريقية غير المسلمة [٢].

ويمكن القول بأن الصراع السياسي بين القبائل العمانية وبين البوسعيد كان في أساسه صراعاً على الحكم ، بل إن هذا الصراع نفسه قد لعب دوراً كبيراً في تحرك الكثير من المزارعة ذوي النفوذ من الساحل إلى الداخل ، وإجبارهم على تأسيس مستوطنات داخلية أسهمت في نشر الإسلام وسط تلك القبائل [٣].

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : الإسلام والمسيحية في شرق إفريقيا من القرن ١٨ إلى القرن ٢٠ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، (٢٠١١م) ، ص ٧٣ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) أحمد عبدالدايم حسين : الوجود العربي في منطقة البحيرات الأفريقية الكبرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مجلة كلية الآداب ، السنة ١١ ، العدد ٢١ ، (٢٠٠٧م) ، ص ٤٦٣-٤٦٤ .

بعد أن تمكن السيد سعيد بن سلطان من هزيمة آل مزروع عام١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م في آخر صراع حدث بينهم حول منطقة ممباسة ، مما ترتب عليه تفرق أبناء الأسرة الحاكمة ، حيث توجه فرع من الفئة المتبقية من أسرة آل مزروع إلى منطقة غاسي [١] ، وقد نجح في إقامة دويلة صغيرة فيها [٢] ، وبعض مزروع التجؤوا إلى تكؤنغ التي تبعد عن ممباسة ٣٣ ميلاً شمالاً وأنشؤوا حياة جديدة في قرية تقع في منطقة كليف ، هكذا هرب الجماعة إلى تكؤنغ بعد أن غلب عليهم السيد سعيد واستقبلهم في تكؤنغ زميلهم المزروعي الشيخ راشد بن سالم بن خميس المزروعي ، وبعضهم هربوا إلى غاسي في منطقة كُوَال ، والشيخ عبدالله بن خميس بن حميد ابن عم الشيخ راشد أصبح شيخاً في غاسي من عام١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م إلى عام١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م [٣] .

ويتضح من ذلك أن أسر المزاريع في تكؤنغ وغاسي واصلوا بشكل سلمي توطيد سلطانهم ونفوذهم المحلي بين الأهالي من قبائل البانتو ، وقد حدث ذلك الاستيطان بطريقة طبيعية سلمية دون اللجوء إلى أساليب القوة والعنف

---

(١) صلاح حامد عبدالرحمن : النفوذ البريطاني في شرق إفريقيا ١٢٧٣- ١٣١٣هـ/ ١٨٥٦- ١٨٩٥م ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، (١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م) ، ص ٣١٧ ؛ بنيان التركي: الشيخ مبارك بن راشد المزروعي في شرق أفريقية ، ص ٧١ .

(٢) هولنجزوورث : زنجبار ١٨٩٠- ١٩١٣ ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، دار المعارف ، ط ١، (١٩٦٨م) ، ص ١٢٢.

(٣) Ghalib Yasuf Tamim: Op.Cit.p 21-22.

والاضطهاد [١] ، ويظهر أنه قد ساد بينهم نوع من التفاهم والتعاون وأصبحت الإمارات العربية في الداخل مزيجاً تجمع في أنظمتها بين أشياء إفريقية أصلية وأخرى عربية إسلامية [٢] ، وتمكن العرب والسواحليون من إدخال بعض القبائل الموجودة خلف الساحل في الإسلام [٣] .كذلك تصادف قيام دولة وثنية إفريقية كبيرة في وسط تنجانيقا [٤] هي مملكة أوزمبارا [٥] التي امتد نفوذها أحياناً إلى مسافة ١٤٠ ميلاً خلف الساحل حتى نهر بنجاني ، وبلغت هذه المملكة ذروتها في عهد كيمويرى ، وقد شعر سكان الساحل بظهور هذه الدولة حوالي سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م إلى سنة ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م أي حتى وفاة كيمويرى وتفكك دولته [٦].

ولم يشأ السلطان سعيد أن يصطدم بهذه الدولة الإفريقية ؛ لأن طرق

---

(١) A.I.SALIM : Op.Cit. p 40.

(٢) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٣) محاسن عبدالقادر الصافي : المؤثرات العربية والإسلامية على الساحل الشرقي لكينيا في القرن التاسع عشر ، مجلة الدراسات العربية الأفريقية ، العدد ٢و٣ ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، (١٩٩١م) ، ص ٢١٩ .

(٤) تنجانيقا :هي منطقة البر من جمهورية تنزانيا الحالية . عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٥) أوزمبارا : تقع بين السواحل الإفريقية الشرقية والحدود التنزانية – الرواندية . السابق ، ص ٢٢٠ .

(٦) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ٦٧-٦٨ .

القوافل تمر عبر أراضيه فاتفق على أن يشترك كمويرى معه في الإشراف على بعض موانئ تنجانيقا الوسطى [1] .

وكان كيمويرى وثنياً يمارس جميع أشكال السحر ولكنه سمح لبعض أبنائه بالدخول في الإسلام والمجاهرة به ، وقد زار المنصر كرابف تلك المنطقة عام١٢٦٥ - ١٢٦٩هـ/ ١٨٤٨ - ١٨٥٢م وكتب يقول عن هذا الزعيم الوثني : " كان يحيط به بعض السواحليين الذين يكتبون له رسائله ، وله ولدان أصبحا مسلمين وتعلما القراءة والكتابة ولم يضع والدهما أية عقبات أمامهما عندما قررا ترك الوثنية " وهذا دليل على سماحة الوثنيين وتقبلهم للإسلام [2] .

ومن الشعوب الوثنية أيضاً قبائل الجوجو حيث تقع مناطقهم على بعد نحو ٣٠٠ ميل من الساحل الشرقي لإفريقية وبالتحديد من دار السلام وباجا مويو [3] .

وكان عدد كبير من الجوجو على اتصال مستمر بالعرب وغيرهم من المسلمين منذ منتصف القرن ١٣هـ/ ١٩م ، وكان الجزء من طريق القوافل الذي يمر خلال أراضي الجوجو يعتبره كل المسافرين جزءاً غير آمن ، سواء لوعورته وجفافه ونقص موارد الطعام فيه ، أو للروح العدائية لقبائل

---

(١) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٢) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٣) آى .أم .لويس : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

الجوجو [١] . فالعلاقات بين التجار المسلمين والجوجو كانت تدور في الأساس على الحق في العبور خلال أراضي الجوجو وعلى تموين القوافل بالإمدادات المطلوبة. وقد فرض الجوجو الضرائب الباهظة على القوافل العربية كما فرضوها بعد ذلك على الإرساليات التنصيرية وغيرها [٢] . لقد حقق الجوجو أرباحاً إلى حد ما من مرور تجارة المسلمين عبر بلادهم ، ومن المعقول أن نفترض أن الإسلام كان من الممكن أن ينتشر إذا كان قد وجد أساساً سياسياً واجتماعياً يعينه على الانتشار [٣] .

وعادة ما كانت صلات الجوجو بالعرب وغيرهم من التجار المسلمين في بواكير التغلغل الإسلامي قائمة على أساس المبادرة الفردية .كذلك الجوجو مجموعة بشرية من البانتو ذات انتماء أبوي يسكنون وادي رفت الشرقي حيث ينفسح هذا الوادي ليكون جزءاً من السهول الجافة وسط تنجانيقا ، ويمكن وصفهم بأنهم سكان مستقرون ، لكن المنطقة هامشية اقتصادياً ، وتعاني من الجفاف والمجاعة ، ويعيش الجوجو في مساكن واسعة منتشرة عبر سهل تملؤه الشجيرات الشوكية ، كذلك أفكار الجوجو عن أرواح الموتى والقوى الروحية والقداسة لا تتسق مع الأفكار العقدية الإسلامية [٤].

(١) آى .أم . لويس : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٢) آى .أم . لويس : المرجع السابق : ص ٣٤٢ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٣) آى .أم . لويس : المرجع السابق ، ص ٣٤٨.

(٤) السابق ، ص ٣٤٨-٣٤٩ .

و يظهر مما سبق بشكل عام لماذا لم يتقبل الجوجو الإسلام رغم أن الظروف التاريخية كانت مهيأة لاستيعاب مجتمع الجوجو للإسلام [١] .

ومن قبائل المناطق الداخلية في تنجانيقا أيضاً شعوب إنيمـويزي [٢] الـذين يعيشون إلى الغرب من الجوجو [٣] ، ثاني أكبر قبيلة فيهـا ، وقـد اتـصلت هـذه القبيلة بالمسلمين ، وقد ساعد تحول زعماء هذه القبيلة إلى الإسلام على ترسـيخ أقدامه وتوطيدها وانتشاره بين أفرادها [٤] .

ويذكر لويس سبباً تاريخياً لقبول النياموزيزى للإسلام ورفض الجوجـو لـه: " ميزة التغلغل العربي الذي لاقى مـساعدة متزايـدة مـن براعـة النيـاموزيزى في القتالة (القدرة على التحمل باعتبـارهم حمـالين بـارعين) ، وقـد تمكـن الـدين الإسلامي بفضلهم من ترسيخ أقدامه في الغرب ، بينما الجوجو ظلـوا وثنيـين لم يلحق بهم سوى تأثير قليل" [٥].

ومن الملاحظ أن المناطق الأكثر قرباً من الساحل كانـت هـي الأكثـر تـأثراً

---

(١) آى .أم . لويس : المرجع السابق ، ص ٣٦١-٣٦٢ .

(٢) إنيمويزي : هي قومية تحتل المرتبة الثانية من حيث العدد من بين المجموعـات الإثنيـة في تنزانيـا ، وتعيش في المناطق الشمالية الشرقية والوسطى للبلاد . وكلمة إنيمويزي ، ويقال أيضاً ونيمويزي ، كلمة سواحلية معناها شعوب القمر . عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٣) آي . أم . لويس : المرجع السابق ، ص ٣٤١ .

(٤) السابق ، ص ٣٤٠ .

(٥) السابق ، ص ٣٤٢ .

بالإسلام من تلك التي تبعد عنه. فبنهاية عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م نجد أن الإسلام قد توطن بصورة أكبر وسط الزارامو الذين كانوا يسكنون على بعد حوالي عشرة أميال من دار السلام [١]، وهم خليط من الناس اتحدوا بسبب بنائهم الاجتماعي، والإقليم الذي يعيشون فيه؛ وللدفاع عن أنفسهم قاموا ببناء عدة قرى تحيط بها الغابات، وعادة ما كانت كل قرية من تلك القرى لأسرة واحدة، وأصبح الزارامو هم مجموعة من مائتين أو ثلاثمائة أسرة منتشرين في ١٨٠ قرية من تلك القرى، وعندما امتد نشاط العرب على طول الساحل في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، تفتت نظام تلك القرى بعد أن أصبح الزارامو يعتمدون على تأييد العرب، حيث كانت العلاقة بين العرب والزارامو وأمثالهم من السكان القريبين من الساحل تقوم على أساس من الاحترام المتبادل، وكان العرب لا يتدخلون إلا قليلاً في شؤونهم الداخلية، وظل زعماء الزارامو يمارسون سلطاتهم المحلية، وقد أقام العرب واليين منهم في كل من كيسيجو، ودار السلام كممثلين لسلطان زنجبار [٢].

وعلى الرغم من أن درجة تدين بعض أفارقة الداخل لم تكن عميقة خلال العقود الأولى من إسلامهم، وهو أمر يبدو طبيعياً؛ إلا أن الإسلام ما لبث أن

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ: انتشار الإسلام في شرق إفريقيا، ص ٣٤٤.

(٢) سبنسر ترمنجهام: المرجع السابق، ص ٨٧.

تعمق وسطهم وأضحى مصدر اعتزازهم [١] .

كذلك انتشر الإسلام بين قبيلة الياو التي تسكن جنوب غرب تنزانيا الحالية ، دانت بالإسلام للتخلص مما كانت تعانيه من تخلف وهمجية [٢] ، وأن الإسلام أصبح عنصر تحديث في حياة الياو لما يجلب للمنطقة من تعليم للقراءة والكتابة مما يساعد في القضايا الإدارية [٣] ، وقد طور الإسلام أسلوب معيشتهم وإدراكهم للشئون الدينية [٤] ، حيث لاحظ المنصر ليفنجستون في سنة١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م عندما قابل زعيم الياو المدعو ماتيكا إلى الشرق من بحيرة نياسا ، فقد وجده يرتدي لباساً عربياً ولاحظ أن منزله يتخذ شكلاً مربعاً وهو يشبه منازل العرب فمعظمها مربع الشكل . فهم يقلدون العرب في كل شيء .

وفي القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ،كان الياو هم الموكل إليهم – بشكل رئيسي – نشر الإسلام في المناطق الواقعة حول بحيرة نياسا. ورغم أن هؤلاء الياو القاطنين في المناطق الداخلية قد بدؤوا منافسة تجارية مع عرب الساحل منذ وقت مبكر يعود إلى بداية القرن إن لم يكن قبل ذلك ، فقد ادعت بعض المصادر أنهم لم يدخلوا الإسلام بأعداد كبيرة حتى نحو

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٤ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٣) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العُماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الرابع عشر ، رمضان ١٤١٦هـ ، يناير ١٩٩٦م ، ص ٢٦ .

(٤) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(١٢٨٧-١٢٩٧هـ/ ١٨٧٠-١٨٧٩م) إلا بعد أن قدمت أعداد من عرب الساحل ليعيشوا بينهم أو ليتاجروا معهم.وإن هذا يعني أنه حتى وصول مستوى الوجود العربي في الداخل إلى حد معقول ، لم يكن لدى الياو وازع اجتماعي لاتباع الممارسات الإسلامية [١] .

وعلى الرغم من التنوع والتعدد في الأصول العرقية والعادات والتقاليد واللغات التي تشكل المجموعات التي كونت مجتمع زنجبار وشرق إفريقية ، إلا أنه نتيجة للتجانس الديني والحضاري الذي عم هذه المنطقة في ظل دولة البوسعيديين ، فقد اكتسب المجتمع الجديد الكثير من سمات التمازج والانصهار في بوتقة هذه الدولة العربية الإسلامية. ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ذلك الموقف المتميز بالمساواة والتسامح والاحترام للأعراق والعادات المحلية الذي أبداه الحكام البوسعيديون ، وقد كان هذا من الأسباب الأساسية التي دفعت الأفارقة الوثنين للاستجابة العفوية الإيجابية للإسلام ، خاصة في المجتمعات التي ارتادها العمانيون في منطقة الظهير الإفريقي ، كذلك المجموعات الإفريقية الوافدة من داخل القارة إلى المناطق الساحلية فمنهم النياموزي ، والسكومو ، والزرامو ، والياو ، والهايا ، والانقوني ، والماكوندي ، والقوقو ، وهم مثلوا معظم القبائل الإفريقية الساحلية والداخلية تقريباً [٢] . يقول المغيري :" ومن

---

(١) آي . أم . لويس : المرجع السابق ، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

(٢) عُمان في التاريخ ، وزارة لإعلام ، لندن ، دار اميل للنشر ، د.ط ، (١٩٩٥م) ، ص ٤٩٥-٤٩٦.

جميل أخلاق سلاطين زنجبار عدم التعصب في الجنسية والأديان ، فجميع الأجناس النازلة بزنجبار من غير الجنس العربي قد قابلهم سلطان زنجبار بغاية الاحترام والمواساة في جميع أمور الحكومة وغير ذلك ، ومهما تصفحت تاريخ زنجبار لا تجد فرقاً بين العرب وسائر الأجناس "[١] .

و يتضح مما سبق إن الإسلام لم يفرض على الشعوب الوثنية فرضاً ، إنما حمله قوم من أهل إفريقية نفسها ، وكان بعضهم تجاراً أو معلمين ، فلم يكن غريباً أن يلقى قبولاً منهم فهو في نظرهم دين فريد لم يتعرض لنظمهم المحلية ، إنما أكسبها شكلاً جديداً بحيث تنسجم مع التعاليم الإسلامية. كذلك الإسلام عقيدة سمحة ملائمة لطبيعة الإفريقي وبيئته ، وهو بهذا يرفع من شأن الفرد والجماعة ، ويحول الفرد إلى قوة ذاتية ، والجماعة إلى حركة ودأب ونشاط وعمل وعلم وثقافة [٢]. وأن الإسلام أقرب ديانة إلى عادات الأفارقة ويقبلون على الإسلام بسهولة ، وبدون عناد ولا تعصب .

---

(١) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٦٦ ؛ عمان في التاريخ : ص ٤٩٦ .

(٢) عمر سالم بابكور : الإسلام والتحدي التنصيري في شرق إفريقيا ١٢٦١-١٣٩٦هـ/ ١٨٤٤-١٩٥٠م ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ،(١٤١٧هـ) ، ص ٢١٨.

المطلب الثاني : الحملات التنصيرية :

منذ أن غادر البرتغاليون منطقة شرق إفريقية في أوائل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، أغلقت الأبواب في وجه المنصرين الأوروبيين؛ إذ إن المنطقة دخلت في قبضة المسلمين المتمثلين في السلاطين العُمانيين. لكن ما إن جاء عام ١٢٥٧هـ / ١٨٤١م حتى عاد الأمل إلى المنصرين الأوروبيين ، وذلك بعد قيام السلطان سعيد ، سلطان عُمان ، بنقل مقره إلى جزيرة زنجبار ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م ، وسماحه للبريطانيين والفرنسيين والأمريكيين بفتح قنصليات لهم هناك ؛ حيث إن المنصرين استغلوا ذلك الوضع ، فأنشؤوا مراكز تنصيرية في أنحاء المنطقة بسبب تسامح السلطان سعيد معهم (١) ؛ مما كان له أبلغ الأثر في دعم حركة التنصير المسيحي الوليدة . لاشك أن السلطان سعيداً كان غير غافل عن النتائج التي يمكن أن يفرزها الوجود المسيحي في المنطقة ، ولكنه تعامل مع الأمر ، فيما يبدو ، بنظرة السياسي الحريص على مصالحه ، فكأمير تاجر قد وضع أهمية كبرى لعلاقاته التجارية مع أوروبا ، علاوة على ذلك فإن الأمر ربما بدا له غير ذي خطر ما دام عمل تلك البعثات التنصيرية سيكون مركزاً على وثنيي المناطق الداخلية (٢) .

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢١٩ .

(٢) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ١٨٤٤-١٩١٤ دراسة أولية عن تطور العلاقات المسيحية الإسلامية في إفريقيا في ظل الاستعمار الأوربي ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الخامس ، ربيع الأول ١٤١٠هـ- أكتوبر ١٩٨٩م ، ص ٥٤ .

كان لموقف السلطان سعيد وخلفائه من بعده أثره السيئ على أتباعهم المسلمين الذين رأوا فيهم أكثر من مجرد متعاونين مع المسيحيين ، كما سنرى . ولكن هل كان في مقدور سلاطين زنجبار – أمام تصاعد النفوذ البريطاني في المنطقة – إلا أن يظهروا بمظهر الكريم والمؤمن بحرية الأديان ، حتى وإن لم يكن خافياً عليهم أن تلك البعثات التنصيرية ما هي إلا طلائع للاستعمار الأوربي الذي سيقضي على ملكهم ؟[(١)].

ووجد أولئك المنصرون أيضاً فرصة للعمل تحت سمع وبصر ، بل وأحياناً بمساعدة زعماء قبائل شرق إفريقية. فمن هؤلاء الزعماء من يجهل هوية وأهداف المنصرين ، فساعدهم من منطلق الجهل ، ورغبة في استغلال وجودهم لأهدافه الخاصة ، وغالباً ما تكون التجارة [(٢)].

ويعد الدكتور البروتستانتي كرابف أول أولئك المنصرين الذين انتهزوا الفرصة للحصول على رخصة من السلطان سعيد للإقامة بمنطقة شرق إفريقية [(٣)].

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا، ص٥٤ .

(٢) محمد سليمان الخضيري : السياسة والتنصير في شرق إفريقيا في القرن ١٣هـ/ ١٩م ، مجلة جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد التاسع عشر ، جمادي الأولى ١٤١٨هـ ، ص ٤٩٢-٤٩٣ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢١٩ ؛ عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، ص ١٢ ؛ عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٢٠-١٢١ .

حين حط جون لويس كرابف ، الألماني الجنسية ، والـذي يعمـل لحساب جمعية الكنيسة التبشيرية (C.M.S) الإنجليزية ، قدميه عـلى أرض زنجبـار ، كان عليه أن يبدأ غرساً جديداً في بيئة صعبة أرضها ، شديدي المراس سكانها. فالساحل الإفريقي تغطيه ، ومنذ مئات السنين ، أسر عربيـة مسلمة اختلطت بأهله الإفريقيين فأنتجت هجينـاً متميـزاً في دينـه وثقافتـه ودمـه صـعب عـلى البرتغاليين تنصيره والسيطرة عليه [١].

لم تكن زنجبار التي وصـلها كرابـف في عـام١٢٦٠هــ/ ١٨٤٤م هدفه الأول بل كان مبتغاه الوصول إلى قبائل الجالا الإثيوبية في الجنوب الشرقي بعد أن وقفت القبائل الصومالية المسلمة حائلاً بينه وبـين اجتيـاز الطريـق الـشمالي المعتاد. لقد لعبت الصدفة دورها في توجية كرابف نحو شرق إفريقية ، فلا شك أن وصوله إليها كان نقطة تحول هامة في مستقبل الإسلام والمسلمين ، ومستقبل السيطرة العربية على المنطقة. ذلك أن كرابف كان مقدمة لبعثات تنصير مسيحي متتالية ما لبث أن شكلت تحدياً حقيقياً لهيمنة الإسلام الدينية وسيادة العـرب والسواحيلية السياسية والثقافية التي ترجع بجذورها إلى عدة قرون. فكرابـف ورفاقه لم يكونوا إلا الطلائـع التـي كـشفت الطريـق ومهدتـه لـسيطرة القـوى الاستعمارية الأوربية على شرق إفريقية في الربع الأخير من القرن الثالـث عـشر الهجري / التاسع عشر الميلادي [٢]. ولهذا لم يكن غريباً تسارع هذه الدول عـلى

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ، ص ٥٤ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

مساعدة الجمعيات التنصيرية على بناء الكنائس ، وفتح المدارس ، وتأسيس المستشفيات ، وشق الطرق [(١)] . بل إن التنافس الاستعماري والسياسي في إفريقية جعل من كل دولة تحمي منصريها ، وكل إرسالية تنصيرية تناصر دولتها الأمر الذي أخرج التنصير من إطاره الديني والروحي إلى إطار سياسي استعماري بحت ، يقول المنصر سونو : " اتجه المستعمرون إلى استعباد جسد الإفريقي ، أما المنصرون فقد استهدفوا روحه " [(٢)] .

وكانت علاقات البعثات التنصيرية مع المجتمعات الإسلامية هادئة متوددة في بدايتها ، ثم شابتها روح التوتر والعداء وما لبثت أن تحولت إلى هجوم وتحد سافر [(٣)] .

ذلك أن رواد المسيحية الأوائل عمدوا إلى عدم إثارة مشاعر المسلمين أو استفزازهم ، بل وجهوا جهودهم التنصيرية إلى الشعوب غير المسلمة فيما وراء الساحل. فكرابف ، الذي اتخذ من ممباسة مقراً لأعماله في البداية ، ركز عمله وسط قبائل نييكا سعياً إلى الوصول إلى أرض الجالا [(٤)].

---

(١) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٠١ .

(٢) نور الدين عوض بابكر : أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في إفريقيا وطرق مواجهتها : دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام ١٤٠١-١٤٢٠هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأمام محمد بن سعود ، (١٤٢٢هـ) ، ص ١١٦ ؛ محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٠١-٥٠٢ .

(٣) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ، ص ٥٥ .

(٤) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٧٤ ؛ محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ ؛ محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ، ص ٥٥ .

ورغم الأسلوب المرن المنفتح الذي اتخذه المنصر كرابف ، حيث عمد أثناء وجوده في ممباسة إلى مهادنة المسلمين وكسب ود زعمائهم من خلال إيجاد صداقات مع عدد من سكانها من العرب السواحيلية [١] .

ولقد عزا كرابف ترحيب المسلمين به وحسن معاملتهم له إلى ما أسماه بشعور الصداقة العام للمسلمين تجاه الأوربيين عامة والإنجليز خاصة. ولاشك أن ذلك كان مرده قلة عدد الأوربيين الوافدين إلى ساحل شرق إفريقية وقتئذ مما كان مثيراً لفضول أهل تلك البلاد أكثر من إثارة شكوكهم وعدوانهم ، خاصة وأن نوايا الأوربيين الاستعمارية لم تكن قد أسفرت عن وجهها بعد. إلا أن العامل الأكثر أهمية ، فيما يبدو ، كان امتناع كرابف وزملائه عن التنصير وسط المسلمين ، أو إثارة أي مجادلات دينية تستثير غضبهم [٢] .

وفي المقابل كان موقف بعض السكان في مناطق أخرى في شرق إفريقية من وجود كرابف وغيره من المنصرين الغربيين موقف المتخوف مما يدعون إليه . وقد جسد هذا الموقف ما حصل للمنصر كرابف حيث إنه عندما طلب من سكان إحدى القرى إيصاله إلى رئيس القرية سألوه عن الهدية التي يحملها إلى ذلك الزعيم فقال إنني أحمل "كنز الجنة" إلى رئيس القرية وإلى شعبه مشيراً إلى الإنجيل الذي يحمله بيده. وكانت النتيجة أن بعض المواطنين الموجودين

---

(١) نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٢) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ، ص ٥٥ .

هربوا ، وقليل منهم مـن بقـي يـستمع لـه ، وفي مناسـبة أخـرى ذكـر كرابـف أنه حاول إشراك المـواطنين في مناقـشة دينيـة حـول "ألوهيـة المـسيح" لكـنهم كبقية المسلمين سرعان ما غضبوا وقالوا إن الله ليس لـه ولـد ، وإنـه لم يلـد ولم يولد [١] .

إن حرص الرواد الأوائل من المسيحيين على عدم استثارة المسلمين في ذلك الطور التأسيسي من عملهم يبدو واضحاً حين النظر إلى يومياتهم التـي حـوت إشارات قليلة جداً إلى الإسلام والمـسلمين عامـة ، وبـدا جليـاً مـن خلالهـا أن العمل التنصيري وسط مسلمي الساحل لم يكن يشكل أسـبقية ملحـة في ذلـك المنعرج من تاريخ الدعوة المسيحية في شرق إفريقية التي وجهت سـهامها نحـو الإفريقي الوثني ذي الطبيعة الخام لتشكيله وفق مايروقهـا ، لا نحـو العـربي أو السواحلي المسلم الـذي تـشربت روحـه بالإسـلام وعقلـه بـالفكر الإسـلامي والثقافة العربية مما يجعل أمر تغييره صعباً ، إن لم يكن مستحيلاً [٢] .

وفي عام ١٢٦٣هـ/ ١٨٤٦م انضم إلى كرابف صديقه المنصر جون ريبمان حيث كونا بعثة تنصيرية في قرية راباى في أرض النيكا التي تبعـد حـوالي ثمانيـة عشر كيلو متراً إلى الداخل ، وهو أول مركز تنصيري في المنطقة ، واتخـذ قاعـدة للتوغل في الأقاليم الداخلية بحثـاً عـن الأمـاكن التـي تـصلح لإقامـة مراكـز

---

(١) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٣١-٥٣٢ .

(٢) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ، ص ٥٥ .

للتنصير [١] ، وسط قبيلة جيرياما ، غير أن الزميلين كرابف وريبمان أخفقا في تحقيق أي نجاح يذكر في تنصير هذه القبيلة ؛ إذ إن ثمرة جهودهما لما يناهز ربع قرن من الزمن ، لم تتجاوز من العدد ما يقدر بـ ١٢ شخصاً فقط ، وهو ما أغضب كرابف ، الذي شعر بخيبة أمل كبيرة في تلك المنطقة ، ودفعه إلى التفكير جدياً في توسيع دائرة نشاطه ، مقدماً اقتراحاً له بهذا الشأن إلى الجمعية الكنسية للتنصير ، وهو الاقتراح الذي لم يجد استحساناً عند جماعته فقط ، وإنما عند جماعات بروتستانتية أخرى أيضاً ، كجماعة آباء الروح المقدس . وكان الاقتراح يقضي بربط ليبرفيل بغابون وممباسا في كينيا للوصول إلى أكبر عدد ممكن من الشعوب الإفريقية [٢] .

ويتجلى في ذلك المخطط حرص كرابف وزملائه على نشر النصرانية ، ومحاربة الإسلام في شرق إفريقية [٣] .

ونجح كرابف في الحصول على رخصة نادرة من الزعيم كيمويرى للدخول

---

(١) رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي ، د.م ، دار النهضة العربية ، د.ط ، (١٩٦٨م)، ص١٤٢ ؛ عمر سالم بابكور: المرجع السابق ، ص ١٢٥ ؛ محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٢٨ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٣) عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقية في ظل دولة البوسعيديين ١٨٣٢- ١٩٣٠م ، رسالة ماجستير ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، ص ١٣٦ .

في منطقة أوزامبارا ، وذلـك بعـد أن اسـتدعاه الـزعيم كيمـويرى للتنـصير في أوزامبارا. وبذل كرابف جهداً كبيراً للإطاحـة بنفـوذ التجـار العـرب في هـذه المملكة. غير أن الفرصة الذهبية التي انتظرها كرابف طويلاً جاءته من حيث لا يحتسب ، ذلك أن الزعيم كيفوي ، زعيم قبائل أكامبـا ، استـضافه في قـصره في وقت لاحق ، متخذاً إياه صديقاً له ، وهو ما أعطاه فرصة نادرة لنشر عقيدته في المناطق التي كانت تقع تحت حكم هذا الزعيم القـبلي ، إلا أن الـزعيم كيفـوي وقع ضحية لقطاع الطرق في أثناء رحلة استكـشافية قـام بهـا برفقـة كرابـف ، لمعرفة ما إذا كان نهر تانا يصلح للاستخدام ، بالنسبة إلى المنصرين الأوربيـين ، للوصول إلى المناطق الداخلية النائية في شرق إفريقيـة ، وهـو مـا دفـع كرابـف في عـام ١٢٧١هــ/ ١٨٥٤م إلى العـودة إلى أوروبـا بـسبب مـرض أصـابه بعد الحزن الشديد الذي ألم به نتيجة مـشاهدته رفيقـه وهـو يـذبح عـلى أيـدي لصوص [١] .

و منذ البداية شعر المنـصرون الـذين يعملـون تحـت إشراف الإرسـاليات التنصيرية في أغلب مناطق شرق إفريقيا أنهم يعملون في محيط غريب ، وفي أكثر الأحيان صعب ، كما أنهم كانوا يعولون على مناطق الداخل على أنها هي مناطق عملهم وليست المناطق الساحلية الشرقية ، لكن المناطق الشرقية هي غالبـاً مـا

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٠-٢٢١ ؛ عمر سالم بابكور : المرجع الـسابق ، ص ١٣١ .

تكون بداية منطلقهم [١] .

إن المتتبع لرحلة كرابف في إفريقيا بدءاً ببلاد الحبشة ومروراً بشرق إفريقية –كينيا وزنجبار وغيرها– يتضح له أن الرجل كان حريصاً جداً على نشر الديانة النصرانية ليس في شرق إفريقية فحسب بل كان يطمح إلى نشرها في كافة أرجاء إفريقية وخاصة في المناطق ذات الموقع الاستراتيجي ، وذلك بغرض الانطلاق منها للانتشار في مناطق أخرى داخل القارة. كذلك الحفاوة والاستقبال التي وجدهما كرابف عند قدومه للمنطقة وتلك المساعدات التي لقيها من قناصل الدول الغربية المعتمدين لدى سلطان زنجبار ، إذ مكنته تلك المساعدات من الوصول إلى مناطق لم يكن له أن يصلها بمفرده [٢] .

وأصبح كرابف أول صانع لقاموس سواحيلي واستطاع ترجمة الإنجيل إلى اللغة السواحيلية بمساعدة قاضي لامو المسلم [٣] ، وسعى مجداً في محو الخط العربي الإسلامي ومحو كل ما ينسب إلى الإسلام [٤] ، وعمل وزميلاه اللذان لحقا به بعد ذلك وهما: المنصر ريبمان والمنصر ايرهارد ، على دراسة اللغات الإفريقية ، ووضعوا معاجم للسواحيلية والنياسا والوانيكا كل ذلك لمحاربة الإسلام ونشر النصرانية

---

(١) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٣٤ .

(٢) نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) السابق ، ص ١٣٠ .

(٤) محمد سعيد البيض : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

والقضاء على نفوذ العرب المسلمين داخل القارة [١] .

إن التغيير الذي أحدثه قدوم كرابف إلى ممبسة كمنصر للجمعية الكنسية التنصيرية ، فمع أن الوجود العربي الإسلامي الفاعل لم يكن يمتد لأكثر من ٢٠ كيلو متراً إلى الداخل ، إلا أن وصوله جعل العرب يحاولون كسب أراضٍ جديدة تدين بالإسلام في الداخل ، لشعورهم بخطر التنصير على الساحل [٢] .

والسؤال الذي يطرح نفسه : إذا كانت مقاومة أنشطة المنصرين هي العامل المحرك للوجود العربي ؛ فلماذا قدم العرب المساعدات لهم في تلك المناطق ؟

والإجابة عن ذلك : أن هناك عدة أسباب تقف وراء هذا التعاون ، أولها أن العامل الاقتصادي قد لعب دوراً مهماً في هذه المسألة بحكم أن المتعاملين معهم من العرب كانوا من التجار ومن المتحكمين في عملية النقل ، وثانيها أنهم كانوا أفراداً معدودين لا يمثلون خطورة على مصالح العرب ، بل كانوا في حمايتهم ، فقد كان المنصرون لا يمرون إلا في الطرق التي يسيطر عليها العرب ، فطريق الماساي ظل غير آمن لهم حتى سنة ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م لعدم سيطرة العرب عليه ، ثالثها أن خطابات التوصية التي تعطى للمنصرين من قبل سلطان

---

(١) عمر سالم بابكور: المرجع السابق ، ص ٢٣٨ ؛ رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي، ص ١٤٤ .

(٢) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٥٨ .

زنجبار كان لا يمكن تجاهلها [١].

و لما زار بارتل فرير المفاوض الإنجليزي لمعاهدة محاربة الرقيق [٢]، زنجبار سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م، أوعز إلى جمعية الكنيسة التنصيرية فأنشأت مستعمرة للرقيق المحررين في السهل الساحلي المقابل لمباسة، أطلق عليها "فريرتاون" تيمناً بسير بارتل فرير [٣].

بدأت فريرتاون نشاطها بمائة وخمسين عبداً محرراً تم نقلهم من مستعمرة شارنبور الصغيرة التابعة للجمعية في إقليم بومباي بالهند، وتم إسناد إدارتها إلى القس وليم برايس كمستعمرة صغيرة تضم أفارقة محررين، كانت فريرتاون تبدو غير ذات خطر على مجتمع ممبسا المسلم، ولكنها بنظرة أعمق، كانت كما – يقول المثل – شوكة حوت في حلق مجتمع ممبسا المسلم. فمن ناحية كانت فريرتاون تمثل مجتمعاً أجنبياً ذا ثقافة معادية لثقافة أهل ممبسا، ومن ناحية أخرى، كانت كمستعمرة ذات إدارة مستقلة خارج إطار السلطة الشرعية

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق، ص ٤٦١-٤٦٢.

(٢) عقب اعتلاء السلطان برغش بن سعيد (١٢٨٧-١٣٠٦هـ / ١٨٧٠-١٨٨٨م) عرش زنجبار عمدت بريطانيا لتكثيف حملتها ضد الرق وتجارة الرقيق، وبعد مفاوضات مضنية استطاعت في عام١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م إجبار السلطان على عقد معاهدة تحد من انتقال العبيد بين أجزاء مملكته وأعطت سفن البحرية البريطانية حق اعتراض وتفتيش المراكب ومصادرة ما تحمله من رقيق. محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا، ص ٥٨.

(٣)عمر سالم بابكور : المرجع السابق، ص ١٣٥ ؛ نور الدين عوض : المرجع السابق، ص ١٣١ ؛ محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا، ص ٥٨.

– تمثل تحدياً للنظام والقانون القائمين ، وخروجاً على العرف الذي ارتضاه المجتمع. إن جزيرة مسيحية وسط بحر إسلامي كانت بلا شك تحدياً كبيراً لدين أهل ممبسا ولثقافتهم ونمطهم الاجتماعي [١].

ولكن أكثر ما كان يقلق رجال البعثة المسيحية عند بداية السبعينيات هو حماية أولئك الإفريقيين ، الذين كان يطلق عليهم اسم (أولاد الإرسالية) من تأثير المجتمع المسلم المحيط بهم. وخوفاً مما يحدثه مثل ذلك التأثير فقد حرص المنصرون على عدم فقد العبيد المحررين لهويتهم الثقافية التي كانوا يرون فيها الدرع الواقي ضد الإسلام. وهكذا تم تقسيم فريرتاون إلى أحياء سكنية وفقاً للانتماء القبلي لكل مجموعة ، كما شجعت الرقصات القبلية لترسيخ الحس القبلي لدى الأفارقة رغم ما في ذلك من تناقص مع تعليم الكنيسة وازدرائها للعادات الإفريقية . لكن كل ذلك لم يكن كافياً للحيلولة بين الإفريقيين المسيحيين وبين المجتمع المسلم الذي كان هناك أكثر من عامل يجذبهم نحوه ، فمن ناحية وجد الإفريقيون أنفسهم مدفوعين لارتداء الجلباب المسيحي ولتعلم اللغة السواحيلية من جراء سياسة المنصرين العنصرية الرافضة لرؤية (إنجليز سود) يرتدون الزي الأوروبي ، ومن ناحية أخرى فقد كان للمزايا الاجتماعية والاقتصادية التي يجدها المرء في المجتمع السواحلي والنظام المتشدد الذي فرضته الإدارة المسيحية على أتباعها الإفريقيين أكبر الأثر في فرار عدد منهم من

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ، ص ٥٨ –٥٩ .

معسكر فريرتاون والدخول في الإسلام [١].

أدت تلك النتيجة السلبية إلى خيبة أمل صورتها كلمات القس بيرت حين قال : هذا أمر غريب فعدد من الأولاد لا يطمحون إلى شيء سوى أن يكونوا خداماً أو طباخين ، هذه قضية متشابكة. إن الأوربيين ، بسبب استخدامهم لبعض أولاد الإرسالية السيئين أو بسبب التحيز ، يرفضون دائماً استخدام أولاد الإرسالية كخدام ؛ نتيجة لذلك فقد غير بعض الأولاد المسيحيين أسماءهم وأطلقوا على أنفسهم أسماء إسلامية لكيما يتحصلوا على عمل .

إن تأثير الإفريقيين المسيحيين من أتباع الإرسالية المسيحية بالمجتمع السواحلي حولهم وفرار بعضهم ودخولهم في الإسلام ظل هاجساً يؤرق منصري جمعية التنصير الكنسي مما جعلهم في أكثر من مناسبة يطرحون فكرة نقل فريرتاون إلى موقع آخر بعيداً عن ممبسا و(الخطر) الإسلامي [٢] .

وبالإضافة إلى جمعية الكنيسة التنصيرية ، فإن هناك عدداً آخر من البعثات التنصيرية ، التي بدأت تمارس نشاطها التنصيري وسط الأهالي ، كان منها :

- **إرسالية الجامعات لوسط إفريقيا** : كان مقر هذه الإرسالية في زنجبار ، وقد تأسست على يد المنصر ديفيد ليفنجستون في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م ، بعد مناشدته لجامعتي أكسفورد وكامبردج البريطانية . كانت هذه البعثة تعمل

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ، ص ٥٩-٦٠ .

(٢) السابق ، ص ٦٠ .

في منطقة تسمى نهر شاير جنوب بحيرة "نياسا" ، تحت إدارة الأسقف ماكينزى ، ونتيجة لعدم ملاءمة المناخ للأوربيين مات ماكينزى ومعظم العاملين معه في السنة الأولى (١) .

وعندما جاء خليفته الأسقف وليم جورج توزر ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م ، قرر إيقاف العمل التنصيري في هذه المنطقة لبعض الوقت ، والعمل على جعل زنجبار قاعدته للعمل التنصيري في الداخل (٢) .

إن الإيمان بعدم قابلية مسلمي شرق إفريقيا لتغيير دينهم وتقبل المسيحية وجد رسوخاً ليس وسط المنصرين العاملين في المنطقة آنئذ فحسب ، بل أيضاً وسط لجان العمل المسيحي في بريطانيا. فبعض تلك اللجان عارض حتى مجرد فكرة إنشاء بعثة مسيحية في المناطق ذات الأغلبية المسلمة. مثلاً ، نجد أن إرسالية الجامعات لوسط إفريقيا تشك وتتساءل عن الحكمة وراء قرار القس توزر رئيس البعثة ، بنقلها من مقرها الأصلي ، عند مرتفعات شيرى ، إلى مدينة إسلامية مثل زنجبار. فتوزر نفسه لم يكن على خلاف حول عدم صلاحية زنجبار للعمل المسيحي ، ولكنه كان يرى أن مركز زنجبار التجاري وسهولة اتصالها البحري مع كل من بومباي ولندن يجعلانها ذات قيمة كبرى كنقطة

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٤٧-١٤٨ ؛ نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ؛ محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٠٧ .

(٢) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٤٨- ١٤٩ ؛ نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

انطـلاق نحـو المنـاطق الداخليـة لـشرق ووسـط إفريقيـة. فزنجبـار وغيرهـا من مدن الساحل اتخذت كمحطات للراحة والتـزود بـالمؤن قبـل الزحـف إلى الداخل [١].

و قد استقبل توزر بحفاوة من قبل القنـصل البريطـاني الكولونيـل بليفـير وأقام بضعة أيام في ضيافته وسهل مهمته كما هـي عـادة القناصـل البريطـانيين الذين يتسابقون مع غيرهم من قناصـل الـدول الغربيـة للترحيـب بالمنـصرين والرحالة ، اقتناعاً بدعوتهم وخدمة لمصالح دولهم.

و منذ البداية عملت هذه الإرسالية بتفاهم وتعاون مع المـسؤولين هنـاك ، فقد تم عمل الترتيبات مع السلطان ماجـد بـن سـعيد (١٢٧٣ - ١٢٨٧هـ / ١٨٥٦ - ١٨٧٠م) ، سلطان زنجبار ، على إيجاد منزل كبير للبعثة مقابل للبحـر في منطقة شانجاني في وسط المدينة ، وقـد بعـث الـسلطان إلى الأسـقف تـوزر بخمسة من الشبان الذين كانوا سابقاً من العبيد لمعاونته في عملـه. وبمـساعدة هؤلاء الشبان ، وغيرهم ممن التحق بالعمل في وقت لاحـق ، بـدأ فـوراً عملـه بتعليمهم حيث أصبحوا فيما بعد معلمين وكهنة وقسساً. وفي عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م اشترى توزر مزرعة في منطقة كنجاني لا تبعد كثيراً عن زنجبار. وبعـد بضع سنوات اشترى أرضاً أخرى في منطقـة مبـويني التـي تبعـد أربعـة أميـال جنوب زنجبار لاستخدامها سكناً للقـادمين الجـدد للبعثـة ، ولم يمـض وقـت

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ، ص ٥٦ .

طويل حتى أصبحت هذه القرية مقراً لتحرير الرقيق.و لاشك أن هذه المساعدات القيمة من قبل القنصل البريطاني ومن قبل سلطان زنجبار سهلت مهمة البعثة أكثر من غيرها من الإرساليات التي عملت في أجزاء أخرى من القارة [١] .

كانت إرسالية الجامعات من أكثر الإرساليات التنصيرية تأثيراً ، نظراً لاتخاذها خطاً مختلفاً وحيوياً عما قامت به الإرساليات والجمعيات التنصيرية الأخرى. كانت طريقة العمل التي سلكتها الإرساليات العادية تهدف إلى التحويل المباشر إلى النصرانية عن طريق تعليم الناس وتدريب الأطفال المهن المقيدة من خلال ربطهم بأنشطة المنصرين ، بينما كانت إرسالية الجامعات تهدف إلى تأسيس كنيسة إفريقيا تكون أنشطتها في النهاية قائمة على أيدي الوطنيين الأفارقة ؛ وذلك لأن القساوسة والمنصرين لا يستطيعون البقاء في هذه القارة بصفة دائمة لعدم مناسبة المناخ والتقاليد الاجتماعية لهم [٢].

و في عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م حضرت سيدتان للعمل في بعثة الجامعات وكانتا أول سيدتين تقومان بالعمل في البعثة ، وهما الآنسة "توزر" أخت الأسقف والآنسة "جونز" ، ولقد وصلتا في قارب شراعي ، كما كانت هناك

---

(١) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .

(٢) نور الدين عوض بابكر: المرجع السابق ، ص ١٣٣ ؛ محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥٠٨- ٥٠٩ .

أيضاً الآنسة فولر التي تعتبر من أكبر المنصرات في بعثة الجامعات ، وقد قضت ٢٥ سنة من حياتها في الخدمة الدينية في جزيرة بمبا ، وكان عدد المسيحيين في الجزيرة حوالي ٢٠٠ كما يوجد عدد من المسيحيين دخلوا في الإسلام ، وذلك بسبب بعض الاضطرابات ، وغالباً بسبب الهروب من اضطهاد الكنيسة [(١)].

وبعد استقالة الأسقف "توزر" في عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ، تم تعيين خليفته وهو الأسقف إدوارد ستير [(٢)] ، وقد قام بترجمة الإنجيل إلى اللغة السواحيلية [(٣)].

وفي عام ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م ، حصدت إرسالية الجامعات ثمار جهودها التي بذلتها في سبيل إلغاء العبودية في أنحاء شرق إفريقيا ، وذلك في أثر استقرار جماعة من العبيد السابقين المكونين في المدارس التي بنتها هذه الجماعة في جزيرة زنجبار لتخريج الأحرار الجدد ، في منطقة مساسي [(٤)] ، بعد رحلة قامت بها هذه الجماعة للعودة إلى ملاوي ، الموطن الأصلي لأفراد هذه الجماعة. وبحسب الروايات التاريخية ، فإن السبب في استيطان هذه الجماعة من المحررين من العبودية في تلك المنطقة ، هو أن القائد ياو ، زعيم قبائل ماتولا ، أعجب

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

(٢) السابق ، ص ١٥٢ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

(٤) مساسي : تقع في جنوب تنزانيا . عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص٢٢٤ .

بهم ، فطلب منهم البقاء عنده لتعليم أفراد عشيرته ، فكان هذا بمثابة هدية إنقاذ لهم لمعرفتهم بما كان ينتظرهم من مشقة سفر ومخاطر أخرى في الطريق إذا ما اضطروا إلى مواصلة سفرهم. ومن أبرز هؤلاء العبيد السابقين الذين استقروا في منطقة مساسي ، الأب سوسي والأب جوما ، أي الرجلان اللذان رافقا ليفنجستون إلى زامبيا في آخر رحلة له في حياته ، وحملا جثمانه إلى باغامويو لدفنها هناك في عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م (١) .

وكان مما ترتب عن اندماج هؤلاء العبيد السابقين في شعب مساسي أن دخلت قبائل ماتولا في الديانة المسيحية رداً على قبائل الياو المجاورة ، التي دانت بالإسلام ، وهو ما أدى بدوره إلى قيام المساسيين أيضاً بإرسال أبنائهم إلى مدرسة القديس أندرو في زنجبار ، ليتخرج الجيل الجديد من أبنائهم .يضاف إلى ذلك أن هذا الشعب أخذ يؤدي دوراً بارزاً في عملية التنصير في أنحاء المنطقة ، حتى أن كنيسته أصبحت أول كنيسة غير أوروبية معترف بها من قبل الفاتيكان في المنطقة (٢).

- **جمعية لندن التنصيرية** : التي قامت بتحويل نشاطها التنصيري من غرب إفريقية إلى شرقها ، وذلك في العقود الأولى من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وقد تأسست هذه الجمعية عام١٢١٠هـ / ١٧٩٥م ،

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٤- ٢٢٥ .

(٢) السابق ، ص ٢٢٥ .

واستطاعت أن تحصر عملها في شرق إفريقية في المنطقة الواقعة بين بحيرة تنجانيقا والساحل [١] .

ومن أشهر المنصرين الذي كان عضواً فاعلاً فيها المنصر ديفيد ليفنجستون (١٢٢٨ - ١٢٩٠هـ/ ١٨١٣-١٨٧٣م) ، وقد اعتمد ليفنجستون في دعوته إلى التنصير على طريقة الرحلات ، التي مهدت الطريق للبعثات فيما بعد ، والتي تعتبر من أهم الوسائل في الوصول إلى المناطق الداخلية من القارة الإفريقية [٢] .

وقامت جمعية لندن التنصيرية بفتح محطة في أوجيجي على بحيرة تنجانيقا عام ١٢٨٠هـ/ ١٨٦٣م ، حيث سافرت في عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م أول حملة عن طريق المسلك الرئيسي لطرق التجارة ووصلت أوجيجي ، وفي خلال الخمس السنوات التالية تم فتح محطات تنصير في أورامبو التابعة لأوجيجي نفسها ، وفي متوا على الساحل الغربي من البحيرة ، وفي خلال الستة عشرة سنة الأولى للبعثة توفى ثمانية رجال ، ومن الأعضاء الذين استمروا قاسى بعضهم كثيراً للمحافظة على بقاء طريق الساحل الشرقي مفتوحاً إلى المحطات الشمالية على البحيرة ، ولقد فضل الطريق البحري للوصول إلى بحيرة نياسا كحقل للعمل بين نياسا وتنجانيقا [٣] .

---

(١) عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ١٤٠ ؛ رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي ، ص ١٧٣ .

(٢) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥١٦ .

(٣) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٦٦ - ١٦٧ ؛ عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ١٤٠ .

وفي عـام ١٢٩٣هــ/ ١٨٧٦م أرسـلت جمعيـة لنـدن التنـصيرية حمـلات لاستكشاف المنطقة الممتدة بين الساحل الشرقي لإفريقية وبين بحيرة تنجانيقا ، واختيار الأماكن التي تصلح لإقامة مراكز للتنصير فيها ، وقـد نجـح الرحالـة إدوارد هور قائد الحملة الأولى في الإقامة بأوجيجي واتخذ منها محطـة لأبحاثـه على بحيرة تنجانيقا ، وحصل على معلومـات تفـصيلية عـن شـواطئ البحـيرة خلال الرحلات التي قامت بها مراكـب صـغيرة تخـص الإرسـالية ، وفي عـام ١٢٩٦هـ/ ١٨٧٩م نقلت محطة أوجيجي إلى موقع صـحي في جزيـرة كافـالا إحدى الجزر الواقعة بالقرب من شاطئ تنجانيقا الغربي ، وتوجت أعمال هـور بإنزال الزورق البخاري جود نيوز في مياه بحيرة فيكتوريـا ، وكـان أول زورق بخاري يشاهد في مياه تلك البحيرة (١).

وكانت جمعية لندن التنصيرية أول جمعية تنصيرية تتسلل إلى الداخل ، حيث وصلت إلى أوجيجي على بحيرة تنجانيقـا ، ومـن هنـاك تحركـوا للإقامـة عـلى الجوانب الشرقية والغربية للبحيرة ، ولقد عملـت البعثـة مـا في وسـعها لكـي تكون على علاقة جيدة مع العرب (٢).

ولم يكن العرب في تنجانيقا موافقين على إقامة الأوروبيين في وسط إفريقيا، واقترحوا القبض على كل وكلاء بعثة لندن التنصيرية وقتلهم ، والاستيلاء على

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(٢) نفس المرجع والصفحة.

ممتلكاتهم ، وكان من الممكن القيام بهذا المشروع ؛ ولكن تدخل "تيوتيب" زعيم الكونغو المسلم الذي عندما سمع بالمشروع منح المنصرين الحماية ، وعند الضرورة إعلان الحرب على العرب في صالح المنصرين ، وهذا العمل وضع نهاية لذلك المشروع [١].

- **إرسالية الكنائس الحرة المتحدة الإسكتلندية** : التي اتخذت من الشواطئ الغربية لبحيرة نياسا مسرحاً لنشاطها التنصيري ، ويعزى اهتمام هذه الإرسالية بالمنطقة إلى المنصر جيمس ستيورات الذي عمل مع ليفنجستون في رحلاته الكشفية إلى وسط إفريقية ، وقد عرض ستيورات على الإرسالية أن تقيم محطة تنصيرية ذات طابع صناعي وتعليمي في وسط إفريقية ، وقد اختير أول موقع لهذا الغرض عند الطرف الجنوبي لبحيرة نياسا ، ومنه أخذت الإرسالية تمد نشاطها تدريجياً على طول شاطئ البحيرة الغربي ، حتى اتخذت لها في النهاية مقراً عند ليفنجستون على الشاطئ الغربي للبحيرة بالقرب من طرفها الشمالي ، وهناك أقامت الإرسالية مركزاً تنصيرياً ومدرسة ومستشفى ومؤسسة صناعية ، لتعليم الإفريقيين وسائل الزراعة والصناعة اليدوية ، وقد تولى إدارة هذه المنشآت كلها المنصر والطبيب روبرت لوز [٢].

---

(١) عمر سالم بابكور: المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٢) رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي ، ص ١٧٥ - ١٧٦ ؛ عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٧٤ - ١٧٥ .

إن النـشاط التنـصيري في إفريقيـة الـشرقية لم يكـن قـاصراً عـلى الإنجليـز والبروتستنت وحدهم ، بل أسهم فيه الفرنسيون والكاثوليك أيضاً [١] .

التحق الكاثوليك بنظرائهم البروتستانت بعد قرن كامل من الزمن ، وذلك لسببين اثنين :

– **أولهما** أن الكاثوليك جربوا حظـوظهم في المنطقـة أيـام البرتغـاليين فلـم يوفقوا في أمرهم ، وهو ما يعني أنهم ربما كانوا غير متحمسين هذه المرة ، وغـير متفائلين في نجاح أي تجربة جديدة لهم في المنطقة .

– **ثانيهما** أن قرون الكاثوليك ولت باعتبار أن البرتغاليين والإسبان خسروا المعركة التوسعية لـصالح البريطـانيين ، كـما أن الفرنـسيين كـانوا منـشغلين في ظروفهم الداخلية بسبب الثورات التي كانوا يقومـون بهـا ضـد ملـوكهم عـلى المستوى الداخلي [٢] .

ومن الجمعيات الكاثوليكية جمعية الروح القدس : التي عملـت في زنجبـار لفترة طويلة نسبياً ، وكانت تعرف أيضاً بجمعية الآبـاء الـسود تمييـزاً لهـم عـن جمعية الآباء البيض التي كانت موجودة في شمال إفريقيا ، وقـد جـذبت معظـم أعضائها من إقليم الألزاس . كانت جمعية روح القدس بعثـة تنـصيرية أسـسها الـدكتور أمانـد مانبونيـت أسـقف سـنت دينـيس في جزيـرة ريـونين في عـام

---

(١) رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربي ، ص ١٧٦ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م ، وكانت تعرف محلياً بالبعثة الفرنسية ، لأن أعضاءها كانوا يعملون تحت إشراف القنصل الفرنسي (١) .

بدأت هذه الإرسالية عملها في زنجبار في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م ، حيث التقى مسؤولوها بالسلطان ماجد وأخبروه بمهمتهم وأنهم يرغبون في علاج المرضى ومساعدة الفقراء وتعليم أبنائهم ، وقد رحب بهم السلطان وتمنى أن تبرهن أعمالهم على مقدار محبته لشعبه ، وفي باجامويو في داخل إفريقيا أنشئ الفرع الرئيس لهذه الإرسالية في عام ١٢٨٥هـ/ ١٨٦٨م ، وبدعم من القنصل الفرنسي تمكنت هذه الإرسالية من القيام بنشاطها ، وقد بلغ من حماسة القنصل في مساعدة هذه الإرسالية أنه ألح على سلطان زنجبار لكي يشتري أرضاً للإرسالية في باجامويو بلغت مساحتها خمسين فداناً ، وكانت النتائج السريعة لعمل هذه الإرسالية أنه بلغ عدد الرقيق الذين ترعاهم هذه الإرسالية في عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م ثلاثمائة رقيق محرر ، ثم تزايد هذا العدد على مر الأعوام حتى بلغ خمسمائة شخص في عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م ، ثم انتشرت فروعها في مناطق متعددة من داخل القارة حتى وصلت إلى منطقة كلمنجارو ، بالإضافة إلى منطقة على طول الشمال الشرقي من تنزانيا ، وفي عام ١٣١٤هـ/ ١٨٩٦م بلغ مجموع القرى التي أنشأتها هذه الجمعية اثنتين وخمسين قرية نصرانية ، كان أعضاؤها إما من العبيد الذين حررهم المنصرون ، أو من الذين كلفهم القنصل

(١) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥١١ .

البريطاني في زنجبار رعاية هؤلاء العبيد المحررين ، وكان الأطفال يربون وينشؤون في دور الأيتام التي أسسها المنصرون في باجامويو ، كان يرسل البالغون منهم مباشرة إلى تلك القرى النصرانية (١) .

وفي ميدان التدريب ، كان لهذه الإرسالية أنشطة متعددة يقوم بها المدربون الأوروبيون ، وكان العمل المهم لهذه الإرسالية هو تأسيسها كاتدرائية جديدة للروم الكاثوليك في زنجبار التي كان يعمل بها مدربون من الجماعة نفسها وقد اتجهت أعمال هذه الكاتدرائية ، وبتعاون من حكومة زنجبار ، إلى العناية بالمشردين ، وإلى إدارة بيت للمرضى والعجزة في واليزو التي تبعد حوالي أربعة أميال عن زنجبار وتم بناء مستشفيين ، أحدهما للبحارة الأوربيين والآخر للأفارقة ، كما أقامت مدرسة ابتدائية ، ومدرسة للتدريب ، ومن هناك انتشرت أعمال هذه الإرسالية إلى داخل القارة (٢) .

لقد اهتم الكاثوليك بالتنصير في شرق إفريقيا ، ويبدو أن ما قام به البروتستانت من نشاط في شرق إفريقية قد دفع البابا "ليو الثالث عشر" بإصدار مرسوم في عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م بإنشاء أسقفيتين لمباشرة التنصير الكاثوليكي في شرق إفريقيا ، حيث توجهت إحداهما للتنصير في منطقة بحيرة فكتوريا ، والأخرى في منطقة بحيرة تنجانيقا ، وعهد بالأسقف لافيجري الذي

---

(١) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥١٢ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

وضع نظام الآباء البيض التنصيري عندما كان أسقفاً في الجزائر بالإشراف على تلك الإرساليات ؛ وتعود التسمية إلى الملابس البيض التي يلبسونها ، وبالفعل فقد وفدت أفواج المنصرين من الآباء البيض إلى شرق إفريقية حيث توجهوا من بجمايو إلى الداخل عند تابورا ، ومنها اتجهوا إلى كل من منطقة بحيرة فكتوريا ومنطقة بحيرة تنجانيقا حيث بدؤوا يزاولون التنصير في تلك المناطق [1] .

إن نجاح المنصرين الكاثوليك في منطقة كليمنجارو كان أكبر ، باعتبار أن شعب جاغا المجاور لذلك الجبل كان أكثر قابلية للتنصر مقارنة بالشعوب الأخرى في المناطق الداخلية في شرق إفريقيا . ويرجع الباحثون الغربيون قابلية هذا الشعب للتنصر إلى كونه يضم عدداً من القبائل المنحدرة من أصول عرقية مختلفة لا تجمعها سوى الجغرافية ، وهو ما يعني أنه كان لكل قبيلة شأنها إذا ما تعلق الأمر بالأمور الدينية . وقد استغل المنصرون الأوروبيون الفراغ الديني الذي كانت تشعر به القبائل، فوحدوها تحت الراية الكاثوليكية . وكان الآخر الذي ساعد المنصرين الكاثوليك أيضاً على تحقيق هذا النجاح هو الصراع القبلي الذي كان يحتدم بين هذه المجموعات ، حيث كان الجميع يسعى إلى بناء تحالف مع أي كان في مواجهة عدوه ، بدون النظر إلى العواقب التي قد تترتب على ذلك التحالف .

---

(١) عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ١٤٢-١٤٣ .

وحين استولى المستعمرون الألمان على تنجانيقا ، تحسن وضع المنصرين الكاثوليك في منطقة شرق إفريقية أكثر فأكثر ، كما أصبح التوغل إلى المناطق الداخلية أسهل مما كان عليه في الفترة السابقة . وكان شعب كليما أول الشعوب الداخلية التي استقبلت المنصرين الكاثوليك في تنجانيقا ، حتى إن ابن زعيم هذا الشعب أصبح أول منصر شرق إفريقي يعمل في نشر النصرانية في أنحاء شرق إفريقية ، وهو ما يعني أن الكاثوليك حققوا نجاحاً أكبر منذ مجيء الألمان إلى منطقة شرق إفريقية (١).

أن فرنسا تقف خلف التنصير الكاثوليكي في إفريقيا ، والتي نصبت نفسها حامية الكاثوليكية ، في الوقت الذي تقوم فيه بريطانيا بحماية التنصير البروتستانتي في إفريقية كذلك ، وليست حماية هاتين الدولتين للنصرانية على هذا النحو فحسب ، وإنما حمايتهما للنصرانية ، كما يتمثل في صور العقيدة الكاثوليكية والبروتستانتية في بريطانيا وفرنسا والتبشير بها في إفريقيا ، يتمثل على وجه آخر في مطاردة الإسلام في تلك القارة (٢).

وقد نشب صراع مذهبي بين إرساليات التنصير البروتستانتية والكاثوليكية، والذي كان أحد الأسباب في تحول الناس عن النصرانية إلى

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ – ٢٢٣ .

(٢) محمد أحمد مشهور الحداد : حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقية الشرقية ، د.م ، دار الفتح ، ط١ ، (١٩٧٣م) ، ص ١٣٩ .

الإسلام ، التي جاءت إلى شرقي إفريقية لنشر النصرانية هناك ، فنشب بينها صراع طويل لاغتصاب تلك البلاد وضمها إلى مناطق النفوذ للدول الاستعمارية التي قدمت منها الإرساليات [١].

و أنه لو كان هدف الجمعيات التنصيرية دينياً فقط لتعاونت جميعها في جهد مشترك لنشر النصرانية ، وتطبيق المبادئ التي جاؤوا يدعون الناس إليها ، وهم أبعد ما يكونون عنها ، وكان من أهم الأسباب التي أدت إلى نجاح الإسلام هو ما كان للمسلمين من تفوق أدبي [٢].

كذلك المنصرون اتبعوا وسائل أكثر تشدداً ، ومن ثم أكثر تنفيراً للأهالي ، وهذه العوامل جعلت كثيراً من سكان الداخل يتحولون إلى الإسلام ، لأن السواحيليين اتبعوا الأساليب اللينة في تحبيب الناس في الإسلام ، فلم يجعلوا بينهم وبين الأهالي حواجز اجتماعية أو ثقافية ، وإنما أشعروهم بأخوة الإسلام ، وتضامن أهله ، كما أنهم تغاضوا عن بعض الممارسات القبلية التقليدية التي لم تتعارض مع تعاليم الإسلام [٣].

ونجد أيضاً أن ما كان يبثه المنصرون أنفسهم من مفتريات على الإسلام تدفع السكان هناك إلى البحث في مميزات الإسلام وصفاته [٤] ، وفي ذلك يقول

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٢) السابق ، ص ١٤٥ .

(٣) تاج السر أحمد حران : المرجع السابق ، ص ٢٨٠ .

(٤) فاروق عبدالجواد : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

الدكتور محمود : وللمنصرين أنفسهم دخل في توجيه بعض الأذهان إلى البحث في الإسلام وفي حقيقته ومزاياه ، وذلك بسبب الصورة المشوهة التي يرسمون بها الإسلام والمسلمين [(١)] .

ولكن هناك عوامل ساعدت على نجاح المنصرين في هذه المنطقة تركزت فيما يأتي :

١ - أن نشر النصرانية بين القبائل الوثنية أسهل بكثير من نشرها في البلاد التي يدين أهلها بالدين الإسلامي ؛ وذلك لتمسك المسلمين بدينهم ، كما سبق ذكره ، وبالتالي لم يخسروا وقتهم لتحويل المسلمين ، وإنما ركزوا جهودهم على غير المسلمين [(٢)] .

٢ - كانت أساليب التنصير لدى كل من المذاهب البروتستانتية والمذاهب الكاثوليكية مختلفة اختلافاً جوهرياً ؛ إذ إن البروتستانت ، كانوا يركزون أعمالهم التنصيرية على النخب والزعامات القبلية ، وذلك اعتقاداً منهم بأن المواطنين العاديين يدينون بالمسيحية آلياً، طبقاً للمقولة القائلة "الناس على دين ملوكهم"، كما كانوا يتأكدون من صدق إيمان أتباعهم الجدد ، بينما كان الكاثوليكيون ،

---

(١) محمود حب الله : الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا ، القاهرة ، مطبعت منبر الشرق ، د.ط ، (د.ت) ، ص ٢٥ .

(٢) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥١٤ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

يتوجهون بدعوتهم إلى جميع المواطنين ، بحيث كانوا يدقون جميع الأبواب ، قرية قرية ومزرعة مزرعة بدون استثناء ، كما كانوا يبنـون المـدارس ودور العبـادة في جميع الأماكن التي كانوا يمرون بها ، وكانوا يرضون بإظهـار أدنـى درجـة مـن الإيمان بالنصرانية ، على عكس البروتستانت ، تاركين مهمة تعميق الإيمان في قلوب المسيحيين الجدد للأجيال القادمة من الأساقفة ورجال الدين .

٣- ومن الاستراتيجيات الأخـرى التـي اتبعهـا المنـصرون البروتـستانت والكاثوليك في إفريقية على حد سواء ، تجنيد المواطنين الأفارقة ، وتـدريبهم في العملية التنصيرية لإلقـاء مهمـة تنـصير إخـوانهم عـلى عـاتقهم بعـد أن تكبـد المنصرون الأوروبيون خسائر فادحة في الأرواح في أثنـاء محـاولاتهم التنـصيرية الأولية في المنطقة ، وذلك بسبب الأمراض ذات الصلة بالاختلاف المناخي بين أوروبا وإفريقية [1] .

٤- ومما ساعد أيضاً عـلى انتـشار النـصرانية في شرق إفريقيـا ، المغـامرات الاستكشافية الجغرافية التي قام بهـا المنـصرون في أدغـال إفريقيـا الداخليـة في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر المـيلادي. وبعبـارة أخـرى ، كانـت مناطق إفريقية الداخلية مجهولة بالنسبة إلى العالم الخـارجي حتـى القـرن الثـاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، وما إن جاء القرن الثالث عشر الهجـري / التاسع عشر الميلادي حتى شد المستكشفون الأوربيـون الرحـال إلى المنـاطق

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .

الداخلية النائية من إفريقية ، وهو ما فتح الباب على مصراعيه أمام المنصرين المسيحيين للتوغل بدينهم إلى الداخل. كما أن بعض المنصرين ، من أمثال ليفنجستون ، كانوا يقومون بأنفسهم بالرحلات الاستكشافية إلى المناطق الداخلية في بعض الأحيان. هذا ولا يعني بالمناطق الداخلية تلك المناطق النائية فقط ، وإنما أيضاً تلك القريبة من المناطق الساحلية في شرق إفريقية (١).

٥- إن نفوذ الدول الاستعمارية في شرق إفريقيا كان له أثر مهم في التمكين لهذه الجمعيات من الانتشار (٢) ؛ وذلك عن طريق توفير الإمكانات اللازمة للتنقل بين المناطق النائية ، كبناء السكك الحديد وتعبيد الطرقات وما إلى ذلك (٣).

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٩٥ -١٩٦ .

(٢) محمد الخضيري : المرجع السابق ، ص ٥١٤ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

المبحث الثاني

الأوضاع السياسية

المطلب الأول : انقسام الدولة العُمانية :

إن المشكلات الداخلية والخارجية التي واجهتها دولة اليعاربة من تنافس حول الحكم ، أو في استمرار المواجهة البرتغالية والفارسية كانت من أهم العوامل التي أدت إلى ضعفها [١] .

حيث شكل الصراع الغافري الهناوي [٢] الذي حدث خلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي القضية التاريخية الكبرى التي شغلت بأحداثها التاريخ العماني ، ولم تقتصر تأثيرات ذلك الصراع على عُمان فحسب ، بل امتدت نتائجها لتوجد فجوة في ميزان القوى في الخليج العربي ، استغلتها

---

(١) جمال زكريا : سلطنة مسقط وزنجبار بين الوحدة والانفصال ، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج وشرق إفريقيا ، رأس الخيمة ، مركز الدراسات والوثائق ، ط٢ ، (٢٠٠١م) ، ص ٥٠٣ .

(٢) الغافريون هو التكتل الذي يضم أغلب القبائل النزارية – العدنانية أو عرب الشمال وسموا بالغافريين نسبة إلى زعيمهم (محمد ناصر الغافري) وهو عدناني الأصل وأغلبهم يتبعون أهل السنة ، أما الهناويون فهم التكتل الذي يضم أغلب القبائل اليمنية – القحطانية أو عرب الجنوب وسموا بالهناوية نسبة إلى زعيمهم (خلف بن مبارك الهناني) وهو قحطاني الأصل ، وأغلب القبائل الهناوية تنتمي إلى فرقة الإباضية . عبدالرحمن السديس : الحملات الفارسية على عُمان وسقوط حكم اليعاربة ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثامن والعشرون ، (شوال ١٤٢٠هـ) ، ص ٣٦٧ .

بعض القوى لتحقيق أهدافها وطموحاتها مثل فارس وبعض القبائل العربية على شواطئ الخليج الشرقية والغربية والتي حاولت أن تعزز نفوذها على حساب النفوذ العُماني الذي أخذ في الانحسار نتيجة أوضاعه الداخلية المضطربة [١].

و قد أشار الشيخ الأمين الى الاحتلال الفارسي والظروف التي أدت إلى ظهور الإمام أحمد ابن سعيد البوسعيدي ، كقائد وطني حرر بلاده من الاحتلال قائلاً : " ساءت الأحوال في عُمان واشتد ضعف الدولة بما حدث فيها من الانقسام ، وعمت الفتن شرقي عُمان وغربيها ، ودارت رحى الحرب بين العرب والعجم تارة ، وبين العرب بعضهم بعضاً تارة أخرى ، وقامت هناك أئمة كل يدعي الحق لنفسه وينسب البغي لصاحبه " [٢] .

إذن تحت سيادة أسرة اليعاربة أسلاف أسرة البوسعيد ، قام سيف بن سلطان الثاني ، باستدعاء الفرس لنصرته ضد المغتصب. ووصلت قوات نادر شاه في عام ١١٥٠هـ / ١٧٣٧م بقوة هائلة لم يكن يتوقع سيف بن سلطان وصولها واجتاحت البلاد حتى تخضعها لسلطان الحليف الأجنبي [٣] ، لقد أسهمت الحملات الفارسية في إشاعة الدمار والاضطراب في عُمان ، وتعميق

(١) عبدالرحمن السديس : الحملات الفارسية على عُمان وسقوط حكم اليعاربة ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(٢) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) انظر ملحق رقم (٦) .

الخلافات السياسية والقبلية ، تلك الخلافات التي عصفت بالزعامات اليعربية، فتحت المجال لظهور زعامة جديدة فتية تمثلت في أحمد البوسعيدي الذي استفاد من قيادته للمقاومة في صحار ضد الحملات الفارسية ، ووضع الأساس لحكم أسرة البوسعيد في عُمان ، وتمت مبايعته بالإمامة في عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤[١].

وهكذا كانت نهاية دور اليعاربة في الإمامة في عُمان ، ويقول السالمي عن ذلك : عندما غير اليعاربة أسلوب معيشة آبائهم وأجدادهم ، واعتبروا بحماقاتهم البلاد على أنها ميراثهم ، وبدؤوا بمهاجمة بعضهم بعضاً للاستيلاء على هذا الميراث ، أخذه الله منهم ووضعه بين أيدي غيرهم [٢].

في شرق إفريقية أستطاع العُمانيون بعث كيان سياسي عربي أصبح فيما بعد يضم العاصمة الثانية لدولة شاسعة ربطت شرق إفريقيا بالقسم الآسيوي من العالم الإسلامي [٣].

وكان قيام أسرة البوسعيد نقطة تحول مهمة في تاريخ عُمان وشرق إفريقيا

(١) عبدالرحمن السديس : الحملات الفارسية على عُمان وسقوط حكم اليعاربة ، ص ٣٦٤ .

(٢) نور الدين حميد السالمي : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٧٨ ؛ عبدالرحمن السديس : الحملات الفارسية وسقوط حكم اليعاربة ، ص ٣٦٢ .

(٣) جمعة بن خليفة البوسعيدي : الهجرات العُمانية المتعاقبة وتأثيرها داخل المحيط الإفريقي ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) ، ص ٥ .

حيث ظهرت في هذه الفترة العلاقات القوية بين عُمان وشرق إفريقيا ، وبالأخص في عصر السلطان سعيد بن سلطان حيث ظهرت معالم الدولة العربية الإفريقية الآسيوية ، وهي ظاهرة ليس لها مثيل في تاريخ العرب الحديث حيث تكونت دولة عربية سواحلية ضخمة مترامية الأطراف واستطاع أن يربط عُمان الواقع في الركن الجنوبي الشرقي من الجزيرة العربية بشرق إفريقية ويوحدهما تحت حكمه [(١)]. وفي عام ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م نقل مقر حكمه من مسقط على الجانب الآسيوي إلى زنجبار على الجانب الإفريقي ، وفي عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م استقر في عاصمته الجديدة زنجبار [(٢)] ، وهذا الاختيار أملته عليه عدة عوامل : خصوبة أرض الجزيرة وعدت باقتصاد زراعي ناجح ، تجارة رابية في العاج وفي الرقيق من كلوة وما يجاورها ، ومن امتداد الساحل مقابل مرما ، ولقد برهنت زنجبار على أنها تحمل الوفاء لآل بوسعيد ، ومن هنا تصبح مكاناً آمناً للكرسي ، ومنها السيطرة على بقية الساحل تحت يد الأسرة. لقد ثبت فيما بعد أنه كان اختياراً على قدر كبير من الأهمية ، ولا يقتصر الأمر على زنجبار بل امتد إلى ممتلكاته على ساحل القارة ، وبالفعل اندفعت زنجبار

---

(١) محمد حسن العيدروس : السلطان سعيد والعلاقات العربية – الأفريقية ، د.م ، دار المتنبي ، ط١ ، (د.ت)، ص ٢١ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٦ ؛ فاطمة السيد : التاريخ السياسي لسلطنة زنجبار الإسلامية ، مكة ، نادي مكة الثقافي ، ط ١ ، (١٤١٩هـ) ، ص ١٣٤ .

(٢) بنيان سعود التركي : زنجبار وجوارها الأفريقي ، الكويت ، مكتبة الكويت الوطنية ، ط١ ، (٢٠١٠م) ، ص ١٧٥.

نحو التفوق على بقية مدن الساحل في التطور الاقتصادي والسياسي [١].

وقد قدرت مساحة الأملاك الإفريقية التابعة لزنجبار بما يقرب من ٢ مليون كيلو متر بدءاً من موزمبيق جنوباً إلى الموانئ الصومالية في الشمال ، وفي العمق الإفريقي وصلت إلى منطقة البحيرات الكبرى. وطبقت شهرته الآفاق فصار يعرف بسلطان زنجبار في أرجاء المحيط الهندي شرقاً إلى البحيرات الإفريقية الاستوائية [٢].

هذا النفوذ في الشرق الإفريقي أدى بدوره إلى قيام دولة إسلامية عربية طبعت الساحل بطابعها الإسلامي – العربي المتميز وهو ما سهل انتشار الإسلام بوصفه ديناً جديداً بين السكان المحليين ، سواء في الجزر أم على امتداد المدن الساحلية [٣].

وقد كان من الصعب الإبقاء على الدولة العربية – الإفريقية بشقيها الإفريقي والآسيوي في غمار القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي، الذي شهد تفوق القارة الأوروبية العسكرية والصناعية ، وشهد

---

(١) A.I.SALIM : Op.Cit. p15.

(٢) مصطفى إبراهيم الجبو : زنجبار في ظل الحكم العربي ١٨٣٢-١٨٩٠ ، سلطنة عُمان ، وزارة التراث والثقافة ، د.ط ، (٢٠٠٧م) ، ص ٥٦ .

انظر الخريطة رقم (٢) .

(٣) زياد بن طالب المعولي : العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق إفريقيا ، المؤتمر الدولي الإسلام في شرق إفريقيا ، الكتاب العاشر ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص ٤٣٠ – ٤٣١ .

الرتل الطويل من المستكشفين والرواد المنصرين والتجار الأوروبيين الذين توصلوا إلى تلك الحقيقة ، وهي أن شرق إفريقية صالح للاستغلال ، وأنها قارة جديرة بالامتلاك والسيطرة (١) .

بدأ تقطيع أوصال هذه الدولة بعد وفاة السلطان سعيد بن سلطان الذي كان يتنقل خلال فترة حكمه بين مسقط وزنجبار ، فكان يعين ابنه ماجد نائباً عنه في زنجبار أثناء وجوده في الساحل العُماني ويعين ابنه ثويني نائباً عنه في مسقط أثناء وجوده في الساحل الإفريقي (٢) . حيث فرضت الأوضاع السياسية في منطقة الخليج العربي على السلطان سعيد أن يغادر زنجبار إلى عُمان عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م ، لطرد القوات الفارسية ، التي أحكمت سيطرتها على ميناء بندر عباس ، لكنه لم يحسم النزاع مع الفرس ، وتم التوصل معهم إلى اتفاق في عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م حول كيفية إدارة الميناء المذكور.

غادر السلطان سعيد مسقط في الخامس عشر من سبتمبر عام ١٨٥٦م/ ١٢٧٣هـ ، إلى زنجبار على ظهر السفينة فيكتوريا. وأثناء رحلته كان يعاني من آثار جرح في فخذه من شظية في إحدى المعارك من أجل استعادة ميناء بندر عباس ، ثم أصيب بمرض معوي في الثالث عشر من أكتوبر ، وبعد بضعة أيام

---

(١) جمال زكريا : سلطنة مسقط وزنجبار بين الوحدة والانفصال ، ص ٥٠٤ ؛ فاطمة السيد : المرجع السابق ، ص ١٣٤ ؛ محمد العيدروس : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٩ .

توفى في السفينة في مياه المحيط الهندي ، عن عمر ناهز الخامسة والستين عاماً [١]، وقد كان لوفاته تحول خطير في مصير الدولة العمانية ، حيث بدأ التدخل الأوروبي السافر محاولاً تقسيم هذه الدولة التي أفنى السلطان سعيد حياته في سبيل بنائها وتشييد حضارتها [٢].

بالاطلاع على الوثيقة الخاصة بوصية السيد سعيد في كتاب الدكتور سلطان القاسمي لم يرد ذكر نية السيد سعيد في تقسيم الدولة ، والوصية وصية دينية[٣]. ولقد ادعت بريطانيا بأن السيد سعيد قرر تقسيم ممتلكاته قبل وفاته ، والحقيقة أن السيد سعيد لم يشر إلى هذا التقسيم بأي شكل من الأشكال ؛ لأنه بطبيعة الحال لا يريد أن يفصل عُمان عن زنجبار ولم يفكر يوماً ما أن يقوم بتقسيم ممتلكاته [٤].

كانت وفاة السلطان سعيد بداية للصراع على السلطة في زنجبار بين أبنائه ، لاسيما وأنه ترك خمسة وعشرين ولداً من زوجاته من جنسيات مختلفة ، عربية ، إفريقية ، هندية ، فارسية ، وأوروبية [٥].

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٢) حمامة خلفان غيث : التأثيرات العمانية في زنجبار ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٧٢ .

(٣) انظر الوثيقة في كتاب سلطان القاسمي : تقسيم الإمبراطورية العُمانية ١٨٥٦ - ١٨٦٢، الشارقة ، د.ن ، ط٣ ، (٢٠٠٥م) ، ص ٢٨٥ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٤) حمامة خلفان غيث : المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٥) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

وبدأت بوادر ذلك في أواخر عهد السلطان سعيد فقد سعى سليمان بن حمد رئيس وزراء زنجبار إلى أن يكون السيد ماجد بن سعيد نائباً لوالده في زنجبار وشرق إفريقية (١).

واصل ماجد إدارة دفة الحكم في زنجبار إثر غياب والده في عُمان ، وعند وفاة السيد سعيد ، قام سليمان بن حمد بعقد اجتماع ضم عدداً من الشخصيات الهامة ، وأعلن في أكتوبر من العام ١٨٥٦م / ١٢٧٣هـ بأن ماجد بن سعيد سلطان على زنجبار والمناطق التابعة لها خلفاً لوالده.

إن تولي ماجد الحكم في زنجبار أثبت انقسام الدولة العُمانية بصورة عملية ، فتولى ثويني بن سعيد السلطة في عُمان فيما أصبح ماجد سلطاناً لزنجبار (٢) .

واجه السلطان ماجد في حكمه لزنجبار العديد من العقبات كان لها أثر واضح على شرقي إفريقية ، وعلى سياسته فيما بعد ، ومن أبرز هذه المشكلات ظهور أخيه برغش على المسرح السياسي ، وسعيه الجاد للسيطرة على الحكم في زنجبار. إن برغش كان يرافق والده في رحلته الأخيرة من مسقط إلى زنجبار ، ومن أجل الاستيلاء على السلطة أخفى نبأ وفاة أبيه ، وقام بدفنه ليلاً ، ليتدبر

---

(١) عبدالله صالح الفارسي : البوسعيديون حكام زنجبار ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، سلطنة عُمان ، وزارة التراث القومي للثقافة ، ط ٣ ، (١٩٩٤م) ، ص ٦٢ – ٦٣ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٥٨ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٥٨ – ٥٩ .

الأمر ويستولي على السلطة في زنجبار ، ولا سيما وأنه وجد أن أسرة الحارثي [(١)] العربية المتنفذة في زنجبار تقف إلى جانبه . كانت مخاوف السيد ماجد من نوايا القنصل الفرنسي في زنجبار في تلك الآونة ، وهو رشيان بول ، من أن يجري اتصالات سرية مع برغش وثويني ، لا سيما وأن ميول السلطان ماجد للإنكليز كانت واضحة وصرح بها. لكن ماجد تمكن من إجهاض انقلاب أخيه برغش عليه ، وألقى القبض عليه ووضعه في السجن [(٢)] .

كانت هناك معضلة أخرى واجهت السلطان ماجد وهي رغبة أخيه ثويني الجامحة لتوحيد الدولة بقسميها الآسيوي والإفريقي تحت سيطرته ؛ لأنه يرى أنه الأجدر بذلك لكونه الابن الأكبر للسلطان سعيد ، وهو يحكم الإقليم الأم من أملاك والده ، وفي الوقت نفسه كان ذلك ضمن تطلعات شيوخ القبائل العربية في عُمان مما شكل زخماً إضافياً له.ومن الجدير بالذكر أن سبب إصرار ثويني على موقفه هذا إدراكه أن الإيرادات المالية للقسم الإفريقي تمثل ضعف

---

(١) الحرث : ينتمون إلى قبيلة الأزد في عُمان إلى فهم من بني حارث بن مالك بن فهم أو من بني الحارث بن كعب من أزد شنؤه الذين سكنوا المنطقة الشرقية في عُمان ، ويشير البوسعيدي إلى أن الحرث كانوا يسكنون الباطنة ما بين الباطنة ودبا وكذلك سكنوا في منطقة الأحساء حيث تعرضت كل من الإحساء وعُمان لظروف تاريخية متشابهة من قبل القرامطة. وكان ذلك في نهاية القرن ٣هـ/ ٩م وهي الفترة التي هاجروا فيها إلى شرق إفريقية .حيث أصبحت مقديشو قبلة العُمانيين من الحرث . جمعة بن خليفة البوسعيدي : المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٥٩ – ٦٠ .

موارد القسم الآسيوي من السلطنة. بدأ مجرى الأمور يسير بصورة لا تصب في خدمة السلطان ماجد فقد استطاع ثويني كسب أخيه برغش إلى جانبه ، وقد تهيأت الظروف لذلك واستطاع برغش الهروب من السجن بمساعدة أخته سالمة (١).

بدأ الأخوان ثويني وبرغش يسعيان لنيل التأييد الفرنسي لهدفهما ؛ خصوصاً بعد أن أدركا أن بريطانيا تقف إلى جانب السلطان ماجد ، وتسعى إلى تفكيك السلطنة العربية ، ويتضح ذلك من قول السيد ثويني " فليساعدني الله تجاه رجل يعتمد في خلاصه على تأييد الإنكليز له "، ولهذا سعى لنيل التأييد الفرنسي (٢) . وقد كانت فرنسا في تلك الآونة تعمل كل ما في وسعها لتوطيد نفوذها في ساحل إفريقية الشرقي ، مستغلة وفاة السلطان سعيد الذي كان سنداً قوياً للنفوذ البريطاني في هذه المناطق (٣) . إذن نشبت خلافات حادة بين ماجد سيد زنجبار وبين أخيه ثويني سيد مسقط حول الوضع القانوني لزنجبار (٤) .

---

(١) مصطفى الجبو: المرجع السابق ، ص ٦٠ – ٦١ ؛ صلاح العقاد ، جمال زكريا : المرجع السابق ، ١١٩ ؛ جاد محمد طه : دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار ، ندوة العلاقات العربية الأفريقية ، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية، (١٩٧٧م) ، ص ١٠٢ .

(٢) صلاح العقاد ، جمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٦١ – ٦٢ ؛ جاد محمد طه : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٤) محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

وبدأت العلاقات بين مسقط وزنجبار تتخذ مجرى آخر تسودها روح العداء ، وأطماع عُمان في زنجبار ، مما أدى في النهاية إلى انفصال زنجبار عن مسقط على الرغم من انتمائهم إلى نفس البيت الحاكم [١] . لقد لعبت السياسة البريطانية دوراً في تفتيت أوصال هذه الدولة حيث كانت ترمي إلى تثبيت تقسيم سلطنة مسقط زنجبار ، بل إنها كانت تعترض أي محاولة من جانب زنجبار لضم مسقط ، وأي محاولة من جانب مسقط لضم زنجبار [٢] . وكانت تدرك تمام الإدراك أبعاد قيام السلطنة العربية الإفريقية ، وكانت ترى أن ذلك يتعارض مع مصالحها ؛ لذلك حرصت على تفكيك هذه السلطنة ، الأمر الذي جعلها تقف بجانب السيد ماجد بحجة أن الحرب بين الأخوين في مسقط وزنجبار تشكل خطراً على مصالحها ، ولاسيما الطريق البحري إلى الهند ، ولم تقف حكومة لندن عند هذا الحد ، فقد حملت معظم التقارير البريطانية مسؤولية الحكومة الفرنسية على الأزمة [٣] .

أن السيد ماجد بعد استقراره في سلطنته بدأ يفكر في القضاء على شيوخ قبيلة الحارث البارزين ، ولكن رجال قبيلة الحارث هددوا بأن يجعلوا عبيدهم ينشرون الفساد في زنجبار ويشعلون الحرائق فيها ولكنهم لم يجرؤوا

(١) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٩ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

على عمل ذلك [١] ، حيث وجه القنصل البريطاني في زنجبار همرتون إنذاراً شديد اللهجة لرئيس قبيلة الحرث (عبدالله بن سالم) بأنه في حالة محاولته إحداث أي تغيير في الأوضاع في زنجبار بالتعاون مع السيد ثويني ، فسوف يدفع حياته ثمناً لذلك [٢] ، ثم اتجه السيد ماجد بعد ذلك إلى أخيه برغش الذي تظاهر ، في بادئ الأمر، بالإذعان لأوامر أخيه ولكن عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م كان ماجد قد خصص إحدى السفن لنقل برغش إلى مسقط ، لكن برغش أدرك هذه الخديعة ففر ليلاً من زنجبار إلى بيته الريفي وحصنه بجذوع الأشجار وجمع عدداً من العبيد من المزارع المجاورة للدفاع عنه ، وأعلن الثورة ضد ماجد ، وعلى الرغم من ذلك نجح ماجد في القضاء على الثورة بمساعدة مشاة الأسطول البريطاني الذين اعتقلوا برغش واقتادوه إلى قصر شقيقه ماجد ، وأجبروه على الرحيل من زنجبار منفياً إلى بومباي [٣]. وهناك خصصت له السلطات البريطانية مرتباً شهرياً قدره ٢٠٠٠روبية ، لكن مدة إقامته في الهند لم تدم طويلاً فقد سمح له بالعودة إلى زنجبار بعد مضي ١٨ شهراً من النفي [٤] .

وتمكنت بريطانيا من فصل السلطنة العُمانية أو بالأحرى فصل

---

(١) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٣٤ .

(٤) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٩٩ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

الشاطئ الآسيوي عن الشاطئ الإفريقي الشرقي [١] ، واقتسامها بين أبناء السيد سعيد حينما وجهت الضغط لكل منهم بل الأمر بعرض خلافاتهم على اللورد (كاننج) ، حاكم الهند البريطاني ، وحصلوا من كل منهما على تعهد مسبق بقبول التحكيم. وفي عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م أصدر كاننج أمراً بتشكيل بعثة برئاسة البريجادير كوجلان وعضوية كل من المستشرق الدكتور بادجر المتخصص في تاريخ عُمان والدكتور ولش وغيرهم للتحقيق في مبررات كل من السيد ثويني والسيد ماجد في الإبقاء على السلطنة موحدة تحت سلطة أحدهما من جهة ، ومن جهة أخرى التحقق من اقتصاديات كل من شقي السلطنة الآسيوي والإفريقي.

وفي نفس العام وصلت البعثة إلى مسقط واستمعت إلى السيد ثويني ، ثم انتقلت إلى زنجبار واستمعت إلى أقوال السيد ماجد ، وبعد أن انتهت البعثة من مهمتها ، قدم رئيسها تقريراً يقضي إقامة سلطنتين منفصلتين إحداهما في مسقط وتتبعها عُمان وملحقاتها في الخليج العربي ، والثانية في زنجبار وتتبعها الإمارات العربية الإسلامية على ساحل إفريقية الشرقيةً.

وبناءً على هذا التقرير أصدر كانن في عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م حكمه المشهور الذي قبله السيد ثويني في ١٥ مايو والسيد ماجد في ٢٥ يونيه من نفس العام والذي نص على أن يعين السيد ماجد سلطاناً على زنجبار وأملاك أبيه

---

(١) محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

الإفريقية ، وأن يدفع السيد ماجد حاكم زنجبار لثويني حاكم مسقط مبلغ ٤٠ ألف ريال سنوياً ؛ لا على سبيل الجزية ، ولكن على سبيل التعويض لعدم تكافؤ إيرادات زنجبار وإيرادات مسقط ، وأن يمتد هذا الالتزام إلى خلفاء ماجد باعتبار أنه تعويض لسلطان مسقط عن التخلي عن كل ادعاءاته في زنجبار ، وتحقيق المساواة بين الميراثين اللذين ورثهما ثويني وماجد من أبيهما [١]. ووافق السيد ماجد على هذا التقسيم بخط يده [٢] .

وقد تبودلت عدة رسائل بين سلاطين مسقط وحكومة بومبي تتناول حصة الإعانة التي تدفعها حكومة زنجبار إلى حكومة مسقط[٣].

و يعد هذا التحكيم بداية جديدة لنفوذ بريطاني قوي في كلتا السلطنتين وتزايد اهتمام بريطاني بزنجبار ، وظلت بريطانيا متمسكة بنص هذا التحكيم واعتبرته من دعائم نفوذها في شرق إفريقية ولقد كان السيد ماجد مريضاً وضعيف الشخصية ويدين بالفضل في وصوله إلى الحكم للإنجليز ، ولقد اقتنع

---

(١) صلاح العقاد ، جمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ؛ رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقية من الاستعمار إلى الاستقلال ، د.م ، معهد البحوث والدراسات العربية ، د.ط ، (١٩٧١م) ، ص ٣٥ – ٣٦ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٩ – ٢٠ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٢) انظر نص الوثيقة في كتاب سلطان القاسمي : المرجع السابق ، ص ٢٨٨ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٣) انظر ملحق رقم (٧) ، (٨) ، (٩) ، (١٠) ، (١١) ، (١٢) .

السيد ماجد بالتقسيم على أنه أخذ القسم الغني من الدولة العُمانية ، ودان السيد ثويني بالفضل للإنجليز لحصوله على المبلغ المالي ، وهذا زيادة للنفوذ البريطاني في الدولتين (١) .

بعد أن استقر حكم السلطان ماجد في زنجبار، بناء على صدور تحكيم كاننج ، أصبحت أهداف سياسته الرئيسية تنحصر في محاولة التخلص من آثاره، وما لبث أن واتته الفرصة لتحقيق هذا الهدف.فعلى أثر مقتل أخيه ثويني عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م أرسل إلى حكومة الهند يستأذنها في أن تسمح له بتجهيز حملة إلى عُمان للمطالبة بدم أخيه وإزالة حكم سالم الذي اتهم بقتله واغتصاب الحكم في مسقط .

ولكن جون لورنس حاكم الهند العام تشبث بالتحكيم ، وأجاب بأن سالماً قد أصبح الحاكم الفعلي لمسقط ، وعلى السلطان ماجد أن يحترم التزاماته ؛ وما كان على السلطان ماجد ، أمام الضغط البريطاني ، إلا أن يطيع تعليمات لورنس. ولكنه قرر أن يدفع الإعانة السنوية إلى الحكومة البريطانية على أن تتعهد بتوصيلها إلى السيد سالم إن أرادت. وذكر لحاكم الهند " أن هذا سيجلب علينا العار "(٢) .

وفي عام١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م أرسل السلطان ماجد مبعوثاً إلى حكومة لندن ليتفاوض مع الحكومة البريطانية في إمكان قطع الإعانة عن مسقط. ولكن

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٢) محمد حامد عبد الله: المرجع السابق، ص٤٨-٤٩.

لم تحقق هذه المحاولة هدفها ، وفي خطاب الملكة فكتوريا الذي أرسلته مع المبعوث السلطاني ذكرت " نحن ننظر بعين الاعتبار إلى رغبات سموكم طالما أنها تتفق وتعهداتكم المبرمة معنا " (١) .

ونتيجة لهذا المسعى سمحت حكومة لندن بإيقاف الدفع إلى أن تتخذ حكومة الهند قرارها في هذا الشأن . وتصادف أن قامت ثورة في عُمان في عام ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م انتقل بعدها الحكم مؤقتاً إلى عزان بن قيس وهو ينتمي إلى فرع آخر من فروع أسرة بوسعيد ، غير الفرع الذي ينتمي إليه السيد سعيد بن سلطان . فكان ذلك حجة قوية للسيد ماجد كي يقطع المعاش نهائياً ، خاصةً وأن بريطانيا لم تعترف بعزان ولكن عندما استرد تركي بن السيد سعيد الحكم في عُمان عام١٢٨٨هـ / ١٨٧١م ، وكان يرغب في إعادة توحيد السلطنة ، تدخلت بريطانيا لدى السيد برغش سلطان زنجبار الذي خلف السلطان ماجد واضطرته إلى استئناف دفع الإعانة السنوية إلى حكومة مسقط وذلك حتى تصرف السيد تركي عن محاولات توحيد السلطنة (٢) .

وهكذا بقى هذا المعاش السنوي فترة طويلة من الزمن ليذكر بوجود السلطنة العربية الإفريقية الكبيرة التي أنشأها السيد سعيد بن سلطان . ولكن هذا الرمز انقطع عندما تحطمت سلطنة زنجبار بسبب التدخل الأوروبي .

---

(١) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٤٨ – ٤٩ .

(٢) السابق ، ص ٤٩ .

وأصبحت دويلة صغيرة لا يمكنها القيام بذاتها ، فضلاً عن أداء معاش سنوي إلى حكومة أخرى شقيقة [١].

أن انفصال زنجبار عن مسقط عام١٢٧٨هـ / ١٨٦١م كان أحد أسباب توقف الهجرة العربية من الخليج العربي إلى إفريقية التي لم تنقطع منذ ميلاد التاريخ ولا ينبغي أن تنقطع [٢].

ذلك أن عهد السلطان ماجد شهد بداية تغلب الطابع الإفريقي على السلطنة بعد أن انقطعت الصلة بينها وبين عُمان . وساعدت سياسته على تحقيق هذه النتيجة ، فقد اتخذ بعض الإجراءات التي من شأنها أن تضعف الصلة الاجتماعية بين زنجبار وبين دولة الأصل في عُمان ؛ بعد أن قطعت الصلة السياسية بينهما. فالتقسيم لم يشطر فقط دولة قائمة وموحدة وصفها أحد المراقبين البريطانيين بالدولة البحرية الأولى ، بل قوض اقتصاد هذه الدولة ووضعيتها السياسية . ففي عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م منع سفن مسقط من الملاحة في مياه زنجبار إلا إذا أبرزت أوراقاً تثبت أنها تتجر في سلع شرعية ؛ وذلك بحجة المساهمة مع بريطانيا في مكافحة تجارة الرقيق ، وهذ أسهم بالتالي في انتعاش النشاط التجاري للملاحين العمانيين في زنجبار نتيجة لإضعاف الحركة الملاحية بين الشطرين ، كما كتب إلى مشايخ الخليج العربي ، بألا يرسلوا

---

(١)محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

(٢) محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٨٤ .

سفنهم بعد ذلك إلى زنجبار.

كما حرم السلطان ماجد على سكان زنجبار تأجير المساكن للتجار العرب الآتين من شبه الجزيرة العربية . وأخيراً أوقف السلطان ماجد الهدايا التقليدية التي كان يقدمها السلاطين لقبائل عُمان ، مما يدل على انصرافه نهائياً عن فكرة توحيد السلطنة التي أقامها والده السيد سعيد بن سلطان (١) .

وقد وجه السلطان ماجد اهتماماته إلى الجانب العمراني في دولته فشيد مقراً للحكومة. كما كانت له طموحات أبعد مدى من خلال قيامه بتعمير وإنشاء مدينة جديدة على البر الإفريقي أراد بها أن تكون عاصمة جديدة لملكه يمد بها نفوذه على البر بصورة فعلية ، وينقل إليها رعيته ومصالحه حتى تكون نقطة ارتكاز فعلية للسلطنة في التعامل المباشر داخل الساحل الإفريقي ، هذا وقد أطلق عليها " سماء السلام " أو دار السلام (٢) التي كانت تدعى (رازيما) وبدأ

---

(١) جمال زكريا : سلطنة مسقط وزنجبار بين الوحدة والانفصال ، ص ٥٠٧ ؛ عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٢٨ ؛ جاد محمد طه : المرجع السابق ، ص ١٠٦ ؛ صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٢٩– ١٣٠ ؛ سني محمد علي الطائي : دور السياسة البريطانية في تقسيم السلطنة العربية الأفريقية ، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج وشرق إفريقيا ، رأس الخيمة ، مركز الدراسات والوثائق ، ط٢ ، (٢٠٠١م) ، ص ٥٣١ .

(٢) الآن مدينة دار السلام هي عاصمة جمهورية تنزانيا ، وتقع آثار بناء مدينة السلطان ماجد القديمة بالجزء الجنوبي منها . حسن محمد عبدالله : الحركة المعمارية في زنجبار ١٨٣٢ – ١٨٨٨ ، أبوظبي ، المجمع الثقافي ، ط١ ، (٢٠٠١م) ، ص ٧٥ .

مشروعه في تطوير دار السلام عام ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م [١] ، وأخـذ المـسلمون يتوغلون في الداخل وينشرون دينهم ؛ مما أدى إلى اتساع نفوذ الإسلام السياسي هناك وبالتالي زاد انتشاره [٢] .

و كان السلطان ماجد عازماً على تحويل العاصمة إليها ، فقد قام ببناء قصر له فيها لكنه توفى قبل إكمال مشروعه [٣] .

و على الرغم من أن السلطان ماجد لم يكن يتمتع بالهيبة السياسية التي تمتـع بها والده فإن انفصال زنجبار سياسياً عن مسقط أدى إلى زيادة نفوذ العـرب في داخل إفريقيا ولكن على الرغم من زيادة نفوذ العرب السياسي والاقتصادي إلا أنه في نفس الوقـت كـانوا يتعرضـون للـذوبان اجتماعيـاً وجنـسياً في البيئـات الإفريقية .

ولم يكن يعني انتـشار نفـوذ العـرب في الـداخل يعنـي بالـضرورة سـيطرة الحكومة المركزية ، حيث إن هذه الجاليات كانت تتصرف بحرية تامة ، ولكنهـا كانت تستخدم على الأصح هيبة السلطان لتوطيد مركزها . وأصبح للبعض من هؤلاء التجار مركز اقتصادي واجتماعي لافت للأنظار . وكان من أشهر التجار

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٦٥ ؛ حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢) زيد محمد خضر وعمر صالح العمري : انتشار الإسـلام في إفريقيـا ، الريـاض ، الـدولي للنـشر ، ط١ ، (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م) ، ص ٢٢٤ .

(٣) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٣٠٦ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

الذين كونوا جاليات عربية في داخل إفريقيا في عهد السلطان ماجد (سنان بن عامر) الذي كان يحتفظ بشبه حرس خاص قدر أفراده بحوالي ستمائة فرد [١]. ويتضح من ذلك أن السلطنة قدمت الحماية السكانية للتجارة بعيدة المدى ، كما شجعت الشعب السواحلي على الاتجار في الداخل [٢].

كذلك شجع السلطان ماجد بن سعيد حميد بن محمد المرجبي وغيره من المغامرين العرب على توسيع نفوذه في وسط القارة ؛ فهي المنفذ الطبيعي له ، لاسيما وأنه كان في بداية حكمه ، وانفصاله سياسياً عن مسقط ومحاولته التوسع في داخل القارة ليوازن بذلك بين أمرين :

أولهما – انقسام السلطنة العُمانية بينه وبين أخيه في عُمان ، ومحاولته زيادة ثقله في نظر الوطنيين والأجانب ، ونجح فعلاً في الاستمرار في سياسة أبيه في مد سلطته في وسط القارة سياسياً واقتصادياً .

ثانيهما – الضغط الأجنبي عليه في الساحل ، وتلويح إنجلترا له بإلغاء تجارة الرقيق بالقوة ، وتحميله مسئولية انتشارها في الخليج العربي ، بزعم أنه لم يقم بأي عمل من شأنه إظهار نيته في منع هذه التجارة على الساحل الإفريقي

---

(١) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٣٠ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٦٥ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٥٠ .

(٢) رونالدو أوليفر ، أنتوني أتمور : إفريقيا منذ عام ١٨٠٠م ، ترجمة فريد بورى ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط ١ ، (٢٠٠٥م) ، ص ١١٨ .

الشرقي الخاضع لنفوذه آنذاك ، وحاولت انجلترا تجديد معاهدة إلغاء تجارة الرقيق التي كانت مبرمة منذ عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م ، ولكنه رفض ذلك ، حتى لا يخرب اقتصاده الذي كان يعتمد على تلك التجارة إلى حد كبير . وقام بذلك التشجيع لعله يكسب من وراء حميد المرجبي نفوذاً في الداخل ، خاصة وأنها كانت بلاداً مفتوحة لكل من يستطيع أن يصل إليها (١) .

وكان النفوذ العربي يظهر حول طرق التجارة بصفة خاصة ، وكانت جميع القبائل المقيمة حول الطرق خاضعة لسلطة حكومة زنجبار ، وإن اختلفت درجات هذا الخضوع ، وعينت شخصيات عربية لرئاسة بعض القبائل الإفريقية . ولما كان أحد الرحالة الأوروبيين يتعرض لإيذاء القبائل الإفريقية ، كانت الدول الأوروبية تتجه إلى سلطان زنجبار مطالبة بالتعويض أو إقرار الأمن ، وكثيراً ما كان السلطان يؤدي واجبه كحاكم مسؤول عن شرق إفريقية، فحين قتل الرحالة الألماني روشر أرسلت قبيلة كنجوبنج التي قتل الرحالة في أراضيها الأشخاص المسؤولين عن قتله إلى زنجبار احتراماً لهيبة السلطان ، وكانت هذه القبيلة تقيم بالقرب من بحيرة نياسا (٢) .

---

(١) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، (١٩٧٨م) ، ص ٤٦ .

(٢) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٣٠ – ١٣١ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٥٠ – ٥١ .

وتشير المصادر إلى أنه في عهد السلطان ماجد بدأت المراكز التجارية تتشكل من قبل العرب في تابورا ، وأوجيجي ، وكجاما وصارت القوافل تصل إلى بحيرة فكتوريا [١] .

على أن الجاليات العربية في داخل إفريقيا لم تكن تهتم بالسيطرة السياسية قدر اهتمامها بتأمين طرق التجارة ؛ فحينما أراد أحد رؤساء الإفريقيين قرب تابورة فرض الحواجز الجمركية على المنطقة الخاضعة له ، شن العرب عليه حرباً استمرت حوالي أربع سنوات من عام ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م إلى عام ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م ولم تنته الحرب إلا حينما قتل رئيس القبيلة وأعيد حليف العرب الذي قبل الخضوع للاتفاقات المبرمة مع القبيلة . وعلى صعيد توسيع ممتلكات زنجبار شهد عهد السلطان ماجد ضم موانئ الصومال لزنجبار نهائياً بعد أن كانت تعترف بالسلطة الاسمية لوالده السلطان سعيد ، فدفعت براوه ومقديشيو وغيرها من بنادر الصومال الجزية السنوية إلى حكومة زنجبار ودعت الحاميات العربية في أراضيها . كما تولى أسطول زنجبار الدفاع بحراً.

وقد ظلت الرسوم الجمركية طوال عهد السلطان ماجد تشكل المورد الرئيس للحكومة رغم تحديد تجارة الرقيق ، وذلك نتيجة لازدياد الاتصال بداخل إفريقية ، وهذا من شأنه أن ينشط حركة تجارة الترانزت التي تعتمد

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٦٦ .

عليها زنجبار كمستودع لشرق إفريقية [١] .

ويتضح مما سبق أن من أهم الملامح الرئيسة لفترة حكم السلطان ماجد بن سعيد هي أنها امتازت بتغلب الطابع الإفريقي على مظاهر الحكم والحياة العامة فيها ، فقد اندمج العنصران العربي والأفريقي معاً من الناحيتين الاجتماعية والثقافية ، مما زاد وقوي معه نفوذ السلطنة داخل البر الإفريقي ، فانتعشت الحركة التجارية من الداخل إلى الخارج ؛ ولذلك فقد اهتمت الحكومة بتأمين طرق التجارة ، والتزمت بسياسة التعامل السلمي مع أقاليم الشرق الإفريقي [٢] .

و عندما أشرف السلطان ماجد بن سعيد ثاني سلاطين زنجبار على الموت ، واجهت الإدارة البريطانية في زنجبار مشكلة خلافة العرش ، وقد اتفقت الحكومة البريطانية في لندن ، وحكومة بومبي البريطانية على تنصيب السيد برغش ، سلطاناً على زنجبار في حالة وفاة السيد ماجد ، ولعل أهم الأسباب التي تكمن وراء ذلك الاختيار ما يلي :

- **أولها أن السلطان ماجد بن سعيد لم يكن له ولد ليخلفه على سدة الحكم** [٣] .

---

(١) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٣١ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٥١ .

(٢) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) كان للسلطان ماجد بن سعيد ابنة واحدة اسمها " خمفورة " . سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٩١ ؛ عبدالله صالح الفارسي : البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ٢١ .

- **ثانيها** أن السيد تركي الابـن الخـامس للـسيد سـعيد يطمـح إلى توحيـد شطري الدولة العُمانية تحت حكمة ، وهذا الأمر يتعارض مع مصالح الـسياسة البريطانية التي تم تقسيم الدولة العمانية على أيديها ؛ ولهذا فلا عجب أن أصرت على سياسة التقسيم .

و قد ذكر جون كيرك القنصل البريطاني في زنجبار (١٢٨٧-١٣٠٤هــ / ١٨٧٠ – ١٨٨٦) حول مسألة وراثة العرش أنه يعتقد أن السيد بـرغش يهمـه الحكم لا مناهضة الوجود البريطاني ، وأنه قد " تعلم الكثير مـن فنـون الحكـم والإدارة " أثناء فـترة نفيـه في بـومبي . وكـان يأمـل في أن يكـون أكثـر انقيـاداً وانصياعاً للإدارة البريطانيـة ، التـي يعـود لهـا الفـضل في إعادتـه مـن منفـاه ، وتنصيبه على حكم السلطنة العربية . ولهذا وجـدت الحكومـة البريطانيـة مـنح السيد برغش حكم سلطنة زنجبار أهون عليها من " أن تخاطر " باحتمال عـودة السلطنة إلى سابق عهدها [١] .

لم يستطع السلطان برغش أن يحكم البلاد بجدارة ، وأن يحميها من الأطماع الاسـتعمارية ، فنفـذ إليهـا الاسـتعمار وأثـار فيهـا المـشكلات وعمـل عـلى تقسيمها [٢]. واستسلم السيد برغش لهم . مما أضـاع هيبـة دولتـه عـلى إقلـيم الساحل الشرقي لإفريقية ، هذا بالإضافة إلى أن السلطنة قد بدأت منـذ عـصر

---

(١) بنيان التركي : زنجبار وجوارها الأفريقي ، ص ١٧٧ – ١٧٨ .

(٢) زيد خضر وعمر العمري : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

سلفه في فقدان طابعها العربي الذي هو مركز قوتها ، وأصبح هناك أمة سواحلية ذات ثقافة مختلطة وأجناس وأصول متعددة [١].

أما السلطان برغش فقد ساقه الإنجليز إلى التدخل في أخص الأمور الداخلية لكل أسرة من الأسر العربية أو السواحلية في شرق إفريقية تنفيذاً لسياسة مكافحة تجارة الرقيق ، ومن ثم احتاج السلطان برغش إلى تكوين قوات برية كبيرة ليفرض طاعته على السكان ، وكان طبيعياً أن يعتمد في هذا الأمر على معونة الإنجليز له [٢].

و تجدر الإشارة في هذا الصدد إلى أن السلطان سعيد اكتفى بقوته البحرية – فإنه لم يحتفظ بجيش بري كبير ، كما أنه لم يتدخل في شؤون الإدارة المحلية ، واقتصرت مظاهر السلطة عنده على الخضوع للاتحاد الجمركي الخاص بدولة زنجبار ، والاعتراف بالسيادة العليا ، وتعيين القضاة إذا شاء حكام الأقاليم ذلك [٣].

و منحهم حريتهم واستطاع أن ينأى بحكمه في تلك الرقعة من الأرض عن القلاقل والثورات ، ومن ثم تحقيق مصالحه الاقتصاديه ، رغبة في تقدم

(١) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٢) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٤٩ – ١٥٠ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .

(٣) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٤٩ – ١٥٠ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .

التجارة وازدهارها وما يحتاج إليه ذلك من استتباب الأمن والمحافظة على تبعية المقاطعات الإفريقية لنفوذ السلطنة العربية الجديدة(١).

وقد أتيحت للسلطان برغش فرصة لبسط نفوذه في الداخل ، خاصة عندما تفككت دولة أوزمبارا بعد وفاة كمويرى رئيسها القوي الذي عاصر السلطان سعيد وفترة من حكم السلطان ماجد (٢).

ففي أوائل عهد السلطان برغش تكونت دويلة إفريقية غرب تابورا من قبائل الانيامويزى حيث وجدت زعيماً قوياً لها في شخص ميرامبو (٣) ، وفي عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م هزمت سرية عربية أمام قوات ميرامبو فاستنجد عرب تابورا بالسلطان .فأرسل لهم نحو ألف من جنده البلوش (٤) استطاعوا أن يدرؤوا الخطر عن المدينة العربية الناشئة ولكن دون أن يقضوا على دولة انياموزى ؛ ولذلك أصبح بقاؤهم داخل إفريقية أمراً ضرورياً ، ولكن

---

(١) جمعة بن خليفة البوسعيدي : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٢) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٣٧ .

(٣) ميرامبو : أحد الزعماء الصغار في قبيلة الاونيامويزى في اويوا . أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥١٠ .

(٤) يطلق عليهم البلوش وهم من بلوشستان أو بلوخستان في الأصل خاصة منطقة ساحل مكران ونواحيها وقد استقروا في عُمان منذ فترات سحيقة في تاريخها ؛ إلا أنهم قد برزوا في مجال الخدمة العسكرية منذ أيام اليعاربة وفي العهد البوسعيدي . وبالتالي تدفقت أعداد كبيرة من البلوش للعمل ضمن الجيوش العمانية العاملة في شرق إفريقية. الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢١٩-٢٢٠ .

الاحتفاظ بمثل هذه القوة وتموينها عبر طرق طويلة كان يتكلف نفقات باهظة مما اضطر السلطان برغش إلى رفع الرسوم على تجارة العاج من ٩ إلى ١٢ دولاراً للفريزلة . كما زاد الضرائب المفروضة على زراعة القرنفل في بمبه ، ولم يمض عام واحد حتى قرر برغش سحب قواته من تابورا بالرغم من أن الإنجليز كانوا في ذلك الوقت يؤيدون امتداد سلطنة زنجبار داخل إفريقية فاعترفوا بسيادة السلطان برغش على انياموزى عام ١٢٩٠هـ/ ١٨٧٣م نظير وعد السلطان بأن يمد سريان معاهدة إلغاء تجارة الرقيق على هذه المنطقة نحو الداخل .

وعندما علم العرب بقرار السلطان برغش بسحب الحامية ، أرسلوا إلى ممثلهم في زنجبار سعيد بن سالم يحتجون عليه ؛ لأنه تخلى عن جزء من ممتلكاته واضطر عرب تابورا إلى تأليف حامية منهم يتبعها جيش من الإفريقيين بلغ عدد أفراده نحو ١٢٠٠ رجلاً [(١)] .

و الملاحظ بصفة عامة أن السلاطين العرب في زنجبار لم يهتموا بوضع حاميات عسكرية قوية في مقاطعات الشرق الإفريقي . بل إن في تحقيق الأهداف الاقتصادية التي كانوا يستقدمونها من وراء ممتلكاتهم هو الذي حال دون قيام نزاعات انفصالية في تلك الممتلكات النائية [(٢)] . إذن شهدت منطقة

---

(١) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٤٩ – ١٥٠ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ – ٣٤٠ .

(٢) جمعة بن خليفة البوسعيدي : المرجع السابق ، ص ١٦ .

الاونيانيمبي نفوذاً سياسياً كبيراً للعرب في ظل سيطرة قبيلة الاونياموبزى على الحكم ، وبقى العرب كطبقة أرستقراطية توجه الحكم لمصالحها في شرق بحيرة تنجانيقا (١) .

ويتبين لنا من هذا السياق أن بريطانيا كانت تؤيد السلطان برغش في الفترة الأولى من حكمه لتوطيد سلطنة زنجبار في الداخل ، لأنهم كانوا محتاجين لهذه السلطة كي يؤسسوا من ورائها نفوذ بلادهم في هذه المناطق (٢) .

ومن الظواهر الجديدة التي تجدر ملاحظتها في تاريخ زنجبار في عهد السلطان برغش زيادة الاحتكاك بين العرب والإفريقيين ، وذلك نتيجة لتعدد المراكز العربية في الداخل واتساع نشاطها بحيث ترنو إلى النفوذ السياسي لا مجرد التجارة (٣) .

وفي عهده أيضاً نال عدد من التجار العرب دعماً كبيراً من السلطان ومساعدة لمد نفوذه في بحيرة تنجانيقا ، من ذلك أنه عندما ازداد أعداد العرب في أوجيجي واتسعت ثرواتهم ونفوذهم استطاع محمد بن صالح منذ سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٧٩م الوصول إلى السلطة السياسية بمساعدة سلطان زنجبار ،

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٠٦ .

(٢) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ ؛ صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٣) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ١٤٩ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٣٩ .

وقد استمر نفوذه مدعوماً من فئتين رئيستين هما طبقة الأثرياء العرب والوانجوانا. ولم يشر ليفنجستون إلى زعامة محمد بن صالح لاوجيجي خلال رحلته الأخيرة إلى إفريقية ؛ إلا أن حديثه عن صفاته الشخصية ورحلاته التجارية وثرائه تدلل على أن مواصفات الزعامة في الرجل كانت متوفرة ، فلم يعمل العرب في البداية على التخلص من السلطة المحلية ، بل شجعوها حماية لمصالحهم .

أما المنطقة جنوب بحيرة تنجانيقا فقد جاءت الإشارة إلى وجود حكم عربي بها من خلال ما كتبه المنصر سوان ، بأن أحد أتباع السلطان يدعى كابوندا قد أطلق على نفسه لقب سلطان أولونجو جنوب البحيرة ، وجرت محاولات من قبل سلطان زنجبار سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م للاستيلاء على كل البلاد المحيطة ببحيرة تنجانيقا . رغبة في توحيد المناطق الداخلية تحت حكم واحد خوفاً من امتداد النفوذ الأجنبي عبر المنطقة ، فطلب من المرجبي أن يمد نفوذه تحت اسم السلطان إلى تابورا شرقاً . لكن ظروف التوسع الأوروبي من ناحية ثم اختلافات مصالح العرب في الداخل حالت دون إمكانية إتمام هذا الأمر [(١)].

ويتضح مما سبق أنه بعد انقسام السلطنة العُمانية ركز السلاطين على توسيع نفوذهم وإقامة مراكز ومحطات تجارية عبر الداخل ، وقدموا التمويل لكثير من

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٠٨ .

القوافل التجارية المتجهة للداخل ، مما أتاح الفرصة أمام العرب للانطلاق نحو الداخل ، فالسلطان ماجد اهتم بمسألة الجمارك فعين سعيد بن سالم مديراً لجمارك تابورا ، على حين سعى السلطان برغش لفرض الاستقرار ، حين أرسل حملة عسكرية لتهدئة الاضطرابات الداخلية في عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م . ويتضح من ذلك الحماية التي وفرها سلاطين زنجبار للوجود الاقتصادي العربي في عدة مناطق في الداخل ، فقد كانت التجارة طريقاً لصناعة الاستقرار السياسي لدولة البوسعيد [(١)] .

و امتداد نفوذها من زنجبار إلى داخل شرقي إفريقية بعد الانقسام خلف انتشار الإسلام .والخلاصة أن الانفتاح من الساحل إلى الداخل ، بعد تقسيم السلطنة ، كان من العوامل التي أدت إلى ذيوع الإسلام ، مما ساعد العرب على الاحتكاك بسكان الداخل ونشر الإسلام بينهم ، خصوصاً وأن العرب الذين وفدوا على الساحل الإفريقي كانوا على مستوى طيب من التعلم والتمدن والتقدم ، فحافظوا على الهوية العربية والإسلامية ومنعوا ذوبانها في تقاليد الحياة الإفريقية الوثنية ، بل استطاعوا القضاء على العديد من مظاهر الوثنية الإفريقية وإحلال عادات إسلامية محلها [(٢)] .

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٦٦ .

(٢) بو علام بلقاسمي : الوجود العُماني في شرق إفريقيا في مذكرات بعض الرحالة والقناصل الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) ، ص ١٢ .

المطلب الثاني : تدخل القوى الأوروبية :

يلاحظ أن الإسلام كان بطيء الانتشار في القارة الإفريقية عامة حتى القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، حتى فرض الاستعمار سيطرته على القارة ، ومن وقتها انتشر بسرعة واضحة حتى أصبح متغلغلاً في كل دول القارة [(١)] .

وهناك عدة جهود لتبرير أسباب ارتباط سرعة انتشار الإسلام وتعميقه في إفريقية بوجود المستعمر : فمن ناحية ، يمكن القول إن الحروب الدينية باسم الجهاد جذبت إليها الكثيرين لمواجهة الاستعمار ، ومن ناحية أخرى فقد يكون هناك أيضاً اجتياح تلك الجيوش الإسلامية لكثير من القرى في أثناء مواجهة المستعمر جعل الكثيرين يتبعونه ، ومن ناحية ثالثة فإن زعامة القادة الإفريقيين المسلمين للجهاد ضد المستعمر الأوروبي خلق تعاطفاً مع المسلمين وجعل الإسلام رمزاً للكفاح ضد الاستعمار ، وجذب البعض نحوه ممن نفروا لنفس السبب من النصرانية التي جاءت تحت الراية الاستعمارية الأوروبية [(٢)] .

حين بدأ البرتغاليون يعيثون فساداً في المدن العربية الإسلامية في المنطقة الساحلية من شرق إفريقيا ، في أوائل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر

---

(١) حورية توفيق مجاهد : الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية ، د.م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ط ، (٢٠٠٢م) ، ص ٢٠٣ .

(٢) السابق ، ص ٢٠٣- ٢٠٤ .

الميلادي ، وأجبروا المسلمين على الفرار إلى الداخل والاحتماء بين القبائل الإفريقية. وبالرغم من الحملة الوحشية التي قام بها البرتغاليون إلا أن من نتائجها أن انتشر الإسلام ، ولعل المثل القائل " مصيبة قوم عند قوم فوائد" ينطبق على القبائل التي دانت بالإسلام وتحضرت بفضل هذا الاتصال ، والتي لم تحظ ، لأي سبب كان ، بذلك القدر من اهتمام الدعاة [١]. وفي هذا الصدد يقول الدكتور جمال زكريا في معرض حديثه عن العلاقات العربية – الإفريقية : إن أعمال العنف التي قام بها البرتغاليون في سواحل شرق إفريقية دفعت العرب والسواحليين إلى الفرار من مدن الساحل لاجئين إلى الداخل ، ومن ثم كانوا سبباً في نقل المؤثرات العربية وزيادة الاختلاط والتفاعل مع القبائل الداخلية [٢].

وبعد تدهور النفوذ البرتغالي في هذه المنطقة وانسحابه منها ، حل العثمانيون محله ، فتابعوا التواصل مع الداخل ، إلى أن جاء الاستعمار الأوروبي الذي كان

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٩ ؛ عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص١٨ ؛ السر سيد أحمد العراقي : الإسلام والصليبيون في ساحل إفريقيا في العصور الوسطى ، أبحاث ندوة رأس الخيمة ، ج٢ ، (١٩٨٧م) ، ص ٥٤٢ .

(٢) جمال زكريا : الاستعمار البرتغالي وأثره على العلاقات العربية الأفريقية ، العلاقات العربية الأفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (١٩٧٧م) ، ص ٧٠ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٠ .

له بعض إسهامات في انتشار الإسلام في المنطقة ، حيث خرج الإسلام من المناطق الساحلية إلى البوادي وداخل القارة حتى أواسط إفريقية الاستوائية ، بفضل ما أوجده الاستعمار من طرق أكثر ملاءمة للتوغل إلى الداخل [١] .

في حين زادت الأهمية الاستراتيجية لزنجبار في سنة ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م مع قيام الثورة الصناعية في أوروبا حيث زيادة الرغبة في إيجاد أسواق ومصادر للمادة الخام وظهرت أهمية الدول البحرية ، وتكالبت الدول الاستعمارية الأوروبية على المستعمرات في إفريقية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، ولقد كانت من أهم المناطق الاستراتيجية في إفريقية منطقة شرق إفريقية [٢] .

وكانت سلطنة زنجبار تتمتع بأهميتها الاستراتيجية لأنها محطة مهمة في طريق التجارة بين الشرق والغرب ، وكذلك أهميتها كمستودع للمادة الخام الآتية من إفريقية ، وزادت أهميتها بعد حفر قناة السويس وافتتاحها للملاحة عام ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م حيث أصبحت هناك حاجة إلى محطات تخدم الملاحة في هذا الطريق للهند ، وكان اتساع الدولة العُمانية في شرق إفريقية مدعاة إلى كثرة الأطماع الأوروبية عليها ، وكذلك الأهمية الحيوية والاقتصادية لهذه المنطقة في شرق أفريقية ؛ فتنافست الدول الأوربية (بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٠ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

والبرتغال وبلجيكا) على تقسيم أوصال هذه الدولة الشاسعة ذات الأهمية الخاصة حيث كان التنافس شديداً ، سواء بالأساليب السياسية والاتفاقيات الدولية ،خاصة بعد مؤتمر برلين عام (١٣٠٢ – ١٣٠٣هـ / ١٨٨٤ – ١٨٨٥م) [(١)] أو عن طريق الشركات التي كانت تشتري وتستأجر أماكن في شرق إفريقية ثم تبيعها لحكومتها أو التذرع بحجة إلغاء الرقيق من أجل المزيد من النفوذ [(٢)] .

وربما لم تشهد منطقة في إفريقية تنافساً قوياً وحاداً على استعمارها أكثر من منطقة شرق إفريقية من نهر بنجانى حتى رأس حفون شمالاً ، وشملت ساحل تنجانيقا وكينيا والجزء الأكبر من ساحل الصومال ، فتسابقت الدول الاستعمارية الكبرى آنذاك على السيطرة على هذه الدولة وتقطيعها. وكانت سلطنة زنجبار قوية في عهد الدولة البوسعيدية ، وبالأخص في عهد السيد سعيد بن سلطان حيث كان النفوذ الأجنبي في زنجبار ضعيفاً ، ولكن بعد وفاة السيد سعيد بدأت السلطنة في الانقسام والدولة البوسعيدية في الضعف [(٣)] .

---

(١) مؤتمر برلين : هو مؤتمر اجتمعت فيه أوروبا على تقسيم إفريقية بينهم عندما زاد التنافس الاستعماري على إفريقية فشرع المؤتمر في الاستيلاء على الأراضي والدول بشرط إعلام الدول الاستعمارية الأخرى . صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٢) عبد الله عبد الرزاق إبراهيم : المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد ١٣٩ ، (١٩٨٩م) ، ص ١٧– ١٨ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٣) صلاح العقاد وجمال زكريا : المرجع السابق ، ص ٦٤– ٦٥ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

وعن حدود هذه السلطنة المترامية الأطراف التي كانت تسعى إليها الـدول الكبرى لعقد اتفاقيات فقد حددت اتفاقيـة عـام ١٢٦١هــ/ ١٨٤٥م ، التـي عقدتها بريطانيا مع السيد سعيد بخصوص تجارة الرقيـق ، أن ممتلكـات الـسيد سعيد تمتد شمالاً حتى رأس حفون. ولكن بريطانيا مـا كانـت لتعـترف للـسيد سعيد بهذه الحدود لولا أن مصلحتها اتفقت مع هـذا الاعـتراف . والواقـع أن السيد سعيد كان يتصور أن ممتلكاته تمتـد إلى مـا وراء هـذه الحـدود فـادعى في بعض الأحيان أنها تصل إلى رأس جردفون شمالاً (في الصومال) وتضم جزيرة سقطرة والكومور قرب جزيرة مدغشقر (١) .

و تعد فترة السيد سعيد بن سلطان هي الفترة التي شهدت المراحل الأولية للتدخل البريطاني عـن طريـق المعاهـدات أولاً، ونـشاط القناصـل والمبعـوثين السياسيين ثانياً ، ثم انتهت بالهيمنة والسيطرة الكاملة في العقدين الأخيرين من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي . ولقـد وجـدت بريطانيـا الطريق ممهداً للتدخل نسبة للظروف التي مرت بها عُمان في الـداخل والخـارج. فالمنازعات التي نشبت بين المزارعة والبوسـعيديين في شرق إفريقيـة بـلا شـك تمثل حلقة مهمة تعكس بجلاء هذا الجو الذي خيم على المنطقة، سواء في الخليج أو الممتلكات العُمانية في شرق إفريقية .هذا النزاع الذي كـان سـمة بـارزة بـين الأطراف العربية هو الذي عجـل بـزوال النفـوذ العـربي الإسـلامي والتمهيـد

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٨ .

للغزو الأوروبي بشقيه الفكري والسياسي [١].

ولكن المتتبع لسياسة بريطانيا في هذه الفترة يتضح له المخطط الاستعماري الذي انتهجته خدمة لمصالحها في المنطقة بشقيها الآسيوي والإفريقي. فهي من جهة تخشى من استمرار عُمان – في عهد السيد سعيد بن سلطان الذي جعل منها قوة ضاربة كبرى – تملك مناطق شاسعة في آسيا وشرق إفريقية ؛ ولذلك انتهجت سياستها التقليدية "فرق تسد" ، وقد استفادت من الصراع القبلي بين المزارعة والبوسعيديين أولاً ، كما انتهزت فرصة الصراع الأسري بين السلطان ثويني وأخيه السيد ماجد أبناء السيد سعيد فيما بعد ، وحققت أهدافها في تقسيم أملاك عُمان إلى قسمين منفصلين هما سلطنة مسقط وسلطنة زنجبار – كما سبق ذكره – ، ومن جهة أخرى أرادت أن تحافظ على صداقة السيد سعيد بن سلطان كحليف قوي لتأمين مصالحها ضد القوى المحلية والدولية المنافسة لها في منطقة الخليج. لذلك سرعان ما تنكرت بريطانيا للمعاهدة التي عقدتها مع المزارعة [٢] بعد مضي عامين ونصف من إبرامها خدمة لمصالحها الكبرى

---

(١) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ٢٠٠- ٢٠١ .

(٢) إن المزارعة قد كانت تربطهم بالانجليز علاقات الصداقة والود التي كان هدفها الاستنجاد ببريطانيا لحمايتهم ضد ذوي القربى وبني جلدتهم من عرب عُمان بزعامة السيد سعيد بن سلطان ، وفي عام١٢٣٩هـ/ ١٨٢٤م أبرمت بين المزارعة والإنكليز معاهدة تخولهم حرية التجارة داخل مملكتهم. وهذه أول معاهدة عقدت بين الإنكليز والعرب العُمانيين . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١١٦ ؛ إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

وتمهيداً لفرض سلطانها على المنطقة بأسرها [١].

كانت سياسة مكافحة الرق وتجارته إحدى الركائز التي اعتمدت عليها الإدارة البريطانية في زنجبار للتدخل في الشؤون الداخلية للسلطنة العربية لفرض نفوذها وسيطرتها وحماية مصالحها السياسية والاقتصادية [٢].

إن أهداف بريطانيا من محاربة الرق وتجارته لم تكن بدوافع إنسانية بحته، ووراء هذه الحركة ما وراءها من الأجندة الخفية [٣].

ويؤكد ذلك ما أشارت إليه الأميرة سالمة بنت سعيد حيث تقول : " الكلام عن الرق والرقيق من أشد الموضوعات حساسية وأكثرها مدعاة لاختلاف الرأي " [٤].

وتقول في موضع آخر : لقد لخص لي أحد الانكليز الذين عملوا لفترة طويلة في إفريقية الشرقية وعملوا عن كثب حقائق الأشياء ، لخص لي حركة مقاومة الرقيق بمظاهرها المختلفة بأنها مجرد "دجل" [٥].

واتخذت بريطانيا من مسألة إلغاء تجارة الرقيق ذريعة للتدخل في السلطنة

---

(١) إبراهيم صغيرون : المرجع السابق ، ص ٢٠١ .

(٢) بنيان سعود التركي : زنجبار وجوارها الأفريقي ، ص ١٢ .

(٣) نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ١٢٨ .

(٤) سالمة بنت السيد سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .

(٥) السابق ، ص ٢٥٣ .

العربية ، وكان هدفها من ذلك أن تفسح المجال للتجارة المشروعة بالإضافة إلى زيادة نفوذها في التفتيش على السفن ، وهدفها أيضاً تطويق النفوذ العربي ومحاصرته والقضاء عليه نهائياً حيث اتبعت في سبيل ذلك مخططاً علمياً دقيقاً لإحلال التجارة الشرعية مكان التجارة غير الشرعية وتنشيط حركة التنصير [١].

وكانت بدايات النفوذ البريطاني في مناطق شرق إفريقية وفي زنجبار عندما عقدت الحكومتان عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م معاهدة كان من أهم نصوصها أن يعمل السلطان على اتخاذ إجراءات أكثر حزماً ضد تجارة الرقيق ، وأعطيت السفن البريطانية الحق في تفتيش المراكب في الموانئ التابعة للسلطان للتأكد من خلوها من الرقيق ، ثم كان التمثيل الدبلوماسي السياسي البريطاني الذي أنشئ في بلاط السلطان منذ عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م ، وعين الكابتن هامرتون ممثلاً لإنجلترا لدى السلطان سعيد ، وكان اليد المحركة للسلطان حتى وفاته [٢].

ويلخص كوبلاند أسباب اهتمام بريطانيا بالسلطنة العربية في شرق إفريقية يقول : إنها الاهتمامات الاقتصادية الجديدة [٣] ، ويقول سولسبري عن أهمية زنجبار أنه لا توجد في كل مياه شرق إفريقية بقعة أكثر أهمية منها بالنسبة لأمة

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٣٠- ٣١ .

(٢) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٣٦٢- ٣٦٣ .

(٣) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

بحرية وتجارية مثل الأمة البريطانية [١] ، وكانت بريطانيا تنظر بقلـق شـديد إلى اتجاه أي دولة استعمارية أخرى لمد نفوذها في تلك الجهات مـن شرق إفريقيـة ، وتزعم حملة الضغط على الحكومة البريطانية لتمد نفوذها إلى منطقـة البحـيرات الاستوائية عدد من الاستعماريين الإنجليز ، من أمثال سير هـاري جونـستون ، ووليم ماكينون ، وسيسل رودس الذين نادوا بفكرة ربط الممتلكات البريطانيـة كلها الممتدة من جنوب القـارة حتـى شـمالها ، ولقـد تغـير موقـف بريطانيـا في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وذلـك بسبب ظهور دول أوروبية أخرى تريد مد نفوذها لملء الفراغ في شرق إفريقيا ، وبسبب التحقق من أن الرق قد تقلص في غـرب إفريقيـا ومـا زال موجـوداً في شرقها [٢] .

ويمكن أن نلخص دعائم النفوذ البريطاني في السلطنة العربية فيما يلي :

١ - استغلت بريطانيا مسألة تجـارة الرقيـق وإلغائهـا للتـدخل في الـسلطنة العربية وشؤونها والتفتيش على السفن الخاصة بزنجبار .

٢ - عملت بريطانيا على ضرب اقتصاد السلطنة العربية بدعوتها للقضاء عـلى تجـارة الرقيق أهم الموارد المالية التي تمثل دخلاً لا يستهان به للسلطنة .

٣- استغلت وفاة السيد سعيد بن سلطان وقامت بتقسيم السلطنة العربيـة

---

(١) رجب حراز : إفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي ، ص ٥٩٥ .

(٢) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٣٦٢ .

إلى قسمين: آسيوي وإفريقي ، مما أضعف السلطنة العربية ، واستغلت فترة الضعف هذه لتحقيق أهدافها الاقتصادية .

٤ - استغلت مسألة ولاية العرش للتدخل في شئون السلطنة وتعيين ما تراه محافظاً على المصالح البريطانية ، وخاصة لعدم وجود نظام يحدد ولاية العرش في سلطنة زنجبار مما ساعد بريطانيا على ذلك .

٥ - اتخذت بريطانيا من النزاع بين مصر وزنجبار (١) عاملاً لتقوية النفوذ البريطاني ومن ثم كانت الخطة الاستعمارية تتجه إلى ناحيتين أولاهما : منع مصر وزنجبار من الاتحاد فيما بينهما مما يؤدي إلى ظهور جبهة عربية إفريقيا قوية تستطيع أن تقف أمام الأطماع الاستعمارية. أما الناحية الثانية فالعمل على إضعاف قوة مصر وزنجبار، وقد سعت بريطانيا بالفعل لتفكيك وإضعاف سلطنة زنجبار ، وكذلك نجحت انجلترا في هدم الدولة المصرية في سواحل البحر الأحمر والسودان ومناطق أعالي النيل وساحل إفريقيا الشرقي (٢) .

---

(١) كانت مصر قد ضمت زيلع عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م بقيادة محمد رؤوف باشا ثم تم ضم بربره وبهار ثم رأس حافون ثم براوه التي اشتكى أهلها من سوء معاملة سلطان زنجبار لهم ، وسافرت بعثة ماكيلوب باشا إلى منطقة نهر الجب في اتجاه قسمايو ووصلتها في عام ١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م وكانت تابعة للسلطان برغش ، وذلك في عهد الخديوي إسماعيل مما أقلق الحكومة البريطانية وأعلنت أنها تعترف بامتداد السلطة المصرية إلى رأس جردفون في منطقة القرن الإفريقي ، أما الجنوب من ذلك فهو جزء من سلطنة زنجبار ؛ وبذلك انسحبت القوات المصرية من جنوب الصومال وعادت إلى قاعدتها في زيلع . صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

ولقد زاد النفوذ البريطاني في السلطنة العربية في عهد السلطان برغش حيث نجح جون كيرك ، القنصل البريطاني في زنجبار ، في توطيد النفوذ البريطاني تدريجياً طوال عهد السيد برغش حتى انتهى به الأمر إلى القضاء على آخر مظاهر استقلال السلطنة العربية الإفريقية وتقسيم أملاكها بين الدول الأوروبية (١).

ولقد هدد كيرك السلطان برغش باستخدام القوة إذا لم يوافق على توقيع معاهدة في عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م ، ومن شأن هذه المعاهدة حظر عملية تصدير الرقيق من ساحل القارة إلى أجزاء أخرى من ممتلكات السلطان أو إلى دول أجنبية ، وتقضي المعاهدة بإغلاق كل أسواق الرقيق في ممتلكات السلطان ومنع الهنود البريطانيين عن ملكية أو الحصول على رقيق جدد (٢) . وحمل السيد برغش على توقيع اتفاقية عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م مع شركة شرقي إفريقيا البريطانية تنازل بموجبها عن كافة سلطاته على الشريط الساحلي المواجه لزنجبار لمدة خمسين عاماً مقابل مبلغ زهيد (٣) .

وقبل أن نتحدث عن المنافسة الأوروبية على أراضي السلطنة يجدر بنا أن نحدد ممتلكات السلطان برغش في عام ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م وفي هذا الصدد

---

(١) جاد محمد طه : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) A.I.SALIM : Op.Cit. p36.

(٣) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢١ .

نجد أن ساحل إفريقية الشرقي ، والمنطقة الداخلية الممتدة بين وارشيخ في الشمال ونهر روفوما في الجنوب ، تضم ممتلكات السلطان ، إلا أنه في الواقع فإن النقص في موارد السلطان وصعوبات المواصلات في كل هذه المنطقة الواسعة منعت السلطان من السيطرة سيطرة فعلية على كل الإقليم حتى إن اهتمامه الرئيس تحدد بالمنطقة الأقرب إلى زنجبار والطرق التجارية الرئيسة الممتدة إلى بحيرة تنجانيقا. وفي هذه المنطقة الوسطى كان حكم السلطان فعالاً ، أما في الجنوب والشمال فكان حكمه أقل فعالية ، مع الاعتراف بأن الحاميات التابعة للسلطان ، ومعها الحكام أو نواب الحكام ،كانت تتمركز في غالبية المدن الساحلية (١). ولقد كان الجزء الأكبر من تلك السلطنة العربية الإفريقية من نصيب بريطانيا وألمانيا (٢).

نشر الألمان نفوذهم في شرق إفريقية متحدين السكان المحليين والإنجليز. لقد تعرضت أملاك السلطنة العربية للتعديات الألمانية التي لم تلبث أن ظهرت على مسرح الاستعمار في إفريقية عقب استكمال وحدتها السياسية في السبعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري . ولقد برز اهتمام ألمانيا بالاستعمار تأسيس ما عرف باسم (شركة الاستعمار الألمانية).

---

(١) جاد محمد طه : المرجع السابق ، ص ١٢٣ – ١٢٤ .

(٢) سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرقي إفريقيا ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ ، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) ، ص ٢٢ .

وقد عهد إلى كارل بيترز برئاسة تلك الشركة وبدأ نشاطه من تنجانيقا وأكد أنها أراضٍ خاضعة له ، واتخذ السلطان برغش خطوة جريئة حين أرسل رجاله للوقوف ضد نشاط كارل بيترس مما جعل كارل يكثف نشاطه بإبرام اثنتي عشرة اتفاقية مع رؤساء القبائل الإفريقية المقيمين في المنطقة الشمالية الشرقية من تنجانيقا. وكانت هذه الاتفاقيات تنص على موافقة أولئك الرؤساء على التنازل عن الأراضي التي يقيمون فيها وفرض الحماية الألمانية عليها. وكان الألمان يستخدمون العنف في الاستيلاء على الأراضي مستغلين ضعف قوة السلطان [(١)].

وعقب حصول كارل بيترز على تلك الاتفاقيات عاد إلى ألمانيا لكي يضعها أمام المستشار الألماني بسمارك ، وكانت بمثابة السند الذي استند عليه في مؤتمر برلين ، واعترض السلطان برغش على إعلان الحماية الألمانية على المناطق الداخلية حيث أرسل بعض قواته العسكرية إلى منطقة جبال كلمنجارو والمناطق المجاورة لها ، وقامت تلك القوات برفع أعلام السلطنة الحمراء في تحد واضح للنفوذ الألماني ، وتحت تهديد البحرية الألمانية وقع السلطان برغش معاهدة تجارية مع ألمانيا في عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م حصلت ألمانيا بموجبها على العديد من المزايا الاقتصادية كما تتضمن اعتراف برغش بالحماية الألمانية على مناطق كانت خاضعة له [(٢)] .

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٦ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

إن انقلاب بريطانيا على حليفها السيد برغش ، واتفاقها مع عدوها اللدود ألمانيا على تقسيم أملاك السلطنة العربية ؛ قد خذلت فيه بريطانيا حليفها السيد برغش ليس حباً في ألمانيا ولكن خوفاً من أن تبتلع الأخيرة شرق إفريقية ، ولهذا فضلت المشاركة في تقسيم أملاك السلطنة العربية حتى لا تخرج خالية الوفاض [١].

لقد قام السيد سلسيبري رئيس وزارة بريطانيا في وزارته الثانية (١٣٠٤ - ١٣١٠هـ / ١٨٨٦ - ١٨٩٢م) بجهد كبير في تقسيم إفريقيا بين ألمانيا وبريطانيا وفرنسا ودول أخرى دون الحاجة إلى الجيوش ، ولكن عن طريق المفاوضات والسلام. ووضعت حوالي ستين ألف ميل مربع من أراضي شرق إفريقية تحت حماية الرايخ الألماني مباشرة في مناطق غرب جزيرة زنجبار. وعلى أثر تزايد النشاط الألماني في شرق إفريقية رأت الحكومة البريطانية أهمية تشكيل لجنة مكونة من ممثلين عنهما للتحقق من المناطق التابعة لسلطان زنجبار ، ووجهت بريطانيا الدعوة لفرنسا للمشاركة في هذه اللجنة بمقتضى التصريح الفرنسي البريطاني المشترك الصادر في عام ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م ، وانتهت اللجنة في عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م من تقريرها ، وأكدت فيه على سيادة السلطان على المناطق الساحلية دون التعرض للمناطق الداخلية ، وهذا يؤكد نية بريطانيا وألمانيا على اقتسامها فيما بينهما [٢].

(١) بنيان سعود التركي : الشيخ مبارك بن راشد المزروعي في شرق أفريقية ، ص ٧٧ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٧ – ٢٨ .

أن الاستعمار الأوروبي أجبر السلطان برغش على تقليص منطقة نفوذه السياسي ، لتشمل الحزام الساحلي والجزر المتاخمة له فقط، وتم إقصاء السلطان العربي من داخل القارة (١) .

ولقد تحقق ذلك الفعل عندما وقعت بريطانيا وألمانيا اتفاقية التقسيم فيما بينهما في عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م متضمنة البنود التالية :

١ - اعتراف بريطانيا وألمانيا بسيادة السلطان على جزر زنجبار وبمبا ولامو ومافيا بالإضافة إلى شريط ساحلي يمتد إلى الداخل بعمق عشرة أميال .

٢- تعترف الحكومة الإنجليزية بالحماية الألمانية على سلطنة ويتو وممرها إلى البحر على خليج ماندا .

٣- يتم تقسيم الأراضي الواقعة بين نهري روفوما وتانا وتبلغ مساحتها ستمائة ميل مربع ، وتشتمل على المناطق الساحلية شمال مدن قسمايو وبراوه ومركه ومقديشيو على منطقتي النفوذ الألمانية والبريطانية (٢) .

ووافق السلطان برغش على هذه الاتفاقية وتنازل عن ممتلكات سلطنته لصالح ألمانيا وبريطانيا بحجة حماية دولته من الأمم الأخرى. وعلى أثر هذه

---

(١) سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرقي إفريقيا ، ص ٤٥ .

(٢) عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ١٧٣ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٨ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٧١ ؛ محمد الحداد : المرجع السابق ، ص ٥٤- ٥٥ .

المعاهدة أخذت بريطانيا كينيا وسمتها (إفريقية الشرقية البريطانية) ، وأخذت ألمانيا تنجانيقا وفقد السلطان معظم أملاكه (١) .

لم يتم تحديد منطقة النفوذ الألمانية والبريطانية في شرق إفريقية تحديداً قاطعاً حيث أصبح المجال مفتوحاً للشركات التجارية التابعة للدولتين ، خاصة بعد أن تأسست شركة شرق إفريقية برئاسة وليام ماكنون التي أعيد تسجيلها تحت اسم (شركة شرق إفريقية الإمبريالية) ، واستطاع وليام ماكنون أن يحصل من السيد خليفة بن سعيد (١٣٠٦-١٣٠٨هـ / ١٨٨٨ - ١٨٩٠م) على تنازل يشمل المناطق الساحلية التي تطل عليها منطقة النفوذ البريطانية في شرق إفريقية في الوقت الذي تأسست فيه شركة شرقي إفريقية الألمانية فأصبح الصدام متوقعاً بين الشركتين تساندهما الدولتان التابعتان لهما (٢) .

ومن هنا كانت اتفاقية هليجولاند بين بريطانيا وألمانيا تنص على تحديد مناطق النفوذ بين الجانبين في عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ، والتي نصت على موافقة بريطانيا على مد منطقة النفوذ الألمانية حتى بحيرتي نياسا وتنجانيقا ، وتم ترسيم الحدود بين مناطق النفوذ الألمانية والبريطانية في شرق إفريقية ، وحظيت بريطانيا بالمناطق الشمالية من نهر أومبا إلى نهر تانا والتي صارت تعرف باسم

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٢) ل . وهولنجزورث : المرجع السابق ، ص ٢٤ ؛ عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ١٨٥ .

كينيا ، كما حظيت بريطانيا بحق الحماية على أوغندا وجزيرة زنجبار وحصلت ألمانيا على جزيرة هليجولاند (١) لاتخاذها قاعدة بحرية لها ، وتضمنت الاتفاقية حرية التجارة بالإضافة إلى مساندة المنصرين في عمليات التنصير. ويقول إنثور: إن من المكاسب العظيمة لبريطانيا في شرق إفريقية حصولها على جزيرة زنجبار بعد نضال عظيم (٢) ، ولقد أعلنت الحماية البريطانية على زنجبار وبمبا ، بالتحديد في الأول من يوليه وذلك مع بداية حكم السيد علي بن سعيد (١٣٠٨-١٣١١هـ / ١٨٩٠ - ١٨٩٣م) ، ومن مظاهر إعلان الحماية البريطانية على زنجبار استيلاء الإنجليز على إدارة الشؤون المالية والجمارك ، ولقد علل السيد علي احتياجه إلى الحماية البريطانية خوفاً من النفوذ الألماني (٣).

-ويمكن الوقوف على بنود اتفاقية هليجولاند لتوضيحها لما لها من أهمية :

١- وضعت الاتفاقية حداً للاحتكاكات والمنازعات البريطانية والألمانية واستطاعت فرنسا ، نتيجة هذه التسوية ، أن تفرض حمايتها على جزيرة مدغشقر ، وأخذت تحد من النفوذ البريطاني في غرب إفريقية .

---

(١) جزيرة هليجولاند : جزيرة بريطانية في بحر الشمال ، تقع على مسافة قصيرة من المدخل الغربي لقناة كيل ، وتمتد عبر رقبة شبه جزيرة الدانمرك . رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي ، ص ٥٨٤ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٣) سعيد بن علي المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٦٤ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

٢- أعلنت بريطانيا الحماية على زنجبار وبمبا كما استولت على ما عُرف باسم كينيا وأوغندا ، على أثر هذه الاتفاقية مقابل استيلاء ألمانيا على تنجانيقا وبعض المكاسب التجارية ، وحصلت ألمانيا على جزيرة هليجولاند ، ويقول ذو مارش : إن هذه الجزيرة مكافأة صغيرة من أجل كل هذه الممتلكات في شرق إفريقية التي جعلت بريطانيا تضحي بجزيرة في بحر الشمال مقابل زنجبار وبمبا في شرق إفريقية .

٣- وضحت الاتفاقية أهمية حرية التجارة في شرق إفريقية وكذلك حماية الحركات التنصيرية الدولية بشكل عام [(١)] .

٤- أتاحت هذه المعاهدة لشركة إفريقية البريطانية حرية العمل في منطقة واسعة في شرق إفريقية تمتد ما بين نهر الجب شرقاً ، وبين أعالي النيل غرباً [(٢)] .

وترتب على نجاح الحكومة البريطانية في إقناع السيد علي بن سعيد بإعلان الحماية البريطانية على زنجبار أن آلت جميع أمور السلطنة إلى القنصل العام البريطاني والإدارة البريطانية ، وأصبح حكام زنجبار من آل بوسعيد لا حول لهم ولا قوة ، وهذا ما عبر عنه السلطان حمد بن ثويني (١٣١١-١٣١٤هـ / ١٨٩٣- ١٨٩٦م) بقوله : " ما أنا إلا طائر صغير في مخالب نسر كبير ، إن شاء

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٢) رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي ، ص ٥٦٩ .

أطلقه وإن شاء مزقه إرباً " [١]. وقام هذا الاحتلال على أنقاض تمزيق دولة البوسعيد الإسلامية [٢].

وبنهاية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، انتهى وجود كل الكيانات الإسلامية المستقلة على الساحل الشرقي لإفريقية ، وما جاوره ، فقد تمكن البريطانيون والألمان من قمع كل حركات المقاومة المحلية التي قام بها بعض الثوار العرب ، مدفوعين بالخوف على نفوذهم السياسي ، وعلى سيطرتهم على تجارة الداخل ، وكذلك خوفهم من تدخل الإدارة الاستعمارية الجديدة في إدارتهم التقليدية ، وفي شؤونهم الاجتماعية والثقافية والدينية [٣] ، وكان السواحيليون الحضريون يحركهم العرب أول من تعامل مع الحكم الفظ والقاسي لمسؤولي شركة شرق إفريقية الألمانية ، ولذلك نشبت الثورة ضدهم عام ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م بقيادة بشير بن سالم الحارثي ، وهو أحد مزارعي القصب العربي في منطقة بانجاني [٤] ، وكان انضمام السواحيليين بقيادة خيري بن جمعة المغازي (المعروف باسم بوان خيرى ، كان يحكم منطقة جوما شرق بحيرة تنجانيقا) لبشير يؤكد ارتباط السكان المحليين بالعرب [٥] ،

---

(١) بنيان سعود التركي : زنجبار وجوارها الأفريقي ، ص ٢٠٨ .

(٢) نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٤) رونالدو أوليفر ، أنتوني أتمور: المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

(٥) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ٢٨٤ ؛ أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٣٤ .

وانضم إليه أيضاً عدد من القبائل الوطنية كقبائل الواهيهي ، وهي قبائل محاربة من الزولو تسكن وسط المستعمرة الألمانية ، كما لحقت به قبائل الوانجوني التي تسكن جنوب تنجانيقا ، وهي من قبائل الداخل ، وطالما هاجمت طرق القوافل [١] ، وكانت الثورة خطيرة إلى حد أن الحكومة الألمانية ألغت امتياز الشركة وقامت بالقضاء عليها بنفسها بإعدام بشير الحارثي في عام ١٣٠٨هـ / ١٨٨٩م ، ثم تحركت القوات إلى الداخل ، وتم إنشاء نوع من الإدارة المدنية للمدن الساحلية بطريقة ملائمة للمشاعر الإسلامية والاستعانة بالزعماء التنفيذيين [٢] .

إن المقاومة الإسلامية بقيادة العرب ضد التدخل الأوروبي قد انتشرت في المنطقة بين بحيرتي نياسا وتنجانيقا في الفترة ١٣٠٦-١٣٠٧هـ/ ١٨٨٨ – ١٨٨٩م ، وانتقلت منها إلى مناطق شرق وغرب بحيرة تنجانيقا ، ورغم ذلك ظل لكل قوة من قوات العرب نظامها الخاص في المقاومة. وحدث اتحاد بين العرب والسكان المحليين من قبيلة ياو ضد الأوروبيين ، وكون الشباب رابطة تقليدية ذات بناء إسلامي هي الجاندو فتحول العديد من الأهالي إلى الإسلام وأصبح الإسلام حركة شعبية على الأخص في مناطق ياو ، فاشتدت مقاومتهم ضد البريطانيين في الفترة ١٣٠٩-١٣١٣هـ / ١٨٩١ – ١٨٩٥م. وجرى

(١) حامد حداد : المرجع السابق ، ص ٥٥٧ – ٥٥٨ .

(٢) رونالدو أوليفر ، أنتوني أتمور : المرجع السابق ، ص ١٨٦ .

تنسيق بين بريطانيا وألمانيا منذ سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م بشأن ضبط التحركات العربية بين بحيرتي نياسا وتنجانيقا وبالتالي جرت عملية تقييد لحركة السلاح [١].

ومن الثورات التي قمعها البريطانيون في المحمية الكينية ثورة " مبارك بن راشد المزروعي " – سبق أن أشرت إليه – التي كان سببها تدخل الإدارة البريطانية في الطريقة التقليدية التي يختار بها الحاكم ، واختيارها لشخص غير الشخص المرشح للمنصب ، ولم يكن أمام الشيخ مبارك أمام تخطي البريطانيين له إلا القيام بثورة إحقاقاً لحقه في الحكم ، وقد امتدت ثورته تلك لتشمل كل الساحل الكيني ، وقد انضم إليها عدد من سكان الساحل الإفريقيين الموالين لعائلة المزروعي ، وبعض من الشيوخ السواحيليين ، الذين عدوها "جهاداً " ضد بريطانيا ، ولكن الثورة أخمدت في عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، وقد كان إخمادها يعني نهاية كل أماني الحكام العرب والمسلمين في الحفاظ على استقلالهم السياسي ؛ ليس في كينيا فقط وإنما في كل منطقة شرق إفريقية [٢].

انتشر الإسلام بعد الثورات التي نشبت وتحمس الإفريقيون الوثنيون للاصطفاف خلف المسلمين في ثورتهم ضد المستعمرين ، عندما لاحظوا تدني مستواهم المعيشي بعد مجيء الأوروبيين الذين حرموهم من العمل في مزارع

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٣٥ – ٥٣٦ .

(٢) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٨١ .

العرب ، كما لاحظوا أوجه الخلاف في المعاملة بين الحكام القدامى والجدد فانخرطوا في سلك المقاومة الوطنية التي استخدمت المفاهيم الإسلامية في الحروب التي تتغذى بالشهادة في سبيل الله .

لقد كان لهذه المفاهيم والإحباطات التي أصيب بها الثوار في أعقاب إخفاق حركاتهم أثر الدخول في الإسلام كسلوك تعويضي فراحوا يروجون له بين ذويهم ومعارفهم فأدى ذلك إلى تسارع عجلة انتشار الإسلام [١] .

وظهر جلياً من خلال تلك الثورات أن أصبح الإسلام يمثل عنصر مقاومة وطنية ضد التسلط والاستعمار الأوروبي السبب الذي جعل المقاومة الإفريقية تأخذ به أملاً في الخلاص [٢] .

على أن خضوع شرق إفريقيا للنفوذ الأوروبي خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، قد شد أزر الإسلام وأدى إلى انتشاره في جهات كثيرة [٣] .

وهو ما يدفعنا إلى التطرق إلى الإسلام تحت الحكم الاستعماري الأوروبي في المنطقة [٤] .

---

(١) عبدالرحمن أحمد عثمان وآخرون : أوضاع المسلمين في منطقة شرق إفريقيا الساحلية ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب العاشر ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص ٢٨ – ٢٩ .

(٢) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العُماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٦ .

(٣) حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٤) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٨١ .

انتشر الإسلام في ظل الوجود الاستعماري ، حيث لم تستطع السلطات الاستعمارية المختلفة ، أن تقف في وجه انتشار الإسلام الذي تم بصورة أوسع في ظل الوجود الاستعماري ؛ على الرغم من جهود التنصير الذي عمل تحت حظوته [(١)].

هذا وتجدر الإشارة إلى أن البريطانيين قاموا بدور إيجابي فيما يتعلق بنشر الإسلام ، وعلى الرغم من تمكن الإدارة البريطانية من كسر شوكة المقاومة الإسلامية ، وبسط هيمنتها على كل الكيانات السياسية والقبلية في المنطقة ، إلا أن الإسلام أفاد من بسط السيطرة البريطانية تلك ، كما كانت لها نتائج إيجابية غير مباشرة على تقدم الإسلام ، وبخاصة في مناطق الداخل [(٢)]. ويؤكد السير توماس ذلك بقوله : " ولما منعت تجارة الرقيق لانتشار الحكم الأوروبي في إفريقيا الاستوائية والشرقية ، تلا ذلك توسع كبير في نشاط الدعوة الإسلامية " [(٣)] ، وكأن المسلمين أظهروا الوجه الحقيقي للإسلام بعد ما أعيتهم السبل الأخرى في استغلال قبائل الداخل ، التي كان شعورها نحو المسلمين شعوراً عدائياً ينم عن خوف وكراهية شديدين بسبب تجار الرقيق [(٤)].

---

(١) حورية مجاهد : تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد والوسائل ، مجلة قراءات ، العدد السادس، (١٤٣١هـ) ، ص ٢١ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٨٢ ؛ تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٨١ .

(٣) سير توماس أرنولد : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٦٥ .

(٤) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

و مما أتاح الفرصة للمسلمين لنشر الإسلام بين القبائل الإفريقية هو أن جل موظفي الدوائر المنظمة التي أنشاها الاستعمار الأوروبي في المنطقة كانوا من المسلمين في أول الأمر ، وهو ما مكنهم من أن يدخلوا في الإسلام بعض الأفراد والعشائر الإفريقية حيث اعتمدت الإدارة البريطانية على المسلمين الذين كانوا على درجة من التقدم والتنظيم والثقافة ؛ بل إنهم كانوا هم الفئة الوحيدة التي حظيت بقدر كبير من التعليم ، مما جعلها تستعين بهم في الإدارة. كما جعلت مدرسي مدارس الدولة مسلمين فكرسوا جهودهم لنشر الإسلام وثقافته وتحويل تلاميذهم إلى الإسلام ، بل ومواطنيهم أيضاً ، وجعلت جيشها من القبائل الإسلامية ، وزادت بذلك من شهرة الإسلام بين الوثنيين ولم يتوان المسلمون عن استغلال هذه الظروف فحولوا الوثنيين إلى الإسلام ، وقد أثر هؤلاء في الزعماء وغيرهم من الشخصيات المهمة التي اتصلت بهم إلى حد أن بات الدخول في الإسلام هو التصرف السليم الوحيد للذين اشتغلوا في الدوائر الرسمية وبعد فترة وجيزة دخل الناس في الإسلام أفواجاً [1] .

سعى القنصل العام البريطاني آرثر هاردنج إلى أن يقيم إدارة رسمية يزودها بالشباب العرب ومن السواحلية من أبناء الأسر المعروفة ، وعزم على تشجيعهم بتقديم مرتبات مجزية ، ويحصلون على تدريبات في مجال القضاء

---

(١) محمد عبدالله النقيرة : المرجع السابق ، ص ١٥٢ ؛ سير توماس أرنولد : المرجع السابق ، ص ٤٠٠ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ١١٥ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

والإدارة ويخدمون حكومة الحماية البريطانية ، وليس هذا مقصوراً على الساحل، ولكن يسير على الداخل أيضاً ، وشرح تحيزه للعرب والسواحيلية بقوله : " هذا العنصر العربي ونسبه العربي ... له أهميته وهو وحده ، عليه تعتمد الإدارة المحلية في شؤون القضاء ، إن العرب والسواحيلية هم الأهالي الوحيدون (عدا بعض من الصوماليين) يعرفون القليل من القراءة ، ويفهمون في أمور السياسة ، والعدل ، والإدارة ، والمجتمع العقائدي فإنه اللغة والتداخل الزواجي يزودهم بالنفوذ والسلطة والسيادة على الأهالي من سكان الساحل الزنجي الذي لا يقدر الأوروبي الغريب أن يسيطر عليه بنفس الدرجة بل إنه ، حتى في الداخل ، الأفارقة ، يفعلون معهم أكثر من ذلك "[١] .

ونرى أنه لم تكن استعانة بريطانيا بالعرب في الإدارة حباً لهم بل لأنهم أسياد هذا المكان ، وهم أعلم بإدارته وللاستفادة من خبرتهم على الرغم من كراهيتهم لذلك ، وكذلك لتقليل نفقات الإدارة وعدد الموظفين البريطانيين ، وهي من مزايا نظام الحكم غير المباشر[٢] .

يضاف إلى هذا أن الأقليات الإسلامية من الهنود الذين جلبتهم وجذبتهم الإدارة البريطانية للعمل في شرق إفريقية والجزر الإفريقية ، باعتبارهم رعايا

---

(١) . A.I.SALIM : Op.Cit. p77

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٣٨ ؛ حورية مجاهد : الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية ، ص ٢٠٤ .

بريطانيين، أسهم في نشر الإسلام عن طريق هؤلاء الذين وإن كانوا قد جاءوا معهم ببعض الانشقاقات الدينية – إلا أنهم على أي حال كانوا مسلمين، ويرجع الفضل لهؤلاء المسلمين التجار من الأقليات الآسيوية الهندية في حمل شعلة نشر الإسلام في شرق إفريقية [١].

هذا ولم يكن البريطانيون وحدهم المستعمرين الأوروبيين الذين ساعدوا على انتشار الإسلام في المنطقة بهذه الطريقة غير المباشرة، وإنما كان الألمان أيضاً يتصرفون مثل البريطانيين في شرق إفريقية، وهو ما منح المسلمين فرصاً سانحة لنشر الإسلام في المناطق الداخلية. وكان البريطانيون والألمان يجندون المسلمين في سبيل احتلال المناطق الداخلية، وهو ما يعني أن عدداً كبيراً من المسلمين دخلوا إلى المناطق الداخلية في شرق إفريقية كجيوش تابعة للاستعمار الأوروبي، وحين تقاعدوا استقروا في أماكن وجودهم، ومنحوا أراضي في تلك الأماكن. ومما يذكر، في شأن الألمان في شرق إفريقية أيضاً، أنهم بنوا عدة معاهد في مدن تانغا ودار السلام ولندي منذ احتلالهم تنزانيا عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م، وذلك قصد تأطير كوادر أفريقية في الشؤون الإدارية. وقد شاءت الأقدار أن يكون هؤلاء كلهم من المسلمين السواحيليين، حيث أسلم على أيديهم عدد كبير من مواطني المناطق التي اشتغلوا فيها كإداريين. ومن أبرز هذه المناطق ماهنجا وكندوأ وإرانغي وكذلك منطقة سنغيدا [٢].

---

(١) حورية مجاهد: الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية، ص ٢٠٥.

(٢) عبدالرحمن حسن محمود: المرجع السابق، ص ٨٢.

و بالمناسبة ، لا بد من الإشارة إلى أن السلطات الاستعمارية الأوروبية اتخذت من المراكز التجارية التي أنشأها العرب في المناطق الداخلية ، قبل مجيء المستعمرين الغربيين ، مقار لها. فعلى سبيل المثال ، اتخذ الألمان مدينة تابورا [(١)] مقراً رئيسياً لهم ، عسكرياً وإدارياً ، في بداية عهدهم ، وكانوا يجلبون زعماء المسلمين إليها لكسب ود المواطنين ، وهو ما أدى إلى تزايد عدد المسلمين فيها ، حتى إن بكر نعت هذه المدينة بـ " القلعة الإسلامية في المناطق الداخلية ". وقد توجه الإسلام أيضاً إلى خارج هذه المدينة خلال الاستعمار الألماني ، فأصبحت جميع المناطق الحضرية والريفية المجاورة لتابورا إسلامية بصورة شبه خالصة ، وذلك بناء على قول أبراهمس الذي يذكر أيضاً أن أغلبية الإنيمويزيين المجاورين لتابورا دانت بالإسلام خلال هذه الفترة. إلى جانب هذه المراكز ، أسس المستعمرون الأوروبيون مراكز جديدة في المناطق الداخلية ، وهو ما أدى إلى انجذاب أعداد غفيرة من المسلمين ، من عرب وسواحيليين وصوماليين وهنود إلى هذه المراكز طلباً لفرص جديدة في تلك الأماكن ، التي كانت بكراً بالنسبة إلى التأثيرات الخارجية. وقد وصل الإسلام أيضاً إلى الشعوب المجاورة لهذه المراكز ، كما وظفوا أعداداً غفيرة من المواطنين في المناطق الريفية المجاورة لهذه المراكز ، وذلك في سبيل جلبهم إلى الإسلام ، الأمر الذي جعل الإسلام

---

(١) تابورا : هي العاصمة الإقليمية لواحد من أكبر أقاليم تنزانيا ، وقد أسسها التجار العرب عام ١٢٦٩هـ/ ١٨٥٢م وأصبحت لاحقاً العاصمة الإدارية للاستعمار الألماني في شرق إفريقيا .
عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

يغلب في المناطق المجاورة لهذه المراكز الإدارية للاستعمار. وقد اختار هؤلاء المذهب السني ، واتخذوا المدرسة الشافعية طريقهم ، كما أصبحت اللغة السواحلية سائدة في بلادهم ، بالإضافة إلى اتخاذهم التقاليد السواحلية ثقافة لهم ، سواء من حيث الأغاني والرقص أو من حيث الملابس والطعام ... إلخ (١).

وأعطت حكومة مستعمرة شرق إفريقية الألمانية الأسبقية لأعمال إنشاء الطرق في المستعمرة ، وخصصت المحطات العسكرية المختلفة جميع الأموال التي لديها في سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م لإنشاء وصيانة الطرق ، وأصبح زعماء المناطق مسؤولين مسئؤولية كاملة عن صيانة وسلامة الطرق التي تمر بمناطقهم ، وقد مدت حكومة المستعمرة طرقاً عديدة إلى مناطق الاستيطان المختلفة في المستعمرة تصلح لسير عربات النقل الخفيفة (٢).

و لتنفيذ مشاريع إنشاء خطوط السكك الحديدية في شرق إفريقيا الألمانية تأسست في سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م شركة سكك حديد شرق إفريقية الألمانية كفرع لشركة شرق إفريقية الألمانية ، لإنشاء خط سكة حديد إسمبرا ، ويعتبر التقدم في إنشاء خط سكة حديد إسمبرا (الخط الشمالي) الذي اتجه من تانجا

---

(١)عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٨٢ – ٨٣ .

(٢) سعد عبد ربه زغلول : الاستعمار الألماني في شرق أفريقية ١٨٨٤ – ١٩١٨م ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإسكندرية ، (١٩٦٨م) ، ص ١٨٠ .

إلى موشى في اتجاه الشمال الغربي موازياً لحدود مستعمرة كينيا مقياساً لنشاط إنشاء السكك الحديدية في شرق إفريقية الألمانية وقد بلغ طول خط سكة حديد إسمبرا ١٤ كيلو متراً في نهاية عام ١٣١٢هـ/ ١٨٩٤م (١).

من ناحية أخرى فإن النظم الاستعمارية ، خدمة لمصالحها ، قامت بإنشاء الطرق وإقرار الأمن الداخلي في المناطق التي استعمرتها ، وبسطت سيطرتها على القبائل الإفريقية البدائية المتبربرة بالداخل ، وساعدت بذلك على نشر الإسلام من حيث لا تريد ، إذ إن القبائل المتوحشة كانت تغير على المناطق الإسلامية الساحلية من حين لآخر ، فكانت همجيتهم تلك تحول بينهم وبين الدعاة والتجار المسلمين.

ولكن الاستعمار ، لأنه كان سعى لاستغلال الداخل ، قد أتى بقوة حربية منظمة مسلحة بأسلحة فتاكة لا قبل لتلك القبائل بها ؛ استطاع التوغل في الداخل إلى حيث يريد ممهداً الطرق ومادّاً السكك الحديدية ، وبذلك يسر الطريق للتاجر والداعية المسلمين أن يصلا إلى التجمعات الداخلية التي كانت مغلقة في وجهها حتى ذلك الحين ، وأن يحولاها إلى الإسلام بعد أن شاع الأمن وأنشئت حكومات أكثر استقراراً (٢).

---

(١) سعد زغلول : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٢) محمد عبدالله النقيرة : المرجع السابق ، ص ١٥١ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٦٥ ؛ سير توماس أرنولد : المرجع السابق ، ص ٣٨٢ ؛ حورية مجاهد : الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية ، ص ٢٥٠ .

المبحث الثالث

الأوضاع الاقتصادية

المطلب الأول : التجارة ودورها في نشر الإسلام :

حين وطد العُمانيون أركان حكمهم ، ووسعوا رقعة نفوذهم لتشمل جميع الأراضي الساحلية ، سعوا إلى تقوية العلاقات التجارية مع المناطق الداخلية ، وهو ما أدى إلى إرسال بعثات تجارية لهم إلى الداخل منذ ثلاثينيات وأربعينيات القرن ١٩م / ١٣هـ (١) . فعمت التجارة ، واتسع نطاقها إلى حد لم يعرف له نظير قبله ، وألف العرب السياحات والقوافل إلى داخلية إفريقية ، واخترقوا البر الإفريقي ، وامتد صيت زنجبار ونفوذها (٢) .

حيث حظيت التجارة بالاهتمام الأكبر للسلطنة البوسعيدية بشرق إفريقية ، لأن البوسعيديين اعتمدوا على التجارة الاعتماد الكبير في بناء السلطنة اقتصادياً وسياسياً ، وسيطروا في سبيل ذلك على مياه المحيط الهندي وساحل إفريقية الشرقي وداخل القارة الإفريقية حتى حوض نهر الكنغو (٣) .

خاصة بعد أن حول السلطان سعيد عاصمته من مسقط إلى جزيرة زنجبار، فمنها امتد سلطانه على طول الساحل وعلى الجزر المتناثرة أمامه ، كما امتد إلى

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٢) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٤٣ – ١٤٤ .

(٣) رأفت غنيمي الشيخ : الآفرو عربية ككيان سياسي وحضاري (نموذج الدول العُمانية بشرق إفريقيا) ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الرابع ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦) ، ص ٢٦٥ .

داخل البر الإفريقي ، ومنها انتشر تجاره ووكلاؤه التجاريون في شبكة من النشاط التجاري الذي يغطي كل الساحل الإفريقي [(١)].

و أصبحت زنجبار مركزاً تجارياً وثقافياً انطلقت منه قوافل التجار المسلمين، تتاجر وتبشر بالإسلام في وقت واحد وسط قبائل الداخل [(٢)].

وكانت التجارة العربية كثيفة إلى حد أن شاعت إحدى النكات القائلة : إنهم حينما يلعبون على المزمار في زنجبار يرقص الناس على سواحل البحيرات الكبرى [(٣)].

و تمكن السلطان سعيد من تكوين دولة ذات قوة اقتصادية في شرق إفريقية، قاعدتها جزيرة زنجبار ، فهي ذات موقع متوسط بين موانئ شرق إفريقية ، وكان المسلمون فيها هم القوة المسيطرة [(٤)].

و نجد أن انتشار الإسلام في شرق إفريقية قد اقترن بالتجارة منذ دخوله الأول وحتى يومنا هذا ، وعبر ترمنجهام عن الصلة المهمة بين الإسلام والتجارة بقوله : " إن الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير " [(٥)].

---

(١) رودولف سعيد روت : سلطنة عُمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١ - ١٨٥٦م) ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي ، البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، د.ط ، (١٩٨٣م) ، ص ١١٧ .

(٢) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٣) رونالدو أوليفر ، أنتوني أتمور : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٤) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٥) حورية مجاهد : تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد والوسائل ، ص ٢٢ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

إن منطقة شرق إفريقية شهدت تغيراً ملحوظاً منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وذلك بسبب التوسع الاقتصادي الذي طرأ بسبب الحاجة غير المسبوقة إلى سلع شرق إفريقية [1] ، وطلب السيد سعيد من التجار العرب والمغامرين ارتياد الداخل أي البر الإفريقي ، وتطوير تجارة القوافل في محاولة لربط الداخل بالساحل [2] .

وعمل السيد سعيد على توفير كافة الضمانات لنجاح التجارة الداخلية ، وعلى الأخص تجارة القوافل العربية التي تمر بداخل القارة الإفريقية ، وسلكت هذه القوافل كافة الطرق التجارية الممتدة داخل القارة ، وانتعشت الطرق القديمة .

وفي أواخر عهد السيد سعيد عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م تم فتح طريق تجاري جديد يربط الساحل الشرقي لإفريقية بساحلها الغربي عبر بحيرة تنجانيقا [3] .

لقد أدى التوسع التجاري إلى نشأة ثلاثة طرق رئيسية لتجارة القوافل العربية المتجهة من ساحل شرق إفريقية نحو الداخل ، وهي ذات أهمية خاصة فيما يتعلق بنشر الإسلام في المنطقة وهي كالتالي :

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٢) بنيان سعود التركي : زنجبار وجوارها الأفريقي ، ص ١٢٠ .

(٣) عمان في التاريخ : ص ٤٩٤ .

- الطريق الشمالي الممتد من ممباسة ومالندي إلى هضبة البحيرات الإفريقية، وكان يسيطر عليه قبائل الأكامبا والميجكندا قبل أن يسيطر عليه العرب ابتداء من الأربعينات من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، وكان ارتياد هذا الطريق محفوفاً بالمخاطر بسبب تعرض القوافل التي ترتاده لهجمات قبائل الماساي المحاربة . وقد شهد هذا الطريق الرحلات التجارية مؤخراً وبدرجة أقل . فهذا الطريق شهد في عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م أول رحلة تجارية للعرب المسلمين ، على ما يبدو ، وذلك حين استكشفه بعض التجار الذين ذهبوا بعيداً حتى بحيرة برينغو غرب كينيا جنوبي بحيرة تركانا . غير أن الرحلات التجارية المنتظمة لم تجد سبيلها إلى هذه الطريق إلا بعد عشرة أعوام وما زاد من ذلك التاريخ ، أي في أواخر ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري[١] .

- أما الطريق الثاني الذي سلكه الإسلام إلى الداخل وسلكته العناصر الإفريقية إلى الساحل فهو الطريق الأوسط ويبدأ من الموانئ المواجهة لزنجبار مثل تانغة وبنغاني وبغمايو ويتجه إلى مدن وسط تنجانيقا مثل أروشا وموشي وتابورا ، ومن هذه المدينة الأخيرة يتفرع الطريق إلى فرعين فرع شمالي إلى هضبة البحيرات الاستوائية ، وفرع جنوبي غربي إلى أوجيجي وحوض الكنغو ، وقد زاد حجم التجارة على طول هذا الطريق ابتداءً من أوائل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي بسبب ارتفاع أسعار العاج العالمية ، ودخل العرب والسواحليون في علاقات ودية مع قبائل الانيامويزى والسمبوا التي

---

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٩٤ .

تسكن هذه المنطقة من أجل تسهيل مهامهم التجارية . وكان هذا الطريق أهم الطرق التجارية التي ارتادها العرب لخبرة العرب الطويلة به ، ولأنه كان أكثر أمناً إلى جانب عوائده التجارية العالية [١] .

- الطريق الجنوبي الممتد من كلوة ، عبر جنوب تنجانيقا وشمال موزمبيق ، إلى بحيرة نياسا. ولم يكن العرب يسيطرون عليه إلى حد كبير؛ لأن جزءاً منه كان يقع تحت الإدارة البرتغالية ، وتمكن العرب من التحالف مع قبائل الياو التي كانت تجلب العاج والمنتجات الإفريقية الأخرى وتبيعها لتجار القوافل العربية [٢] .

هذا وتجدر الإشارة إلى أن الطرق التجارية كانت في بعض الأحيان تتغير بسبب النزاعات أو بسبب تذمر زعماء القبائل ، أو لأسباب أخرى تتعلق بالأمن العام . فعلى سبيل المثال ، في عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م جعلت هجمات إنيمويزي بقيادة ميرامبو في الشمال والشمال الغربي من بحيرة فكتوريا طريق كراغوى خطراً جداً على التجار العرب المسلمين ، وهو ما أدى إلى إجبار هؤلاء على المرور عبر منطقة لطالما اجتنبوها ، وهي منطقة سوكوما [٣] ، حيث

---

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٩٤ ؛ محي الدين محمد مصيلحي : النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة ، العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، (١٩٨٧م) ، ص ١٨٠ .

(٢) عمان في التاريخ : ص ٤٩٤ ؛ محي الدين محمد مصيلحي : المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

(٣) منطقة سكوما : تعني الشمال ، وهي منطقة شمال تنزانيا ، كما هذا الاسم أطلق على الشعوب الشمالية في تنزانيا عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

أصبحت كيغي محطة للاستراحة لهم خلال الرحلة [١].

ونشير إلى أن التجار العرب كانوا عموماً يتجنبون المرتفعات والمناطق الجبلية ، وهو ما يفسر أهمية الطريق الذي ربط زنجبار بالداخل ، إذ إنه كان أقل الطرق مشقة في السفر ، وهو ما جلب إليه الكثير من التجار العرب والسواحليين [٢] ، وقد وجد المسلمون الحاجة ملحة لبناء مستوطنات ومدن كثيرة مؤقتة وغير مؤقتة ، تعمل كمحطات استرخاء وتبادل تجاري ، وقد بنيت أكبر مدن هذا الطريق تابورا الواقعة في أرض شعوب النيامويزى ، وتعتبر مركز ثقل قبيلة النيامويزى ثاني كبريات القبائل التنزانية ، وقد استوطنها عدد كبير من العرب ، فعين زعيم العُمانيين والياً أو سفيراً له اسمه سالم بن سعد ، لينوب عنه في شؤون الجالية العربية المتنامية في المدينة .

وعمل أفراد قبيلة النيامويزى كحمالين وأدلاء للقوافل العربية فتأثر أفرادها بالإسلام ودانو به دون دعوة .و لقد لاحظ المنصرون هذه الظاهرة فعبروا عنها قائلين : " لم يكن المسلمون العرب والسواحليون يرغبون في نشر الإسلام فلم يكونوا يشجعون اعتناقه أو يخذلون عنه بل كانت معاملاتهم وسلوكهم بين النياموزى تغري هؤلاء باعتناق الإسلام " [٣].

---

(١) عبد الرحمن حسن محمود ، المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٢) السابق ، ص ٧٥ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٥ – ٧٦ ؛ عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العُماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٦ – ٢٧ .

إن هذا التعليق من قبل المنصرين يعكس حيرتهم ودهشتهم فإن الجهد الذي يبذله المسلمون في الدعوة إلى الإسلام قليل ؛ إذا ما قورن بالجهد الذي يبذله المسيحيون لنشر دينهم ، فلدى المسيحيين إرساليات كنسية ، وإدارات متخصصة في نشر الدعوة الكنيسية ، ومعاهد للاهوت لتخريج الدعاة تقوم بإرسال الأطباء والإخصائيين البيطريين والزراعيين لأدغال إفريقية ، لذلك فهو اتجاه غير طبيعي ألا يهتم المجتمع المسلم بنشر دعوته ، وتذكر المصادر التاريخية أن هؤلاء العرب لم يبذلوا ، رغم كثرة عددهم في مدينة تابورا ، جهداً كبيراً لنشر الرسالة المحمدية في شعوب النياموزى المستضيفة لهم ، وذلك خوفاً على مصالحهم التجارية ، بالإضافة إلى كونهم ينتمون إلى المذهب الإباضي (١) الذي لم يشتهر أتباعه – على الأقل في شرق إفريقية – بالتحمس للدعوة إلى الإسلام ، خلافاً لنزعة المسلمين السنة المعروفين بميلهم إلى ممارسة النشاط الدعوي في شرق إفريقية .

---

(١) الإباضية : إحدى فرق الخوارج ، وتنسب إلى مؤسسها عبدالله بن إباض التميمي ، ويدعي أصحابها أنهم ليسوا خوارج ، وينفون عن أنفسهم هذه النسبة ، والحقيقة أنهم ليسوا من غلاة الخوارج كالأزارقة ، مثلاً ، لكنهم يتفقون مع الخوارج في مسائل عديدة منها : أن عبدالله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى من الخوارج ، كما يتفقون مع الخوارج في تعطيل الصفات ، والقول بخلق القرآن ، وتجويز الخروج على أئمة الجور . مانع بن حماد الجهني : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، المجلد الأول ، الرياض ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٤ ، (١٤٢٠هـ) ، ص ٥٨ .

و مع ذلك ، بدأ الأفارقة الذين عاشروا هؤلاء العرب الإباضيين يتأثرون بسلوكهم ، وهو ما أدى ببعضهم في النهاية إلى الدخول في الإسلام ، وقد انتهى بهم المطاف إلى تبني المذهب السني حين وصل المسلمون السنة إلى منطقتهم دعاة [١] . ولتابورا أهمية قصوى في التاريخ الإسلامي في إفريقية الشرقية قبل مجيء الاستعمار الأوروبي إلى المنطقة ، وذلك لأنها أدت دوراً مهماً في إيصال الإسلام إلى أبعد المناطق الداخلية . وقد وصل التجار العرب المسلمون انطلاقاً منها إلى أماكن داخلية بعيدة ، كأقصى غربي بحيرة تنجانيقا [٢] .

و تعد تابورا من أكبر المراكز التجارية التي أسسها العرب في داخل القارة على خطوط القوافل ، وتبعد عن ساحل شرق إفريقية حوالي (٦٠٠) ميل ، وتقع إلى الشرق من بحيرة تنجانيقا ؛ وترجع أهميتها إلى موقعها الفريد على ملتقى الطريق الآتي من الشرق من بجمايو ، والطريق الآخر الآتي من تنجا ، ويخرج منها طريق إلى الغرب باتجاه بحيرة تنجانيقا والكنغو ، وطريق آخر يتجه إلى الشمال نحو كاراجوى فبحيرة فكتوريا ، ثم بوغندا ، ولهذا كانت عين المراكز العربية في داخل القارة ، ولقد غصت بالتجارة والسكان الذين يبلغون في بعض الأحيان حوالي أربعين ألفاً من بينهم ١٢٥ أسرة عربية بلغ تعدادها حوالي ٥٠٠ عربي ، مع الأخذ بالاعتبار أن الأسرة كانت أوسع مما هو في مفهومنا الآن فضلاً

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٥ – ٧٦ ؛ عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العُماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

عن أتباعهم وعبيدهم . أما بقية السكان فكانوا من الهنود المتاجرين في الملابس والخرز والسلاح ؛ إلا أن العرب كانت لهم المكانة البارزة من بين هؤلاء جميعاً . وأقام العرب فيها البيوت المتينة ذات المساحات الواسعة ، وأحاطهم الوطنيون بأكواخهم ، واعتنى العرب فيها بعبيدهم ، وأعتقوا من دخل منهم إلى الإسلام ، وأشرفوا على تعليم أبنائهم ، وتلقينهم مبادئ الدين الإسلامي (١) .

و في منطقة بحيرة تنجانيقا أيضاً جرى اهتمام كبير منذ بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي بتعليم اللغة العربية للأهالي في مناطق تابورة وأوجيجي لأنهما تقعان على محور طرق التجارة . وتحدث ليفنجستون خلال رحلته الأولى عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م عن دور التجار العرب في تعليم الكتابة باللغة العربية وأن أحدهم كتب له خطاباً طويلاً بخط عربي جميل (٢) .

وقبل مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي كان الساحل الإفريقي مصدراً لكثير من السلع التجارية في زنجبار ، وكانت الشعوب الإفريقية هي حلقة الوصل بين الأسواق الداخلية والعرب والسواحلية على الساحل .

---

(١) عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقيا في ظل دولة البوسعيديين ، ص ٦٩ – ٧٠ .

(٢) أحمد عبد الدايم : المرجع السابق ، ص ٥٢٤ .

ومن أهم القبائل الإفريقية التي أسهمت في النشاط التجاري مع زنجبار هي قبيلة " الياو" ، وقبيلة " النيكا" ، ولقد حرص زعماء هذه القبائل على حماية الطرق التجارية التي تربط زنجبار مع الساحل الإفريقي (١) .

ولقد كان الياو تجاراً منذ القديم في المنطقة بين الامتداد الساحلي من كيلوا إلى الجنوب في موزمبيق ثم الداخل ، ولقد كانوا يقومون بدور الوسيط مع العرب الذين كانت حملاتهم التجارية تتعامل معهم ، وبسبب هذا الاتصال خرج قليل منهم عن قبيلته وأصبح سواحلياً ، واتخذ زعماء الياو وتجارهم زي السواحليين لأنفسهم ، وانتشرت المساجد ومدارس القرآن في القرى ، وأصبح معظم علماء الدين من الياو أنفسهم وليسوا سواحليين (٢) . وقد سلك التجار الطريق الجنوبي المار بمدينة كوتا كوتا في بحيرة ملاوى (٣) مخترقاً قبائل الياو الملاوية ، وباشروا الدعوة لدين الله ويذكر لنا التاريخ منهم الشيخ سالم بن عبدالله الذي استطاع في عام ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م أن يقنع زعيم الياو بالدخول في الإسلام ويسعى في نشره بين الياو ، وما لبث أن ساد المنطقة وانتزع اعتراف البوسعيدين بسلطته وهو ممثل البداية الفعالة لدخول الإسلام في مناطق الكوتا كوتا وقد حافظ خلفاؤه من بعد على نمط الحياة الإسلامية الذي بدأه خليفته

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

(٢) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٣) سميت بحيرة ملاوى باسم بحيرة نياسا تخليداً لزوجة الرحالة ليفنجستون والتي زارت معه تلك المنطقة . أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٨٧ .

جومبى موينى مقـوزو ١٢٨٧هــ/ ١٨٧٠م الـذي عـرف بتقـواه والنهـوض بواجب تعليم الدين واللغة العربية لأبناء الياو وعلى الرغم مـن وفاتـه وتعيـين الإنجليز خليفة له لم يعرف بإخلاصه في رسالة سـابقه فـإن مدينـة كوتـا كوتـا استمرت ، ولعقود عديدة ، مصدر إشعاع إسلامي وسط قبائل الياو التي كانت تسكن على الجانب الشرقي لبحيرة ملاوى واتجهـت في زحفهـا شـمالاً في اتجـاه الشرق . لقد أصبح الزعيم الياوي " متاكا " متعاطفاً مع المسلمين محباً لهـم منـذ عـام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م كما أصبح الزعيم الياوي " ماكنجيلا " مسلماً عاملاً للإسلام في عام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م وبتولي متاكا الثالث زعامة القبيلة في ١٣٠٣هــ/ ١٨٨٥م أصبح الإسلام هو العقيدة الغالبة بينهم (١) .

و في عـام ١٢٩١هــ/ ١٨٧٤م بـدأ أفـراد مـن آل مـزروع الـذين كـانوا يحكمون مدناً بالقرب من ممبسة في ممارسة نشاط واسع في مجال تجارة الحبـوب ، وإقامة علاقات وصـلات تجاريـة مـع القبائـل المحليـة ، مثـل قبيلـة الجيريامـا الإفريقية ، حيث أظهـروا حـضوراً فـاعلاً في تلـك المنطقـة (٢) . وبالتـالي فـإن الارتباط بالقبائل المحلية شكل ملمحاً مهماً في سياسة العرب الاقتصادية ، ممـا يفـسر تلك العلاقات الجيدة التي نشأت بين العرب والإفريقيين (٣) .

---

(١) عبـدالرحمن أحمـد عـثمان : الـدور العـماني في تقويـة وتأصـيل الإسـلام في شرق إفريقيـا ، ص ٢٥ – ٢٦ .

(٢) صلاح حامد عبدالرحمن : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

(٣) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .

و دفع النشاط الاقتصادي المشتغلين بالتجارة إلى التوغل في داخل البلاد ، وكان تسرب هؤلاء العرب إلى المناطق الداخلية تسرباً سلمياً في أغلب الأحوال؛ واعتاد التجار أن يتخذوا لهم مأوى في المناطق الداخلية يقيمون فيها الشهر أو الشهور يتاجرون ثم يعودون . فأدى هذا إلى نشأة بعض المستقرات الداخلية ، وكانت هذه الصلات التي نشأت غايتها المبادلة التجارية في المحل الأول ، إلا أنها أفضت إلى نشر الإسلام في المناطق الداخلية (١) .

وعموماً ، لم تكن القرى أو التجمعات السكنية التي أوجدها العرب المسلمون في المنطقة كثيرة العدد ، إذا ما أخذنا في عين الاعتبار شساعة الأراضي التي جابها التجار طولاً وعرضاً في شرق إفريقية ، كما أنهم تجنبوا أو أهملوا مناطق واسعة بسبب قلة الموارد المطلوبة ، أو بسبب مشقة السفر فيها . ومن أبرز هذه المناطق منطقة سوكوما الواقعة جنوب بحيرة فكتوريا ، والمتصفة بقلة عاجها ، ومنطقة أغوغو المعروفة بقحطها وعدائية مواطنيها . وعلى الرغم من أنه وجدت مستوطنة واحدة على الأقل في الحدود الجنوبية لهذه الأخيرة ، في منطقة مبوبوا ، فإن اتصال المسلمين بشعب غوغو لم يتأكد في التاريخ (٢) .

وفي كل الأحوال ، فإن أولى المدن أو أول المراكز التجارية للعرب والمسلمين في المناطق الشمالية الداخلية تأسس في عمق أراضي شعب وانغا ، أي

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٠ – ٤٣١ .

(٢) السابق ، ص ٧٧ .

في منطقة مومياس شمال غربي كينيا حالياً ، وقد تلقى التجار المسلمون الترحيب من قبل القبائل في هذه المنطقة ، وذلك لأن زعيم الوانغا شيئأوندو توقع منهم النصرة على أعدائه من قبائل البكوسو على وجه التحديد . وحين تولى ابنه نبونغو موميا زعامة القبائل ، دان بالإسلام هو وعدد كبير من الأسرة المالكة من قبيلة الأبشيتستسي . ونتيجة لذلك ، بدأ العرب المسلمون يتزوجون من بنات هذه القبيلة . وما إن جاء العقد الأخير من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي حتى أصبح للمسلمين مدن تجارية مزدهرة بفضل الاستقرار الحاصل بسبب هذا التزاوج في منطقة مومياس ، كما أسسوا مراكز متنقلة وصغيرة الحجم للتزود بالمؤن الضرورية على طول الطريق في أثناء الرحلات التجارية ، ومن أبرز الأماكن التي أسسوا فيها مراكزهم المتنقلة كتوإ ومشاكوس وإلدامى رفين (١) .

وقد ظل الإسلام حتى الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي محصوراً إلى حد كبير في الساحل والأراضي القريبة منه ، وذلك على الرغم من بعض الدلائل التي تشير إلى وجود نوع ما من الصلات الدبلوماسية والتجارية والدينية مع بعض القبائل الكينية في الداخل في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، وبخاصة مع قبائل الديجو إلى الجنوب من ممباسة ، وقبائل راباي ورايبي ودوروما ، الواقعة في

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٧ – ٧٨ .

الغرب ، ثـم قبيلـة جرياما في منطقـة مالنـدي ، والقبائـل القاطنـة في المنطقـة الحدودية بين كينيا وتنزانيا ، مثل الـكامبي وجبانة . وقـد سـبق توغـل التجـار المسلمين إلى الداخل في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عـشر المـيلادي ، علاقات مـصاهرة ، وعلاقـات عهديـة بـين مـسلمي الـساحل وبعـض تلـك المجموعات القبلية مثل مجموعـة " ميجيكنـدا " التـي أمـضى معهـا المـسلمون معاهدات دبلوماسية وحربية بغرض تأمين طرق تجـارة القوافـل المتجهـة مـن الساحل إلى الداخل ، وكثيراً ما كان يدفع التجار المـسلمون المكـوس لرؤسـاء تلك القبائل مقابل حمايتها وتـأمين سـيرها في أراضـيهم ، كـما أن بعـض تلـك القبائـل مثـل " درومـا " و" رابـاي " عملـوا وسـطاء بـين التجـار العـرب السواحليين وبين بعض قبائل الداخل كقبيلة " كامبا " الأمر الذي سهل مهمة الاتصال فالتجارة فانتشار الإسلام في أوساط تلك القبائل ، فقد كان لمثل هـذه الصلات الفضل الأكبر في دخول عدد من أفراد القبائل القاطنة للجنـوب مـن ممباسة في الإسلام (١) .

هذا التغلغل التدريجي للإسلام في المنـاطق المتاخمـة للـساحل ، وفي بعـض مناطق الداخل القريبة منها والذي تم في الفترة التي سبقت القرن الثالث عـشر الهجري / التاسع عشر الميلادي مباشرة ، كان بمثابـة المقـدمات التـي مهـدت لدخوله إلى أراضي كينيا الداخلية في النصف الثاني مـن ذلـك القـرن ، وكانـت

(١) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٦٨ – ٦٩ .

تلك المراكز التجارية ، والمستوطنات التي أقامها تجار الساحل المسلمون على طول الطرق التجارية التي ربطتهم بالداخل ، مراكز إشعاع إسلامي ، انتشر فيها ومنها الإسلام إلى ما جاورها من مناطق ، حمله التجار كونهم تجاراً وليسوا مبشرين إلى سكان تلك الجهات ، فكان انتشاره مرتبطاً بالتجارة وبقوافلها وبطرقها التجارية ، وقد زاد نشاط التجار وزادت صلاتهم بالداخل ، وزاد تغلغل الإسلام إلى هناك بل وأوجد لنفسه خلايا ومراكز في مناطق كينيا الداخلية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، حيث زادت تحركات التجار المسلمين من عرب وسواحيليين إلى الداخل بعد أن كانت في الفترة السابقة تحركات من الداخل إلى الساحل المسلم ، يقوم بها بعض الوسطاء المحليين – مثلاً من قبائل " كامبا " ، حاملين العاج وغيره من سلع الداخل لبيعه للتجار المسلمين في الساحل (١).

و لم يتمكن العرب والسواحيليون من إقامة مراكز مهمة ودائمة كالتي أقامها رصفاؤهم في تابورا وأوجيجي في تنزانيا ؛ ذلك أنهم واجهوا شيئاً من عدم الترحيب بهم ، بل العداء في أحيان ، من بعض قبائل كينيا الكبرى ، مثل الماساي الذين خلت سهولهم من مثل تلك المراكز ، ومثل قبائل الكيكويو الذين سمحوا ، على مضض ، بإقامة بعض النقاط التجارية في أطراف أراضيهم ؛ ذلك أن علاقتهم بتجار الساحل المسلمين لم تكن ودية ، والواقع أن نجاح

---

(١) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

أولئك التجار كان أعظم أثراً في أوساط سكان المناطق الغربية من كينيا ، حيث أقاموا العديد من القواعد التجارية ، ومن الصلات البشرية مع السكان ، مما مكن لانتشار الإسلام في تلك الأصقاع ، في الوقت الذي ظل فيه انتشار الإسلام محدوداً لدرجة بعيدة في أوساط قبائل " الكيكويو " مثلاً ، ولعل السبب في ذلك هو عدم حماسة الكيكويو للاتجار مع أهالي الساحل المسلمين ، بل وربما معارضتهم للسماح لأولئك المسلمين بممارسة التجارة في أراضيهم [١].

و لكن نشاط التجار المسلمين وسلوكهم ، وعيشهم في ترابط وتآخ ، والأمانة التي عرفوا بها في معاملاتهم مع الأهالي ، ونوع السلع التي أحضروها (أسلحة والسلع الكمالية) أمالت إليهم بعضاً من أولئك الأهالي ، الذين تحولوا إلى الإسلام بفضل القدوة الحسنة ، كما أنها زادت من سمعة أولئك التجار ، فازدادت الحركة التجارية في السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، وظهرت مراكز تجارية جديدة ، كان لها أعظم الأثر في نشر الإسلام فيما جاورها من أراض ، مثل المراكز التي ظهرت في "كتوتو " و" ساباي " و" مومياس " [٢] ، وقد كانت هذه الأخيرة هي العاصمة المهمة لمملكة الـ " وانغا " في غربي كينيا –كما سبق وأشرت إلى

(١) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٢) السابق ، ص ٧١ .

ذلك - والتي ظل حاكمها " موميا" حليفاً مخلصاً للتجار العرب والسواحليين الذين جاؤوا إلى مومياس باحثين عن العاج والسلع الأخرى في مقابل ما أحضروه معهم من سلع كالقماش ، والخرز ، والقرنفل ، والأسلحة النارية ، وقد كان من بين أولئك القادمين رجال مثل الشريف أبو بكر دعاة ، وشريف حسن عبدالله المهدي ، وشريف عمر ، وآخرين جلهم من أسر الأشراف الحضرمية التي أشرت إليها سابقاً ، ومعهم آخرون من السواحليين من أمثال محمد كومبو ، وجومبو أكيدا موينى ، وأكيدا جواموغابي ، وآخرون غيرهم (١).

ويبقى ثابتاً أن التجار العرب والسواحليين القادمين من ممباسة في الساحل إلى " كيسومو " هم الذين نشروا الإسلام في " مومياس " في غربي كينيا في الفترة ١٢٨٧-١٣٠٣هـ / ١٨٧٠ - ١٨٨٥م ، وإن الشريف حسين عبدالله من منطقة " بانقاني " هو الذي بدأ إرسال القوافل التجارية إلى مومياس حاضرة قبائل الوانغا التي أثمرت عن تحول موميا رئيس قبائل الوانغا إلى الإسلام بطريقة لا تخلو من الدراماتيكية أثناء أحد الاحتفالات بالعيد ، وحيث اختار لنفسه اسم " محمد موميا " ، وقد تبعه العديد من وزرائه وإخوانه الثلاثة (كاديما ، ملاما ، وموروننقا) ، والكثير من رعاياه ، فدخلوا في دين الله ، مؤكدين بذلك صحة القاعدة التي سار عليها أولئك التجار في الدعوة إلى الله ،

---

(١) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٧٢ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٨ .

وهي تركيزهم على رؤساء القبائل والوجهاء لعلمهم أنه إذا أسلم أولئك تبعهم كثير من رعاياهم . ولقد شجع إسلام الزعيم محمد موميا الشريف حسن عبدالله فأرسل عدداً من الدعاة إلى أجزاء أخرى من غربي كينيا ، فمثلاً أرسل المعلم غازيتي ليبشر بالإسلام في شييوي " كاماميغا " الواقعة في الإقليم الغربي، كما أرسل عدداً من المعلمين إلى إقليم نيانزا مثل المعلم " ماسانقيني " الذي بعث إلى "كيسي" وأرسل عدداً آخر إلى إقليم وادي الأخدود – ولقد اتصف نشاط أولئك الدعاة الأوائل ببعض السمات التي انعكست على طبيعة ونوع الإسلام الذي انتشر في تلك الجهات ، فقد كان نشاطهم فردياً ، ومحصوراً في المراكز الحضرية – المدن ومراكز التجارة وما حولها – وكان الإسلام الذي نشروه هناك هو الإسلام المعروف باسم إسلام التجار ، إسلام بسيط خال من التعقيد ، والتفاصيل ، وقد تشوبه بعض الشوائب بسبب الجهل أو الفهم البسيط لبعض مبادئه الأساسية [١].

وكانت المراكز والمستوطنات العربية داخل إفريقيا تخضع بصورة مباشرة أو غير مباشرة للسلطنة العُمانية العربية في الساحل الشرقي لإفريقية ، وقد سجل لنا التاريخ أن سلطان زنجبار كان يعين حكاماً محليين من أهالي البلاد يدينون له بالتبعية والولاء ، وفي بعض الأحيان يرسل بحكام من العرب ، أو السواحليين مع حامية قليلة العدد يعمل الحكام على زيادة عددها باستخدام

(١) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٧٢ – ٧٣ .

السكان المحليين بحيث يتم حفظ نفوذ السلطان وسيطرته [١]. وكانت هناك حالات معينة استطاع فيها العرب أن يقهروا الحكام المحليين، ويستولوا على السلطة مثل تنجانيقا وأنياموزيز أيضاً . غير أن هذه الأحوال كانت أحوالاً شاذة، إذ كان العرب – عامة – يحصلون على ما يريدون من رقيق وعاج عن طريق التجارة، وليس عن طريق القوة [٢].

وحسب وصف أوليفر فإن هؤلاء التجار لم يقوموا بأي محاولة للاستيلاء على مقاليد الحكم في المنطقة، أو يقوموا بأي تسلط إمبريالي . وفي الوقت نفسه كان هؤلاء التجار ينظرون إلى سلطان زنجبار على أنه حاكمهم وصاحب النفوذ عليهم، فكانوا يلبون مطالبه، وبلا ريب إن هؤلاء التجار نجحوا في حفظ نفوذ زنجبار السياسي والتجاري في تلك الأرجاء من إفريقية [٣].

و قد نشطت تجارة العبيد نشاطاً كبيراً في المنطقة، بحيث عد هذا العصر الذهبي لتجارة العبيد لا في منطقة شرق إفريقية فحسب، وإنما في إفريقية كلها، وبخاصة في إفريقية الغربية التي كانت حكراً لصيادي الرقيق المسيحيين،

---

(١) رأفت غنيمي الشيخ : الأفرو عربية ككيان سياسي وحضاري(نموذج الدول العُمانية بشرق إفريقيا) ، ص ٢٦٨ .

(٢) علي حسين الشطشاط : الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة ، الجماهيرية العظمى ، مجلة الجامعة الأسمرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، (٢٠٠٣م) ، ص ٤٥٣ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

حسب ترمنغهام الذي يقول في هذا الصدد : فبينما كان الساحل الغربي لإفريقية يشكل المصدر الرئيسي لتجار الرقيق الغربيين ، كان الساحل الشرقي وقفاً على التجار العرب [١].

والجدير بالذكر أيضاً أن كوبلاند وغيره من الكتاب الأوروبيين حاولوا تحميل العرب وزر تجارة الرقيق في شرق إفريقية باعتبارهم هم الوسطاء الذين كانوا يمدون المراكز التجارية بالعدد اللازم من الرقيق ، ولكن هذا التقدير بني على أساس غير سليم ، فلو طبقنا نفس تلك النظرية على مأساة الرقيق في غرب إفريقية ، وكما يعترف كوبلاند ، بأن هذه التجارة أفقدت القارة عشرات الملايين، ومما لا شك فيه فإن القبائل الإفريقية تتحمل جانباً من المسؤولية عن تلك التجارة في سواحل غرب القارة لأنها كانت تقدم الأسرى من الإفريقيين للتاجر الأوروبي [٢].

و انساق الكثيرون وراء الاتهامات الغربية بأن الوجود العربي في تلك المناطق كان هدفه الأساسي هو الحصول على الرقيق ، وكانت هذه الاتهامات قد تصاعدت منذ ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري مع الجدل القائم بين فرنسا وبريطانيا بشأن جلب العرب للرقيق من الداخل . مع

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٢ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٢) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

أن منطق الأمور يقول بأنه إذا كانت رغبة العرب تتمحور في الحصول على الرقيق ، فهم ليسوا بحاجة إلى التوغل للداخل . والدافع الحقيقي لذلك التوغل يتمثل في معرفة العرب بامكانات المنطقة اقتصادياً، ولم تقترن تلك المعرفة بالنصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، بل بدأت مع حدوث الاحتكاكات بين العرب وإفريقي الداخل في العصور الوسطى ، لكن التحول الحقيقي في إدراكها بدأ منذ ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، وتصاعد مع منتصف القرن ، فتسبب في هذا الاندفاع العربي الكبير للداخل ، خاصة بعد ارتباط الساحل الشرقي بمنظومة التجارة الدولية [(١)].

و قد كتب الباحث الإنجليزي بازل دافيدسن عن تجارة الرقيق التي قام بها الأوروبيون حيث قال : لم تكن تجارة العرب للزنوج إلا نكبة خفيفة على أطراف القارة وفي داخلها ، ولكنها اتخذت معنى جديداً حين شرعت السفن الأوروبية تنقل آلاف الشباب من الداخل والساحل ، وأصبحت بين يدي الأوروبيين تجارة أشبه ما تكون بالموت الأسود ، حيث قضى على ما يقرب من ثلث أهاليها [(٢)] .

إن القول بأن الإسلام انتشر في إفريقيا عن طريق التجارة بدون ذكر أي

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٥١ – ٤٥٢ .

(٢) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

نوع من تلك التجارة ، يخفي حقائق مرة كهذه ، وذلك على الرغم من أن ما يقوله الباحثون الغربيون ، ينطوي أحياناً على الكثير من المبالغات لتشويه سمعة العرب والمسلمين . ومهما يكن من أمر ، وبصرف النظر عن النتائج الإيجابية التي قد تنتج أحياناً من اختطاف السود بهذه الطريقة بدخولهم في الإسلام ، وتأثير بعضهم في عشائرهم أو قبائلهم ، وبالتالي تحويلها إلى الإسلام ، فإن شرق إفريقية ، وبخاصة المناطق الداخلية ، لم يشهد في هذه الفترة نشاطاً دعوياً كبيراً ، على ما يبدو ، ولم يبذل العرب والمسلمون جهوداً كبيرة في نشر المعارف الإسلامية بين القبائل الإفريقية هناك ، وإنما كانت جهودهم مقصورة فقط على الحدود الساحلية في أول الأمر – كما أسلفت سابقاً – [1] .

و يذكر السير توماس في هذا الصدد ، مع شيء من المبالغة ، أن العرب لم يكونوا يوماً دعاة إسلام في هذه البلاد ، ولم تكن هناك بعثات تدعو إليه ، وإنما أقنع العُمانيون عبيدهم بأن يسيروا وفق الشعائر الدينية ، بينما تركوا القبائل سعيدة بجهلها المطبق [2] .

و يبدو أن أولئك العرب والمسلمين ، الذين كانوا يعملون في تجارة العبيد ، كانوا يتعمدون عدم إبلاغ الدعوة إلى القبائل الإفريقية هناك . والسبب ،

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٨ – ٦٩ .

(٢) سير توماس أرنولد : المرجع السابق ،ص ٣٨٠ – ٣٨١ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٩ .

ببساطة ، هو أنه لم يكن في مصلحة تجار الرقيق أن ينتشر الإسلام بين هذه القبائل التي يأخذون منها ضحاياهم ؛ إذ في حال تحولها إلى الإسلام سيتعين عليهم التآخي معها في الدين ، فيصبح من الصعب الإغارة عليها واسترقاقها (١) . هذا وتجدر الإشارة إلى أن هذه العصابة من تجار الرقيق لا تمثل العرب والمسلمين بأي حال من الأحوال ، إذ إنهم قلة قليلة خارجة عن المألوف، وإن كنا لا ننكر أن الفقهاء حللوا الرق ، وتفننوا في تنويع أسمائه حسب الحاجات والظروف (٢) .

و مما يذكر أيضاً أن العرب لم يجلبوا معهم تجارة الرقيق فقد كانت هذه التجارة معروفة بين السكان المحليين قبل قدوم العرب بوقت طويل (٣) . ومهما يكن من أمر ، فإن هذه الطريقة كانت ، رغم سيئاتها ، تؤدي إلى نتائج إيجابية في بعض الأحيان .حيث بسبب الحاجة المتزايدة وغير المسبوقة إلى سلع شرق إفريقية محلياً وعالمياً ، أصبح ولوج المناطق الداخلية في شرق إفريقية ملحاً ، لتلبية حاجتي العرض والطلب الضروريتين لديناميكية الاقتصاد في المنطقة .

---

(١) سير توماس أرنولد :المرجع السابق ، ص ٣٨٢ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٢) عبدالله إبراهيم التركي : تجارة الرقيق في سلطنة عُمان وموقف بريطانيا تجاهها ، ١٢٣٧- ١٣٢٣هـ، / ١٨٢٢ - ١٩٠٥م ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، (٢٠٠٠م) ، ص ٣٥ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٣) عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٥٥ .

فكانت النتيجة قيام المسلمين بغزو المناطق الداخلية في شرق إفريقية تجارياً ، وعدم اكتفائهم هذه المرة بما يجدونه من سلع بواسطة الشعوب الإفريقية ، وإنما يغامرون بأنفسهم بما يحقق لهم قدراً أكبر من الأرباح الاقتصادية . وإذا ما نظرنا إلى هذا التوغل من الناحية الإيجابية ، نستنتج أن الدخول إلى الأعماق الداخلية للمنطقة كان يفترض أن يؤدي إلى نتائج إيجابية ، منها أن تألف الشعوب الإفريقية القريبة من الساحل الإسلام ، من خلال استضافتهم التجار العرب المسلمين الذين يسعون هذه المرة إلى مسالمتهم ، قبل أن تقتنع هذه الشعوب بالدخول في الديانة الجديدة ومن الإيجابيات المفترضة أيضاً أن اصطياد الرقيق كان يصل هذه المرة إلى شعوب جديدة ، وهو ما قد ينعكس عليها إيجاباً إذا ما دخل عبيدها في الإسلام وعادوا إليها يوماً ما ، على الرغم من الآلام التي يسبب لها فقدان بعض أفرادها في العملية . وهذا يعني أن الإسلام ربما كان ينتشر بهذه الطرق عن غير قصد [1] .

لكن الذي لاشك فيه أن الدعوة الإسلامية كانت تسير بجانب التجارة ؛ لأنه أينما سارت التجارة العربية سارت معها الدعوة الإسلامية إن لم تكن تسبقها ، ولقد كان العمل التجاري في الداخل يستدعي أن تقوم هناك حملات ، تصحب القوافل لحمايتها من سطو اللصوص ، أو تعرض زعماء القبائل لرجال القافلة ونهب المواد التجارية ؛ وذلك لأن تلك الحملات كانت تضمن وصول

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٢ – ٧٣ .

القافلة إلى أهدافها وأماكنها المرسلة إليها ، كذلك كان يتم هناك عقد اتفاقيات تجارية مع الزعماء الأفارقة في الداخل ، ولذلك كان الاستقرار العربي في الداخل يأخذ أبعاداً أخرى حيث يسهل اقتحام الداخل وتوغل العرب [١] .

ووثق العرب صلاتهم بإفريقي الداخل وتعاونوا معاً من أجل تسويق مواد التجارة القادمة مع القوافل من الساحل وفي جمع مواد التجارة الداخلية ، ومع القوافل التجارية وصلت إلى الداخل طرق معيشية جديدة ، وزاد مستوى الطموح الفردي [٢] .

ولاحظ الرحالة الأوروبيون ذلك حيث تأثروا بأنشطة رخاء واكتفاء المناطق الداخلية العديدة التي قاموا بزيارتها . وعلى سبيل المثال كتب السير ريتشارد بورتون بعد رحلته إلى بحيرة تنجانيقا عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م " يعيش الإفريقي في تلك المناطق في حالة رخاء ممتازة .

فيرتدي ملابس جيدة ، ويأكل طعاماً جيداً ، ويقيم بطريقة أفضل من (المزارع) في الهند البريطانية " [٣] .

و أدى إخفاق بعض القوافل التجارية إلى استقرار رؤسائها العرب

---

(١) عبدالفتاح مقلد الغنيمي : الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا ، القاهرة ، عالم الكتب ، د.ط ، (١٩٩٧م) ، ص ٧١ .

(٢) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ٢١٤ .

(٣) رونالدو أوليفر ، أنتوني أتمور : المرجع السابق ، ص ١١٥ – ١١٦ .

بالداخل وزيادة انصهارهم في الحياة الإفريقية ونمو العلاقات الودية بينهم . وكان استقرار القوافل مبعثه الخوف من الدائنين الهنود في الساحل ، وأدى هذا الاستقرار إلى زيادة سكان المدن الجديدة التي تركز فيها العرب في الداخل ؛ إذ زاد عدد سكان أوجيجي من نحو ثلاثة آلاف في السبعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري إلى نحو خمسة آلاف في أواخر الثمانينات [١] .

كذلك إن ازدياد حركة التجارة بين الساحل وأواسط كينيا وغربها ، والهجرة المتزايدة من الريف إلى المدن ، بسبب الحالة الاقتصادية المتردية في الريف في فترة أواخر القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، كانا من أهم عوامل نشر الإسلام في داخل كينيا ، فقد أوجد نمو النشاط التجاري صلة من عناصر قبائل الكمبا والكيكويو وبين المسلمين الموجودين في ممباسة ، وفي أماكن شتى داخل البلاد ، الأمر الذي ترتب عليه دخول هذه المجموعات في الإسلام ، وبخاصة بعد استقرار أعداد منها في أماكن تجمعات المسلمين [٢] .

وقد كان للأخوين التاجرين عبيد مبارك دومان ومحمد مبارك دومان السبق والفضل في بناء أول مسجد في مدينة مورانقا في عام ١٣١٣هـ /

---

(١) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ٢١٣ – ٢١٤ .

(٢) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

١٨٩٥م ، وفي تحويل عدد كبير من السكان إلى الإسلام ، حيث رحلا إلى أرض كيكويو وشيدا جامعاً في قلعة التل وعلما الناس أمور دينهم ، ولقد أصبح من العادة أن ترى جوامع ومدارس في تلك المناطق البعيدة جداً عن الساحل فقد كان للتجار المسلمين الفضل الأكبر في نشر الإسلام في تلك الجهات [١] .

كذلك إنه في نهاية عام ١٣٠٨هـ/ ١٨٩٠م نجد أن الإسلام قد توطن بصورة أكبر وسط الزارمو الذين كانوا يقطنون على بعد حوالي عشرة أميال من دار السلام ؛ بينما كان ضعيفاً وسط أخوانهم الذين يسكنون على بعد عشرين ميلاً إلى الداخل لضعف علاقاتهم بالتجار المسلمين . وكان أوضح مظاهر الإسلام لدى تلك المجتمعات هي بناء المساجد [٢] . وقبائل الزارامو كان لهم اتصال كبير بالتجار المسلمين ساعدهم على تمهيد الأرض للدخول في الإسلام على هذا النحو الكبير [٣] .

لقد استغل التجار هذا الوجود لصالح الحركة التجارية ولصالح الحركة الإسلامية ؛ وذلك أنهم أثناء تواجدهم في الساحل أو الداخل كانوا يتوددون إلى الناس ويخالطونهم ، وكانوا يؤثرون فيهم بنظافتهم وأمانتهم وسلوكهم القويم ، بل ويصاهرونهم لقلة ما كان معهم من نساء عربيات مما كان يؤدي في

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ ؛ تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٢) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٤ .

(٣) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

النهاية إلى دخول كثير من الأهالي الأفارقة في الإسلام ، وساعد على ذلك أن كثيراً من هؤلاء التجار كانوا يجمعون بين حرفتي التجارة والتعليم ، فإذا ما استقر بهم المقام في الداخل أو على الساحل أنشؤوا كتاتيب لتعليم القرآن الكريم أو بنو مسجداً لأداء الشعائر الدينية ولتعليم الناس قواعد الإسلام وشعائره الصحيحة ، في نفس الوقت الذي كانوا يقومون فيه بنشاطهم التجاري [١] .

وربما كان دكان التاجر نفسه ينقلب في الليل إلى مكتب أو كُتاب صغير يستقبل فيه الأطفال والأولاد لتعليمهم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم ؛ جلباً للثواب ونشراً للإسلام من جهة وتوطيداً لعلاقته بالأهالي ، فيزداد الإقبال عليه وعلى حانوته وسلعه وبضائعه من جهة أخرى . وبذلك أصبحت كل أسرة تحتوي على بذرة إسلامية صغيرة تتمثل في هذا الطفل أو ذاك، وبالتدرج يشب هؤلاء الأطفال على الإسلام ، وتظهر أسر إسلامية في ذلك المحيط الوثني الكبير ، وشيئاً فشيئاً يزداد عدد هذه الأسر فيعم الإسلام ويزداد انتشاره بين القبائل الإفريقية على أيدي هؤلاء الأفارقة أنفسهم ؛ لأن هذه القبائل كانت تعيش على الرعي ، فكانت كثيرة التنقل والارتحال من مكان إلى آخر ، ولذلك نشرت الإسلام حيثما حلت [٢] .

---

(١) هيفاء أحمد المعمري : العُمانيون ودورهم الثقافي في شرق أفريقية ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) ، ص ٧ – ٨ .

(٢) السابق ، ص ٨ .

وهكذا كان التجار منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي هم أول من حمل الإسلام إلى داخل القارة وهيؤوا الأرض لانتشار هذا الدين بقدر ما وسعهم الجهد وهيأت لهم الظروف ، ورغم أننا لا نعرف إلا القليل عن جهودهم في هذه المناطق النائية ، على أن بعض السكان هناك انجذبوا إلى الإسلام متأثرين بما كانوا يرونه من الشعائر الدينية التي كان يقوم بها هؤلاء التجار . كما أن الحماية التي كان يسبغها رؤساء القبائل أو الحكام الأفارقة على هؤلاء التجار في تلك المناطق النائية ، أدت إلى رفع شأن دين هؤلاء التجار والثقافة التي كانوا يحملونها (١) .

و إن كان من الملاحظ أن الهدف لم يكن أساساً نشر الإسلام ولا السيطرة على القبائل والجماعات الداخلية أو على السلطة القائمة بها من جانب التجار ؛ حيث كان هدفهم الأساسي التجارة ، ولكن جاء انتشار الإسلام من خلالهم تلقائياً . وفي الوقت الذي استفاد فيه الحكام من دور التجار الوظيفي بالنسبة لسلطتهم استفاد التجار من نشر تجارتهم ومما حققه الحكام من أمن وتيسيرات يسرت سبل التجارة . كما استفاد الحكام من الانفتاح على العالم الخارجي (٢) .

---

(١) هيفاء أحمد المعمري : المرجع السابق ، ص ٨.

(٢) حورية مجاهد : الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية ، ص ٢١٧ .

إن النشاط التجاري أيضاً أدى إلى توسع نطاق انتشار اللغة السواحلية (١) فانتشرت جنوباً حتى موزمبيق وإلى داخل القارة ، فضلاً عن الجزر المقابلة للساحل الشرقي للقارة (٢).

و إذا كانت اللغة السواحلية قد بدأت في الانتشار بين سكان المناطق الساحلية والمدن الرئيسية خاصة في ممباسا وزنجبار ، فقد امتد نفوذها على أيدي التجار في داخل القارة غرباً حتى المناطق الشرقية من حوض الكنغو وفي جميع أرجاء نياسلاند ، وفي تنجانيقا حيث لا نجد قرية من قراها لا يتكلم أهلها اللغة السواحلية وأيضاً في كينيا (٣).

---

(١) اللغة السواحلية : هي نتاج لاختلاط المهاجرين العرب بدماء البانتو ولغاتهم . عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٦٨ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٧٩ .

(٣) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .

المطلب الثاني : المزارعون والحرفيون ودورهم في نشر الإسلام :

لقد كان للوجود العربي الإسلامي في شرق إفريقيا تأثير واسع المدى في مختلف القطاعات الاقتصادية ، خاصة الزراعة والتجارة ، وهذا الوجود كان مصاحباً لخبرات زراعية مكتسبة منذ فترة طويلة حيث استحوذت الزراعة على اهتمام الإنسان العُماني منذ القدم . فكانت زنجبار ، بالرغم من خصوبة تربتها وتوافر العناصر الأساسية للزراعة فيها ، إلا أن افتقاد أهلها للخبرة الزراعية المناسبة لم يساعد على استغلال هذه الموارد ، فقد عاش فيها الإنسان على مستوى الكفاف (١) .

و مع الوجود العُماني في زنجبار ، شعر العُمانيون أنه يمكن توظيف خبراتهم الزراعية ، من أجل تطوير هذا القطاع ، وقد أسفر ذلك عن إنتاج العديد من المنتجات الزراعية ، والتي لم تكن تعرفها زنجبار من قبل (٢) .

فبعد أن هاجر العرب المسلمون إلى منطقة شرق إفريقية ، وجدوا التربة الخصبة الغنية والمياه الغزيرة التي يندر وجودها في موطنهم الأصلي ، فشجعهم ذلك على الاهتمام بالزراعة إلى جانب اهتمامهم بالتجارة ، فقاموا بزرع مساحات واسعة من الأرض بمختلف المزروعات ، ونتيجة لاشتغال العرب المسلمين بالزراعة في شرق إفريقية ، فقد أحدثوا تطوراً كبيراً في أساليب الزراعة

---

(١) حمامة خلفان غيث : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

وأنواع المزروعات ، وأدخلوا أساليب وأنماطاً زراعية جديدة لم تكن معروفة من قبل. فالزراعة التي كان يمارسها سكان الساحل من الأفارقة ، قبل وصول العرب واستقرارهم هناك ، كانت من النوع البسيط البدائي الذي تستخدم فيه الفؤوس أو العصي المدببة ، فطور العرب ذلك واستخدموا المحراث [١].

و يرجع إلى السلطنة العربية بشرق إفريقية في عهد السلطان سعيد وخلفائه من بعده الفضل في النهوض بالزراعة [٢] ، ولقد ساعد الاستقرار الذي ساد تلك الفترة وقوة شخصية السلطان سعيد ، على إحداث ثورة زراعية ، خاصة بعد إدخال زراعة القرنفل في الجزيرة الخضراء [٣] وزنجبار والتوسع بها [٤]. حيث أدخل زراعة القرنفل إلى زنجبار لأول مرة في عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م وهي التي تعتبر عماد إنتاجها [٥] .

---

(١) علي حسين الشطشاط : المرجع السابق ، ص ٤٥٦ .

(٢) رأفت غنيمي الشيخ : دور عُمان في بناء حضارة شرقي أفريقية ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الثالث ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص ١٧٠ .

(٣) الجزيرة الخضراء : وهو الاسم الذي أطلقه العرب الأوائل على جزيرة بيمبا ، وذلك بسبب الظلال الخضراء التي لا تنقطع عند مشاهدتهم للجزيرة وتقع شمال زنجبار على بعد ٣٢ ميلاً ، وعن البر الإفريقي ٣٨ ميلاً . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٩٨ ؛ سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٥ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

(٤) سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرقي إفريقيا ، ص ٢٠ .

(٥) عبدالله الفارسي : البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ١٤٣ ؛ سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٤٣ ؛ رودولف روث : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

وغدت تتبوأ المركز الأول في إنتاج هـذا المحـصول في العـالم . إن محـصول القرنفل لم يكن زنجباري الموطن ، ولا حتى إفريقي الأصل ، بل نتيجة طبيعيـة للتحرك الاستعماري الأوروبي الذي بدأت طلائعه تظهر في المياه الجنوبيـة مـن الكرة الأرضية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي / التاسع الهجري ، فقـد تمت سيطرة طلائع الاستعمار البرتغالي على الأرض الأصلية لمحصول القرنفل ، وفي خضم الصراع مع قوى استعمارية جديدة ظهرت في المحيط الهندي ، وهـو المستعمر الهولندي ، الذي استطاع الاستيلاء على أرخبيـل الملايـو (إندونيـسيا حالياً) ، الموطن الأصلي للقرنفل ، وكانت جزيرتا جاوة وسومطرة مركزاً لهـذا المحصول ، الذي كان يعد أحد التوابل الباهظة الثمن ، قـدر الفرنـسيون ، إثـر نزولهم ميدان الاستعمار في مياه المحيط الهندي ، أهمية هذا النوع مـن التوابـل ، ولمنع احتكار الهولنديين له نجح بوفر الحاكم الفرنسي لجزيـرة موريـشيوس إلى كسر هذا الاحتكار ، وجلب عدة شتلات من القرنفل من جزر الملايو إلى تلـك الجزيرة عام ١١٨٤هـ/ ١٧٧٠م ، وعندما أثمرت تجربته في زراعـة القرنفـل ، جلب كميات أخرى لتوسيع نطاق زراعته في الجزيرة ، واستثمار زراعته تجارياً ، وما أن حل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي حتى أصـبحت موريشيوس تمتلك مقومات التصدير بكميات تجارية [1] .

ومن الطبيعي أن يثير هذا النشاط التجاري للقرنفل مقاطعـات قريبـة مـن

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨١ – ١٨٢ .

موريشيوس ذات تربة خصبة ، فكان ذلك من نصيب جزيرة زنجبار ، فحسبما تذكر المصادر أن أحد التجار العرب ويدعى صالح بن حريمل العبري (١) جلب شتلات قرنفل من جزيرة موريشيوس بمساعدة رجل فرنسي اسمه سواسي وأحضرها إلى زنجبار ، وقدمها للسيد سعيد (٢) ، ومنذ أن وطئت أقدام السلطان سعيد زنجبار للمرة الأولى استأثر القرنفل باهتمام كبير من لدنه ، وكان ذلك في عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م فوجه جل اهتمامه إلى زراعة القرنفل انطلاقاً من خصوبة الجزيرة وقابليتها لزراعة هذا المحصول (٣).

و في رواية أخرى أن السلطان سعيد قدر بصورة صحيحة أهمية هذا المحصول ، وسرعان ما أرسل أحد رجاله ، ويدعى عبد العلي العجمي ، إلى جزيرة موريشيوس في العام المذكور ليأتيه ببذور القرنفل ، وزرعها قرب بيت المتوني ، وعندما صار المشتل جاهزاً ، أصدر أوامره لرعاياه العرب في الجزيرة بالقيام بغرس ثلاث شتلات قرنفل مقابل كل شجرة جوز هند (٤). فحقق

---

(١) ولد صالح بن حريمل في مسقط عام ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م ، وقد غادرها بحثاً عن الرزق ، حيث زار سيشل وموريشيوس ، وقد تعلم اللغة الفرنسية من علاقاته بالفرنسيين ، وقد عمل بالتجارة ، واستقر في زنجبار في الفترة التي سبقت وصول السلطان سعيد لها . مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٢) عبدالله الفارسي : البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ١٤٣ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(٤) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٤٣ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

بذلك ثروة زراعية في البلاد ؛ وأصبحت زنجبار من أغنى البقاع بسبب زراعة القرنفل . حيث كانت تنتج زنجبار وبمبا حوالي ٤/ ٥ الإنتاج العالمي من القرنفل مما جعل لها وضعاً اقتصادياً خاصاً . ولقد أقام المجتمع العربي في زنجبار اقتصاداً زراعياً مزدهراً ساعد على ظهور الأرستقراطية العربية [(١)]. ولقد امتلك السلطان سعيد نفسه ما لا يقل عن خمس وأربعين مزرعة من مزارع القرنفل ؛ وعن ذلك تقول السيدة سالمة : " كان لأبي السلطان خمس وأربعون مزرعة موزعة في أنحاء متفرقة من جزيرة زنجبار ، يعمل فيها عدد جسيم من العبيد ، إذ كان عدد العاملين فيها لا يقل عن الخمسين عبداً في كل من المزارع الصغيرة ، ويزيد عن الخمسمائة عبد في كل من المزارع الكبيرة ، ويشرف على إدارة كل مزرعة رئيس عربي هو المسؤول الأول عنها ويدعى " الناقورة " [(٢)].

و كان القرنفل في مطلع زراعته حكراً على مزارع السلطان ، لكن الأخير سعى إلى توسيع نطاق هذه الزراعة ، ولهذا يعد العام ١٢٥١هـ/ ١٨٣٥م تحولاً نوعياً في زراعة القرنفل ، إذ بدأ تفوقه واضحاً على غيره من محاصيل الجزيرة ، ولعل ذلك يعود إلى استقرار السلطان سعيد في زنجبار ، الأمر الذي

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٦ ؛ زياد طالب المعولي : المرجع السابق ، ص ٤٣١ .

(٢) الناقورة : مشتقة من كلمة الناظر العربية . السيدة سالمة بنت السيد سعيد : المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

شجع العديد من الأسر العربية للقدوم إلى زنجبار ، والانخراط في هذه الزراعة الحديثة بالنسبة لهم .

أن الأسر العربية التي مارست هذا النمط من الزراعة ، بجانب أسرة البوسعيد ، هي آل رويحي ، وآل المزروعي [١] .

و كان للمزاريع عدة مزارع في ولاية شكشك في وسط الجزيرة الخضراء وفي شونفى وكمغمونى [٢] .

ومن أمثلة هؤلاء المزاريع والي تاكونجو راشد بن سالم بن خميس المزروعي، وعدد من أقاربه كانوا أصحاب ملكيات واسعة يزرعون الحنطة والسمسم ، وكانت تاكونجو تنافس ممبسة في تصدير الحبوب ، ولكن كانت الخطورة في وجود حاجز يمنع وصول القوراب الكبيرة إلى الساحل حيث الميناء ، ولكن وجود خليج كلفي الواقع على مسافة ثلاثة أميال جهة الشمال خدم تاكونجو للتغلب على هذه الخطورة ، وجعل دخول السلع والمراكب أمراً سهلاً ، وأحاطت بالمنطقة مزارع واسعة لإنتاج الحبوب في جرياما التي تاجرت معها تاكونجو، وبفضل الأعداد الكبيرة من الرقيق ازدهرت حالة الزراعة في تاكونجو [٣] .

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٢) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٣٦ .

(٣) A.I.SALIM : Op.Cit. p38.

إن زراعة الحبوب في منطقة ممباسة أدت إلى قيام عدد من المزارع في ريفها ، ولما كان العمل في تلك المزارع يحتاج إلى كثافة عمالية فقد اعتمدت ، لدرجة كبيرة ، على عمالة الرقيق [١] .

وهناك مستوطنات أخرى على امتداد الساحل نحو الجنوب أصبحت تعتمد على عمالة الرقيق ، على سبيل المثال ، هذا الامتداد القصير الواقع ما بين مالندي ومامبروي ، (كان يفصلها عن ملندي نهر ساباكي) كان يقع فيه امتداد من المزارع الخصبة يقدر اتساعه بنحو مسيرة ست ساعات نحو الداخل ، وكان الإقليم ينتج الحنطة والسمسم ، ولقد بلغت قيمة إنتاج مالندي من الحبوب سنوياً حوالي ٠٠٠ , ٣٥ دولار ، وكانت عمالة الرقيق ضرورية لأن قبائل الجالا وغيرها من القبائل كانت تعرض عن العمل اليدوي المأجور ، وكان عدد العاملين من الرقيق حول مالندي وحدها ما بين أربعة إلى خمسة آلاف ، ويقدر الوارد من الرقيق سنوياً بحوالي ستمائة فرد [٢] .

واتسع نطاق مزارع القرنفل في زنجبار ، ولاسيما المزارع التي تعود ملكيتها إلى السلطان سعيد ، بالإضافة إلى مزارع القرنفل الأخرى التي تعود ملكيتها إلى العرب والهنود ، وبصورة عامة بلغت مساحة الأراضي الخاصة بزراعة القرنفل في زنجبار ما يقارب من ٦٠ ألف فدان ، فيما قدر الرحالة ستانلي عدد أشجار

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٢ .

(٢) A.I.SALIM : Op.Cit. p37.

القرنفل فيها بـ ٣ ملايين شجرة ، قدر متوسط إنتاجها بـ ١٨٠ ألف قنطار قدرت قيمتها بـ ٧ ملايين باوند (١) .

وأوجد السلطان سعيد المزارع الكبيرة لزراعة قصب السكر وجوز الهند في زنجبار وساحل شرق إفريقية ، وكان لهذا العمل من جانب السلطان سعيد أثره الكبير على اقتصاديات شرق إفريقية وأعطى قوة دافعة كبيرة لتجارة الرقيق لازدياد الحاجة إليه للعمل في مزارع القرنفل وقصب السكر وجوز الهند وغيرها من المحاصيل (٢) .

فقد جذبت الثورة التي أحدثتها شجرة القرنفل العديد من العمال الأفارقة ليعملوا في المزارع ، وبالتالي حدث نوع من الانصهار (٣) ، وكانت الزراعة الحرفة الأولى لأهل زنجبار (٤) ، حيث كان الرقيق هم الفئة العاملة الرئيسية في جني ثمار القرنفل ، وتتفوق النساء في أحيان كثيرة على الرجال في هذا المجال ، وفي الوقت نفسه كان أصحاب المزارع يراقبون هذه العملية بأنفسهم ، وقد يشاركون في قطف الثمار كوسيلة لتشجيع العمال في عملهم الزراعي (٥) .
ويحتاج جني ثمار القرنفل ، كما أشرت ، إلى عدد كبير من العمالة ؛ لأن ثماره

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) سعد زغلول : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٣) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٠ .

(٤) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٥) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

تقطف مرتين في السنة ، ولهذا نجد المزارعين العرب بحاجة ماسة إلى العديد من الرقيق للعمل في مزارع القرنفل [(١)] .

حيث تطلبت عملية زراعته وحصاده أيدياً عاملة كثيرة ، إذ يجب تجميع البراعم الزهرية للقرنفل قبل تفتح الأزهار ، الأمر الذي يتطلب مجموعات كبيرة من العمال ، أثناء موسمي القطف في شهري أغسطس وديسمبر ، كما إن الشجرة الواحدة تحتاج في المتوسط إلى القطف على ثلاث فترات منفصلة ، وذلك بسبب عدم انتظام نضج البراعم .

واحتوت كل مزرعة من مزارعه ما يقارب الأربعة آلاف شجرة ، تعطي في المتوسط ستة أرطال من القرنفل في السنة الواحدة ، وعملية القطف تتم يدوياً وبعناية خاصة ، وبعد ذلك تجفف الحبات في الظل . وخلال أيام السنة لابد من وجود عمالة دائمة ، لإزالة الحشائش والعناية بالأشجار [(٢)] .كما كان جوز الهند يحصد أربع مرات سنوياً [(٣)] . ولما كان السكان الأصليون في زنجبار وبمبا أقل اهتماماً بالعمل الدائم في الزراعة لتفضيلهم أعمالهم الخاصة في صيد الأسماك وزراعة المحاصيل الأخرى ، فقد أصبح من الضروري استيراد عبيد

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

(٢) ناجية محمد الصالح : التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق إفريقيا ١٢٢١ – ١٣٦٧هـ / ١٨٠٦ – ١٩٤٧م ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) ، ص ٨٩ – ٩٠ .

(٣) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

من بلاد إفريقية أخرى ، للعناية بمحصول القرنفل ، الذي أخذ في الزيادة المطردة [(١)] . ولهذا كثيراً ما ينتقلون إلى دواخل القارة من أجل شراء الرقيق لهذا الغرض [(٢)] .

و كان المحصول يقسم بينهم وبين الملاك بالتساوي [(٣)] .

وقدر أحد المصادر الأوروبية العاملين في حقول القرنفل في زنجبار وبمبا بـ ٢٦٥ ألف عامل ، وهو عدد كبير جداً في مثل هذه الجزر الصغيرة نسبياً [(٤)] .

إن هجرة القبائل الإفريقية من داخل القارة إلى زنجبار وممباسة ، لم تتوقف ولا سيما بعد رواج زراعة شجرة النارجيل والقرنفل في مساحات وأبعديات واسعة . فقد تدفقت الهجرة من داخل القارة ووسطها ، لاسيما من القبائل الإفريقية البانتوية للعمل بالزراعة في هذه الأبعديات فدانوا بالإسلام .

وقد حملت ظاهرة تدفق الإفارقة إلى الساحل والجزر القريبة طلباً للعمل تفسيرات عديدة أهمها ما وصمه بها المؤرخون الغربيون بأنها تجارة

---

(١) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٤ ؛ لوثروب ستودارد : حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة عجاج نويهض ، المجلد الثاني ، الجزء الثالث ، د.م ، دار الفكر ، ط ٤ ، (١٩٧٤م) ، ص ٧٤ .

(٣) فاروق عبد الجواد : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٤) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٤ .

الرقيق [١] ، وحصرها في قضايا الرق والاستعباد واستغلال الأرض دون الإشارة إلى هدف حقيقي هام يعول عليه ، ولا غرابة في أن يصدر هذا القول من أعداء الإسلام الذين هالهم ما وصل إليه الدين الإسلامي في شرق إفريقيا من تمكن ونفوذ [٢].

و يروي لنا الدكتور عبد الرحمن نقلاً عن الشيخ عمر قلتين سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م تفسيراً لهذه الظاهرة في مذكراته (غير المنشورة) :

" إن العربي إذا جاس في هذه الإفريقية تلقاه أهل الرقيق بأبنائهم في طلب الركب إلى الساحل بقصد العمل في شوانب النارجيل . وقد روى لي أخونا عبد الرحمن المسكري أنه عندما امتنع عن أخذ الرقيق لقلة ركوبه باعوه العاج بثمن عظيم لأجل حمله على قبولهم " [٣].

فكان زعماء القبائل الإفريقية يطلبون من التجار العرب اصطحاب أبنائهم إلى الساحل مقابل مبلغ من المال يدفعه التاجر إلى زعيم القبيلة ويقوم التاجر بترحيل الإفريقي ويأخذ أجر ذلك من المزارع الذي يستخدمه في مزرعته بالساحل ، بجانب ما يستفيده من استخدام الإفريقي في حمل الأثقال في الطريق .

(١) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٤ .

(٢) زياد بن طالب المعولي : المرجع السابق ، ص ٤٣٣ .

(٣) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٤ .

لقد كان كل طرف من أطراف هذا النوع من التعامـل الأربعـة عـلى وعـي بالفائدة التي يصيبها من جرائه فالعامل الإفريقي كـان يطمـع في تـوفير رعايـة صحية وغذائية أفضل ، كما ييسر له ذلك الاطلاع على نـوع جديـد مـن أنـواع الحياة ، وقد كان والد الإفريقي ينال حظاً مما يـدفع إلى زعـيم القبيلـة ، وكـان التاجر يربح على النحو الذي ذكرنـاه ، أمـا المـزارع فهـو يـضمن عطـاء عامـل إفريقي قوي إذا أمن غذاءه ورعايته الصحية [١] .

وتعد رغبة العامل في الانتقـال إلى الـساحل فيـصلاً في هـذا الأمـر ، فقـد تعلقت أماني الإفريقيين في الداخل بالعمل في مزارع الساحل ، وقد وردت عدة نصوص لمنصرين مسيحيين يتعجبون من شدة تعلق ورغبة الإفريقيين بالعمـل في مزارع العرب ، وأن أغلب الأطفال الذين تم التحصل عليهم من قوافل تجار الرقيق وتم تحريرهم وأخذهم إلى مدينة فرس ليتم تنصيرهم هربـوا إلى مـزارع العرب بعد أن أطلقوا على أنفسهم (محمدي) دلالة على أنهـم مـسلمون وإن لم يكونوا من قبل وذلك حتى لا يعترض المسيحيون سبيلهم [٢] .

لقد كانت محـاولات إيقـاف الأفارقـة الـوثنيين مـن القـدوم إلى الـساحل والعمل في مزارع المسلمين بدعوى محاربة تجارة الرقيق إحدى السياسات التـي

---

(١) عبـدالرحمن أحمـد عـثمان وآخـرون : أوضـاع المـسلمين في منطقـة شرق إفريقيـا الـسواحلية ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٢) السابق ، ص٣٠ .

أدت إلى رد فعل عكسي انتهى بالدخول بالإسلام [١] .

إذن فقد كانت أكثر تدفقات القبائل الإفريقية التي هاجرت إلى الساحل متجهة من شتى الأنحاء إلى زنجبار وبقية مدن الساحل ، بدوافع اقتصادية في طلب المال والعمل ، وقد كان لهذه الهجرة القدح المعلى في دخول الأفارقة في الإسلام [٢] .

إن مدى سيطرة وسلطة أصحاب الرقيق على توابعهم لم تكن شديدة ، إن نظام الرقيق (رآه هاردنج شبيهاً بالاسترقاق) على أرض الساحل من القارة اختلف عنه في مزارع القرنفل في زنجبار وبمبا ، هناك الملاك كانوا يمثلون طبقة من السادة يعيشون على أرض مزارعهم يباشرون نشاطهم الزراعي باستخدام الرقيق ، وفي الحقيقة كان هناك على أرض القارة ، على وجه الخصوص في إقليم مالندي ، من السادة العرب والسواحلية عاشوا في المدن يباشرون زراعة أبعدياتهم ، وهي مساحة كبيرة من الأرض الزراعية عليها مساكن وخدمات ومخازن تعرف باسم شامبا ، عاشوا في المدن حياتهم على مساحة من هذه الأرض ، زرعوها وكان لهم نصيب من الإنتاج ، وكانت سيطرة عرب الساحل محدودة أقل مما كان متوقعاً منهم ، وفي الواقع أن هاردنج أشار إلى أن العربي قليل الاهتمام بأن يرعى مصالحه ، كان قليلاً أن يزور هذه الأبعادية حتى يباشر

---

(١) عبدالرحمن أحمد عثمان وآخرون : أوضاع المسلمين في منطقة شرق إفريقيا السواحلية ، ص ٢٩ .

(٢) عبد الرحمن أحمد عثمان: الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٥ .

نصيبه بنفسه ، وهذا الاهتمام أو الانصراف عن مصالحه المادية يعود إلى عدد من الأسباب ، حسن المعاملة ، أو أنه نوع من الكسل والتراخي ، والخوف أن يهرب الرقيق بسبب التشديد عليهم ، هذا يعني أن هؤلاء الرقيق الذين اختاروا البقاء إلى جانب أصحابهم كانت تربطهم معهم روابط أكثر شدة وأقوى من هذه الروابط الطبيعية ، شكرهم وتقديرهم لدور سيدهم في توفير سبل الحياة والمعيشة لهم ، والمعاملات الوجدانية مع أسرة السيد ، بالإضافة إلى علاقات عقدية واجتماعية ، خاصة لو أن هذا الفرد مسلم ، وهذا يفسر أن معظم الرقيق فضلوا العيش مع السيد عن العتق ، سواء من السيد أو من شخص غريب ، ونفي الأوروبي الأبيض ، ذلك الذي يعامله في تدن وبشكل أبعد من معاملة السيد (١) .

و من العمال المزارعين بعض القبائل التي تنتمي إلى داخل القارة الإفريقية ، والتي وفدت إلى زنجبار خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري . نذكر منها السوكومو والزرامو والهايا والماكندي ، والمعروف أن البانتو أساساً من المزارعين ، ولديهم استعداد فطري للعمل في مجال الزراعة . وعليه وجد هذا الطلب استجابة من القبائل البانتوية ، إذ وفدت أعداد منهم إلى زنجبار ، وعملت في مزارع القرنفل في أول الأمر ، ثم في أعمال

---

(١) A.I.SALIM : Op.Cit. p106 .

يدوية أخرى في أوقات لاحقة [١]، وأن ارتباطهم بالزراعة والأرض قد كان أكثر مما أدى إلى استقرارهم نهائياً في زنجبار وبمبا [٢] .

والمعروف أن تعويد الأفارقة على العمل بالزراعة تعويد لهم على الاستقرار، والاستقرار أساس مهم للبناء الحضاري ، حيث ازدهرت الزراعة في ساحل الزنج وجزره [٣] .

كذلك عمل عدد كبير من أفراد قبيلة نياموبزى كعمال في المزارع الساحلية عندما هاجر عدد كبير من النياموبزى بصفة مؤقتة إلى الساحل كعمال ، ثم عودتهم إلى موطنهم مسلمين ، بالرغم من بقاء بعضهم في الساحل . وهذا ساعد على سرعة انتشار الإسلام في القبيلة [٤] . وقامت بنشره على طول الطريق بين تابورا وأوجيجي وبين تابورا وموانزا [٥] .

كذلك استخدمهم العرب كحمالين لنقل العاج والسلع التجارية الأخرى من الداخل إلى الساحل والعكس [٦] ، وخلال القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي وبداية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي

---

(١) سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرقي إفريقيا ، ص ٢٩ .

(٢) عُمان في التاريخ : ص ٤٩٧ .

(٣) رأفت غنيمي الشيخ : دور عمان في بناء حضارة شرقي أفريقية ، ص ١٧٠ .

(٤) عبدالرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ١٠٨ ؛ زمزم عبدالرحمن : المرجع السابق ، ٧٤ .

(٥) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٨ .

(٦) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٦٥ .

استمر النياموزيى في التنظيم والقيام بمعظم التجارة المحمولة في شرق إفريقية . وساروا مسافات طويلة .

و يروي الرحالة الأوروبيون الأوائل كيفية استعداد صبية النياموزيى لهـذا الأسلوب الشاق في الحياة بان يحملوا حمولات صغيرة على أكتافهم عند تجوالهم في قراهم [(١)] .

و في هذا الصدد ذكر ترمنجهام أن السبب في تغلغل الإسـلام إلى الـداخل هو استقرار سلطة عُمان على زنجبار وسيطرتها على الساحل ، حيث قامت عدة مزارع عربية مما أدى بدوره إلى استقرار الأوضاع في القبائل المجاورة من تانجـا حتى الجنوب ، فبدأ الإسلام يـشق طريقـه إلى قبائـل الـديجو وقبائـل الزارامـو والقبائل التي تقيم حول دلتا نهر روفيجي [(٢)] .

و من المجموعات الإفريقية في جزيرة زنجبار أهمها تلـك المجموعـة التـي تطلق على نفسها (الشيرازيين) وهي تنقسم إلى قسمين : المخـاديم والتمبـاتو ، وهم بمثابة السكان الأصليين في الجزيرة [(٣)] .

---

(١) رونالدو أوليفر ، انتوني اتمور : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

(٢) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٦١ ؛ عبدالباقي محمد كبـير: انتـشار الإسـلام في إفريقيـا بأقلام أوروبية ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الثالث عشر ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) ، ص ٦٤٩ .

(٣) عُمان في التاريخ : ص ٤٩٦ .

إن الشيرازيين (الأفارقة المحليين) يعملون في صيد الأسماك وفي الزراعة . كما يعمل بعضهم في الأعمال المهنية والإدارية في دواوين الحكومة . وكذلك نجد بعضهم في المهن الحرفية المختلفة . ويندر أن نجد بينهم من يعمل بالتجارة [(١)] .

و قد عمل المخاديمو أيضاً في الزراعة ، وقطع الأخشاب ، وفي موسم حصاد القرنفل يعمل المخاديمو في قطف ثمار القرنفل ، وأهم الأعمال الأخرى التي مارسها المخاديمو في زنجبار تمثلت في صيد الأسماك ، وقد فرضت هذه الحرفة على المخاديمو الإقامة في الأجزاء الشرقية والجنوبية من جزيرة زنجبار [(٢)] .

إن المخاديمو استوطنوا هذه المناطق ولم يتجهوا إلى المناطق الشمالية والغربية في جزيرة زنجبار الصالحة للزراعة ، وربما وجد هؤلاء القوم ضالتهم في الشواطئ الشرقية التي هي أصلح لصيد الأسماك ، فهم احترفوا العمل في هذه المهنة فآثروا السكن والعيش في تلك الأرجاء دون غيرها من مناطق الجزيرة [(٣)] .

و يعد المخاديمو السكان الأصليين في جزيرة زنجبار ، وهم يسكنون قرى

---

(١) سيد حامد حريز : المؤثرات العربية في الثقافة السواحلية في شرقي إفريقيا ، ص ٣٧ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٣) السابق ، ص ١٧٨ .

صغيرة في الجزيرة ، بلغ عدد هذه القرى ما بين ٦٠ إلى ٧٠ قرية ، ومما تجدر الإشارة إليه أن أسماء قرى المخاديمو في زنجبار مماثلة لأسماء قرى المخاديمو في البر الإفريقي [١] .

تعددت سبل الحياة في زنجبار ، إلى جانب التجارة والزراعة ، وكانت هناك أساليب عمل متعددة أهمها : الصيد [٢] .

و يمكن القول ، في كثير من الأحيان بأن كل مولود سواحلي يعتبر صياداً وبحاراً ، وأن المصدر الرئيسي لغذائه هو السمك .

و إلى جانب صيد الأسماك واستخراج الأصداف من السواحل الساحلية في شرق إفريقية ، استخرج العرب العنبر ، الذي كان يوجد بكثرة على سواحل جزيرة زنجبار ، نظراً لكثرة الحيتان في البحر .

وقام الزنجباريون بحرف وأعمال متنوعة ، مثل العمل في الميناء حيث السفن وشحنها وتفريغها ، وفي رصف الطرق ، وكان يوجد في زنجبار بعض الحرفيين كالخياطين والحدادين والنجارين والبنائين [٣] .

حيث دخل الرقيق عمليات تدريب وتعليم للاستفادة من مهاراتهم ؛ ومن حرفهم أيضاً بناء المراكب ، إدارة السفن ، والاشتراك في الطاقم البحري ، وفي

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٤٣ .

(٢) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٣) السابق ، ص ١٦٦ – ١٦٧ .

أشغال البناء، وأشغال النجارة، وأعمال نحت وزخرفة الأخشاب .

إن تشغيل الرقيق في بعض من الأنـشطة جعلهـم يـصنعون لأنفـسهم ثـروات، وبات مألوفاً أن هذا الواحد من الرقيق يمتلك لنفسه عدداً من الأرقاء (١).

و من الحرفيين أيضاً الهنود حيث لم يكـن الهنـود في زنجبـار مـن أصـحاب المصالح التجارية من طبقة التجار إذ إن عدداً منهم من أرباب الحرف كالنجارة والبناء والحدادة وغيرها مـن الوظـائف البـسيطة، ومعظمهـم قـد قـدموا مـع استقرار السلطان سعيد في زنجبار .

ولقد تميز الهنود بلغتهم واتحادهم، وكان بعضهم مثـل البهـرة يعملـون في الزراعة في جنوب جزيرة زنجبار بالقرب من قرية ماكندشى (٢).

كـذلك امـتهن الحـضارم حرفاً مختلفـة فـالعرب الحـضارمة جـاؤوا مـن حضرموت في اليمن مثل العديد من العرب الذين جاؤوا مع الريـاح الموسـمية قبل ظهور الإسلام ولهم سماتهم المختلفة عن عرب عُمان (٣).

إن العرب الحضارمة مـن أقـدم العـرب الـذين هـاجروا إلى شرق إفريقيـا وهجرة عرب عُمان إلى شرق إفريقية كانت بعد هجرة اليمنيـين الحـضارم، وإن

---

(١) A.I.SALIM : Op.Cit. p33 .

(٢) بنيان سعود التركي : زنجبار وجوارها الأفريقي، ص ١٢١ – ١٢٢ ؛ صـالح محـروس : المرجـع السابق، ص ١٢٧ .

(٣) صالح محروس : المرجع السابق، ص ١٢٣ .

الإسلام لم ينتشر بشرق إفريقية بصورة هائلة إلا بعد هجرة اليمنيين الحضارم وعرب عُمان [١].

وقد ذكر برثون ، عند زيارته لزنجبار عام ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م ، أن العرب الأكثر فقراً الذين يتجمعون في زنجبار خلال الموسم هم حضرميون يعملون كثيراً ويعيشون حياة صعبة مثل " حمالي إستانبول " ، ولقد استجلب العديد من الحضرميين إلى حاميات السلطان المختلفة ، وقد فرض الفقر عليهم التجمع تحت رئاسة من يوفر لهم الطعام والأرز والسمن والخبز ، فضلاً عن العمل ، وقد اشتغل بعض الحضارمة في زنجبار بالأعمال اليدوية [٢].

و يعرف الحضرمي بالمشاهيري ، وهو يعمل في الموانئ للشحن والتفريغ في السفن وصيد الأسماك ،كما يعمل في بعض الأعمال الخفيفة مثل نقل الماء من بيت إلى بيت ، ودفع العربات ، والجزارة ، وبيع السجاد والزيوت ، وصنع الأكياس والأقفاص الخاصة لتعبئة القرنفل [٣] ، كما تولى البعض منهم أمور الجمارك وعملوا في نقل البضائع من موانئ زنجبار ، وهي مهنة اتسعت نتيجة للنشاط التجاري الزائد في زنجبار [٤].

---

(١) عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، ص ١٥ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٤) عبدالوهاب صالح بابعير : دور عرب عُمان في نقل الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في بلاد زنجبار وبلاد الساحل ، مجلة البحوث والدراسات العربية ، العدد ٢٠ ، (١٩٩٢م) ، ص ٩١ ؛

=

و كـان لهـم دور كبـير في نـشر الإسـلام في شرق إفريقيـة ويختلفـون عـن عرب عُمان حيث إنهم على المذهب الشافعي وكـانوا دعـاة للإسـلام ومعلمـين له [(١)] .

و لقد جاء هؤلاء القوم الحضارم إلى هذه الأقطار ، لا طلباً لملك أو سلطان أو زعامة بل جاؤوا حاملين راية الإسلام داعين الناس إليه والاشتغال بها يحفظ لهم معيشتهم مما أحله الله لهم [(٢)] .

و لم يتعرض العُمانيون للأهالي الوطنيين بـشيء مـن الأذى أو القهـر ولم يفرضـوا عليهم ذلاً ، بل إنهم عملوا على تخليصهم من بطش أبناء جنسهم الـذين اسـترقوهم فعلموهم الحرف والزراعة وأشركوهم معهم في شـؤون الحيـاة وأعطـوهم الأمـلاك والمزارع يتابعونها ويتوارثونها في حرية تامة [(٣)] .

حيث لعب العمانيون دوراً في نشر الإسلام بين الأفارقة الوثنيين العاملين في المزارع ونشر الإسلام بين هؤلاء المزارعين من خـلال تعلـيمهم مبـادئ الـدين

=

عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق أفريقيـة في ظـل دولـة البوسـعيديين ، ص ٤٩ .

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢)عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، ص ١٨ .

(٣) جمال زكريا قاسم : الدولة العمانية في شرقي أفريقية ، حـصاد نـدوة الدراسـات العمانيـة ، المجلـد الثالث ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) ، ص ٩٩ .

الإسلامي ؛ وكذلك تسميتهم وتنشئتهم على أسس الإسلام وتعاليمه [١] ، وثم يتم عتقهم ، وإعادتهم إلى وطنهم الأصلي ليكونوا حملة لواء الدعوة للإسلام بين قبائلهم [٢] .

و كان على كل عربي يمتلك مزرعة كبيرة أو صغيرة أن يبني لنفسه وأهله ما يلزم إقامته من منازل ومسجد صغير ملحق بمزرعته ، وأيضاً كان عليه أن يمهد الطريق من وإلى مزرعته. كل ذلك كان يتم تمويله من الأرباح الطائلة العائدة من بيع محصول القرنفل ، ذلك المحصول الذي كانت زراعته بمثابة مصدر التمويل المالي للحركة المعمارية المصاحبة لإقامة عرب عُمان بالجزيرة [٣] .

و لقد كان المزارعون من الرقيق المجلوبين من الساحل الإفريقي ، العاملين في خدمة العرب ، يعيشون في تجمعات سكنية تتكون من أكواخ تبنى من جذوع الشجر وأوراقه ، وكانت تقع خارج المدن الرئيسية بالجزيرة ، أما العاملون بالمزارع فخصصت لمساكنهم مساحات بعيدة عن مقر إقامة السادة من العرب [٤] .

---

(١) زياد بن طالب المعولي : المرجع السابق ، ص ٤٣٥ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٣١ .

(٣) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(٤) نفس المرجع والصفحة .

ونجحت سلطنة زنجبار في توفير الأمن لسكان تلك المزارع من هجمات القبائل الإفريقية ، فقامت بتشكيل حاميات من الجند البلوش لحماية المنطقة (١).

و لما كان أولئك العبيد يسكنون في تلك المزارع فقد تأثروا كثيراً بأصحاب تلك المزارع من المسلمين فاتبعوهم في لباسهم ودينهم . وقد ساعد على ذلك ، بناء المساجد وسط تلك المزارع (٢) . ومن خلال عملهم في تلك المزارع واختلاطهم بالمسلمين تشجعوا على الدخول في الإسلام وبالتالي قام هؤلاء بنشره عندما يعودون إلى موطنهم (٣).

و قد كان لقيام المزارع في تلك المناطق وانتعاش اقتصادها أثره على أهلها الذين كانوا قد سكنوا في الساحل ودخلوا في الإسلام ، إذ بدأت وسطهم حركة هجرة عكسية من المدينة إلى الريف . وقد لعب أولئك المهاجرون من الأفارقة المسلمين دوراً مقدراً في نشر حركة الإسلام وسط أهاليهم .

و يعطينا المنصر ايرهارد صورة حية عن ذلك عندما يخبرنا كيف أن السيجيجو الذين يسكنون منطقة فانجا – شيموني على الحدود بين كينيا وتنزانيا قد دانوا جميعاً بالإسلام بنهاية عام ١٢٧١هـ / ١٨٥٤م نتيجة لعلاقتهم

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٢ .

(٣) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

بالفيمبا السواحيليين من سكان جزيرة واسون .

ذلك أن الفيمبا كانوا قد اتخذوا لهم مزارع في أرض السيجيجو، ثـم بـدأوا يستقرون وسطهم ويتزوجون منهم مما أدى بهم إلى الدخول في الإسـلام وبنـاء مساجدهم الخاصة في قراهم [١] .

و لم يكتف السيجيجو بذلك بل حملوا مشعل الدعوة لجيرانهم من الماجكندا جنوب ديجو في تانجا . نفس تلك العلاقة حدثت بين سكان تانجا السواحليين وأهل ديجو جنوب ممباسة الذين أقاموا مـزارع بيـنهم وتزاوجـوا معهـم . أدى ذلك إلى خلق علاقة متينة ترجمـت بنهايـة عـام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م بـدخول الكثير من الديجو في الإسلام .نفس هذه الصور نجدها تتكرر في منطقة ساحل المريما المواجه لزنجبـار . فهنـاك الكثـير مـن الـدلائل التـي تـشير إلى اسـتقرار السواحيلية المسلمين من سكان الساحل وسط جماعات الأفارقـة مـن الزرامـو والزغوا والبوندي والديجو والتـصاهر معهـم مـن خـلال العلاقـات الزراعيـة والتجارية مما ساعد على تأثر تلك الجماعات بالإسلام [٢] .

و يعرف الرقيق المولدون في زنجبار باسم (وازالا) ، أما الرقيـق الحـديث العهد بالجزيرة فيعرفون باسم (واكاليا) ، ويختلف الرقيـق الـذين يعيـشون في المدن عن الرقيق الذين يقيمون في المزارع ، فالأعمال التـي يؤديهـا رقيـق المـدن

---

(١) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٤٣ – ٣٤٤.

(٢) نفس المرجع والصفحة .

تشمل تفريغ السفن وشحنها وتنظيف الصمغ ، وفرز الصدف ، فضلاً عن أعمال البناء والخدمة في منازل الأوروبيين ، ويقيم بعض عبيد المدن في منازل أسيادهم ، والبعض الآخر يسكن في أحياء خاصة بالرقيق داخل مدينة زنجبار من أهمها حي ماليندي وحي نجامبو .

أما رقيق المزارع فكانوا ينتشرون في معظم جزيرة زنجبار حيث توجد هذه المزارع، ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الملاك يعطي للعبد قطعة أرض يقوم الأخير ببناء كوخ عليها لسكناه ، ويقوم بغرس ما يحتاج إليه من خضروات فيها . ويعمل رقيق المزارع خمسة أيام من الأسبوع في أرض سيده ، ويقضي يومين في شؤونه الخاصة كالعناية بأرضه ومزروعاته ،و غيرها (١) .

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ .

المبحث الرابع

دور العلماء والدعاة في نشر الإسلام في شرق إفريقية

تمثل دور العلماء والدعاة في إكمال عمل التجار ، حيث قاموا بتدعيم عملية التحول إلى الإسلام ، فكلما تطور مجتمع إسلامي أحتاج الأمر إلى وجود معلمين وعلماء لتعليم الأفراد الدين الجديد [١] .

كان العديد من العلماء تربطهم علاقات قوية بالوطنين الأفارقة ، وقد انتهج هؤلاء العلماء ، أساليب بسيطة لنشر الدين الإسلامي بين السكان المحليين في المناطق المختلفة من السلطنة ، كبناء المساجد ، وفتح المدارس لتعليم الدين الإسلامي ، بل إن أهم ما قام به هؤلاء العلماء هو شراء العبيد وعتقهم من أجل دخولهم في الدين الإسلامي [٢] .

لقد حقق الدعاة المسلمون نجاحاً مستمراً ، واستطاع الداعية المسلم أن يحول جموعاً إلى الإسلام أكثر بمجهود أقل من مجهود المنصرين [٣]

---

(١) حورية مجاهد : تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد والوسائل ، ص ٢٣ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٨٤ .

(٣) سير توماس أرنولد : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ ؛ محمد عبدالله النقيرة : المرجع السابق ، ص ١٥٢ ؛ زيد خضر وعمر العمري : المرجع السابق ، ص ٢٥٨ ؛ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ٣٥ .

وتصور عبارات توماس أرنولد تفاني الدعاة المسلمين وحماستهم الشديدة لنشر الإسلام [١].

و مما ساعد هؤلاء الدعاة والمعلمين أيضاً – كما يرى ترمنجهام – أن علماء الدين المسلمين يمكن إعدادهم بعد تدريب بسيط ، بحفظ سور من القرآن الكريم أو معرفة أصول الدين ، ثم هم لا يختلفون عن سكان البلاد الأصليين في شيء ، ومن الممكن أن نجد في القرية الواحدة أكثر من معلم من هؤلاء الناس [٢].

و ساعد هؤلاء الدعاة أيضاً أن اللغة العربية انتشرت على نطاق واسع هي واللغة السواحلية التي هي مزيج اختلاط البانتو بالعربية الوافدة وأصبحتا لغتي التفاهم والعلم والثقافة الإسلامية في شرق إفريقية. ولقد كان هؤلاء الدعاة والمعلمون المسلمون صورة حية للإسلام في سمو مبادئه ؛ مما جعل لهم تأثيراً كبيراً على السكان فتحولوا إلى الإسلام [٣].

إن هناك ترابطاً وثيقاً بين طبقة العلماء في شرق إفريقيا الشافعية ، والأباضية [٤] . وكانت العديد من الوظائف والمناصب مخصصة لأتباع

---

(١) محمد عبدالله النقيرة : المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٢) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق، ص ١٦٠؛ محمد عبدالله النقيرة: المرجع السابق، ص١٥٤.

(٣) محمد عبدالله النقيرة : المرجع السابق ، ص ١٥٥ .

(٤) عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق أفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ١٠١ .

مجموعتيهم . وعن ذلك يقول جي . بي . مارتن : كانت أفضل تزكية لكي يصبح أحد عالماً هي أن يكون ابن عالم. وإذا ما رغب أحد أن يتبوأ أعلى مراتب العلماء الشافعيين ، فإن أحد أهم المتطلبات لذلك هو أن يكون حضرمي الأصل . أما بالنسبة للعباديين فقد كان الشرط الرئيس هو أن يكون منحدراً من أجداد عُمانيين . لا يعني هذا التقليل من قدر الأفراد ، حيث إن النظام التقليدي بين العلماء قد رفع العديد من الأشخاص الكفوئين إلى مواقع قضاة وأئمة ومدرسين (١) .

ويبدو أن باب الانتماء إلى فئة العلماء كان مغلقاً في وجه عامة المسلمين في شرق إفريقية ، وبصفة خاصة أمام أولئك المنحدرين من الأصول المحلية ؛ إذ كان من الصعوبة بمكان أن تجد عالماً واحداً ينتمي إلى هذه الفئة الاجتماعية من المواطنين ، وذلك على الرغم من أن الشروط العامة للالتحاق بركب العلماء كانت تتمثل في الالتحاق بإحدى المدارس الدينية المعترف بها محلياً أو دولياً ، للحصول على إجازة في العلوم الشرعية بعد استكمال الدراسة بالنجاح ، وهو ما يعني أن العقبة الوحيدة التي كانت تحول دون حصول المواطنين المحليين على لقب عالم ، مهما تعلموا ، هي أن اللقب كان يمنح من قبل العلماء المشهورين الذين كانوا ينتمون في غالبيتهم إلى الأصول الحضرمية ، وكانوا يبخلون بهذا

---

(١) بدورد . كاتيريغا : علماء شرق إفريقيا وإسهاماتهم في الثقافة والحضارة الإسلامية – العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية ، بغداد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (١٩٨٣ م) ، ص ٢٦٦ .

اللقب على غيرهم [١] .

وأكبر دليل على قولنـا إن الـذين نـشروا الإسـلام في شرق إفريقيـا هـم اليمنيون الحضارم هو أن المذهب الـسائد في شرق إفريقيـة كلهـا هـو المـذهب الشافعي الذي هو مذهب الحضارم ، ويـنـدر أن تجـد شخـصاً في شرق إفريقيـة – من غير الإباضية والهنود بتعدد طوائفهم – يختار مـذهباً آخـر غـير مـذهب الشافعي ؛ وذلك لأن البيئات تتأثر بالدعاة وتقلدهم فيما يعتنقون من مذهب ، وسكان هذه الأقطار تأثروا باليمنيين الحضارم ليس في المذهب فحسب بل حتـى في العـادات واللباس ، وأيضاً عاداتهم في مساجدهم وأعيادهم [٢] .

و بالنظر إلى عدم تحديد عدد معين من الأعوام التي يمضيها المتعلم في تلك المدارس الدينية ، أو تحديد دروس معينة يستكملها ليـصبح مجـازاً ، فـإن المـرء يمكن أن يتتلمذ في عدة مدارس ليكتسب شـهرة واسـعة وسـمعة طيبـة لـدى شريحة واسعة من العامـة والخاصـة ، ولاكتـساب مزيـد مـن الـشهرة ، يـسافر البعض إلى الخـارج ليـتعلم في المـدارس الدينيـة المعروفـة في الأراضي المقدسـة وحضرموت والأزهر الشريف وجامعة الزيتونة وغيرها [٣] .

ثمة ثلاثة أنواع مختلفة من العلـماء الـسنة في شرق إفريقيـة ، الأول يخـتص

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود :المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(٢) عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، ص ٢٠ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

بالشؤون المتعلقة بحياة الناس اليومية ، سواء الأعمال الدنيوية المختلفة أو بالعبادات ، وهؤلاء هم علماء الشريعة أو الفقهاء ورجال القانون الإسلامي ، وهم الذين يصدرون الفتاوى للمسلمين السنة في شرق إفريقية في مختلف الشؤون الاجتماعية والدينية . والثاني يخص المعلمين الذين يمارسون مهنة التدريس في مختلف المدارس الدينية ومراكز العلوم الإسلامية ، وكذلك المساجد والزوايا في بعض الأحيان . والثالث يخص أولئك الذين يهتمون بشؤون المساجد المتعلقة بالأذان والإقامة ، وبإمامة الصلوات إلى قراءة الخطب قبل صلاة الجمعة وبعد صلوات الأعياد [(١)] .

وقد لاحظ بي . جي . مارتن ، أن علماء السنة ، كأفراد ، تمتعوا بنفوذ معنوي كبير في شرق إفريقيا منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وهو ما استغله العُمانيون للسيطرة على المنطقة تماماً .

و يقول مارتن في هذا الصدد : " بطريقة أو بأخرى ، قامت عليها دولة بوسعيد العُمانية في المنطقة على أكتاف العلماء ورجال الدين ، وكان البوسعيديون يتحكمون في كل شيء من وراء هؤلاء الرجال عبر تطبيق الشريعة الإسلامية " [(٢)] .

و على الرغم من أن العُمانيين كانوا على المذهب الإباضي ، فإنهم لم

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

(٢) السابق ، ص ١١١ .

يصطدموا بالسنة الذين كانوا يتمذهبون بالمذهب الشافعي ويشكلون السواد الأعظم من المسلمين في شرق إفريقية ، مع أن الغالبية العظمى من علماء الشافعية كانوا منحدرين من أصول يمنية حضرمية ، وهو ما يعني أن تحالفاً غير معلن كان قائماً بين الفريقين العُماني واليماني ، وكان يقضي التحالف بأن يتمتع العُمانيون بالنفوذ السياسي ، ويتمتع الحضرميون بالنفوذ الديني ، فلا يتدخل هذا الفريق في اختصاصات ذاك [١] .

و حين جاء الاستعمار الأوروبي إلى منطقة شرق إفريقيا ، انتهى نفوذ العُمانيين السياسي بينما تواصل نفوذ الحضرميين الديني [٢] .

و من الأشياء الجديرة بالإشادة والتقدير في دولة البوسعيديين هذا الاحترام والتكريم الذي لقيه العلماء من سلاطين زنجبار .. وقد كان سمة بارزة أرسى قواعدها السلطان سعيد الذي خص العلماء من كافة المذاهب برعايته واحترامه .. إن روح التسامح الديني والمذهبي قد كانت من الخصائص المميزة لسياسة السيد سعيد والسيد ماجد منه في عهد السيد برغش.

إن العلماء والفقهاء هم القوة المحركة في زنجبار في مجالات حيوية متعددة .. فقد كان في مقدمة واجباتهم تطبيق حكم الشرع في زنجبار وملحقاتها ، كما

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٢) السابق ، ص ١١٢ .

أوكلت إليهم مهام التربية والتعليم والإرشاد ، وبالتالي الإشراف على النظام التعليمي ، وإشاعة القيم الإسلامية في مجتمع زنجبار وشرق إفريقية .. ومن ثم فقد أفردوا حيزاً كبيراً من وقتهم للاطلاع الواسع والتبحر في دراسة العلوم الشرعية الإسلامية ، كما أسهموا بالتأليف ووضع المصنفات والشروح في شتى فروع العلوم الإسلامية .. ومن هذا المنطلق ولتحقيق الهدف المنشود فقد قاموا بالرحلات العلمية للاحتكاك والإفادة من مصادر المعرفة الأصلية في المعاهد العلمية الكبيرة ومراكز الدراسات الإسلامية .. وبمرور الأيام كونوا لأنفسهم مركزاً مرموقاً ومستقلاً لا يقل عن المراكز الإسلامية التقليدية الأخرى في العالم الإسلامي [١].

و قد أسهم هؤلاء العلماء في نشر الوعي والثقافة الإسلامية تدريساً وتأليفاً ونشاطاً اجتماعياً ، وتتلمذ على أيديهم أعداد غفيرة من سكان زنجبار والمناطق الداخلية في شرق إفريقية . ومن هؤلاء العلماء الذين خلفوا الكثير من المؤلفات المخطوطة والقليل المنشور باللغتين العربية والسواحلية في شتى الموضوعات المتعلقة بالتراث الإسلامي في شرق إفريقية ومن العلماء الذين برزوا واستمر نشاطهم وتواصل عطائهم [٢] وشهدت على أيديهم العديد من مدن شرق

---

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٥٢ – ٤٥٣ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

إفريقية نهضات علمية مباركة متبوعة ببناء العديد من المساجد والمعاهد وإنشاء المدارس [(١)] :

-الشيخ محي الدين بن الشيخ بن عبد الشيخ بن عبدالله القحطاني :

ولد في مدينة براوا الواقعة في جنوب الصومال ، وتعلم عند الشيخ التقي الأكبر في ذلك العهد. فصار عالماً عظيماً من ضمن العلماء آنذاك في الشرق الإفريقي .

مسكنه الأول غالباً كان في ممباسة والمدن الساحلية للشرق الإفريقي ، وتذكر الكتب الإفرنجية أنه لامي من مساكنته في مدينة لامو. وعندما نشبت الخصومة بين السلطان سعيد والمزاريع كان هذا الشيخ في جانب المزاريع ، وكان يمدحهم ويشجعهم في حربهم .

غادر ممباسة وانتقل إلى أنغوجا (زنجبار) وعينه السلطان سعيد قاضياً وأصبح يمدح جيوش السلطان سعيد التي تذهب لمحاربة ممباسة . وبعد سقوط ممباسة على يدي السلطان سعيد دامت صداقته مع المزاريع ، فكان يذكرهم بكل الاحترام ويمدحهم بالشجاعة [(٢)] .

---

(١) حامد أحمد الحداد : المرجع السابق ، ص ٤٥٧ .

(٢) Abdallah Saleh Farsy : Baadhl ya Wanavyuonl Wa Klshafl Wa Masharlkl Ya Afrlka , p1.

و هو قاض ذو صيت ذائع بين جميع السنيين [١] ، يحكم بالعدل ولا يفضل أحداً في حكمه . يوماً كان السيد باكريش الشاطري له قضية مع زميله فذهب إلى الشيخ محي الدين وأعطاه ٥٠ ريال (ما يعادل ٢٥٠ شلن) عندما سأله الشيخ محي الدين لأي شيء ذلك المال فقال له السيد باكريش : " هذا مجرد هدية لك فقط أهديك يا والدي " . فتسلم الشيخ محي الدين المال وغطاه وربطه ربطاً واحداً فكتب على الربط : " هذه أمانة السيد باكريش الشاطري إن مت فترد إلى صاحبها " . وعندما توفي عثر عليها وردت إلى صاحبها[٢] .

كان الشيخ محي الدين يعظم في كل نواحي شرق إفريقيا ، ولم تصدر أي كلمة تنقص من قدره ومكانته ؛ لذلك كان السلطان سعيد يرسله مرات عديدة لصلح المتخاصمة معه ، وكثيراً من المرات كان ينجح في تلك المهمة مثل ما كان يفعل في الأمور الأخرى [٣] .

و عندما أدرك السلطان سعيد أنه لا يستطيع أن يؤثر في موقف شعب السيوى أرسل الشيخ محي الدين إلى هناك عام ١٢٦٣هـ / ١٨٤٦م حيث عقد الشيخ معهم هدنة لصالح السيد سعيد [٤] . ساعد السلطان ماجد في بناء مسجد

---

(١) عبدالله صالح الفارسي : البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ٧٥ .

(٢) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p5.

(٣) السابق ، ص ٢ .

(٤) عبدالله صالح الفارسي : البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ٧٦ .

الجمعة بماليندي ، وأنشأ مـدارس التعلـيم في زنجبـار وفي بيمبـا . وقـد منحـه السلطان ماجد نفس التكريم الذي أعطاه له أبوه السلطان سعيد [١] . وبـالرغم من أن الشيخ محي الدين قد بنى جامعه بحي ماليندي ميزينغاني فإنه كان يسكن في حي كيبوندا ، ويدرس في نفس الحي في مسجد صغير بجانـب منـزل الـسيد شريف ديوجي [٢] .

و المـسجد الجـامع بمالينـدي هـو الجـامع الأكـبر مـن جميـع الجوامـع في مدينة أنغوجا وهو يجد أكـبر صـلوات الجماعـة مـن الـصلوات الخمـس . وإذا امتلأ هذا الجامع يضم ألف مصل بداخله دون محاسـبة المـصلين خارجـه عـلى البلاط [٣] .

- **الكتب التي ألفها الشيخ محي الدين :**

١ - كتيبة التوحيد .

٢- شرح خطبة منهاج الطالبين .

٣- كتاب لتعليم علم الصرف العربي ، وقد قام بتـدريس هـذا الكتـاب في مكة المكرمة في ساحة المسجد الحرام .

---

(١) عبد الله صالح الفارسي : البوسعيديون حكام زنجبار ، ص ٧٦ .

(٢) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p2.

(٣) السابق ، ص ٢ .

٤ – كتاب السلوى في أخبار كيلوا (تاريخ كيلوا) .

٥ – شعر وقصة المعراج [١] .

– **وفاته** : توفى الشيخ محي الدين في عهد السلطان ماجد بن سعيد في اليوم ٢٧ من شعبان ١٢٨٦هـ الموافق ٢ من ديسمبر ١٨٦٩م وقد ناهز ثمانين سنة من عمره [٢] .

– **طلابه** :

طلابه الذين أخذوا مكانه في القضاء والتدريس أو في التدريس فقط هم كالآتي :

١ – السيد أحمد بن سالم بن أبي بكر بن سالم المولود في انجزيجا ، ونشأ فيها وتعلم ، ثم أتى زنجبار وتعلم عند الشيخ محي الدين وتزوج عند المشاطرة ، السادة الكبار في عهد السلطان سعيد ، صار إماماً في المسجد الجامع بفور وضاني ، وطلب المشاطرة من السيد سعيد أن يكون قاضياً لهم أي المشاطرة . ووافق السيد سعيد على ذلك ليكون قاضياً لهم ولغيرهم ممن يريدون التحكيم منه . فاستمر هذا الرجل في القضاء إلى وفاته في آخر عهد السلطان ماجد في عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠ م ، ومسك ابنه زمام القضاء بعد وفاة أبيه .

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p2.

(٢) السابق ، ص ٤ .

٢ –الشيخ عبدالعزيز بن عبد الغني الأموي : يتم ذكره فيما بعد .

٣ – الشيخ سليمان الحيات : هذا هندي خوجا من الخوجيين السنيين ، آباؤهم من سورات ، سكنوا زنجبار قبل مجيء السلطان سعيد إلى هذه المناطق وقد ورث شيخه في وظيفة القضاء في جزيرة زنجبار . أما زميلاه اللذان ذكرتهما آنفاً فمسكا وظيفة القضاء وشيخهما في قيد الحياة . استمر في وظيفة القضاء منذ أن توفى شيخه إلى أن توفى هو نفسه في عهد السيد برغش في ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥ م . وكان هذا الشيخ يدرس في منزله بماليندي ميزينغاني – المنزل الذي يحاذي البيت الكبير للشيخ محمد الحاج ، ومن ضمن طلابه الكبار الشيخ عبد الشكور والشيخ محمد حرجي (١) .

٤ – الشيخ محمد بن أحمد بن حسن المروني : بعد وفاة الشيخ محي الدين ارتحل إلى ممباسة ودرس عند الشيخ علي بن عبدالله المزروعي وكما درس في لامو عند الشيخ منصب . وفيما بعد حل محل الشيخ محي الدين في التدريس في مسجد كيبوندا ، وأخيراً تولى القضاء في أنغوجا في عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م وبعد أيام قليلة ترك القضاء واتخذ مسكنه في مكة المكرمة . وتوفى الشيخ محمد في المدينة النورة في عام ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م (٢) .

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p5.

(٢) السابق ، ص ٢٧ .

٥- الشيخ حسن بن يوسف انجازيجا : انتقل إلى بيمبا لنشر علمه هناك ؛ درس الكثيرين هناك إلى أن توفى في عام ١٣١٢هـ / ١٨٩٥م .

٦ – الشيخ فاضل بن علي انجازيجا امبوانغا : قدم من انجازيجا إلى جزيرة زنجبار ليدرس عند الشيخ محي الدين تعلم بجد واجتهاد حتى نال ما نال من العلم .

و في مرة حضر الضيف الكبير من براوا لدى الشيخ محي الدين ، فذات يوم عندما كان هذا الضيف يتحدث مع الشيخ فاضل سأله " عند حديثك مع الشيخ هل سمعته يذكرني ؟ " فقال له الضيف : " سمعته يذكرك بحسن قائلاً : إنك ستفهم ما تتعلم " .

سعد الشيخ فاضل وخرج نفس الحين يقدم الدعوة للناس واشترى الأرز والغنم للوليمة احتفالاً بمناسبة البشارة التي لفظها شيخه[1] .

حقاً صار هذا الرجل عالماً كبيراً وافتتح حلقة الدرس بعد شيخه ، سكن في بيت صغير خلف مسجد غوف فكانت حلقات دروسه داخل مسجد غوف هذا . وبعض الطلاب الذين كانوا يحضرون دروس الشيخ محي الدين بعد وفاة شيخهم هذا حضروا دروس الشيخ فاضل .

وعندما نشبت الخصومة بين انجازيجيين في عهد السيد برغش انقسموا إلى

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p5.

فئتين ، الشيخ فاضل كان في فئة انيامواتسوا بيروسا وانجازيجيين الكبار التابعين للسيد برغش كانوا في فئة إنيا فوامبا . هـؤلاء الـذين مـن تبعـة الـسيد بـرغش اختلقوا الفتنة ضد الشيخ فاضل عند الـسيد بـرغش ، وأخـذ مـن زنجبـار إلى انجازيجا ، ومكث ودرس هناك قليلاً ، ثم رحل إلى أنزواني ، وصار قاضياً كبيراً هناك ، ودام في القضاء إلى أن توفي في عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م (١) .

- **الشيخ علي بن خميس بن سالم البرواني** : ولد في أنغوجا عام ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م ترعرع في حي باغاني في رفاهية بنـاء عـلى جـاه آبائـه ، حـضر مجـالس السلطان برغش وهـو مـازال شـاباً صـغيراً . تعـرف بـالعلماء الكبـار في تلـك المجالس ، وتعلم عندهم ، من ضـمنهم كبـار قـضاة الـسيد بـرغش الإباضـية كالشيخ يحيى بن خلفان الخروصي ، والشيخ محمد بن سليمان المنذري وآخرين، وأيضاً تعامل مع كبار القضاة السنيين في ذلك العهـد كالـشيخ عبـدالعزيز بـن عبدالغني الأموي وزملائه .

و في تلك الأيام أتى عالم اللغة الكبـير مـن عُـمان إلى الـسيد بـرغش اسـمه الشيخ خميس بن سليم الخصيبي ، ارتبط مع هذا العالم ودرس عنده طول النهار والليل ، وصار معه في جميع الأوقات . إذ ظهر أنه سيكون عالماً كبيراً ، وخاصة في اللغة والشعر وعمره لم يبلغ ٣٠ سنة .

و عندما جاء السيد برغش بالمطبعة لطباعة الكتب الإباضـية ألـف الـشيخ

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p5-6 .

علي قصائد تمدح السيد برغش والمطبعة أيضاً. فازدادت سمعة الشيخ علي بن خميس لدى السيد برغش[1].

و بعد ذلك تعرف على الشيخ محمد بن صالح الفارسي المولود في لامو، وترعرع في مكة المكرمة، وتلقى التعليم مع مفته الشيخ أحمد دهلان والآخرين. الشيخ محمد بن صالح هذا كان تقياً وعالماً كبيراً، وحتى السيد برغش كان يعظمه كثيراً، وإذا أراد أن يعطيه مالاً يتأكد أن هذا المال ما هو إلا حلال.

تمسك الشيخ علي بن خميس بالشيخ محمد بن صالح لمدة طويلة نتج عنها تغيير مذهبه من الإباضية إلى المذهب السني، فغضب السيد برغش غضباً شديداً على الشيخ علي بن خميس وزجره وحقد عليه. وعندما علم السيد برغش أن كل ما قام به لم يأت بالنتيجة المرجوة سجنه وقال له: إنه لا يفكه من السجن حتى يتخلى عن المذهب السني أو يموت مسجوناً وفي كل صباح يرسل السيد برغش الشيخ محمد بن سليمان المنذري إلى السجن ليحدث وينصح الشيخ علي فلم يسمع نصائحه. فرأى السيد برغش من الأحسن أن ينفوه إلى عُمان. أخرج من أنغوجا وأرسل إلى هناك، وبعد وصوله إلى هناك استمر مع حركاته التي كان يقوم بها في أنغوجا فوجب أناس أن يجبروه على العودة إلى أنغوجا، وعاد إلى السجن في أنغوجا. قدم السيد برغش التوجيه لقاضيه الكبير ليخبر الشيخ علي بن خميس أنه إذا أراد أن يطلق سراحه فليؤد اليمين أمامه

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 6-7 .

وأمام السادة الكبار الآخرين أنه لا يعتقد المعتقدات السنية بل يعتقـد مثـل مـا كان يعتقده من قبل . فاستشار الشيخ عـلي شـيخه الكبـير في ذلـك . فقـال لـه الشيخ محمد بن صالح :" يستحسن أن تؤدي ذلك اليمين حتى تسلم من بـلاء السيد برغش ، الفظه بلسانك فقط ويبقى اعتقادك هكـذا في قلبـك ". فحـضر الشيخ علي مجلس السيد برغش وأدى ذلك اليمين – وأطلق سراحـه فـوراً ثـم انصرف .

بعد خروجه من السجن لم يأخذ الشيخ علي زمناً إلا توفى في تلك الأيـام في صفر عام ١٣٠٣هـ الموافق ١٨٨٥م وهو ابن ٣٦ سنة فقط (١) .

– طلابه :

من ضمن السادة الكبار الذين تلقوا العلم من الشيخ علي بن خميس هم :

١ – السيد عبدالرحمن جمل الليل .

٢ – السيد حسن جمل الليل .

٣ – السيد أحمد بن علي إتبار بن اموينى امكوو(٢) .

٤ – الشيخ عبدالله بن وزير يذكر مهارته في تفـسير القـرآن الكـريم باللغـة السواحلية ، وحتى الشيخ عبدالشكور – الذي كان كثير الانتقادات لزملائه العلـماء –

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 7-8 .

(٢) السابق ، ص ٨ .

كان يقول : " التفسير الجيد عند الشيخ عبدالله وزير "[١] .

لعب المزارعة دوراً في نشر العلم والحضارة في المنطقة ، ومارسوا نشاطاً دينياً وتعليمياً في الساحل [٢] . فالمزاريع عائلة عريقة كانت في خدمة الإسلام على مدى العصور [٣] ، عشيرة المزاريع شملت علماء كباراً وأتقياء وكان منهم :

- **عبدالله بن نافع بن مزروع بن عبدالله المزروعي :**

كان بحراً في (العلم) في عهد السيد برغش ، وكان عالماً كبيراً في وقت الحاكم سالم بن أحمد بن محمد بن مزروع (١٢٤١-١٢٥١هـ / ١٨٢٥ – ١٨٣٥م) . وهو الذي كان شاعرهم الكبير [٤]. وقد أشار الشيخ محمد بن قاسم المزروعي [٥] ، عندما قام بترجمة مؤلف مخطوطة تاريخ ولاية المزارعة ، إلى أن العلامة الشيخ عبدالله بن نافع بن مزروع بن عبدالله الذي كان أحد المستشارين في دولة المزارعة في عصر الوالي التاسع سالم بن أحمد ومن بعده هو أول من انتحل المذهب الشافعي من جماعة المزارعة [٦] .

حيث إنه عندما هُزم المزروعيون في شهر شعبان عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ،

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 27 .

(٢) محاسن عبدالقادر الصافي : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٤) Ghalib Yasuf Tamim: Op.Cit. p45.

(٥) قاضي قضاة كينيا عام ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م كان يحتفظ بنسخة من المخطوط .

(٦) الأمين بن علي المزروعي : المصدر السابق ، ص ١ .

انتقل إلى مكة واتخذ مسكناً له فيها ، وصحب معه ولديه علياً وأحمد . فبدأ الدراسة عند الشيخ عثمان حسن الدمياطي والشيخ أحمد دهلان . عاد إلى ممباسة وصار سنياً وهو أول مزروعي يصبح سنياً ، وكان يدعو الآخرين إلى المذهب السني [١] . وأغلب المزارعة شافعيو المذهب [٢] .حيث انسلخوا من المذهب الإباضي وأصبحوا سنيين منصفين عندما اختاروا مذهب الأمام الشافعي [٣] . وهذا تصحيح لما ذكره عدد من المؤرخين من أن مزارعة ممباسة والجزيرة الخضراء (بمبا) اتبعوا طريقة أهل السنة على مذهب الإمام الشافعي في أواخر عهد السيد برغش بن سعيد [٤] ، وبذلك تكون قبيلة المزارعة اعتنقت المذهب الشافعي قبل عهد السلطان برغش بكثير .

وذكر جمعة بن محمد بن راشد المزروعي أحد أحفاد القبيلة في مسقط وهو من مواليد زنجبار إذ أخبرني بأن المزاريع الذين في الجزيرة الخضراء لم يغيروا المذهب إلا أناس قليلون في تلك الفترة وإنما غير المذهب من المزاريع من بقي في ممباسة وكان لهؤلاء تأثير كبير على بقية المزاريع في الساحل مما حتم في النهاية على البقية ليحذوا حذوهم [٥] .

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 10 .

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، ص ٧١ .

(٣) عبدالرحمن عبدالكريم الملاحي : الحضارم في ممباسا ودار السلام ، ص ٣٣ .

(٤) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٣٦ ؛ حامد أحمد الحداد : المرجع السابق ، ص ٥١٠ .

(٥) تمت المقابلة مع الأستاذ جمعة بن محمد بن راشد المزروعي في منزله بمسقط يوم الثلاثاء الثاني من شهر صفر لعام ١٤٣٤هـ .

و كان الشيخ **علي بن بن عبدالله** الذي ولد في ممباسة عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٥م يدرس عند الشيخ علي بن محمد السروري . فدرس عنده شتى الفنون العلمية سبع سنوات . وحينئذ توفى معلمه ، فانتقل إلى الدراسة مع أبيه عند الشيخ عثمان بن حسن الدمياطي حتى في نهاية السنة ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م غادرا مكة عائدين إلى ممباسة وعندما وصلا ميناء الشحر توفى الشيخ عبدالله بن نافع في اليوم ١٧ من شهر ذي الحجة ١٢٦٢هـ الموافق ٧ ديسمبر ١٨٤٥م . وبعد الدفن رجع الشيخ علي إلى ممباسة فمكث فيها لمدة ثماني سنوات . ثم عاد مرة أخرى إلى مكة في عام ١٢٧٠هـ / ١٨٥٣م حتى ينال مزيداً من العلم ، فوجد أن الشيخ عثمان قد توفى ؛ ولذلك درس عند المشائخ الآخرين هناك ؛ الشيخ علي درس بعض العلوم عند الشيخ أبي بكر بامطرف بميناء المكلا (اليمن)، ومنحه الإجازة . ورحلته الأخيرة إلى مكة كانت في عام ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م وفي هذه المرة درس كثيراً أحاديث الرسول ، ﷺ ، عند الشيخ محمد بن ناصر اليمني . ودرس الفقه عند الشيخ محمد النبراوي ، ودرس المنطق عند الشيخ نور علي سليمان الهندي ،كذلك التقى مع ولي مكة الكبير الشيخ محمد سعيد بشار (١).

و بعد أن رجع إلى ممباسة في هذه المرة تمكن فيها ودرس ، وكذلك صار قاضياً في ممباسة إلى سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ، واستمر مع جماعته الشيخ راشد

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : Baadhl ya Wanavyuonl Wa Klshafl Wa Masharlkl Ya Afrlka, p 10; Ghalib Yasuf Tamim : Op.Cit. p8 – 9.

بن علي بن نـافع المزروعـي إلى عـام ١٢٩٢هــ / ١٨٧٥م [١]. وقـام بتـدريس المذهب الشافعي طالما وجد آنذاك مشايخ على المذهب الشافعي. لكـن الـشيخ علياً كان جاداً في إنكار الملل التي تخـالف النظـام الإسـلامي . فالأشـياء التـي تتعلق بالملل (تقاليد) السواحيلية التي أدخلت البدع في الدين أنكرها [٢]. كان يدرس في مسجد باشيخ من الساعة السابعة صباحاً إلى الـساعة التاسـعة وبعـد صلاة الظهر إلى الساعة الثالثة ، وفي شهر رمضان فقط كان يدرس بعـد صـلاة العصر . وفي عهد السلطان ماجد رحل الشيخ علي إلى زنجبار ودرس في مسجد غوف ، ومن هنا ألف كتابه (الدروس السابغة في رؤية الباري سبحانه وتعـالى) يرد على الكتاب المسمى (الخلاصة الدامغة) الذي ألفه الـشيخ القـاضي الكبـير للسيد ماجد المسمى الشيخ محمد بن علي بن محمد المنذري . عندما رحل الشيخ علي إلى زنجبار قال له السيد ماجد : " هـل رأيـت الخلاصـة الدامغـة الكتـاب الذي ألفه الشيخ ابن علي ؟ " . فأجابـه قـائلاً " نعـم رأيتـه " فقـال لـه الـسيد ماجد : " هل تستطيع أن تجيبه ؟ " فأجابـه قـائلاً : " لـولا احترامـي لمـذهبكم لأجبته " . قال له السيد ماجد : " آذنتك لتجيبه " . فشكره فقال للسيد ماجـد أن يحضر له الناس لكي يجيب الشيخ محمـداً أمـام النـاس جميعـاً [٣]. الـسلطان

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 10 .

(٢) Ghalib Yasuf Tamim: Op.Cit. p10 .

(٣) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 10 .

ماجد استطاع أن يتحمل تلك المعارضة ، ولكن السلطان برغش لم يقبل تلك المعارضة ، بل رأى أن الشيخ علياً مهدد لسلطته ومكانته . الشيخ علي لم يقتنع بتدريس الدين في مدينة ممباسا فقط ، بل سافر إلى زنجبار (أنغوجا وبيمبا) وأسس هناك مدرسة. ذلك الفعل زاد على برغش بغضاً ، وخطط مكيده لحبسه (١) .

و في عام ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م ذهب الشيخ علي إلى بيمبا لزيارة أقاربه المزروعيين الموجودين هناك وأسس مدرسة درس فيها هؤلاء الجماعة ، وتخلوا عن مذهبهم واتبعوا مذهب الشيخ علي السني . ولما سمع السيد برغش أن الشيخ علي في بيمبا ويدرس المذهب المخالف لمذهب السلطنة ، أرسل باخرة كاملة للقبض عليه والإتيان به إلى زنجبار وعندما امتثل أمامه قال له : " سأسجنك إلى أن تموت أو أموت أنا في ملكي " فأجابه الشيخ علي : " إن شاء الله ليس بعيداً " فمكث في السجن إلى أن توفى السيد برغش . لذلك أطلق الشيخ علي حراً من السجن في عهد السلطان خليفة بن سعيد .

- **الكتب التي ألفها :**

١- الدروع السابغة في مسألة رؤية الباري سبحانه وتعالى .

٢- شرح دلائل الخيرات .

---

(١) Ghalib Yasuf Tamim : Op.Cit. p10 .

٣- شرح وجيز لشمائل الترمذي .

٤- ترجمة مختصرة لأهل بدر .

٥- نسخة (تفسير) الجلالين الذي كتبه لأبيه ، لأن ينقل به تفسير القرآن من مشايخه [١].

- وفاته :

عاش الشيخ علي بن عبدالله ٧٢سنة ، توفى في اليوم ١٢ صفر ١٣١٢هـ / الموافق ١٤ أغسطس ١٨٩٤م .

- طلابه :

من ضمن السادة الكبار في الشرق الإفريقي الذين درسوا عند الشيخ علي بن عبدالله في ممباسة فقط هم :

١- الشيخ محمد بن قاسم المعمري (١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م – ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م) هو الطالب الكبير للشيخ علي بن عبدالله ، وأخذ مكانه في تدريس زملائه الطلاب جميعاً بعد وفاة شيخهم ، ومن ضمن زملائه الشيخ سليمان بن علي المزروعي ، والشيخ أحمد املومري الذين درسوا كثيراً عنده . تولى التدريس لمدة ١٦ سنة منذ وفاة شيخه إلى أن توفى هو.

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 11 .

٢- الشيخ سليمان بن علي بن خميس بن سعيد المزروعي (١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م – ١٣٥٥هـ/ ١٩٣٦م) ، بعد وفاة شيخه علي صار شيخاً لزملائه الطلاب . عندما كان شيخه في السجن ذهب إلى بيمبا للتدريس .

٣- الشيخ راشد بن علي بن راشد المنذري ساكن في ممباسة وبيمبا وكان خطيب وإمام مسجد المنذري بممباسة .

٤- الشيخ عبدالشكور بن محمد بن عبدالرزاق اتخذ آباؤه أنغوجا مسكناً لهم قبل عهد السلطان سعيد ، ولد الشيخ عبدالشكور في حي امكونازيني في عمارة تاريا الكبيرة ، وعندما بدأ دراسته ذهب ليدرس عند الشيخ سليمان الحيات إلى وفاته ، وارتحل إلى ممباسة حيث مكث هناك ودرس عند الشيخ علي بن عبدالله المزروعي ، ثم ارتحل إلى حضرموت ومكث فيها مدة طويلة ، وتلقى دروسه في رباطه ، وكما ذهب إلى بلدان أخرى لتلقي تعليمه (١) .

٥- الشيخ علي بن عبدالله بن علي المنذري من بيمبا ، واصل العمل الذي خلف شيخه إلى أن توفي في عام ١٣٣٤هـ/ ١٩١٥م .

٦- الشيخ حمدان بن عبدالقادر القحطاني : حفيد الشيخ محي الدين لابنته ، ولهذا صار خطيب مسجد ماليندي الجامع ، عالم في مسائل الفقه ، وكان يدرس في ضاحية ميشنزاني صباحاً ، وبعد العصر .

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 11 .

٧- الشيخ شيها بن سيرو : بعد أن درس عند الشيخ علي بن عبدالله وعلم، دخل في عملية دعوة سكان تنغا النائية إلى الإسلام وتدريسهم إلى أن توفى في عام ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م[١].

- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالغني الأموي :

ولد الشيخ عبدالعزيز في براوه عام ١٢٤٨هـ/ ١٨٣٢م ، وجاء إلى أنغوجا وهو شاب صغير ولكن قد تلقى التعليم جيداً ، تعلم عند الشيخ السيد أبي بكر بن محضر ، وعند حاج علي ابن عبدالرحمن ، وعند السيد أحمد المغربي .

و بالإضافة إلى ذلك عندما جاء إلى أنغوجا استمر في تلقي العلم عند الشيخ محي الدين حينما طلب منه قاض ليحكم في كيلوا اختار الشيخ عبدالعزيز ليكون قاضياً لكيلوا . ولاه السيد سعيد القضاء هناك في عام ١٢٦٦هـ/ ١٨٤٩م . وبعد مضي سنوات قليلة نقل الشيخ عبدالعزيز إلى أنغوجا ليعمل قاضياً واستمر في القضاء إلى عهد السيد علي ، وتخلى نهائياً عن القضاء فتولى القضاء ابنه الكبير الشيخ برهان بن عبدالعزيز [٢].

- الكتب التي ألفها :

كتبه لها سوء حظ ، رغم أنه ألف كتباً كثيرة ، لا يوجد منها سوى كتاب

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 12 .

(٢) السابق ، ص ١٥ .

" النواميس الصمدانية " الذي ألفه في عام ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م . وعند أبنائه يوجد كتاب التوحيد الذي أكمل تأليفه في عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م وسماه " عقد اللآلي " وشرح هذا الكتاب سماه " تقريب عقد اللآلي " . أما تاريخه في زنجبار منذ أن تولى السلاطين البوسعيديون إلى عهد السلطان / حمد بن ثويني غير معروف أين ذهب ومن عنده . وأجوبة مناقشاته مع رئيس الكنيسة توزر واستسير وأب دال أيضاً لا تعرف أين هي وكانت في أي نوع وكيف أجابها . ليس هناك عالم زنجباري يباري رؤساء الكنيسة أكثر من هذا الرجل وكانت حججه قوية حقيقية ولم تكن ضوضاء ، ومن صفته إذا قدم حجة لا تبقي شيئاً أمامها ! .

الشيخ محي الدين والشيخ عبدالعزيز يقول السنيون جميعهم : إنه أن لم يكن علماء سنيون في زنجبار أعلم من هؤلاء السادة . لم يهتم الشيخ عبدالعزيز كثيراً في التدريس رغم أنه كان يدرس قليلاً في منزله وفي مسجد منارة بماليندي ؛ وربما من النادر كان يدرس في مسجد ماليندي في عصر شهر رمضان ، وكما كان يدرس تفسير القرآن الكريم في مسجد فروضاني الجامع ، غالباً اهتمامه كان في الذكر[١]. كان الشيخ عبدالعزيز يحضر مجالس جميع سلاطين زنجبار منذ عهد السلطان سعيد إلى وفاته في آخر عهد السلطان حمد بن ثويني في اليوم ٥ محرم

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 14 .

١٣١٤هـ الموافق ١٧ يونيو ١٨٩٦م وكان عمره ٦٦ سنة [(١)].

- طلابه :

١- ابنه الشيخ برهان بن عبدالعزيز الأموي (١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م - ١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) ، تعلم كثيراً من أبيه ومن حفظه القوي فهم كثيراً.

٢- الشيخ محمد بن خلفان .

٣- السيد حسن بن محمد .

٤- الشيخ عبدالله باوزير .

٥- السيد عبدالرحمن بن أحمد .

- مشائخ مغونياني :

كان في مغونياني مشائخ كبار جداً والحضارة الكبيرة والنعمة والملك الكبير. ومن إحدى سمات حضارتهم المصاحف المكتوبة بالخط اليدوي الجميل وأوراقها جيدة ووضع فيها القراءات السبع في الهوامش . كتبت بقراءة أبي عمر وهي القراءة التي كانت تستخدم في هذه البلدان قبل مجيء المصاحف من الهند ومصر التي كتبت بقراءة عاصم برواية حفص.

و من مشائخها هم :

١- الشيخ عبدالكريم بن عمر المتوفى في عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٧م درس

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 15 .

عند أبيه الشيخ عمر ابن محمد بن محمود المعروف باسم فقيه عمر .

٢- الشيخ زبير بن علي المولود في تشوندوا .

٣- الشيخ لالي بن فاي من تشوندوا .

٤- الشيخ عثمان بن عادي .

٥- الشيخ والي بن أبي بكر الختمي الذي انتقل إلى أنغوجا وسكن ودرس وتوفى فيها . كان يثق بنفسه كثيراً ويواجه بعض علماء أنغوجا [١] .

- الشيخ عبدالرحمن بن أحمد بن عمر السقاف :

هذا الرجل معروف باسم اموييني عبد وشيخ الإسلام ، نال الاسم الثاني هذا من ممباسة وأما الاسم الأول وجده من بلدته سييو. ولد بسيوى في عام ١٢٦٠هـ/ ١٨٤٤م وبعد أن كبر دخل في طلب العلم ، درس كثيراً عند العلماء الصوماليين الكبار الموجودين بسيوى . درس الفقه عند الشيخ عثمان بن شيخ الصومالي ، ودرس تفسير القرآن والحديث عند الشيخ فقيه بن عويس الصومالي ، أيضاً درس كثيراً عند الشيخ محمد بن سعيد السعيدي والشيخ أبي بكر بن امكوفوندي ، ودرس عند الشيخ لالي بن فاي الباجوني ، ودرس كتاب منهج الخطبة عند الشيخ محمد بن قاسم المعمري ، ودرس أكثر عند الشيخ عبدالكريم عمر . عندما هزم ملك سيوى بوانا محمد وابوانا متاكا ارتحل إلى

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 16-17 .

أنغوجا مع السادة الكبار للسيد ماجد في شهر ذي الحجة من عام ١٢٨٠هـ الموافق شهر مايو ١٨٦٣م ، و السيد عبدالرحمن بن أحمد كان معهم لأنه من السادة الكبار هناك . ثم حصلت فتنة كبيرة في زنجبار سجن فيها كثير من العلماء كان شاباً تقريباً عمره ٢٠ سنة عندما مسك بهم السيد ماجد ووحبسهم في سجن ممباسة وسجن الشيخ عبدالرحمن معهم . مكث في السجن لمدة ستة أشهر ، وبعد ذلك أطلق سراحه رغم أن زملاءه بقوا في السجن مدة طويلة ومات بعضهم فيه . وفي تلك المدة حفظ القرآن الكريم وتعلم نصفه جيداً . وبعد إطلاق سراحه ورجوعه إلى سييو تمسك بتدريس الدين وصار قاضي سييو في عهد السلطان برغش في عام ١٢٩٦هـ / ١٨٧٨م ، واستمر في القضاء إلى عام ١٣٢٠هـ/ ١٩٠٢م عندما عينه سير هردنغ في منصب قاضي القضاة في ممباسة إلى أن توفى فيها عام ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م . وفي ممباسة كان يسكن في حي كيبوكوني ويدرس في مسجد مكادرا الذي بناه الوالي الشيخ مبارك بن سالم بن أحمد المزروعي [(١)] .

- **الشيخ عبدالله بن محمد باكثير الكندي :**

ولد الشيخ عبدالله في عهد السلطان ماجد في عام ١٢٧٧هـ/ ١٨٦٠م في جزيرة لامو ، نشأ الشيخ عبدالله يتيماً ، لا أب له يتكلفه ولذا وجب عليه منذ صغره أن يعمل في حياته . تعلم الخياطة ليستعين بها على أمر المعيشة وكانت

---

(١) عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، ص ٣٨ -٣٩ ، وأيضاً :

Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 18 .

لامو في ذلك الحين ملأى بالعلماء فدرس عليهم حتى تحصل على نصيب وافر ، ولما بلغ عمره ١٩ سنة سافر إلى مكة للحج وطلب العلم ، فأقام بمكة ولازم فيها كثيراً من العلماء ، ثم عاد إلى لامو وأقام مدة قصيرة ، ثم عاد إلى لامو ، ثم سافر إلى حضرموت فأخذ عمن أدركه بها من الأئمة (١).

و بعد الدراسة سافر إلى بلدته في لامو وعند وصوله وجد أن فيها كثيراً من القواد ، فرأى من الأفضل أن يرتحل إلى بلد آخر ليس فيه كثير من القادة حتى يكون مع الأقلية في قيادة الأمة . شاوره الشيخ محمد المورونى وقال له : لن تجد محلاً وأهله ذوو أخلاق طيبة أكثر من زنجبار فارتحل إلى هناك .

قبل بناء مدرسته في زنجبار ، كان يقوم بتدريس درسه الكبير في مسجد غوف بين المغرب والعشاء . وأما الدروس الفردية فكانت ليس لها الأوقات المخصوصة ، إذا جاءه شخص في أي مكان يدرسه سواء في بيته أم في مزرعته أم في أي مكان آخر .

و كثير من الناس كانوا يأتونه في مزرعته بفووني(٢). ولقد خلف الشيخ عبدالله باكثير أموراً كثيرة من أجلها مايلي :

-مدرسة أكتان التي اتخذت مدرسة إسلامية موقوفة في تعليم أبناء المسلمين . وقد أنشئت في عهد السلطان علي بن حمود ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م .

---

(١) عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم ، ص ٤٧-٤٨ .

(٢) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 33 - 34 .

- حلقة دروس القرآن الكريم وإحياء السنة بصلاة التراويح وقيام الليل بقراءة جزء واحد كامل في كل يوم من أيام رمضان .

توفي الشيخ عبدالله في عام ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٥م ، وكان عمره ٦٧ سنة [١].

- مشائخ تكؤنغ وماليندي :

١- الشيخ سليمان بن علي بن خميس بن مبارك المزروعي . ولد في تكؤنغ ، وتعلم في ممباسة عند قريبه الشيخ علي بن عبدالله ، درس في منطقته تكؤنغ ، وتولى القضاء هناك في عام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م إلى أن توفي ١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م .

٢- الشيخ ناصر بن أحمد بن محمد المزروعي ولد في تكؤنغ ودرس في ممباسة عند الشيخ علي ، وتولى القضاء في تكؤنغ ثم في ماليندي ، واستمر في القضاء أكثر من ٤٠ سنة ، بنى مسجداً في ماليندي ، وكان يصلي ويدرس فيه .

٣- الشيخ حمد بن جمعة المزروعي وهو معروف باسم الشيخ سرور ، درس عند الشيخ علي ابن عبدالله فصار ذكياً جداً ، تولى ولاية روكة وقضاء ماليندي ، وكان خطاطاً ، ألف الكتب بالخط اليدوي [٢].

---

(١) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 49 - 50 .

(٢) Abdallah Saleh Farsy : op. cit. p 20 .

كـذلك العلـماء القمريـون لعبـوا دوراً مـؤثراً وواقعـاً في نـشر الإسـلام ، والقمريون هم قـراء للقـرآن الكـريم ، ومـن الأوائـل الـذين نـشروا العقيـدة الإسلامية وكان منهم قضاة ومعلمو القرآن وأئمة مـساجد [1] . ومـن العلـماء القمريين الذين أسهموا في تدريس العلوم الإسـلامية والعربيـة ونـشرها ، مـن خلال نظام التعليم التقليدي في المساجد والكتاتيب والحلقات العلمية ، نـذكر منهم ، على سبيل المثال لا الحصر [2] ، العلامة الشيخ أحمد بن أبي بكر بن سميط (١٢٧٨-١٣٤٤هـ/ ١٨٦١ -١٩٢٥م) ، الـذي قـام بالتـدريس في المـذهب الشافعي والعلوم العربية لعدد كبير من التلاميذ ، في جامع " ملندي" ، وانتهت إليه الرياسة العلمية في أقطار السواحل ، وتخرج عليه الجم الغفير ، بـل مـا مـن حامل محبرة أو قلم في بلـدان شرق إفريقيـة إلا وهـو منتـسب إليـه مبـاشرة أو بواسطة ، " وللعلم رحم بين أهله " ، وألف عدداً من الكتب كما اشتغل طويلاً في القضاء .و انتقل إلى رحمة الله بعد حياة حافلة بالعطاء العلمي والتأثير الثقافي بزنجبار ، وقبره مشهور ، ويوجد أمام جامع " ملندي " .

العلامة الشيخ منصب بـن عـلي (١٢٨٠-١٣٤٦هـ/ ١٨٦٣-١٩٢٧م) الذي هاجر من جزر القمر إلى زنجبار كان يعلـم القـرآن والعلـوم الـشرعية في بلدته بمروني ، ثم هاجر أيام السيد ماجد وأقام المـواعظ والـدروس في جـامع

---

(١) حامد كرهيلا : أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم درمان الإسلامية ، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) ، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٠٨ .

زنجبار ، وعندما علم السيد ماجد أمره عينه قاضياً لمدينة زنجبـار ، وكـان أول رئيس لجمعية أهل السنة والجماعة الزنجبارية التي تأسست في السبعينيات مـن القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري [١] .

إذن كان لعلماء ودعاة شرق إفريقية الفضل في نـشر الإسـلام بـين القبائـل والشعوب الإفريقية ، من خلال بنائهم للمساجد والمـدارس وإلقـاء الـدروس الدينية .

---

(١) محمد السقاف : المرجع السابق ، ص ٨٣ .

الفصل الثاني

انتشار الإسلام في المناطق الداخلية في شرق إفريقية على يد المزارعة

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : انتشار الإسلام في الساحل الشرقي (ممباسة – مالندي – لامو) .

المبحث الثاني : انتشار الإسلام في منطقة جنوب شرق زنجبار .

المبحث الثالث : انتشار الإسلام في المديرية الغربية بتنجانيقا.

المبحث الرابع : انتشار الإسلام في منطقة أعالي الكونغو.

المبحث الأول

انتشار الإسلام في الساحل الشرقي(ممباسة – مالندي – لامو)

في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي كانت بداية الهجرة العربية الإسلامية الكبرى التي خرجت من الجزيرة العربية في سبيل نشر الدعوة الإسلامية . ثم كانت المنازعات والخلافات في عهد الخلافة الأموية والعباسية مما أدى إلى ازدياد الهجرات العربية إلى الساحل الإفريقي الشرقي [١] . فمنذ أن استقبل الساحل نور الإسلام واحتضانه لعدد من الأسر العربية والشيرازية التي هاجرت إليه ، أخذ الدين الإسلامي يستوطن الساحل عن طريق تلك الهجرات الناشرة لتعاليمه ، وبدأت خيوط هذه الهجرات تنسج ميلاد نظام الإمارات الإسلامية على طول الساحل الشرقي لإفريقية الشرقية ، وقيام كيانات سياسية متمثلة في مدن عربية ذات توجهات إسلامية [٢] . وقال شكيب أرسلان في هذا الصدد : وجميع البلدان الواقعة في ساحل البر الإفريقي كانت من أقصاه إلى أدناه في ظل الحكم العربي إلى أن بدأت تضمحل بتدخل الاستعمار [٣] .

ومن الجدير ذكره أن المد الإسلامي الوافد إلى ساحل شرق إفريقية في

---

(١) محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٤٥ .

(٣) لوثروب ستودارد : المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

ركاب الهجرات الإسلامية القادمة من جنوب الجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي لم يتوقف على مر السنين ، وترتب على ذلك أن تأسست مدن إسلامية مزدهرة على الساحل صارت بيئة صالحة لانتشار الإسلام بين الأفارقة من ناحية ، وتغلب مظاهر الثقافة العربية الإسلامية عليهم من ناحية أخرى ، وأقيمت المساجد في كل مدينة ، حيث عرف الكثير من القبائل الطريق إليها ، وفي هذا المظهر الديني يتوفر الدليل القاطع على أن كثيراً من الأفارقة قد تحولوا إلى الإسلام (١) .

و تذكر بعض الدراسات التاريخية أن مدن لامو وممباسة وباته وزنجبار وماليندي أسسها العرب في عهد الدولة الأموية . وتذهب نفس البحوث إلى القول إن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٥ – ٨٦ هـ/ ٦٨٥ – ٧٠٥م) كان يعرف أهمية هذا الساحل بالنسبة للعرب . ذلك أن الساحل بجزره ومدنه كان بمثابة مكان يطمئن إليها الفارون من الاضطرابات التي كانت تشهدها عواصم العالم الإسلامي آنذاك (٢).

وتضيف هذه الدراسات بأن الخليفة عبد الملك أرسل اثنين من أولاده هما جعفر وحمزة إلى هذا الساحل – حتى لا يقع هذا الساحل العربي الإسلامي الهام

---

(١) إبراهيم عبد المنعم أبو العلا : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٢) محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٧٦ ؛ عبدالماجد يوسف أبو سبيب : العلاقات العُمانية الإفريقية والتنافس الاستعماري في عهد السلطان سعيد ، مجلة دراسات إفريقية ، العدد العاشر ، (١٩٩٣م) ، ص ١٣٠ .

في سيطرة الشيعة أو الخوارج على ما يبدو – وذلك بعد أن بدأ أتباع عبدالله بن إباض الفرار من عُمان ، إلى جانب هروب مجموعة من الشيعة إلى الساحل الشرقي الإفريقي . ويبدو أن أبناء عبد الملك استقروا بماليندي أو في غيرها من المدن الساحلية إلا أن المهم هو أن هؤلاء الأمويين بدؤوا ينتشرون في زنجبار وبقية الجزر ويتقربون إلى الملوك المحليين ويتزوجون من بناتهم ، ثم يرثون الحكم مع تقادم السنين . وتم إخضاع الساحل للأمويين وتفويت الفرصة على الشيعة والخوارج لإنشاء دولة شيعية أو خارجية على هذه المنطقة الحيوية بالنسبة للعالم الإسلامي . ويبدو أن العباسيين عندما أقاموا دولتهم على أنقاض الخلافة الأموية ساروا على نهج الأمويين في إخضاع الساحل حتى لا يقع في أيدي الشيعة الذين كثرت ثوراتهم ثم فرارهم إلى تأسيس دول لهم في شمال إفريقية إبان العهد العباسي (١) .

والواقع أن قدوم العرب إلى ساحل إفريقية الشرقي وإقامتهم إقامة دائمة ، كان إيذاناً ببداية عهد جديد في تاريخ إفريقية الشرقية وهو عهد اتسم بظهور تغيرات واسعة في علاقات الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية في المنطقة ، فمن المعروف أن الهجرات والجماعات استطاعت أن تؤسس إمارات وسلطنات سواحلية ، وقام نظام الحكم وعلاقات السلطة فيها تحت رئاسة

---

(١) محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

هؤلاء الوافدين [١] ، على طول الساحل الشرقي ، حتى مدار الجدي جنوباً وكان العرب يطلقون عليها ساحل ، أو بلاد الزنج ، كما أن هذه الإمارات والمدن كانت مسرحاً لنشاط تجاري واسع وقد كان العرب يتنقلون من وإلى الجزيرة العربية [٢]. وكانت لكل هذه المدن أو الدويلات نظمها السياسية القائمة على نظام الشورى الإسلامي ، كما كان يسود فيها النظام الإسلامي في القضاء والمال والتجارة والحرب والتعليم [٣]. ودان معظم سكان المدن السواحلية بالإسلام . وجعلهم هذا العامل أكثر من أي عنصر لغوي أو عربي آخر يشعرون بالاختلاف وبالتفوق على جيرانهم من شعوب البانتو الأخرى [٤].

و كان أن كثرت الخلاوي وانتشرت على طول الساحل ، وعقدت فيها حلقات الدرس . كما صار الدين الإسلامي أساس التشريع والقضاء ومصدر القيم الروحية [٥].

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٩٩ – ١٠٠ ؛ رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي ، ص ٥.

(٢) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(٣) عبدالرزاق علي عثمان : البرتغاليون في شرق إفريقيا وطردهم منها ، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج وشرق إفريقيا ، رأس الخيمة ، مركز الدراسات والوثائق ، ط٢ ، (٢٠٠١م) ، ص ٤٦٣ .

(٤) رونالدو أوليفر ، أنتوني أتمور : المرجع السابق ، ص ٤٨

(٥) غيثان علي جريس : الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثالث ، المجلد الأول ، (١٩٩٥م) ، ص ٧٩ .

وبينما الحالة على هذا النحو ، هدوء واستقرار وانتشار تدريجي للإسلام نحو الداخل في الساحل الجنوبي ، تصل المنطقة طلائع الغزو البرتغالي في نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي وبداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي (١) ، وعندما وصل فاسكو داجاما إلى الساحل الإفريقي الشرقي عام ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م ، وجد معظم أهل هذه البلاد يتكلم اللغة العربية ، كما وجد القرآن الكريم شريعتهم ، ورأى البرتغاليون عدداً كبيراً من المدارس التي تلقن القرآن الكريم واللغة العربية في ممباسة وكلوة ومقديشو كذلك وجد البرتغاليون ، ومن أعقبهم من المستعمرين الأوروبيين ، جماعات من القبائل الإفريقية تتقن اللغة العربية ، وتُعنى بإنشاء المكاتب والمدارس الخاصة لتعليم القرآن الكريم ولغته (٢).

وبقدوم البرتغاليين أصبح شرق إفريقية كله مسرحاً لحروب صليبية مريرة، وهكذا فقد الإسلام مركزه السياسي وانتقلت السيادة السياسية إلى الصليبيين الذين استهدفوا اقتلاع الجذور الإسلامية من الأساس ، واتبعوا سياسة قمعية ضد المسلمين ، ولما تحررت المنطقة من الحكم البرتغالي بدأت المراكز الحضارية الساحلية تنتعش من جديد في تخريج الدعاة ، والعلماء ، وحفظة القرآن الكريم، وأئمة المساجد (٣).

---

(١) عبدالرزاق علي عثمان : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ .

(٢) غيثان علي جريس : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٣) عبدالرزاق علي عثمان : المرجع السابق ، ص ٤٦٣ – ٤٦٤ .

و من أهم هذه المدن العربية الإسلامية على الساحل الشرقي الإفريقي :

مدينة ممباسة : وصفها الجغرافيون المسلمون بأنها مقر ملك الزنج التي هي موطن قبائل النييكا . وتروي الروايات المحلية أن أول من حكم هذه المدينة من المهاجرين هو علي بن حسن ، ابن سلطان كلوى [(١)] . ومن خلال إحدى الوثائق حول تأسيس مدينة ممباسة جرى فيها ذكر جماعة الأشقاء السبعة [(٢)] الذين هاجروا إلى البر الإفريقي من بلاد شيراز وساهموا في تأسيس العديد من الحواضر ، منها تأسيس مدينة ممبسة ، وأطلق عليها أحد أبناء الحسن بن علي اسم (منفسه) [(٣)] . وكان أسمها أيضاً (غنغويا) وهو اسم سواحيلي، كما أطلق عليها اسم (أمفيت) معناها الحرب لكثرة ما دار فيها من معارك [(٤)] .

و يشير الإدريسي إلى مدينة ممبسة ويقول : هي مدينة صغيرة للزنج ، وهي

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٢) جماعة الأشقاء السبعة : هم عرب في الأساس وليسوا شيرازيين (فرس) ، حيث هي جماعة تنتمي إلى قبيلة الحارث العربية. قدموا من منطقة الإحساء بالجزيرة العربية ، وكان هؤلاء سنيين شافعيي المذهب ، ويبدو أن وقت مجيئهم كان في نهاية القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي أو بداية القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، ويبدو أن هذا الرأي صحيح لأن الإمام الشافعي ظهر في الفترة من ١٥٠ – ٢٠٧هـ / ٧٦٧ – ٨٢٢ م وانتشر مذهبه خلال هذه الفترة في العراق والحجاز ثم في مصر بعد أن رحل إليها . محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٣) انظر ملحق رقم (١٣) .

(٤) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٨٤ ؛ فاطمة السيد : المرجع السابق ، ص ٢١ .

على ضفة خور كبير في غربيها تدخله المراكب مسيرة يومين [١].

ويعتبر ما كتبه الرحالة المغاربي الشهير ابن بطوطة الذي زار ساحل إفريقية الشرقي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي عن هذه المدينة أهم مصدر يصف أحوالها قبل وصول البرتغاليين إلى الساحل ؛ إذ يشير إلى أنها جزيرة كبيرة ، بينها وبين الأرض الرئيسية مسيرة يومين في البحر [٢]. ويبدو أنه لم يدر حول المدينة ؛ إذ إن ما يفصلها عن البر الرئيسي ليس بهذا البعد . كما يذكر ابن بطوطة النباتات المختلفة التي تنبت فيها ، أهمها ما سماه أشجار الزيتون الشديد الحلاوة . كما ذكر أن لا زرع عند أهل هذه الجزيرة وأن أكثر طعامهم السمك والموز ، وأن عمق آبارهم ذراع أو ذراعان [٣].

و قد وصف ابن بطوطة مسلمي ممباسا فقال : " وهم شافعية المذهب أهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب " [٤]. إن المهاجرين القادمين بالإسلام إلى المنطقة ، كانوا ينطلقون من اليمن وحضرموت ، أو يعبرون بها

---

(١) أبي عبدالله محمد الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ١ ، د . م ، مكتبة الثقافة الدينية ، د . ط ، (٢٠٠٢م) ، ص ٥٩ – ٦٠ .

(٢) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ؛ جمال زكريا :الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ط ، (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ، ص ٥٠ ؛ عبدالرحمن زكي: المرجع السابق ، ص ٨١ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

كحال الجماعة الشيرازية السبع ، الذين وصلوا إلى شرق إفريقية حاملين معهم المذهب الشافعي ، وانتشر على أيديهم في دول الساحل الشرقي والجزر المقابلة له [١].

يقول الدكتور حامد كرهيلا : إن مسلمي شرق إفريقية شافعية المذهب ، إذ التأثير الإسلامي السائد وصل من جنوب الجزيرة العربية، بخاصة حضرموت، وتكثر المساجد في مدن الساحل ، وللفقهاء منزلة عالية [٢] .

ويرجع تفوق المذهب السني على بقية المذاهب في ساحل شرق إفريقية على وجه الخصوص ، إلى عدة عوامل : **أولها** : قدم المذهب وأسبقيته .

ثانيهما : أن جماعة الإخوة السبعة التي جاءت به إلى المنطقة كانت أقوى جماعة استطاعت بسط سيطرتها على جميع المدن الساحلية ، انطلاقاً من مدينة مقديشو التي كانت عاصمتها ، وهذا يعني أن المذهب السني كان أول مذهب استطاع أن يصل إلى كل أجزاء ساحل شرق إفريقية . أما **العامل الثالث** ، فهو أن الساحل لم يعرف التعصب المذهبي الذي مزق العالم الإسلامي عبر العصور، بل إن نظام الحكم في هذا الجزء من القارة الإفريقية لم يكن يهتم بالمذهبية ، وذلك لأن المسلمين هناك كانوا ضحايا حروب ونزاعات مذهبية قبل قدومهم إلى الساحل ، فاستوعبوا الدروس من ذلك [٣].

(١)حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

(٢) السابق ، ص ٨٧ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

وقد شهد ابن بطوطة على جمال مدينة ممباسة المتقنة البناء منذ أوائل القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي [(١)] . كما وصفها دوراتو بربوسا في بداية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وصفاً يحفظ لها هذا الامتياز ، حين قال : ثمة مدينة إسلامية كبيرة تدعى ممباسة ، وهي مدينة جميلة ذات بيوت رائعة ... وشوارعها منسقة على غرار شوارع كلوى ... وتتزين النساء بالحرير والذهب ، وهي مركز تجاري ولها ميناء جيد يعج بالسفن الرائحة والغادية ... إلخ . وقد أطنب زوي مارش وكنغسنورث في الحديث عن هذه المدينة وعن ازدهارها ورخائها ، ولاشك أن ممباسة عاشت آنذاك في رخاء وازدهار وثراء حتى إن نقل ثروتها إلى السفن استغرق ١٥ يوماً حين نهبها البرتغاليون [(٢)] .

عانت شرق إفريقية من الاضطهاد الديني على أيدي البرتغاليين ، وخاصة ممباسة التي مارسوا عليها أشد أنواع التمييز الديني ، فقد أهين الناس في دينهم، وأحرقت مساجدهم ووطئوا القرآن الكريم بأرجلهم وسخروا من عبادتهم وأذلوهم أشد الإذلال ، ومارسوا عليهم أشد أنواع العذاب ، وأرغموهم على الدخول في الديانة المسيحية ، وترك الإسلام الذي تربوا عليه ودانوا به لمحض

---

(١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

إرادتهم [١] ، ويذكر الشيخ الأمين بعض تلك الممارسات الوحشية للبرتغاليين في ممباسة فيقول : " وحالما قبض البرتغال على زمام الحكم ، عادوا إلى معاملة أهل ممباسة بالشدة والفظاعة كعادتهم في الأيام السالفة ، فاستخدموهم في الأعمال الشاقة، وهتكوا أعراض نسائهم ، واستهزؤوا بالدين ، حتى كانوا يرمون المسلمين بحجارة إذا رأوهم يصلون " [٢] .

إن البرتغاليين قد أفزعهم كثيراً انتشار الإسلام وسط سكان ساحل شرق إفريقية من الإفريقيين فبذلوا جهدهم لإيقاف مده . وقد عزا البرتغاليون سرعة انتشار الإسلام لدور العلماء القادمين من اليمن والحجاز ولحركة التجارة وعلاقة التجار بالإفريقيين . فعمدوا إلى التضييق على التجار ومنع مراكبهم من الحركة ، كما عمدوا إلى بناء الكنائس في مدن الساحل لتنصير الأفارقة ومحاولة استمالة الناس إلى الديانة المسيحية [٣].

و نجح البرتغاليون في تشييد قلعة عسكرية في ميناء ممباسة ، اعتبرت من أشهر وأقوى قلاعهم ، وعرفت باسم قلعة المسيح ، لا تزال آثارها باقية في

(١) عبدالله سليمان الغيثي : ولاية ممباسة في عهد دولة اليعاربة العُمانية ١٦٩٦ – ١٧٤٩م ، رسالة ماجستير ، جامعة السلطان قابوس ، (٢٠١٠م) ، ص ١١٨ – ١١٩ .

(٢) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٢١ ؛ عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٣) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٣٨ .

ممباسة حتى الآن (١) ، تشهد حركة الاضطهاد المسيحي والتنصير بين المسلمين (٢) ، ومع انحسار النفوذ البرتغالي في نهاية القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي بعد نجاح اليعاربة العُمانيين بقيادة عائلة المزروعي في تحرير سواحل شرق إفريقية اكتسب الإسلام أرضية صلبة ، وأصبح مجتمع الساحل إسلامياً خالصاً وغلبت الثقافة الإسلامية على حياته (٣).

و ممباسة مقر كرسي آل مزروع ، وصفها بورتون عام١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م بأنها تتألف من مدينة عربية تسمى جافانا يفصلها عن المدينة القديمة سور ، والمدينة القديمة تسمى مجو كاله وهي حي تسكنه المجموعات الوطنية السواحيلية (الأهالي القدماء) ، أما عن جافانا فهي عبارة عن عدة أكواخ من القش تمتد في شكل عنقود ، وحولها عدد قليل من المساكن المبنية من الحجر ذات طابق واحد وسقف مسطوح . أما عن القلعة البرتغالية المقهورة فأنها تقع إلى الشرق من جافانا ، وبين القلعة وبين جافانا توجد مقابر حكام المزاريع (٤) .

---

(١) هي قلعة ممباسة المشهورة والتي شهدت الوقائع والمعارك الحاسمة بين العُمانيين والبرتغاليين .وقد شيدها البرتغاليون سنة ١٠٠٣هـ / ١٥٩٤م وأطلقوا عليها " قلعة يسوع " فهي من أقوى حصونهم في أفريقية والشرق على الإطلاق . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٣٧ ؛ انظر الصورة في الملحق رقم (١) ، (٢).

(٢) عبدالفتاح مقلد غنيمي : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٣) محمود عبدالرحمن الشيخ : انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٣٩ .

(٤) A.I.SALIM : Op.Cit. p26 - 27 .

و قد جاء المزاريع إلى شرق إفريقية محررين وداعمين لإخوانهم المسلمين ، أسسوا المساجد وأقاموا الصلوات وحضوا الناس على التمسك بالدين الإسلامي ، وأخذوا ينقلون علوم الدين إليهم ويعلمونهم الفقه والسيرة ، ومختلف علوم الدين ، فنجد أن العمانيين عندما استولوا على قلعة المسيح في ممباسة ، وكانت بها كنيسة خاصة بالبرتغاليين ، دمرها العرب المسلمون حينما استولوا على القلعة ، وحولوها إلى مسجد تقام فيه الصلوات ، ويتعلم به الناس أمور دينهم (١) .

و القلعة بنيت على شكل إنسان ملقي على ظهره يزعمون أنه جسد المسيح لذلك نسبت إليه في شخصه ، ويوجد كثير من الآثار داخل القلعة تنسب للهنود والبرتغاليين كذباً ، وهي في حقيقتها آثار عربية واضحة ، وما يدل على ذلك أن أبواب القلعة نفسها صنعها العرب ، ويظهر ذلك من خلال النقوش العربية ووجود بعض الآيات القرآنية التي نقشت عليها (٢) .

ولتاريخ ممباسة الإسلامي ارتباط وثيق بتاريخ قبيلة (الوديغو) التي تعتبر من أقدم القبائل الساحلية دخولاً في الإسلام وأشدها تمسكاً به ، والمرأة منهم أكثر التزاماً بتعاليمه من غيرها ، وقد أهمل الاستعمار إبان حكمه من شأنهم خشية أن يمثلوا قوة إسلامية على امتداد الساحل يزداد بها الإسلام انتشاراً ،

---

(١) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٢) نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ١١٩ .

ومن مميزاتها أنها أقل استجابة لتقبل المسيحية ، لهذا فإن البعثات التنصيرية في مناطقهم لم تحقق من النجاح ما حققته في المناطق الأخرى ، ومدنهم مثل : سنبيني ، وفنغاني ، وهنزوان ، وغاسي ، بطابعها وكثرة مساجدها تدلل على ذلك ، وما من قرية من قراهم إلا وفيها مسجد تقام فيه الصلاة ويذكر فيه اسم الله (١).

إن العُمانيين استطاعوا من خلال تواجدهم في ممباسة ، من بناء مجتمع إسلامي قائم على الدين الإسلامي كمنهج يتبع في إدارة شؤون البلاد ، مما ساعد كثيراً على تقبله من مختلف القبائل القادمة لممباسة من منطقة الظهير للساحل الشرقي ، فساعد ذلك على انتشار الإسلام وحب الناس له ، والتمسك بمبادئه (٢). ولكن من خلال تواجد المزاريع في ممباسة ، يتبادر إلى الأذهان ما هو الدور الذي قاموا به لنشر الإسلام في منطقة الظهير من البر الإفريقي ؟ من خلال تتبع ما كتبه الشيخ الأمين المزروعي حيث نرى بأن المزاريع ، استطاعوا – كما سبق وأشرت – مد نفوذهم غرباً إلى بلاد ونييكا وهي بداية البر الإفريقي والذي يرتبط بعدة طرق مع ممباسة ، واستطاعوا السيطرة على باديتها التي يقطنها كثير من القبائل الإفريقية ، وبحكم التعامل التجاري بين هؤلاء المباسيين ، كان لابد من نقل كثير من العادات والمعتقدات إليهم ،

(١) حامد الحداد : المرجع السابق ، ص ٥٢٣ .

(٢) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .

بما فيها تعاليم الدين الإسلامي ، ولكن المزاريع لم يتوغلوا كثيراً في البر الإفريقي، وركزوا جهودهم على السواحل الشرقية ، ولكن يبقى لهم الفضل في البدء بنشر الإسلام في الأدغال الإفريقية ، وبين مختلف القبائل من خلال الولاءات والتحالفات والعلاقات التجارية مع قبائل البادية الممباسية ، والتي تعتبر بداية البر الإفريقي الشرقي من القارة السمراء [(١)] .

و من هناك إلى **مدينة مالندي** ، مدينة إسلامية عريقة عرفت دائماً بمسالمة الأعداء على عكس مدينة ممباسة [(٢)] ، حدد الإدريسي موقعها على الساحل حتى مدينة ممباسة مسافة يومين على الساحل [(٣)] ، وبذلك يكون موقعها في كينيا الآن على خط عرض ٣ جنوب خط الاستواء [(٤)] . وهي على ضفة البحر على خور (خليج) ماء عذب ، وهي مدينة كبيرة [(٥)] . وملندي مدينة ساحلية في كينيا تبعد ٧٧ ميلاً شمال ممباسة ، وهي مدينة تاريخية من مراكز التجارة العربية المهمة في ساحل إفريقية الشرقي [(٦)] . وجاورت براوة من جهة الجنوب ثلاثة مراكز

(١) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢) عبدالرحمن حمود السميط : المرجع السابق ، ص ٢٨ .

(٣) الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٥٩ – ٦٠

(٤) جمال عبدالوهاب إبراهيم : المراكز التجارية في ساحل شرق إفريقيا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) ، ص ٣٢ .

(٥) الإدريسي : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٦) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

تجارية كوحدة واحدة عرفت بأرخبيل لامو ، والذي يتكون من لامو وبات ومالندي ، وهي تنفصل عن الأرض الإفريقية خلف الساحل، ويفصل كل منها عن الأخرى قناة ضيقة مغطاة بنبات المنجروف [١]. وقد تأسست هذه المدينة في القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، على ما يبدو ، وإن كان لا يعرف عن تاريخها القديم سوى القليل ، حيث إن البحوث الأثرية لم تكشف لنا الكثير عن آثارها ؛ ذلك لأن المدينة الحالية بنيت فوق بقايا المدينة القديمة التي دمرها الشيرازيون حين قدموا إلى المنطقة [٢]. وهناك بعض الآثار والمقابر الفارسية والعربية وقطع الخزف التي عثر عليها تشير إلى الشيرازيين بمالندي في بداية تأسيسها ، وكذلك توجد في المدينة بعض الآثار الإسلامية التي ترمز شواهدها إلى قدم الإسلام في تلك الأجزاء [٣]. ومن الظواهر الدالة على وجود المظاهر الإسلامية في مالندي انتشار المساجد والمدارس فيها وفي المناطق المحيطة بها [٤].

و المعروف أن مالندي بناها العرب ، ولازالوا يشكلون جالية كبيرة فيها ويبنون بيوتهم منذ القديم على نفس طراز البيوت في حضرموت ، وكانت تنافس ممباسة منذ فترة طويلة قبل مجيء البرتغاليين الذين اتخذوا منها مركزاً

(١) جمال عبدالوهاب إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٣) نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ٧٧ – ٧٨ .

(٤) حامد الحداد : المرجع السابق ، ص ٥٤٥ .

لأسطولهم البحري [١]. وكانت ماليندي ، بعكس جميع المناطق والمدن الإسلامية ، قد فتحت ذراعيها للبرتغاليين ، ورحبت بهم عند وصولهم ثم احتلالهم للمنطقة ، بل وحتى استيلائهم على الجمارك وتحكمهم في طرق التجارة ، ولم يشتك ملك ماليندي العربي إلا بعد أن بلغ السيل الزبى وقام البرتغاليون بسرقة بعض العرب ، فأرسل عدة رسائل إلى ملك البرتغال يشتكي من ذلك ، بل قام البرتغاليون في موزمبيق بسرقة سفينة الملك العربي رغم أنها كانت تحمل كل الأوراق المطلوبة من البرتغاليين ، ولم تتم إعادتها إلا بعد عدة سنوات ومراسلات كثيرة .

يذكر القس فرانسيس خافير ، أحد العاملين في الحكومة البرتغالية ، أنه زار ماليندي عام ٩٤٩هـ / ١٥٤٢م وقابل الناس هناك ، حيث أخبروه أن ثلاثة مساجد فقط لازالت مفتوحة في المدينة من سبعة عشر مسجداً ، وحتى هذه المساجد الثلاثة تشكو من قلة المصلين ، كما يذكر في مذكراته أنه قابل قاضي المسلمين في مالندي وأخبره القاضي " أنه إذا لم يأت محمد (ﷺ) ويزورهم خلال ثلاث سنين من الآن ، فإنهم لن يؤمنوا به ولا بدينه ..!! " ، ورد القس بأن " من رحمة السماء أن يجعل الخاطئين من أمثال أتباع الإسلام يعيشون في شك وتوتر بدون أن يعرفوا سبباً لذلك نتيجة اتباعهم دين محمد " ، وعلينا بعد هذا أن نصدق هذا القسيس وهو ينقل عن القاضي هذا الكلام .. فهل يعقل أن

(١) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

يتفوه مسلم بسيط دعك من قاض بهذا الكلام وجميع المسلمين يؤمنون أن سيدنا محمداً ﷺ لا يمكن أن يعود في هذه الدنيا !؟ وهذا مثال على صدق بعض الغربيين في نقل ما يرونه ويسمعونه (١).

و أصبحت مالندي ذات شهرة في أيام الدولة البوسعيدية ، وذكر المغيري بأنها كانت تسمى " عُمان الصغيرة " لكثرة العرب العُمانيين فيها ، الذين سكنوها للتجارة والزراعة ، وأضاف المغيري بأن عرب عُمان بها أغلبهم من أزكى " مدينة مشهورة في المنطقة الداخلية في سلطنة عُمان " وكلهم إباضية المذهب وسيرتهم في المواظبة على أداء الصلوات بوظائفها تلاوة القرآن العظيم حسنة جداً ، حتى إنهم يربون أولادهم على هذه السيرة والآداب العربية ، وهيئتهم عُمانية (٢).

و من المدن التي ترسخ فيها الإسلام الواقعة في الجزء الشرقي من الساحل ، **مدينة لامو** التي تحمل اسم الأرخبيل الذي يضم أيضاً كلاً من مدينة ماليندي وبات (٣).

تقع على ساحل المحيط الهندي عند الطرف الجنوبي للصومال الشرقي شمال مدينة ممباسة (٤).

---

(١) عبدالرحمن حمود السميط : المرجع السابق ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٢) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٨٦ – ٨٧ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٤) جمال عبدالوهاب إبراهيم : المرجع السابق ، ص ٣٤ .

ولدينا نص عن تأسيس مدينة لامو ، ومما يزيد من أهمية هذا النص أنه الوحيد الذي يخص أول هجرة عُمانية إلى شرق إفريقية : إن سكان لامو الأوائل هم من العرب الذين جاؤوا من مدينة دمشق في سورية ، وإن الشخص الذي أرسلهم هو عبد الملك بن مروان .. وبعد هؤلاء جاء عرب آخرون ، وذلك بعد أن وصلتهم أخبار المهاجرين العرب إلى الساحل الإفريقي ، وأن زعيم هؤلاء العرب الذين جاؤوا هو الحاج سعيد .

في هذا النص إشارة إلى استيطان سعيد الجلندي في أرخبيل لامو ، وأن سبب اختياره هذه المنطقة للاستقرار فيها إنما يعود إلى وصول مجموعات عربية قبله واستقرارها هناك ، كما أن أحداث هذا الاستقرار قد تمت أيام الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان ، وهذا يتزامن مع هجرة آل الجلندي إلى شرق إفريقية [١] . لذلك يعتبر هؤلاء العُمانيون سبباً في ظهور أقدم مدينة إسلامية في لامو على ساحل شرق إفريقية ، وأقاموا بها في مستهل القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي حكومة ديموقراطية اختارت مذهب الخوارج الذي كان منتشراً في عُمان [٢].

وجملة القول : إن الإسلام دخل إلى " لامو " في وقت مبكر ، وانتشر

(١) عمان في التاريخ : ص ١٨٣ ؛ عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٠٠ ؛ عبدالرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ١٢١ ؛ فاروق عبدالجواد : المرجع السابق ، ص ٨٤ ؛ حامد الحداد : المرجع السابق ، ص ٥٣١ .

(٢) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

وترسخ في عمق هذه الجزيرة وتخومها ، بفضل الهجرات العربية ، فقامت مساجد وحلقات علم [(١)] .

إن العرب الذين استوطنوا لامو كانوا يأتون أحياناً بسفنهم لاسيما من حضرموت وعُمان ؛ لذا كانت الصلة بين لامو وهذين البلدين أقوى من غيرهما وحتى إن أثر الحضارمة والعُمانيين ظاهر في المجتمع السواحلي [(٢)] .

وجاء في المصادر أن جزيرتي لامو وبات ذواتا حضارة حميرية عتيقة في شرق إفريقية انتهت في القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي وكان يحكمها سلالة من أولاد سالم بن أحمد بن الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي [(٣)] .

فتعتبر نتائج جهود اليعربيين في طرد فلول البرتغاليين من شرق إفريقية إنجازاً كبيراً في حد ذاته ، وبالإضافة إلى ذلك فقد أمد تجدد الهجرات العربية إلى منطقة شرق إفريقية السواحلية الثقافة السواحلية بدماء وأعراق وأسر عربية جديدة وبمفردات عربية صرفة ؛ وفي ذلك يقول ترمنجهام : من الملامح المميزة التي أعقبت تلك الفترة تجدد الهجرة العربية من جديد ، واستوطن العرب الذين حاربوا البرتغاليين بعد ذلك مدن الساحل المهجورة ، وكانت هجرة

---

(١) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

(٢) صالح محمد بدوي : الرياض بين ماضيه وحاضره ، د.م ، د.ن ، ط ١ ، (١٤١٠هـ) ، ص ١٠ .

(٣) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

الحضرميين الشافعيين وليست هجرة العُمانيين هي صاحبة الأثر الفاعل في تحول الثقافة السواحيلية وطبعها بالطابع الذي تحمله اليوم [١] .

وقد استوطن في مدينة لامو السادة العلويـون القـادمون مـن حـضرموت ومن اليمن وبحركاتهم الطيبة بزغ نشاط العلم والنهـضة الإسـلامية . قـدمت أولى الجاليات منهم في أوائل القرن العاشر الهجري / السادس عـشر المـيلادي تقريباً .

ثم تتابعت الجاليات الأخرى فيما بعد وقاموا بنشر الإسلام والدعوة إلى الله وأسسوا حيثما حلوا مساجد ومعاهد ، كما ألفـوا مؤلفـات إسـلامية انتفـع بهـا الخاص والعام [٢].

و إلى هؤلاء يرجـع الفـضل في تقـدم الإسـلام وترقيـة الثقافـة والحـضارة العربية والإسلامية في كافة مدن السواحل [٣].

و نسبة لقوة الأثر الديني الحضرمي فقـد تمكنـوا مـن تحويـل بعـض الأسر الإباضية صاحبة السلطة في الساحل إلى المذهب السني الشافعي مثـل المزاريـع كما أسلفت وعائلة البرواني والحناوي . ومن أهم آثارهم الدينية أيضاً تأسيسهم

---

(١) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٥٨ ؛ عبدالرحمن أحمد عثمان : الـدور العـماني في تقويـة وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٢ – ٢٣ .

(٢) صالح محمد بدوي : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٣) السابق ، ص ٣ .

" رباط الرياضة " بلامو التي أسسها حبيب صالح بن علوي بن عبدالله جمل الليل من السادة الحضارمة والذي ولد في انجزيجة سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م [١] ، انتقل من مسقط رأسه جزائر القمر واستوطن بلد لامو التي قد سبقه إليها عمه العلامة الحبيب علي بن عبدالله جمل الليل ، ثم إن الحبيب صالح بنى مسجداً وسماه الرياض على اسم مسجد شيخه علي بن محمد الحبشي (المتوفى عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م) بسيؤن حضرموت ، والذي أسسه ، عام ١٣٠٣هـ / ١٨٨٥م ، وقد ثبت قيام علاقة روحية ، وصداقة حميمة بين الرجلين ، وتأثر الحبيب صالح بالحبيب علي ، وبنى الحبيب صالح علوي بجانب الرياض رباطاً يأوي إليه الطلبة الذين يردون إليه من كل شرق إفريقية وغيرها [٢] .

فالسادة الحضارم ينحدرون من سلالة الرسول ﷺ يضفون على أنفسهم صفة التقوى ويتحدث سكان لامو وجزر الباجون عن كراماتهم [٣] .

وكان قد سبق أن خرج من جزر القمر بعض كبار علمائها إلى لامو للمشاركة في الدعوة إلى الله تعالى ، ونشر تعاليم الدين الإسلامي السمحة ، نذكر منهم ، العلامة السيد علي بن عبدالله بن حسن بن أحمد بن عبدالله الطيور المولود بها سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٤م وعاش فيها حتى سنة ١٢٧٤هـ / ١٨٥٧م ،

---

(١) محاسن عبدالقادر الصافي : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

(٢) عبدالقادر بن عبدالرحمن الجنيد : العقود الجاهزة والوعود الناجزة في تراجم بعض الشخصيات البارزة ، د.م ، د.ن ، د.ط ، (د.ت) ، ص ٣٩٥ – ٣٩٦ .

(٣) محاسن عبدالقادر الصافي : المرجع السابق ، ص ١٢١ .

ثم انتقل إلى لامو وأقام بها ، وقد ذاع صيته هناك ، وكان عالماً محترماً حتى عند غير المسلمين ، مثالاً في التقوى والورع ، وتوفى بها سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م [(١)] . وقد وصف صاحب " جهينة الأخبار " بأن لامو من البلدان المشهورة في عهد دولة العرب وقد بنيت فيها القصور ونبغ فيها رجال عظماء معروفون بالكرم والشجاعة ، وتوسعت فيها الرفاهية ، وزارها سلاطين زنجبار آل بوسعيد ولها حروب ووقائع مع المزاريع ..[(٢)] .

ومن هذه المدينة العربية القديمة انتشر التعليم الديني الإسلامي – حتى كانت لامو مصدر إشعاع أضاءت به قراها المجاورة والجزر الباجونية القريبة والنائية ، فأصبحت كل تلك القرى والجزر أمة مسلمة عن بكرة أبيها [(٣)] .

وعلى أي حال : فإن هذه الإمارات العربية الإسلامية على الساحل الشرقي لإفريقية ، كانت مراكز إشعاع إسلامي ، وترتفع فيها المآذن ، ويقيم فيها العلماء، وتنتشر فيها الثقافة الإسلامية [(٤)] ، لقد تطورت أحوال سكان الساحل بفضل الدين الإسلامي الذي صبغ حياة معتنقيه وأتباعه ، بصبغة اجتماعية خاصة ، وأضفى عليها طابعاً فريداً مميزاً ، يختلف تماماً عن طابع حياتهم قبل اهتدائهم إلى الإسلام وتمثلهم به عقيدة وسلوكاً ومنهج حياة [(٥)] .

---

(١) عبدالقادر الجنيد : الإسلام واليمنيون الحضارم في شرق إفريقيا ، ص ٢٩ .

(٢) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٨٩ .

(٣) محمد الحداد : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٤) جلال يحيى : تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، د.ط ، (٢٠١٠م) ، ص ٣٣ .

(٥) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

المبحث الثاني

انتشار الإسلام في منطقة جنوب شرق زنجبار

زنجبار ، الاسم الذي اشتهر به الساحل كله مع أن هناك أرخبيلاً معيناً يحمل هذا الاسم ويتكون من ثلاث جزر رئيسية ، هي زنجبار ومافيا وبمبا ، إلى جانب عدد آخر من الجزر الصغيرة ، وجميعها متشابهة في مظاهرها الطبيعية والبشرية [(١)] .

في المرحلة التي رافقت وصول الإسلام ، وانتشاره في شرق إفريقية ، ذكرت جزيرة زنجبار باسم أنجويا . وهو الاسم الشائع محلياً بين سكان الجزيرة حتى اليوم [(٢)].

و قد ورد الاسم في صيغ مختلفة ، ولعل عدم استقرار صيغة واحدة له كانت بسبب اختلاف اللهجات التي تعج بها المنطقة ، فجاء اسمها مرة لنجويه، وأخرى بنجويه ، وثالثة لنجونه [(٣)].

و مما تجدر الإشارة إليه أن الجغرافي والمؤرخ العربي ياقوت الحموي لم يبتعد في تسميته للجزيرة عن تلك الأسماء ، التي أشرت إليها سابقاً ، فقد سماها " لنجوية " [(٤)].

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٣ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٤) ياقوت الحموي شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي : معجم البلدان ، ج ٥ ،
=

و قال عنها : " هي جزيرة عظيمة بأرض الزنج منها سرير ملك الزنج – في إشارة واضحة إلى كثافة أشجارها – وإليها تقصد المراكب من جميع النواحي " [(١)]. وتتكون كلمة زنجبار من زنج : وتعني السواد وبار : الأرض أي أرض السواد [(٢)].

يقول فرانسيس برتون : إن تسمية زنجبار كانت تشير في القديم إلى الأراضي الداخلية ما وراء الساحل ، ثم اتسع المعنى ليشمل في مرحلة أولى كل الساحل الممتد من رأس حافون حتى رأس الخيل ، والذي ذكره كرابف باسم " دار العجم " . ويعتبر برتون أن أصل التسمية فارسي ، وقد حرفت الكلمة ، في رأيه ، من الفارسية إلى اللغة العربية ، فأصبح نطقها زنجبار .

من جهته ، يقول القس الفرنسي لوروا : إن السكان الأفارقة يطلقون على الجزيرة والمدينة معاً اسم أنقوديا ، بينما يستعمل السكان من أصول عربية تسمية زنجبار وكذلك زنقبار . ويضيف لوروا أن المستكشفين الأوروبيين الذين وصلوا إلى الساحل الشرقي الإفريقي ، أجمعوا على القول إن كلمة زنجبار تعني الجزر والمدينة معاً ، بينما تشير تسمية زنقبار إلى الأراضي ما وراء الساحل التابعة

=

بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د . ط ، (١٩٩٧م) ، ص ٢٣ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٣ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(١) ياقوت الحموي : المصدر السابق ، ص ٢٣ ؛ عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

(٢) محمد بن سعيد البيض : المرجع السابق ، ص ٨ .

للحكم العُماني [١] .

و من الصعوبة بمكان الجزم – على وجه التحديد – بأصل كلمة " زنجبار " ، ومن هو أول من أطلق هذا الاسم على الجزيرة ، ولكن المصادر التاريخية المتاحة تكاد تجمع على أن التجار العرب العُمانيين هم أول من أطلقوا على ساحل إفريقية الشرقية اسم " زين البر " من قبل أن يتوغلوا في " زنجبار " أو الداخل الإفريقي .

لقد سحرهم – على ما يبدو – الساحل الأخضر وهم القادمون من سواحل صحراوية جرداء . فإذا بهم أمام بر رائع جميل خلاب وأرض خصبة [٢] .

و لما اندمجوا مع السكان الأصليين والشيرازيين الوافدين ، ودخلوا إلى مجاهل القارة ، وتعرفوا عن كثب على الأرض وأهلها ، تحور الاسم إلى " زين الزنج بر " . ولما كانت زين كلمة عربية تعني الجميل أو المليح ، والزنج كلمة أصلها فارسي (زانغ) تعني الأسود ، والبر كلمة عربية تعني الأرض ، جمعت الكلمات الثلاث معاً : الجمال والأرض والزنوجة . وإذا بالعرب يطلقون على تلك الجزيرة الخضراء اسم " أرض الزنج الجميلة " أو " أرض الناس ذوي اللون الأسود " . وحور هذا الاسم مع تعاقب الهجرات ، وتوالي موجات

---

(١) بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ .

الاستعمار ، واختلاط الأقوام بين الداخل الإفريقي والساحل العربي ، وتطور اللغة السواحيلية ولهجاتها المختلفة ، حتى أصبح " زنجبار " . وحتى نهاية القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي كان اسم زنجبار يطلق على كل ساحل إفريقية الشرقية وجزرها ، وليس على زنجبار الجزيرة وحدها ، كما يطلق اليوم ، والتي كانت تعرف قبل وصول العرب ، باسم " أنغوجا " (١).

ويتضح مما سبق اختلاف الباحثين والمؤرخين في تحديد معنى كلمة " بار ": فبعضهم يرى أن كلمة " بار " فارسية وتعني ساحلاً ، وعلى هذا تكون كلمة زنجبار مزيجاً من الكلمتين المختلفتي اللغة هما : كلمة الزنج العربية ، وبار الفارسية (٢).

و بعضهم يرى أن كلمة " بار " عربية محرفة أصلها " بر " بمعنى " أرض " جاء في لسان العرب ".. والبَر بالفتح : خلاف البحر ، والبرية من الأرضين بفتح الباء خلاف الريفية (٣).

فأصل كلمة " زنجبار "قبل التركيب ، والتحريف ، هو " زنج بر " أو بر

(١) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٢) سالم أحمد الطيواني : زنجبار منذ دخول الإسلام حتى قيام اليعاربة ، بحث تخرج ، معهد العلوم الشرعية ، مسقط ، (٢٠٠٠ – ٢٠٠١م) ، ص ١١ .

(٣) ابن منظور ، الأمام جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، المجلد ٤ ، د. م ، دار صادر ، ط ١ ، (١٣٠٠هـ) ، ص ٥٤ ؛ سالم أحمد الطيواني : المرجع السابق ، ص ١١ .

الزنج بمعنى أرض السود أو أرض الزنوج [١] .

و على هذا ، فالكلمة تكون مركبة من الكلمتين العربيتين هما " زنج وبـر " ثم حدث فيها تحريف فتحولت إلى " زنجبار " .

بهذا تدل الكلمة على أن العرب هم الذين أتوا بهـذه التـسمية ، فلـما نزلـوا بأرض الزنوج ووجـدوا الزنـوج قـد سـبقوا بـسكنى هـذه الأرض الـساحلية لإفريقية الشرقية فسموها باسم هؤلاء الزنوج نسبة إليهم [٢] .

و هذا ما يطمئن له القلب ، إذ من الصعب أن تكون هذه الكلمـة مـأخوذة من الكلمتين المختلفتي اللغة ، كما يـستبعد أيـضاً حـصول اتفـاق بـين العـرب والفرس على هذه التسمية .

و ما يدل عليه التاريخ يقول في لسان حاله إن العرب هـم أول مـن وصـل زنجبار قبل الفرس وغيرهم ، وهذا يؤكد لنا على أن هذه التـسمية جـاءت مـن أفواههم [٣] .

و يمكن القول إن جزيرة زنجبار كانت تعرف في النصف الثاني من القـرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، باسم زنجبار وهـو اسـمها الـشائع . فقد تحدث الرحالة الإيطالي الشهير ماركو بولو عام ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م عنهـا

---

(١) محمد سعيد البيض : المرجع السابق ، ص٨ ؛ سالم أحمد الطيواني : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) سالم أحمد الطيواني : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٣) السابق ، ص ١٢ .

بإعجاب قائلاً : " إن زنجبار جزيرة عظيمة ورائعة .. " (١) .

و مهما يكن من أمر فإن الأهمية التي حظيت بها زنجبار في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري / الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي كانت وراء انفرادها باسم زنجبار دون غيرها من مناطق ساحل إفريقية الشرقي ، ولعل موقعها الجغرافي هو العامل الأساسي الذي أدى إلى ذلك (٢).

تقع جزيرة زنجبار في المحيط الهندي مقابل الساحل الشرقي لإفريقية ، بين دائرتي عرض ٤٨ , ٥ و٣٠ , ٦ جنوب خط الاستواء (٣) ، وتتبع لها عدة جزر هي بمبه ، مافيا ، سوانجا ، ومفارا ، وتعد زنجبار الجزيرة الأم لهذا الأرخبيل من الجزر الصغيرة .

و لا تبعد زنجبار عن الساحل الإفريقي كثيراً ، إذ لا يفصلها عنه سوى قناة عرضها ٢٠ , ٣٦ كم . ولعل هذا القرب هو الذي دفع شهود عيان إلى القول بأن قرب الجزيرة من الساحل الإفريقي يسمح برؤيته من فوق تلال الجزيرة في يوم مشمس .

تبلغ مساحة زنجبار ١٦٦٠ كيلومتراً مربعاً . وهي طويلة الشكل إذ يصل امتدادها من الشمال إلى الجنوب إلى ٨٥ كيلومتراً مربعاً ، وأقصى عرض لها من

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢١ .

(٢) السابق ، ص ٢٣ .

(٣) انظر الخريطة رقم (٣) .

الشرق إلى الغرب يصل إلى ٣٩ كيلومتراً مربعاً [١].

و تروي القصص الشعبية أن مدينة زنجبار تأسست على أيدي جماعة الأخوة السبعة -السابقة الذكر - على غرار كلوه (على الساحل الجنوبي لتنزانيا بالقرب من حدودها مع موزمبيق) حيث نزل أرض هذه الجزر أبناء مؤسس كلوى وأنشؤوا عليها هذه المدينة .

و يبدو أن زنجبار لم يكن لها شأن يذكر في تلك العصور سوى أن سلاطين كلوى كانوا يلجؤون إليها كلما تعرضوا لخطر القبائل الإفريقية التي تقطن قرب مدينتهم . وقد حدث ذلك مرة واحدة على الأقل عام ٤١١هـ / ١٠٢٠م تقريباً ، حين أغارت قبائل البانتو على أراضي كلوى ، فهرب سلطانها علي بن الحسن إلى زنجبار ، ثم رجع منها بعد فترة قصيرة ، حين تمكن أهالي مدينته من صد القبائل المغيرة [٢].

و واضح من وصف ياقوت الحموي لها بأن لها مقدرة كبيرة على التأثير في الحياة السياسية في كلوة وتدلنا على ذلك عظمة الآثار الإسلامية التي وجدت على محراب مسجد قرية كز يمكازى في جنوبي زنجبار يؤكد حقيقة لا غبار عليها ، وهي وصول المد الإسلامي واستقراره في زنجبار في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ؛ إذ تؤكد المصادر أن بناءه كان في العام ٥٠٠هـ /

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٣ – ٢٤ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٣ – ٦٤ .

١١٠٧م . وتكمن أهمية هذا الأثر التـاريخي في أنـه أقـدم الآثـار الإسـلامية في شرقي إفريقية ويعضد من عظمة مدينة زنجبار في ذلك التاريخ [(١)] .

لعله يكون من أعجب المباني في شرقي إفريقية ، ويقع فوق محرابـه نقـش بـالخط الكوفي نصه : " بأمر الشيخ السيد ابن عمران مقوم الحسن بن محمـد أطـال الله حياتـه المديدة ، اللهم أقض على أعدائه . تم بناء هذا المسجد في يـوم الأحـد مـن شـهر ذي القعدة سنة خمسمائة من الهجرة الموافق ١١٠٧ " [(٢)] .

و هي أدلة أكثر وضوحاً تشير إلى انتشار الإسلام في مدينة زنجبار بـصورة مكثفة ودخول الناس فيه والتفاهم حوله [(٣)] .

و على النقيض فإن وصف الملاح أحمد بن ماجد لها بأن " زنجبار ممتدة على بر الزنج ذات أشجار وفاكهة وفيها أربعـون خطبـة " مـسجداً " تحكـم عليهـا سلاطين الإسلام " ، يجعلها تبدو صغيرة إذا ما قورنت بكلـوة التـي بهـا ٣٦٠ مسجداً في ذلك التاريخ . وعلى الرغم من كل ذلـك فـإن زنجبـار كانـت قبـل

---

(١) عبدالرحمن أحمد عثمان : الـدور العـماني في تقويـة وتأصيل الإسـلام في شرق إفريقيـا ، ص ١٨ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٣٣ .

(٢) عبدالرحمن زكي : المرجع الـسابق ، ص ٨٢ ؛ سـيد حامـد حريـز : المـؤثرات العربيـة في الثقافـة السواحيلية في شرقي إفريقيا ، ص ١٣ ؛ حمامة خلفان غيث : المرجع السابق ، ص ١٦٩ .

(٣) سـيد حامـد حريـز : مـساهمة علـماء شرق إفريقيـا في الحـضارة العربيـة الإسـلامية مـن خـلال مخطوطاتهم، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربيـة الإسـلامية ، الخرطـوم ، المنظمـة العربيـة للتربية والثقافة والعلوم (معهد البحوث والدراسات العربية) ، (١٩٨٣م) ، ص ١٣٧ .

الفاصل البرتغالي إحدى المراكز الإسلامية الهامة في شرق إفريقية [(١)].

هذا ، وعلى الرغم من أن المعلومات حول مدينة زنجبار ، خلال قرون الإسلام الأولى ، لم تتوافر لنا ، فإن الآثار القليلة التي عثر عليها تشير بوضوح إلى ذلك الرخاء الكبير الذي نعمت به هذه المدينة ؛ فأهلها شيدوا أبنيتهم من الحجر الذي كان يرد إليهم من أنحاء آسيوية مختلفة ، كما سك حكامها نقودهم من النحاس . غير أن الفترة الذهبية للمدينة كانت فترة حكم أسرة البوسعيد ، حين تربعت الجزيرة بعد القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي على عرش صناعة الأحداث في شرق إفريقية بأكمله [(٢)].

وسلطنة آل بوسعيد وإن لم تتمش في خط سيرها مع الاتجاه الديني إلا أن وجودها كان في بعض المراحل التاريخية أمراً مرغوباً فيه ، وإن كانت حركة الدعوة وفعاليتها لا ترتبطان بكيانها السياسي .

و بعد أن أصبحت في حقيقتها لا تمثل إلا مظهراً شكلياً للحكم بعد تعاقب الأحداث وتدخل الإنجليز في شؤون الحكم ، ذلك التدخل أفقد من هيبتها ومكانتها السياسية والثقافية والاقتصادية ، وبقيت مدينة زنجبار تمثل نقطة الالتقاء العربي لا بحكم وجود السلطنة فيها ، ولكن باعتبارها مركز الثقافة الإسلامية الأول وقلعة الإسلام في شرق إفريقية [(٣)].

---

(١) عبد الرحمن أحمد عثمان : الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ١٨ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٦٤ .

(٣) حامد الحداد : المرجع السابق ، ص ٣٠٩ .

يتحدث الرحالة الذين زاروا زنجبار في منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي عن الملامح العامة للجزيرة التي تحولت من قرية إفريقية تملؤها الأكواخ وتنعدم فيها مقتضيات الحضارة ، لتصبح تحفة معمارية إسلامية بفضل المشاريع التي أقامها سلاطين زنجبار للدفع بالتنمية (١) .

في هذا العهد أصبحت زنجبار مركز الإشعاع الأول للدين الإسلامي باتجاه قلب القارة ، منذ أن اتخذها السيد سعيد بن سلطان حاضرة الحكم العُماني في شرق إفريقية .. وعن هذا المفهوم يحدثنا أحد العاملين في حقل الدعوة الإسلامية في تاريخنا المعاصر ، عن انطباعاته حين قام بزيارة الجزيرة في عام ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م فيقول : " .. وهكذا مضى الحكم الطويل برخائه وبؤسه .. وقد كان الكل مسلمين ولازال الإسلام حتى يومنا هذا هو الدين السائد في الجزيرة كلها . . وتتميز زنجبار عن سائر مقاطعات شرق إفريقية بظاهرتين :

الأولى : بروز المظاهر الإسلامية في شتى أنحاء الجزيرة .

الثانية : الطابع العربي في مظاهر المدينة الخارجية كالمباني والطرقات ، ويعود ذلك إلى أصالة الإسلام في سكانها بصورة تكاد تشمل جميع السكان على اختلاف أجناسهم ، والتي تولى المسلمون الحكم فيها خلال عهود طويلة متقادمة .. ومما يغني عن الإسهاب فيما تعرضنا له حول الإسلام أن زنجبار

---

(١) بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق ، ص ٥ .

وشقيقتها (بيمبا) تضمان على صغرهما ٣٧٥ مسجداً ، وبهذا نعلم ، إذا استعرضنا عدد السكان ، أن لكل مائة شخص مسجداً واحداً باستثناء النساء .. " [(١)] .

و تعتبر زنجبار بلداً إسلامياً عريقاً ذات تاريخ مجيد ، وهي من الناحية الجغرافية مفصولة تماماً عن الأراضي الرئيسية لتنجانيقا بقناة عرضها الأدنى اثنان وعشرون ميلاً ونصف ، وتلحق بها جزر واقعة ضمن مياهها الإقليمية [(٢)] . ويوجد في جزر زنجبار بعض الآثار العربية الشيرازية ، وتدل مخلفاتها على أنها كانت لمبان شيدت بالحجارة [(٣)] .

و هي جزر متعددة توجد حول جزيرة زنجبار ومجموعها سبع عشر جزيرة نذكر من أهمها :

- " جزيرة تمباتو " التي تقع إلى الشمال الغربي من زنجبار ، ويقال إنها كانت عاصمة لزنجبار في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ؛ لأنه توجد في تمباتو خرابات متسعة مبنية بالحجر تدل على أنها كانت بلاداً عظيمة .

- ومن جهة جنوب زنجبار توجد جزيرة بموندا .

- ومن جهة غربيها توجد جزيرة باوى وغيرها كثير [(٤)] .

---

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٩٩ .

(٢) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٣) عبدالرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٤) سالم أحمد الطيواني : المرجع السابق ، ص ٢٢ .

و ذكر الدكتور عمر أن أكبر تلك الجزر جزيرة " لاثام " الواقعة على مسافة ٤٠ ميلاً إلى الجنوب الشرقي من الجزيرة الأم " زنجبار " [١].

و قد أشار أحد الباحثين الغربيين المهتمين بدراسة زنجبار ، إلى اسم أنجويا أكو . وذكر أن موقعه في الجنوب الشرقي من جزيرة زنجبار ورأى أن هذا المكان استوطن فيه المسلمون في مرحلة مبكرة ، وحسبما أشار فإن كلمة " أوكو " هي سواحيلية تعني " العظيمة " [٢] .

إن السكان الأصليين بجزيرة زنجبار يعرفون باسم واهاديمو وكانوا يوجدون في جنوب شرق الجزيرة في قرية تسمى ماكندشى [٣] .

و اختلط الواهاديمو مع الشيرازيين القادمين من شيراز بإيران [٤] ، وهناك ساد اعتقاد أن السكان الأصليين هاجروا من البر ، فيعتقد الواهاديمو أنهم جاؤوا من ميمس مكان بجوار مدينة دار السلام وهناك اعتقاد آخر أنهم جاؤوا من تمباتو ، وجاء أعداد منهم من قبيلة واسجيس من البر ربما يكون سبب هجرتهم الحرب أو جذبتهم حرفة الصيد في زنجبار وكانوا يزرعون محاصيل مثل الذرة .

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠ .

(٣) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٨ ؛ انظر الخريطة رقم (٤) .

(٤) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

والهاديمو في زنجبار ومنهم قلة في جزيرة بمبا وهم يسكنون في القرى المطلة على الساحل الشرقي ، وأجزاء من المناطق الوسطى وأقصى الشمال والجنوب في جزيرة زنجبار ، وأفراد هذه القبيلة يفضلون أن يطلق عليهم اسم شيرازي ليدل على أن موطنهم الأصلي بلاد فارس ، ويدعي البعض انتماءهم إلى أصل عربي [١].

ويتضح مما سبق أن أصبحت عاصمة الدولة العُمانية على الساحل الإفريقي مركز إشعاع للدين الإسلامي في كل ما جاورها على البر الإفريقي إذ أشرق نور الإسلام لأول مرة في المناطق الداخلية من الساحل الإفريقي [٢].

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٣٢ – ١٣٣ .

(٢) زياد طالب المعولي : المرجع السابق ، ص ٤٣٢ .

المبحث الثالث

انتشار الإسلام في المديرية الغربية بتنجانيقا

إن توغل العرب في العمق الإفريقي كان بطيئاً ولكن كان شجاعاً ودؤوباً ، لم يكن حافزهم سياسياً يسعى لوضع كل تلك المناطق تحت سيطرة سلطان زنجبار ، ولم يكن دينياً أيضاً من أولى اهتماماته نشر الإسلام، بل كانت التجارة ، والتجارة فقط هي هاجسهم الأول والأخير [١].

إن الغرض التجاري كان هو الغالب على الجماعات العربية ، ولهذا كان الاستقرار غالباً مقصوراً في نقط مختارة تخدم هذا الهدف التجاري ، ولذا كانت تختار هذه النقط بحيث تكون لها مزاياها التجارية ، وانتقل النفوذ العربي في ظروف كثيرة نحو باطن القارة وترتب على هذا معرفة العرب ببعض الجهات الداخلية ، مما أدى إلى ظهور المدن ثم الإمارات العربية بشرق القارة [٢].

و بعد أن استقر العرب العُمانيون في شرق إفريقية ، وأسسوا لهم مدناً تدين بالولاء لسلطان مسقط ، بدؤوا يدخلون آحاداً إلى الداخل ، منذ بداية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، وراء جمع العاج ، إلى أن جاء

---

(١) عدنان حداد : انتشار الإسلام في إفريقيا الوسطى لاسيما في جمهورية الكونغو الديمقراطية ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الحادي عشر ، السودان ، (٢٠٠٦م) ، ص ٥٥٩ .

(٢) شوقي عطا الله الجمل : دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا في القرنين ١٦ – ١٧ ، أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، (١٩٨٧م) ، ص ٣٢١ .

عهد السلطان سعيد فلقوا منه التشجيع ، ومضوا يـدلفون إلى وسـط القـارة في شكل رحلات قصيرة تطول الواحدة عن الأخرى ، حتى حل عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م وصلوا إلى أكثر من ألف ميل داخل إفريقيـة ، واسـتمر هـذا الزحـف التجاري ذو الطابع السلمي غالباً حتى منطقـة البحـيرات العظمـى، إذ عـبروا بحيرة تنجانيقا وطوقوا البحيرة بالفعـل واتخـذوا لهـم مراكـز تجاريـة في أرض الأونياموزيزى [(١)] .

و كان هذا في الواقع نتيجـة للـسياسة الاقتـصادية المعتمـدة عـلى تـشجيع التجارة التي اتبعها السلطان ماجد سلطان زنجبار ، تلك السياسة التـي ورثهـا عن أجداده [(٢)] .

ذلك أن تزايد التبادل التجاري في الساحل ، والطلب الخارجي على الـسلع الإفريقية شجع التجار العرب، الذين قدموا مع أبيه السلطان سعيد إلى زنجبار، على التوغل في المناطق الواقعة داخل القارة السمراء [(٣)] .

و لقد أسهمت دولة زنجبار في تطور هذا النشاط من خلال فرض ضرائب بسيطة على العمليات التجارية ، كما كان للممولين الهنود الذين قاموا بـإقراض

---

(١)عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٤٦ ؛ بواقيم رزق مرقص : العـرب والكونغـو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، العرب في إفريقيـا الجـذور التاريخيـة والواقـع المعـاصر ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) ، ص ٢٢١.

(٢) عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٤٦ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

أصحاب القوافل بالمال والسلع التجارية لآجال طويلة ، وبنسب عالية دور مهم في ذلك .

و يؤكد المؤرخ الانجليزي كوبلاند بأنه : خلال فترة حكم السلطان سعيد أصبحت الطرق الداخلية بشكل عام أكثر انتظاماً وأبعد مدى ، من مجرد عمليات عرضية ومتواضعة كما كان في الفترات السابقة التي كان يزاولها العرب .

إن السلطان سعيد كان يردد في مناسبات كثيرة قوله الشهير : " أنا تاجر قبل أن أكون سلطاناً " ولهذا ليس من الغريب أن تجده يحرص على تسيير القوافل التجارية إلى قلب القارة منذ العام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م ، وفي سبيل نجاح هذا النشاط عقد في العام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م معاهدة تجارية مع (فوندا كيرا) زعيم قبيلة انياموزي تسمح للقوافل التجارية الزنجبارية بالمرور عبر أراضي هذه القبيلة دون دفع رسوم جمركية ، وقد صارت القوافل التجارية الكبيرة تخرج من زنجبار إلى قلب القارة الإفريقية ، ومن ثم بدأت تبرز للوجود المستوطنات العربية داخل القارة [١] .

و استطاع التجار العرب أن يغامروا في التوغل إلى المناطق الداخلية في القارة الإفريقية ، التي لم يكن قد ارتادها أحد من قبل [٢] بحثاً وراء السلع التي

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩٨- ١٩٩ .

(٢) محمد العيدروس : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

يريدونها إلى تلك المناطق وسط الغابات الكثيفة وفي ظروف مناخية وطبيعية شاقة (١).

لذلك كان التجار العرب يمكثون مع مرافقيهم مدة طويلة قد تستغرق عدة سنوات ، فقد كان من اللازم أن يقوم هؤلاء بتأسيس المحطات والمراكز التجارية التي كانوا يعتمدون عليها في أسفارهم (٢).

إن اكتشافات العرب لساحل (أينممونرية) قد كان له شأن عظيم بين القبائل العربية ، لكون هذا الإقليم أقرب إلى الساحل الذي تقفل منه القوافل التجارية لداخلية البر ، والعرب تفرقوا في أنحائه ، وأسسوا عاصمة لمركز تجارتهم وأسفارهم ، وهي بلدة تابورة ، واتخذوها مركزاً مهماً (٣) ، ويذكر الرحالة هنري ستانلي أن بلدة تابورا التي تقع على بعد ألف كيلو متر إلى الغرب من ساحل إفريقية الشرقي كانت تمثل أهم مركز تجاري لتجارة زنجبار ومسقط في وسط إفريقية (٤).

واستقر كثيرون منهم في الداخل ، وأسسوا المراكز التجارية التي جهدوا في تقويتها ، حتى تحولت تلك المراكز التجارية إلى مدن ، وبدأت تشع بعضاً من السيطرة والنفوذ للدولة العربية – الإفريقية في الداخل (٥).

---

(١) جمال زكريا : الدولة العمانية في شرقي أفريقية ، ص ١١٩ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٢٥ .

(٤) عمان في التاريخ : ص ٤٩٤ .

(٥) جمال زكريا : سلطنة مسقط وزنجبار بين الوحدة والانفصال ؛ ص ٥٠٤ ، محمد العيدروس : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

لقد ذكرت المصادر العمانية أن في مقدمة المكتشفين للبر الإفريقي ، قبل وصول الأوروبيين ، كلاً من سعيد بن محمد العيسري ، وحبيب بن سالم العفيفي ، وناصر بن سيف المعمري ، وعيسى بن عبدالله الخروصي ، وعبيدالله بن سالم الخضوري .

و من أجل تسهيل مهمة القوافل العُمانية استطاع العُمانيون تأسيس مراكز تجارية دائمة في تابورا وسط تنجانيقا وأوجيجي (على بحيرة تنجانيقا) وكدسوا فيهما السلاح والمواد الغذائية لمساعدة قوافل التجارة العربية ، واللافت للنظر أن هذه المراكز قد تطورت فيما بعد إلى إمارات إسلامية أصبحت تابعة لسلطان زنجبار [(١)] .

و قد وصل التجار العرب المسلمون انطلاقاً من تابورة إلى أماكن داخلية بعيدة ، كأقصى غربي بحيرة تنجانيقا ، حيث دشنوا مدينة أجيجي وهي أقدم مدينة في غرب تنزانيا ، وتقع على بعد ١٠كم جنوب مدي كغوما القريبة من الحدود البروندية – التانزانية [(٢)] .

إذن في البحيرات الغربية توجد مدينة أوجيجي ، التي يقول عنها ترمنجهام: إن ثلاثة أرباع قبيلة واجيجي شمال كيقوما من المسلمين .

و يقول في موضع آخر عن أوجيجي : ولا توجد مدينة أخرى في الداخل

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٩٤ .

(٢) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

مثل أوجيجي فهي تعطي زائرها الإحساس بأنها سواحيلية انتقلت من المحيط الهندي إلى شواطئ بحر يقع في الداخل ، تسود بها التقاليد والعادات الإسلامية [١] .

وواضح من النص انتشار الإسلام في منطقة البحيرات بصورة مكثفة لأنها كانت مراكز تجارية في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي [٢] .

و أصبح الإسلام معروفاً في مدينة أوجيجي منذ عام ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م حيث وصل إليها بعض التجار العرب والإفريقيين ، وأقاموا بها وأسسوا مراكز تجارية عملت على نقل إشعاع الإسلام والثقافة السواحيلية لمنطقة مانيما [٣] في الحدود الشرقية لزائير [٤] . ورافقت الدعوة الإسلامية تحركاتهم ، وأصبحت أوجيجي مركز إشعاع إسلامي [٥] .

---

(١) عبدالرحمن أحمد عثمان وآخرون : أوضاع المسلمين في منطقة شرق إفريقيا السواحلية ، ص ٢٥ ؛ سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٩٦ ؛ عبدالرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٢) عبدالرحمن أحمد عثمان وآخرون : أوضاع المسلمين في منطقة شرق إفريقيا السواحلية ، ص ٢٥ .

(٣) مانيما : هي منطقة تقع شرق الكونغو الديمقراطية (زائير سابقا) ، ويحمل هذا الاسم أيضاً شعب بانتوي استوطن بعضه في مدينة أوجيجي . عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٤) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٨ .

(٥) سيد عبدالمجيد بكر : الأقليات المسلمة في إفريقيا ، د.م ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، د.ط ، (د.ت) ، ص ٢٢٨ .

و كانت شعوب وقبائل المديرية الغربية بتنجانيقا ، خاصة النيامويزى الذين يعيـشون إلى الغرب من الجوجو ، كانوا يأتون إلى الساحل بقصد التجارة [١] .

و الذي ساعد على نشر الإسلام بينهم أن العرب أوجدوا أضـخم الـنظم التجاريـة والسياسية وأكثرها كفاءة في النياموزيى ومنطقة البحيرات ؛ مما أتـاح لهـم تـأمين وتنظـيم تجارة العاج والرقيق ، وهذا أحدث تداخلاً فيما بينهم [٢] .

وعلى أيديهم تطورت مدينة أوجيجي لتصبح مدينة مهمة بالنسبة إلى تابورا نفسها بسبب كونها الأقرب إلى دواخـل الكونغـو الغنيـة بالعـاج ، عـلى سـبيل المثال [٣] .

حيث كانت تجارة العاج في شرق إفريقيا تجارة رائجة قديمة قدمها الرحالة الأوائل في الأهمية على تجارة الرقيق ، ومنذ فترات التاريخ القديمة كان العـرب يسيطرون على تجارة العاج التي كانت ترد من شرق إفريقية [٤] .

و حاول العرب تنسيق مصالحهم مع الإفريقيين من أجل تـسهيل مهـامهم التجارية ، ففي الخمسينيات من القرن التاسع عـشر المـيلادي / الثالـث عـشر الهجري ، وافق رئيس الانياموزيى افوند كيرا على عدم تحصيل رسوم مرور على

---

(١) آي . أم . لويس : المرجع السابق ، ص ٣٤٠ .

(٢) السابق ، ص ٣٤٠- ٣٤١ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٤) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ١٩٦ .

العاج الذي يحملونه عبر أراضيه مقابل موافقتهم على عدم المتاجرة مع القبائل الإفريقية المعادية لقبيلته ، ومن أجل العاج أسس بعض العرب بعض المراكز الدائمة لهم في تابورا وأوجيجي ، وكدسوا فيها السلاح والغذاء لمساعدة قوافل التجارة العربية المتجهة إلى الداخل غرباً [(١)].

و أعلن بعض رؤساء هذه المراكز العربية ولاءهم لسلطان زنجبار على نحو ما فعل الشيخ موريني خيرى صاحب الأصل الشيرازي رئيس مركز أوجيجي التجاري العربي ، ورفع علم السلطنة على أراضيه في أوائل الثمانينات من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري [(٢)].

و قد أثمرت العلاقات الحميدة التي أقامها الزعيم موريني مع زعماء المنطقة في نمو وانتشار الإسلام ، وأصبحت أوجيجي مدينة إسلامية من الدرجة الأولى تعمل على إدخال المنطقة من حولها في الإسلام [(٣)].

و تركزت مراكز تجارة العاج في الداخل في تابورا وحول شواطئ بحيرة تنجانيقا وإلى الغرب منها في أوجيجي وكاسينجي ونيانجوى وكيتانجولى وكافرو [(٤)].

---

(١) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) السابق ، ص ١٩٩ .

(٣) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٨ .

(٤) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

إن أوجيجي هي منطلق التجار إلى أرض الكنغو ، حيث عمل العرب على توطين الأمن ومد نفوذهم إلى القرى المحيطة بها ؛ حتى يأمن التاجر على نفسه ، وعلى ماله إبان سفره ، وتم ذلك بالقوة تارة ، وبالتحالف مع الوطنيين تارة أخرى ؛ مما كان له أثره في جذب العرب إلى هذا المكان .

إن هذا النشاط البشري ، والتجمع السكاني في أوجيجي ، أدى إلى قيام سوق كبيرة تعتبر من أهم معالم تلك المدينة [١] ، وكانت تنشط وتزدهر في فصل الجفاف حينما يسمح الطقس بوصول قوافل العاج والرقيق الآتية من المناطق الأخرى ، وكذلك محاصيل الوطنيين من الانياموزيزى ، حيث يجتمع في هذا السوق الموسمي الآلآف من البشر على مختلف مشاربهم لفترة طويلة ، وبالإضافة إلى هذا السوق الموسمي ، كانت هناك أيضاً أسواق أسبوعية ويومية يباع فيها مختلف صنوف البضائع العربية والهندية والأوروبية ، وقدر هذا التجمع للمؤثرات الحضارية الإسلامية النفاذ إلى تلك المناطق .

و بالإضافة إلى ذلك ، فقد أسس التجار العرب مراكز أخرى مثل : أوفيرا التي تقع إلى الشمال من أوجيجي ، وأوزانزي التي تقع إلى الجنوب من أوجيجي ، بالإضافة إلى أوكاندي ، وأورانجو ، وكذلك مارينجو ، التي كانت مصدر إشعاع حضاري إسلامي في تلك المناطق [٢].

---

(١) بنى سوق المدينة سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م على مساحة ١٢٠٠ قدم مربع ثم تمت توسعته سنة ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م إلى ٣٠٠٠ قدم مربع . أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ .

(٢) عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق أفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ٧٠ – ٧١ .

و تشير أوراق ليفنجستون إلى سيطرة مجموعات من العرب سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م على عاج المنطقة غرب بحيرة تنجانيقا ، سواء من عرب أعالي الكونغو أمثال حميد المرجبي ، ومحمد بن ناصر ، وسيد بن علي ، أو من عرب أوجيجي أمثال محمد بن صالح ، وسيد بن حبيب وثاني بن سويلم [١] .

وتشير تقارير سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م إلى استمرار خروج المجموعات العربية للحصول على عاج المنطقة للاستفادة من أرباحه الكبيرة .

و نخلص من ذلك بأن انتشار العرب توقف على انتشار الأفيال ، وأن أهم هدف اقتصادي للعرب كان يتمثل في الحصول على العاج ، وأن أي إمكانية لاحقة للمنطقة قد ارتبطت كنتيجة لتجارتهم في هذه السلعة [٢] . ولذا عد برتون وسبيك سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م بأن أوجيجي هي قرية العرب التجارية . وأصبحت أوجيجي تمثل نقطة الانطلاق شمالاً ثم غرباً لمنطقة المانيما مركز تجارة العاج في أعالي الكونغو ، ثم جنوباً إلى بحيرة نياسا [٣] .

و فيما يتعلق بالحكم العربي الذي نشأ في أوجيجي فيمكن تفسيره بسببين ، الأول : أن تحريض العرب للقبائل المحلية للاشتغال بالتجارة المحلية قد طورها للاتصال مع كافة المناطق التي تحيط بالبحيرة ، فسعى العرب إلى إيجاد نوع من

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص٤٥٣ .

(٢) السابق ، ص ٤٥٤ .

(٣) السابق ، ص ٤٦٨ – ٤٦٩ .

السلطة السياسية لحماية مصالحهم التجارية .

الثاني : استفادة العرب من الدعم الذي قدموه لموتيكو سنة ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م في استقلاله بأوجيجي عن الموامى في المنطقة الشمالية ، وبالتالي كان لهم الدور الأهم في نشأة مدينة أوجيجي . وبتزايد أعدادهم وثرواتهم استطاع محمد بن صالح منذ سنة ١٢٩٦هـ / ١٨٧٩م الوصول إلى السلطة السياسية بمساعدة سلطان زنجبار ، وقد استمر نفوذه مدعوماً من فئتين رئيسيتين هما طبقة الأثرياء العرب وشريحة الوانجوانا التي تتكون من (الاونياموزيزى – المانيما – الرقيق) (١).

و لقد روى عدد من المنصرون الأوروبيون الرواد في ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، أنهم قد وجدوا خمسين بيتاً عربياً بأسطح مسطحة في مدينة أوجيجي ، وكان السكان الذين قابلوهم يضمون عرباً وسواحليين بلوشيين (٢).

وقد أسلم أهل أوجيجي مبكراً حتى إنه حين جاء الأوروبيون إلى المنطقة كانت غالبية سكان المدينة تدين بالإسلام .

و يعتقد أن شعوب منيما التي هاجرت من منطقة منيما الواقعة في أعالي الكونغو إلى أوجيجي كانوا أول الداخلين في الإسلام في هذه المدينة . والسبب

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٠٦ – ٥٠٧ .

(٢) بدرود . كاتيريغا : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

في ذلك أن أفراد هذه الشعوب كانوا يحملون البضائع للتجار العرب منذ ستينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، وهو ما جعلهم يتأثرون بسلوك العرب والمسلمين [١] .

أن الوانجوانا طبقة ارتضت أن تقوم برعاية القوافل والمحطات التجارية العربية ، ومعظم الرحالة الذين ذهبوا إلى تلك المناطق في خمسينيات وستينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري تحدثوا عن طبقة الوانجوانا ودخولها في الإسلام ، لكن المصادر الأوروبية اختلفت حول المصدر الرئيس لهذه الطبقة ، وهل هم من المانيما أو من الاونياموىزى أو من الرقيق ؟ [٢] . فرواية بورتون وسبيك سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م تشير إلى أنهم كانوا من الرقيق في منطقة بحيرة تنجانيقا ، وأنهم كانوا يقومون بزراعة حدائق فسيحة واسعة على مدى البصر ، وأن العرب دربوهم على مختلف المهن والحرف . أما رواية ليفنجستون في رحلته لأعالي الكونغو تؤكد على أن المانيما هم المورد الرئيس لهذه الطبقة ، وأن غالبيتهم كانوا موظفين تابعين للتجار العرب وأنهم بقوا في المانيما باسم الوانجوانا ، أما الرقيق وهم أقلية فذهبوا إلى الساحل ، وهذا يعني أنهم لم يكونوا ضمن شريحة الوانجوانا بالأساس ، ويشرح ليفنجستون بأن الانقسامات المحلية بين الزعماء هي التي ساعدت في تفشي هذا النظام ، وتتفق

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٢) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٢٧ – ٥٢٨ .

رواية ستانلى سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م مع الرواية الثانية بأنهم كانوا موظفين محليين تابعين للتجار العرب يتم دفع الأجور لهم ، وأن الأثرياء العرب كان لهم دور كبير في إعطاء الفرص لهم ، للإشراف على أعمالهم التي تعتمد على آلاف من الرقيق [١].

لكن هناك من الإشارات ما يؤكد على أن الاونياموزيزى كانوا هم المورد الرئيس لطبقة الوانجوانا عبر كافة مناطق البحيرات الإفريقية الكبرى ، وأن العرب كانوا هم المحرك الأساسي لنقل هؤلاء من مناطقهم الرئيسة إلى المناطق الأخرى .

في حين أشارت تقارير سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م بأن اشتغال العرب بالزراعة هو الذي أوجد هذا النظام في أعالي الكونغو [٢].

ولم يكن المانيما هم العماد الرئيس لطبقة الوانجوانا في أعالي الكونغو ، فبعضهم جاء من مناطق الاونياموزيزى وآخرون من الاوجوجو ومناطق أخرى، وكانت السواحيلية هي لغة الاتصال بعضهم بين بعض ، وبينهم وبين حكامهم العرب الذين شجعوهم على تعلمها مع اللغة العربية ، وكانوا يدينون بالإسلام وتشبهوا بقادتهم العرب في الملبس والمأكل والسلوك ؛ وبقيام وتأسيس الحكم في أعالي الكونغو أصبح قادتهم العرب غير منشغلين مباشرة في

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٢٩ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

العمليات التجارية ، فتركوا تجارتهم في العاج والرقيق لأتباعهم ، فشعر هـؤلاء بالولاء وظهر كثير منهم كقـادة ، بـل راحـوا يرسـلونهم في مهـام لـبلادهم في أوجيجي وتابورة وأحياناً إلى الساحل ، وهذا ما يفسر تلـك النجاحـات التـي حققها العرب في تلك المناطق [١].

و نخلص من ذلك إلى ملحوظتين ، الأولى : أن المصادر المختلفـة لتكـوين طبقة الوانجوانا (الاونياموزيزى - المانيما - الرقيق) تؤكد على أن العـرب هـم أول من قدموا إضافتهم في صهر الإفريقيين سوياً بعيـداً عـن الانـتماء القـبلي ، الثانية أن هذه الطبقة وجدت بقوة في كل الأماكن التي حكـم فيهـا العـرب ولم توجد في مناطق النفوذ العربي [٢].

وانتشار هذه الطبقة يشير إلى الأثر العربي الواضح في تشكيلها وتواجدها ، فقد وجدت بصورة كثيفة في منطقتين :

المنطقة الأولى حول بحيرة تنجانيقـا وبـالأخص في أوجيجـي وتـابورة ، وحـسب رواية ستانلى ١٢٩٣هـ/ ١٨٧٦م تنقسم أوجيجي إلى منطقتين ، منطقـة أوجـوى عـلى شاطئ البحيرة ويشغلها العرب ، ومنطقة كاويلى ويقطنها الوانجوانـا والرقيـق والـسكان المحليون ، وكان سوق المدينة يقع في القسم العربي [٣].

---

(١) أحمد عبد الدايم : المرجع السابق ، ص ٥٣٢ .

(٢) السابق ، ص ٥٢٩ – ٥٣٠ .

(٣) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ ؛ عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتـشار الإسـلام في شرق أفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ٧٠ .

و تشير بعض المصادر إلى نشأة مجتمع إسلامي خالص عماده تلك الطبقة في أوجيجي في الفترة ١٢٨٧ – ١٣٠٨هـ / ١٨٧٠ – ١٨٩٠م ، فقد تحدث ستانلى سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م عن حضور مستوطنين جدد من الاونيامويزى يعملون كموظفين تابعين للعرب ، وبأنهم تسببوا في الصراع الاقتصادي مع سكان المدينة القدامى ، وأضاف ستانلى سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م بأنهم صنف جديد من التجار يختلف عن التجار العرب ، وأوردت سجلات جمعية لندن التبشيرية في ثمانينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري جانباً من هذه المنافسة بين التجار العرب والوانجوانا . وإلى هنا فإن معظم المصادر تؤكد بأن غالبية الوانجوانا كانوا ينتمون إلى الاونيامويزى ، مع وجود إشارات إلى انتماء بعضهم إلى قبيلة المانيما ، حيث جاء بهم العرب إلى أوجيجي ، والمانيما في أوجيجي يبدو أن غالبيتهم كانوا على المذهب السني ، فبعضهم كان سلفياً ، وكثير منهم كانوا متصوفة ، فحينما دخلت الطرق الصوفية إلى المدينة في تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري كان هؤلاء المانيما على رأس المنضمين إلى الطريقة القادرية ، فقد أصبحوا تلاميذ للشيخ صوفي بن محمد معلم الشيخ أويس ، وهذا ما يفسر نشأة الطريقة الأويسية كامتداد للقادرية بينهم . وقدم هؤلاء الوانجوانا خدمة كبيرة للعرب بعد سيطرة الإدارة الألمانية على تنجانيقا ، فمن خلال الروابط القرابية وولاء الوانجوانا لهم استمر نفوذهم الاقتصادي وتأثيرهم السياسي قائماً [١] .

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٣٠ – ٥٣١ .

المبحث الرابع

انتشار الإسلام في منطقة أعالي الكونغو

بدأ العرب في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي يطرقون أبواب الكونغو بعد أن حرثوا منطقة الأونياموزي ، وعندما بدأ العرب يفدون إلى الكونغو كانت محاولاتهم الأولى في شكل جماعات صغيرة ، إلا أنه حدث دخول منظم ، وبأعداد كبيرة وبتحفظ ودراسة على يد أحد العرب المولدين هو كما سبق وأشرت إليه " حميد بن محمد بن جمعة المرجبي " [1] الذي

(١) هو حميد بن محمد بن جمعة بن رجب بن محمد بن سعيد المرجبي (١٢٥٦ – ١٣٢٣هـ / ١٨٤٠ – ١٩٠٥م) ، تاجر ورحالة عُماني ، وواحد من أشهر التجار العُمانيين في شرق إفريقية في مطلع القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، ينحدر من قبيلة المراجبة التي استوطنت زنجبار بعد انتصار العُمانيين على البرتغال ، وبقيت هناك مع قبائل عربية أخرى . يرجع حميد إلى أصول عربية وأفريقية فهو نتيجة زواج أبيه محمد من ابنة حاكم تابورا ، ولد في قرية كوارارا الزنجبارية ، تعلم القراءة والكتابة وحفظ قسطاً من القرآن الكريم ، انتقل إلى الاشتغال بالتجارة في المناطق القريبة ، واستطاع أن يطور عمله فتاجر بالعاج والخرز والأثواب . خاض المرجبي حروباً كثيرة ضد سلاطين وزعماء أفارقة ، وهادن وفاوض ووقع المعاهدات .. ليضيف في آخر المطاف إلى حنكته التجارية وتجربته الحربية المناصب السياسية إذ تحكم في رقعة واسعة من شرق إفريقية ، بحيث صار في نظر ناصر بن سليمان اللمكي "فاتح الكونغو" . أحمد السعيدي : عُماني في الشرق الأفريقي "تيبوتيب" ناظراً ومنظوراً إليه ، ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) ص ٢ ؛ ناصر بن سليمان اللمكي : حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو ، مجلة الهلال ، العدد ١ ، (يوليو ١٩٠٦م) ، ص ٥٧٢ .

اشتهر بتبوتيب [١]. وهو الزعيم الذي أسس الوجود العربي في الكونغو ، والذي انتهى هذا الوجود بنهايته [٢] .

- هناك عوامل دفعت العرب للدخول إلى الكونغو :

١- عدم توقعهم مقاومة جادة من السكان الأصليين ، نتيجة لسرعة تعرف العرب على عاداتهم واحترامهم لها .

٢- إجادتهم الملاحة ، فاستغلوا أفرع نهر الكونغو ، كنهري اللوالابا ، واللومامي ، مما سهل عليهم الدلوف إلى أغوار الكونغو وغاباته الكثيفة .

٣- غنى الكونغو بالعاج ، وكان سلعة مطلوبة في أسواق الساحل الشرقي يأخذه الأجانب إلى أوروبا ، وهي السلعة الوحيدة التي كانت تتحمل النقل لمسافات طويلة على خلاف محاصيل قلب القارة الأخرى [٣] .

و لقد ظهر نشاط حميد المرجبي السياسي والاقتصادي في مناطق تابورة وأوجيجي تحت سيادة سلطنة زنجبار العربية ، إلا أن نشاطه في الكونغو كان

---

(١) تيبوتيب : هذا اللقب اشتهر به دون غيره في الكتابات العربية والأجنبية على السواء ، بحيث صار علماً عليه ، ومعناه " محاكاة صوتيه لصوت إطلاق البندقية ، أو لرفة في عينه " أو لأن عينيه كانتا تشبهان عيني عصفور يسمى محلياً تيبوتيب ، له عينان تطرفان بشكل متكرر . أحمد السعيدي : المرجع السابق ، ص ٤ .

(٢) بواقيم رزق مرقص : الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو ، (١٩٧٧م) ، ص ١٧٥ – ١٧٦ .

(٣) بواقيم رزق مرقص : العرب والكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، ص ٢٢١ .

أكثر ظهوراً وأطول أمداً [(١)].

لقد قام حميد برحلات ثلاث اثنتان منها في أرض الاونيامويزى والثالثة دخل فيها بالعرب إلى الكونغو . في المنطقة ما بين اللوالابا واللومامى وتمركز في منطقة أوتيبترا أو باتيتيلا وذلك في عام ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م ، وظل يزاول نشاطه هناك حتى عام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م مؤسساً نظاماً إدارياً وتجارياً ، متملكاً على ناصية التجارة في تلك البلاد حتى وصف بأنه (الملك غير المتوج للكونغو) [(٢)].

أسس إمارة عربية إسلامية واسعة الأرجاء في أعالي الكونغو بسطت نفوذها التجاري والسياسي حتى بداية السيطرة الأوروبية ؛ إضافة إلى مساهمته مع غيره من عرب عُمان في تأسيس المدن في كل من كاسنجو ونيا نجوى وبنفس التخطيط والعمارة العربية في زنجبار والساحل الشرقي لإفريقية [(٣)].

و هكذا تمكن حميد المرجبي في العام ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م من بسط سيطرته على المانييما ، أناط إلى أقربائه مسؤولية إدارة تلك المناطق ، ومنذ ذلك الوقت لم يعد تيبوتيب تاجراً بسيطاً بل أصبح قائماً على شؤون إدارة دولة [(٤)].

---

(١) رأفت غنيمي الشيخ : الآفرو عربية ككيان سياسي وحضاري (نموذج الدول العُمانية بشرق إفريقيا) ، ص ٢٧٢ .

(٢) بواقيم رزق مرقص : الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو ، ص ١٧٦ .

(٣) عمان في التاريخ : ص ٤٩٥ .

(٤) عدنان حداد : المرجع السابق ، ص ٥٥٩ .

إن وصول العرب إلى السلطة ساعد على امتداد السلطة الإسلامية ، وإن حميد المرجبي كان يحمل السيف في يد وفي الأخرى يحمل المصحف ، تحالف مع الزعماء المحليين ، وشجع العرب على التزاوج من بناتهم مدعوماً بتجربته السابقة مع الاونياموزيزى ، وتحريره للرقيق المرتبطين به وإقرارهم كحكام لبعض المناطق . وبهذا استطاع تكوين شبكة من العلاقات تحمي هذا الوجود وتدعمه (١).

ناهيك عن العلاقات التجارية مع الساحل الشرقي ، وبالتالي يصعب تصديق القول بأنه أخضع القبائل لحكمه بالسيف بدليل اشتراكها معه في حروبه ضد البلجيك في تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، كما يصعب تصديق قيام دولة تعتمد في قوتها على شبكة من الرقيق فقط (٢).

وهنا نأتي للسؤال الذي يفرض نفسه : ما ملامح هذه الدولة التي أقامها العرب في منطقة أعالي الكونغو ؟ والإجابة نجملها في ملمحين رئيسين : الملمح الأول ؛ يتمثل في النظام الإداري الذي أنشأه العرب في تلك المنطقة ، فقد قام حميد المرجبي بتقسيمها إلى سبعة مناطق إدارية ، فكانت الإدارة تتألف من نوعين من السلطة ؛ السلطة العربية والسلطة المحلية صاحبة الأرض ، وظل

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٩٤ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

هذا النظام فعالاً لمدة ١٨ سنة من ١٢٩٢هـ / ١٨٧٥م إلى عام ١٣١١هـ/ ١٨٩٣م [١] بل ظل الإقليم الذي يحكمه العرب مستقلاً بمرسوم ١٠ يونيو ١٨٩٠م / ١٣٠٨هـ فلم ينضم إلى المناطق الإدارية البلجيكية العشر إلا في ١٠ يوليو ١٨٩٩م / ١٣١٧هـ تحت اسم مقاطعة الكوانجو الشرقية .

و نخلص من ذلك إلى نتيجة مهمة هي أن العرب لم ينعزلوا عن الإفريقيين ليشكلوا طبقة تنفرد بالسلطة وتهيمن على المراكز الإدارية ، بل سبقوا الأوروبيين في إدخال أسلوب الحكم غير المباشر إلى تلك المناطق [٢] .

ذكر جونستون الكاتب الاستعماري البريطاني بأن العرب في الكونغو لم يقوموا بأي محاولة من شأنها إظهارهم بمظهر من أرادوا تأسيس دولة هناك ، وإنما كانوا مغامرين من أرستقراطيي الساحل والآتين من شبه الجزيرة العربية يهدفون مثل الهنود إلى جمع الثروات بسرعة والعودة إلى الساحل في زنجبار ومسقط .كما أنهم لم يغيروا طبيعة الأرض أو السكان ، بل تركوهم على ما كانوا عليه حتى من دخل منهم في الإسلام [٣] .

كان للوجود العربي الاقتصادي والسياسي في منطقة أعالي الكونغو الأثر

---

(١) عدنان حداد : المرجع السابق ، ص ٥٥٩ ؛ أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٩٤ –٤٩٥ .

(٢) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٩٥ .

(٣) بواقيم رزق مرقص : الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٢٨ – ٢٢٩ .

الأهم في نشر الإسلام ، فمنطقة أعالي الكونغو وصل إليها الإسلام مع هجرات قبيلة الحارث العُمانية في بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي [(١)].

بسبب معارضتها لحكم البوسعيد وأثره في هذه الهجرة ، وتنعكس صورة الصراع السياسي بشكل أخص حول منطقتي بحيرة تنجانيقا وأعالي الكونغو منذ أربعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، فقد أصبحت مدينة نيا نجوى عاصمة للمسلمين المرتحلين . ومن هؤلاء معارضة قبيلة البرواني – أحد فروع قبيلة الحرث – لحكم البوسعيد ، لسببين ، أولهما : القضاء على نفوذهم في مافيا وليندي وزنجبار- استمر حتى سنة١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م – ، وإنهاء تحكمهم في طريق تجارة الرقيق ، فلم تعجبهم تلك الإجراءات التي اتخذت في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ؛ فارتحل الكثيرون منهم إلى الداخل . ثانيهما : تضاعف الطلب على العاج منذ بداية النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، مما أثر في رحيل الكثيرين منهم إلى حوض الكونغو [(٢)].

ويشير حديث ليفنجستون عن الانتشار الإسلامي الكبير في نيا نجوى

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٢١ .

(٢) السابق ، ص ٤٦٢ .

وأرض المانيما (على بعد ١٥٠ ميلاً غرب أوجيجي) إلى كثافة الوجود العربي في تلك المناطق لرخائها ومزروعاتها وتجارتها في الأغذية وزيت النخيل والفول السوداني والذرة والعاج . وتقارير سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م تشير إلى دورهم الكبير في أن يصبح الدين الإسلامي هو الدين الغالب في المنطقة . فعلى سبيل المثال كانت شريحة وانجوانا المانيما في أعالي الكونغو تعيش حياتها على النمط الإسلامي اتباعاً لأسلوب قادتهم من العرب (١) .

لعب المانيميون القاطنون والمتنقلون بين أوجيجي وإقليم مانيما دوراً رائداً في نقل الإسلام إلى شرق زائير تماماً كذلك الدور الذي لعبه النياموزي في الإسلام بين مدينتي تابورا وأوجيجي ؛ إذ كانوا يعملون مثلهم أدلاء وحمالين للقوافل الإسلامية المتجهة إلى زائير ، فأصبح إقليمهم والأقاليم الزائيرية المجاورة له تحت النفوذ الثقافي العربي السواحيلي (٢) .

و تدريجياً أصبح الناجحون من الوانجوانا وكلاء دائمين للتجار العرب ، فمع رحلة التجار لمدد طويلة إلى الساحل أصبح هؤلاء القادة الجدد هم المديرين لمصالحهم وتجارتهم ومشروعاتهم (٣) .

ورغم قصر فترة الوجود العربي في الكونغو ، وما صورهم به الأجانب من

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٢٢ .

(٢) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٨ .

(٣) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٣٢ .

صور ، إلا أن الدارس للآثار الحضارية العربية يتبين له أنه كانت هناك آثار ثقافية واجتماعية واقتصادية نتيجة التفاعلات العربية الإفريقية ؛ إذ إن العرب لم يعيشوا في عزلة ولم يضمروا استعماراً وهم المتاجرون المحتاجون إلى سلام في التعامل وتعاون مع الإفريقيين ، وأن الظروف التي حكمت ترحالهم من شرق القارة إلى أرض الأونياموزي وحتمت عليهم الاستقرار في تجمعات كانت المدن وليدتها ، هي نفس الظروف التي حكمت وجودهم في الكونغو ، وهي طول خط الرحلة ، ورداءة الجو ، وسقوط الأمطار ، بالإضافة إلى انتظار المحاصيل ووصول قوافل المتاجرين معهم ، فبنوا المدن التي حاكوا في تخطيطها مدنهم في زنجبار وساحل شرق إفريقية ؛ كما بنوا عمائرهم وبيوتهم على غرار تلك التي تركوها هناك ، أما الوطنيون فكانوا يبنون بيوتهم وأكواخهم حولهم حتى يستظلوا في أمنهم أو يعملوا معهم في التجارة أو الزراعة أو الصيد [١] .

و لم يستخدم العرب في وجودهم في الكونغو ضغطاً سياسياً على الوطنيين أو زعمائهم ، ولم يفرضوا عليهم حضارتهم ، كما لم تكن الدعوة إلى الدين الإسلامي هدفهم الأساسي ، بالإضافة إلى نظرتهم الخاصة أول الأمر إلى الوطنيين المتأخرين ، فلم يعكفوا على الدعوة إلى الإسلام في أول الأمر لما علموه من بدائيتهم وعدم استجابتهم لمبادئ الإسلام [٢] .

---

(١) بواقيم رزق مرقص : الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٢٩ .

(٢) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٧٤ .

فالعرب في رحلتهم إلى الكونغو واستيطانهم في مراكز تجارية فيه استطاعوا أن يحققوا كسباً دينياً بجانب الكسب الاقتصادي وذلك بدخول الوطنيين في الإسلام ، ولم يكن دخولهم فيه أول الأمر نتيجة اقتناع أو دراسة فهو أمر لم يكن مفهوماً لديهم لا مبدأ ولا لغة . إلا أن الإسلام كان أقرب إلى نفوس الوطنيين من المسيحية التي كانت أقدم منه في وسط القارة ، وكان نطاقه أوسع منها تلك التي استعملوا في نشرها مختلف الطرق واشتركت في نشرها أكثر من دولة .

جاء مع العرب البسطاء القليلي العدد ، الذين لم يخططوا لاستعمار أو لم يكن التبشير هدفهم الأول ، وإنما أتى في الطريق وانتشر وتمكن لعدة أسباب :

١ – دخلوا الإسلام لما رأوه من مكانة العرب المسلمين في نظرهم وقوتهم التي فاقت قواهم ، ثم النظم والقوانين التي لاحظها الوطنيون هناك في المجتمع العربي ، وما لاحظوه فيهم من عدم التعصب أو النظرة المندفعة تجاههم .

٢ – لم ينكر الإسلام عليهم عاداتهم الأصلية وتقاليدهم الاجتماعية .

٣ – أسرع الوطنيون للدخول في الإسلام عتقاً لهم ، لأن المسلم لا يسترق [1] .

و من أولى الآثار التي تركها الإسلام في الكونغو كانت اللغة العربية باعتبار أنها لغة القرآن والصلاة ، كما انتقلت اللغة السواحيلية إلى هناك ، ويشهد لورد

---

(١) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٧٦ – ٢٧٧ .

مونتمور الذي زار الكونغو عام ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م بأنه وجد بعض الزعماء هناك يتكلمون اللغة العربية ويقرؤون القرآن وكتباً إسلامية أخرى ، كما شاهد بعض نسخ من القرآن في بعض القرى [1] .

واتبع الوطنيون سادتهم العرب إلا أنهم لم يكونوا يحكمون العبادة الإسلامية بمعناها الصحيح حيث أشركوا مع الإسلام طقوس وثنيتهم .

أما اللغة السواحيلية فكانت هي اللغة الرسمية السائدة بينهم آنئذ في شرق الكونغو ، وخصوصاً لهجة كينجوانا التي استعملت في التدريس بالمدارس العربية التي أظهرت البصمات التي تركها الوجود العربي في الكونغو ، ولم يكن تأثير لغة العرب فقط في بقعة بعينها في الكونغو ، بل كانت اللغة السواحيلية ، تمتد من شرق إفريقية حتى شواطئ اللومامي حتى استعملها الأوربيون أنفسهم بعد ذلك في تخاطبهم مع الوطنيين ، وكانت هذه اللغة هي التي ساعدتهم في حركاتهم الاستكشافية الجغرافية وسط إفريقية ؛ ولهذا أصبحت اللغة السواحيلية هي لغة المعاملات اليومية بين مجموعات السكان المختلفة في تلك البلاد .

ومن الآثار الثقافية العربية ممارسة الوطنيين للشعائر الإسلامية بعد إعجابهم بها كشعائر الصلاة والأعياد فسجدوا مثلهم ، وأحبوا نظافتهم في اغتسالهم ووضوئهم [2] .

---

(١) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٧٨ .

(٢) السابق ، ص ٢٧٨ –٢٧٩ .

كما كان من آثار الوجود العربي على الزنـوج أنهـم قلـدوهم لـيس فقـط في مساكنهم أو لغتهم ، بل في ملبسهم فلم يعد معظمهم يرتضي العري بل ارتـدوا الملابس البيضاء الفضفاضة الطويلة ، ووضعوا عمامة على رأسهم . وممـا يجـدر ذكره أنهم دخلوا الإسلام على المذهب الشافعي .

و من الأمور التي ساعدت على نشر الإسـلام في الكونغـو اهـتمام العـرب بتعليم الوطنيين علوم الدين مما كان له أثره في نشر الإسـلام ، وازدحمـت قـرى مناطق النفوذ العربي في الكونغو بالمدارس العربية التي يقبل عليهـا الطـلاب في ردائهم العربي الأبيض لتلقي العلوم باللغة العربية ، وكانت علوماً دينية وغـير ذلك (١) .

لقد كان للنظام التعليمـي الـذي ابتدعـه المرجبـي أثـر في الثقافـة العربيـة الإسلامية وتمكينها ؛ فقد ابتدع نظامين من التعليم النظري والحرفي كـل مـنهما يكمل بعضه بعضاً فقد ازدحمت قرى مناطق النفوذ العربي في الكنغو بالمـدارس القرآنية التي تعلم اللغة العربية وتحفيظ القرآن والكتابة بجانب تعلـيم الحـرف والـصناعات اليدويـة كالبنـاء وصـناعة الطـوب والنجـارة وصـناعة الـسلاح والمصنوعات الحديدية ، وابتعثوا أبناء العرب وأبناء الزعماء الأفارقة إلى زنجبار لتكميل تعليمهم والعودة في ذات المدارس التي تخرجوا منها (٢) .

---

(١) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٧٩ - ٢٨٠ .

(٢) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العُماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٢٩ .

و عن ذلك تحدث ليفنجستون في عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م عن انتشار التقاليد العربية في الملبس ، وأشار إلى أن العرب قاموا بإرسال أحد الزعماء المحليين يدعى مونيونجو إلى الواتوتا لمدة خمس سنوات لتعلم اللغة العربية وتعلم طريقتها في الحياة ، وبعد عودته أرسل ولديه وابنته إلى زنجبار لدخول المدرسة . وانتشرت أدوات الترفيه العربية في الفراش والأثاث ومواقد القهوة بين الأهالي في بداية تسعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري . وكانت شواهد العرب التعبدية والسكنية ودروبهم التجارية وأساليبهم وإنجازاتهم الزراعية تشهد بما قدموه للمنطقة ، وكذلك فإن استفادة البلجيك من إنجازاتهم تدلل على تأثيرهم الثقافي الكبير [١] .

لقد كانت دولة حميد المرجبي شرقي الكونغو أكثر استقلالية ورخاء من سلطنة زنجبار نفسها ؛ ومع هذا فقد رضخ تيبوتيب في النهاية للتهديدات البلجيكية ، وقبل أن يكون حاكماً على منطقة شلالات ستانلي باسم دولة الكنغو الحرة وذلك سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٧م ؛ لذلك يمكن اعتبار هذا التاريخ بداية فقدان لاستقلاله [٢] .

لعبت الخيانة الدولية والقوى الغاشمة من جهة ، والنكث بالعهود من قبل

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٢٦ ؛ رونالدو أوليفر ، أنتوني أتمور : المرجع السابق ، ص ١٠٨ – ١٠٩ .

(٢) عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

البلجيك ، دوراً أدى إلى تلك النتائج السلبية التي شهدتها المنطقة من جهة ثانية، وإبعاد حميد المرجبي عن الكونغو ، وما أعقب ذلك من الاعتداء على المراكز العربية ، وتكالب الدول الاستعمارية على نهب تلك البلاد والاستيلاء عليها وتقطيع أوصالها (١).

بدأت قوات ليوبولد تهاجم شرق الكونغو بانتظام اعتباراً من عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م بدعوى محاربة تجارة الرقيق ، وفي سنة١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م أيضاً كان على تيبوتيب أن يرحل إلى زنجبار لمواجهة التهم التي تكال له خاصة تهمة الرحالة ستانلي الذي زعم أن تيبوتيب هو الذي أعاق نجاح حملة ستانلى الأخيرة في الداخل ؛ وذلك بأن تعمد ألا يمده بالحمالين . لقد أصبحت أيام الوجود العربي في شرق الكنغو محدودة . وفي نهاية عام ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م كانت مانيما وكل ما كان يحكمه تيبوتيب واقعاً في قبضة قوات دولة الكنغو الحرة . وقضى تيبوتيب أيامه الأخيرة في زنجبار حيث التقى أحد الضباط الانجليز سنة ١٣٢١هـ / ١٩٠٣م وقد كان حسب ما يقول هذا الضابط قانعاً ينعم بثراء واسع (٢).

كانت الروح الصليبية واضحة أو على الأقل غير خفية بدليل المعنى الواضح ذي الدلالة لاسم الهيئة وهو " الحملة الصليبية الجديدة لهذا القرن من

---

(١) حامد أحمد الحداد : المرجع السابق ، ص ٢٣٧ .

(٢) عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

قرون التقدم " ذلك الاسم الطويل الذي لم يتعمد إخفاء أحد الأهداف الرئيسة للتسلل البلجيكي للكونغو ، فهذا الاتجاه الصليبي ، بالإضافة إلى عدم اهتمام عرب شرق الكونغو بنشر الإسلام أو العروبة واكتفائهم بتحقيق الأرباح التجارية ، هما السبب الحقيقي لعدم ترسيخ أقدام العروبة أو الإسلام في شرق الكونغو في الفترة من ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م إلى ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ، إلا أنه تبين أن العروبة لم تكن عميقة الجذور في هذه المناطق ، كما أن الإسلام لم يحقق انتشاراً يذكر ، فقد كان سهلاً على القوات البلجيكية اقتلاعهما معاً بدون عناء .

إن التعاون البلجيكي مع حميد المرجبي كان تعاوناً مرحلياً ، أما بعد أن استقرت أقدام البلجيك فإنه لم يعد لهذا الوجود العربي فائدة . لقد كان حميد في مرحلة من المراحل مجرد موظف لدى البلجيك ، فقد كان هو الحاكم الإقليمي التابع للملك ليوبولد نظير مرتب شهري يوازي ستين جنيهاً وظل كذلك حتى وطد البلجيكيون أقدامهم واستطاعوا في النهاية القضاء على هذه الدولة العربية التي شهد الجميع بحضارتها [١] .

و قد سجل البلجيكيون أنفسهم التأثيرات الحضارية العربية في الكونغو ، إذ ذكر أحدهم ، زار الكونغو بعد انهيار دولة حميد المرجبي هناك ، أن التجار العرب مازالوا أكبر التجار هناك ، ولهم علاقات مع عرب زنجبار وعرب

---

(١) عبد الرحمن عبد الله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٥٤ – ٥٥ .

أوغندة ، وعرب المستعمرات الألمانية بشرق إفريقية ، وأن العنصر العربي لا يزال عظيماً في جهات كاسونجو حيث ترى العرب يلبسون جبباً بيضاء ، ويتلفعون بكوفيات مطرزة تطريزاً بديعاً ، سيماهم تدل على الكرامة والوقار ، وحركاتهم وسكناتهم مقرونة بالأدب التام والكياسة المتناهية والرصانة الفائقة .

ويضيف الكاتب البلجيكي فيذكر أن أبواب المنازل وشبابيكها كلها منقوشة ، وعلى الأبواب كتابات عربية هي آيات من القرآن الكريم ، والمدن جميلة ونظيفة، والمسحة العربية بادية عليها، وعادات العرب في الكرم واضحة ، ويقدمون القهوة العربية ، وقد لاحظ الكاتب البلجيكي أن هناك عرباً خلصاً ومستعربيين ، وهناك أيضاً سواحيليون سماهم زنجباريين[١] .

كما سجل رحالة سويدي زار الكونغو عام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م ، وتجول في مدينة نيا نجوى التأثيرات العربية هناك ، فذكر أن هذه المدينة هي مقر العرب الأصلي ، وبها أفخر المزارع ، وجميع الأشجار المثمرة مجلوبة من إفريقية الشرقية ، كما أن العرب أدخلوا فيها كذلك المواشي والحمير الفارهة للركوب ، وأن هناك نهراً يتفرع من نهر الكونغو ، ويمتد نحو ٣١٥ كيلومتراً ، وعلى جانبيه توجد قرى يسكنها عرب . ووصف العرب بالنظافة والإتقان في العمل ، وهناك كتاتيب تعلم الصبية القرآن الكريم ، والأهالي العرب عنصر جيد في

---

(١) رأفت غنيمي الشيخ : الآفرو عربية ككيان سياسي وحضاري (نموذج الدول العمانية بشرق إفريقيا) ، ص ٢٧٥ .

الكونغو ، لأنهم قائمون بالزراعة ، متحضرون بطبعهم ، ولديهم ميل إلى التعامل مع الجنس الأبيض أي الأوروبيين ، ويبيعون سلعهم في الأسواق ، التي تنتشر في المدن الكونغولية [١].

وذكر هايند [٢] في كتابه (سقوط عرب الكونغو) ما ينصف به العرب ، ولو من غير قصد مبيت ، حيث وصف عدداً من المدن ، حيث فتن (هايند) بكاسونجو كما رآها غداة احتلالها ، ووصف محاسنها بإسهاب فيقول : أما في كاسونجو ، فكان دخولنا مفاجئاً فترك الناس كل شيء في موضعه فوجدنا فيها ثياباً جديدة لجميع قواتنا ، وفي تلك الليلة نام عساكرنا العاديون على مراتب من الحرير والساتان في سرر من خشب ، مزخرف منحوتة عليها ناموسيات من الحرير ، أما الغرفة التي اتخذتها لنفسي فكان طولها ثمانين قدماً وعرضها خمسة عشر قدماً ولها باب يفضي إلى حديقة برتقال ، ويمتد وراءها منظر جميل يزيد على خمسة أميال ، ولم أكد أصدق حين أفقت من النوم أني في أواسط إفريقية ، ولكن موضع إصابات الرصاص في الأبواب والشبابيك إلى بقعة دم كبيرة على الحائط ردتني إلى صوابي ، ووجدنا هناك كثيراً من أدوات الترفيه كدنا ننسى

---

(١) رأفت غنيمي الشيخ : الآفرو عربية ككيان سياسي وحضاري (نموذج الدول العُمانية بشرق إفريقيا) ، ص ٢٧٥ – ٢٧٦؛ حامد الحداد : المرجع السابق ، ص ٢٤٧ – ٢٤٨ .

(٢) سيدني هايند (١٢٨٠ – ١٣٤٩هـ/ ١٨٦٣ – ١٩٣٠م) طبيب إنجليزي برتبة ضابط في قوات دولة الكونغو الحرة الخاضعة لبلجيكا . انشغل بالإضافة إلى الطب بالجهدين العسكري والاستكشافي . سيدني لانجفورد هايند : سقوط عرب الكونغو ، ترجمة أحمد العبيدلي ، أبوظبي ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) ، ط١ ، (٢٠١٠م) .

استعمالها ، من شمع وسكر ، وعيدان ثقاب ، وأباريق من فضة ومن بلور، وبعد أن ذكر الغنائم الحربية ، وكانت كبيرة جداً منها خراطيش لكل بندقية وغدارة صنعت إطلاقاً ، ومنها علم ألماني غنمه العرب من الألمان من شرق إفريقية ، وقال : إن مخازن المؤن في المدينة كانت مشحونة بكميات هائلة من الأرز والقهوة والذرة وسائر الطعام .

وكانت البساتين والحدائق يانعة مترفة حسنة الغرس فيها البرتقال حلوه ومره ، والجوافة ، والرمان ، والأناناس ، والموز بكثرة تبهر . ويبدي إعجابه بتخطيط المدينة ، فيقول : إن شوارعها مستقيمة وإن الجسور كثيرة على جداول الماء التي تجري فيها، وإنها أجمل بناءً من نيا نجوى (١).

ثم يقول متحدثاً عما يحيط (بكاسونجو) : وجعلت همي مدة مقامي في كاسونجو أن أتعرف على المنطقة المحيطة بها ، وكنت دوماً أندهش من العمل الرائع الذي قام به العرب في ذلك الجوار.

فقد بنيت كاسونجو في ركن حرش بكر ، أزال العرب أشجاره ، على مدار أميال عديدة وتركوا بعض الأشجار الباسقة على مسافات منتظمة ، ولست أدري أكان ذلك لتكون الأشجار معالم للمكان أم للانتفاع بظلها؟ وكان في الأرض التي أزيل عنها الحرش غلال رائعة من قصب السكر والأرز والذرة

---

(١) حامد أحمد الحداد : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ ؛ سيدني لانجفورد هايند : المصدر السابق، ص ١٤٠ .

والفواكه ، وقد يوضح امتداد الزراعـة هنـاك أني سرت راكبـاً في حقـل واحـد ساعتين على خط يكاد يكون مستقيماً .

وعندما كان الناس يجتمعون معاً في قرى هنا ، كانت القرى تصبح مستغنية برزقها في ثلاثة أشهر أو أربعة . فالأرز يغل مرتين أو ثلاثاً بين غرسه في أكتوبر وبدء فصل الجفاف في مـايو أمـا الـذرة فقـد تـؤتي أكلهـا بعـد غرسـها بـستة أسابيع (١) .

إذن فقد عمـل العـرب في تحـضير الإفـريقيين وإسـكانهم القـرى العـامرة وتعليمهم الزراعة . ويعجب (هايند) بحضارة العرب في الكونغو ، فيتحدث عن غرف الاستحمام في بيوت كاسونجو ، ويصف كيف يصل الماء إلى خزان في أعلى غرفة الحمام ثم يستعمل للارتشاش بسهولة .

و يصف اتخاذهم مصارف الماء من البيوت في أنابيب من الخشب ويعجـب بنظافتهم عامة ، ويذكر أنهم يصنعون الصابون (٢) .

ويقول في محاضرته التي ألقاهـا في الجمعيـة الجغرافيـة الملكيـة بلنـدن عـام ١٣١٣هـ/ ١٨٩٥م : (لقد حول العرب بلاد مانياما وماليلا ، (وهي المنطقة

---

(١)حامـد أحمـد الحـداد : المرجـع الـسابق ، ص ٢٤٠ – ٢٤١ ؛ سـيدني لانجفـورد هاينـد : المـصدر السابق ، ص ١٤٢ .

(٢) حامد أحمد الحـداد : المرجـع الـسابق ، ص ٢٤٢ ؛ سـيدني لانجفـورد هاينـد : المـصدر الـسابق ، ص ١٥٢ .

الوسطى من أملاك العرب وكانت مشهد القتال) إلى بلاد من أخصب وأعمر مناطق أواسط إفريقية [١] .

و بذلك يعتبر التنظيم الذي وضعه حميد المرجبي في الكونغو أول تنظيم سياسي واقتصادي وحضاري داخل القارة الإفريقية ، يتبع السلطنة العربية الإسلامية في زنجبار ، كما اعترف البلجيك بأن الوجود العربي كان له أثر كبير في ازدهار منطقة الكونغو .

لذلك جعلت دولة البلجيك في الكونغو أعمالها امتداداً للحضارة العربية في جميع المجالات والمرافق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وهناك تقرير كتبه أحد الموظفين الرسميين في دولة الكونغو الحرة ، ويدعى فان أتفلد ، وأرسله إلى الحكومة في بروكسل ، يقول فيه : إنه يجب الإبقاء على الجهود التي بذلها العرب في الكونغو ، والحفاظ على التقدم الذي أحرزه العرب هناك [٢] .

إن الوجود الإسلامي في الكونغو ارتبط بمجهود أهل زنجبار التي امتدت على طول ساحل شرق إفريقية ، وقد حل المسلمون بلاد الكونغو من أوغندا إلى نياسا ، وكان العرب قد سبقوا الأوروبيين في ارتياد تلك الجهات ، وقد اعترف بذلك ليفنجستون في رسائله إلى أوروبا التي يقول في بعضها : كنت أجد آثارهم (أي العرب) أينما أحل ، وكلما حسبت نفسي سرت طريقاً ما سار فيها

---

(١) حامد الحداد : المرجع السابق ، ص ٢٤٢ ؛ سيدني لانجفورد هايند : المصدر السابق ، ص ١٤ .

(٢) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ .

أحد منهم قبلي وأنا أعبر القارة من بتشوانا لاند خلال صحراء كلهاري ، وبعد سبع سنوات من الإقدام عرفت أن عربياً اسـمه سـعيد بـن حبيـب بـن سـليم العفيفي طوف ما طوفت من قبلي بشهور ولم تكن تسنده حكومة ولا جماعة ولا دولة [1].

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٤٦٨ .

الفصل الثالث

آثار انتشار الإسلام في شرق إفريقية في عهد المزارعة

ويشتمل على المباحث التالية :

المبحث الأول : الآثار الدينية .

المبحث الثاني : النشاط الاقتصادي .

المبحث الثالث : الآثار الاجتماعية .

المبحث الأول

الآثار الدينية

المطلب الأول : بناء المساجد والمدارس الدينية :

يعد المسجد أول مركز دعوي – تربوي تعليمي في تاريخ الإسلام ومسار انتشاره في مشارق الأرض ومغاربها منذ انبثاق فجر الإسلام ، وله أهمية قصوى من الناحية الروحية والتربوية والاجتماعية [(١)] .

و بهذا فطن المسلمون لما للمسجد من عظمة ورسالة متناهية ، وشرعوا انطلاقاً وعملاً بالحديث النبوي الشريف : " من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة " [(٢)] ، شرعوا ، في تشييد المساجد ، وكثر بناؤها ، وازداد انتشارها باتساع الدين الإسلامي ، وأصبح من المألوف المتبع أن يبنى مسجد أو أكثر في كل مكان فتحه المسلمون ، أو كل قرية أو مدينة أسسوها [(٣)] .

أن انتشار المساجد في المدن والقرى والأدغال الإفريقية يثير الرعب في نفوس رجال الإرساليات التنصيرية حتى ولو كانت على هيئة أكواخ بدائية [(٤)] .

---

(١) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٢) روي عن أنس بن مالك رضي الله عنه . جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي : الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، ج ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (د . ت) ص ١٦٨ ؛ حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٣) أحمد شلبي : تاريخ التربية الإسلامية ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ط ٤ ، (١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م) ، ص ١٠٤ ؛ حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٤) حامد الحداد : المرجع السابق ، ص ٤٣١ .

ومن الأوروبيين المنصفين الذين نوهوا بدور العرب الحضاري في إفريقية هتشنز الذي ذكر أنه لا تخلو قرية من مناطق شرق إفريقية من مسجد للمسلمين ، وكان القضاة المسلمون منتشرين في كل مكان يحكمون بين الناس وينشرون الإسلام وثقافته ، ويؤسسون المساجد والمدارس مما قوى مركز الإسلام بين القبائل الداخلية التي كانت تحافظ على شعائر الإسلام [١].

غلب الطابع الديني على مدن شرق إفريقية وذلك يظهر في جوامعها ومساجدها التي تقام فيها الخطب والجمع [٢] .

و قد كثر بناؤها في الساحل حتى أصبح لكل مجموعة سكنية مكونة من ستة منازل مسجد [٣] .

و قد كانت الدعوة الإسلامية تتخذ من المساجد مركزاً لها على الساحل الشرقي الإفريقي ، حيث انتشرت المساجد التي بناها المسلمون الأوائل [٤] ، ففي كلوة المدينة العربية الإفريقية ثلاثمائة وستين مسجداً [٥] ، وقد تميزت هذه المدينة لقرون عديدة بعلو مبانيها وجمال مساجدها التي كانت مزينة بالفسيفساء

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٢) علي حسين الشطشاط : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ .

(٣) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ١٥٦ ؛ جمال عبدالوهاب : المرجع السابق ، ص ١٦٩ ؛ علي حسين الشطشاط : المرجع السابق ، ص ٤٤٢ .

(٤) علي حسين الشطشاط : المرجع السابق ، ص ٤٤٢ .

(٥) محمد الحداد : المرجع السابق ، ص ١٧٣ ؛ سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٧٠ .

والرخام الملون . حيث إن بعض الرحالة الأوروبيين قارنوا جامع كلوة بجامع قرطبة في الأندلس ، سواء من ناحية جمال معماره أو الدور الحضاري الذي يؤديه كمركز لنشر علوم اللغة العربية والدين الإسلامي [١] .

وصف المغيري بناء أحد المساجد الموجودة في كلوة حيث قال : " ثم قصدنا الآثار القديمة التي لم يتحقق مقدار عمارها على الصحيح ، فدخلنا أولاً المسجد الذي تنبئ حالته أنه مرت عليه مئات من الأعوام ، وهذا المسجد أحد الشواهد عن عظمة كلوة وعلو شأنها وقوة سلطانها في أيام ما كانت حية ، وهذا المسجد يسع مئات من المسلمين من المصلين ، وفيه محرابان قد بنيا على الهندسة والإتقان بالحجر والنورة ، وقد بقي فيه الآن ٢٩ أسطوانة قديمة ، والبقايا منقعرات ، متسقف بالزنج ما بين أربع الأسطوانات زج على صورة القبة ، ومنظر هذه القبب مليح غريب " [٢] . ثم قال : " ثم نظرنا مسجداً صغيراً بقرب هذا المسجد مبني بالزج ، يسع ثلاثين مصلياً في القياس وفيه بقية من نورق الحياة ، ولكنه كذلك يتداعى إلى الخراب ، ولست أدري ما سبب تقارب هذين المسجدين من بعضهما البعض ، فربما هذا المسجد الصغير كان للنساء ، أو أن في كلوة مذهبين إباضي ، أو سني وشيعي " [٣] .

---

(١) بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٦٨ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

و اكتشف أخيراً مسجد في المدينة الأثرية شانغا جنوبي جزيرة باتي في أرخبيل لامو ، يعود تاريخه إلى ١٥ – ٢٥هـ / ٦٣٦ – ٦٤٦م في عهد الخليفة الراشد الثاني عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، في حين يرى آخرون أنه كان على عهد الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان وقد عثر في نفس المدينة على مسجد قبلته متجهة نحو بيت المقدس مما يعزز احتمال وجود الإسلام فيها قبل توجيه القبلة إلى الكعبة المشرفة [(١)].

كما نجد أن الحفريات الجديدة التي اكتشفت في المدينة العربية القديمة (غيدة) الواقعة شمالي ممباسه ، وتبعد عنها بـ ٦٣ ميلاً ، قد أسفرت عن كشف ستة مساجد بالإضافة إلى المسجد السابع (الجامع) وقد دل على موضع بنائه بالرغم من مواراته عدة قرون تحت أطباق الثرى محل منبره ومحرابه وممراته وبركة مائه وبهوته وضاحيته ، وبالتالي أسطواناته الست المربعة وهي من الحجر المرجاني ، إذ ما زالت تعطي لون الجدة والقوة ، وهي تدل دلالة واضحة على قوة الحضارة العربية الإسلامية في قوة تصميم مبانيها وعراقة حسن أصالتها [(٢)].

وفي ممباسة أعاد العُمانيين تنظيم الكنيسة الصغيرة الموجودة في قلعة

---

(١) عيدروس وأحمد ابنا محسن بدوي جمل الليل : الإسلام في كينيا فرص وتحديات ، معهد الثقافة الإسلامي بمسجد الرياض ، لامو ، كينيا ، (١٤٢٩هـ) ، ص ٦ .

(٢) محمد الحداد : المرجع السابق ، ص ١٧٣ – ١٧٤ .

المسيح ، وتحويلها إلى مسجد ، وفي داخل المسجد توجد أعمدة منقوشة بآيات قرآنية [(١)].

وعند قدوم المزاريع إلى المنطقة ساهموا في تأسيس عدد من المساجد ، ففي حي كيبوكوني بممباسة مسجد مكادرا الذي بناه الوالي الشيخ مبارك بن سالم بن أحمد المزروعي [(٢)].

و يذكر المغيري أن الشيخ مبارك بن راشد المزروعي بنى مسجداً في منطقة غاسي [(٣)] . وبنى المزاريع مسجداً آخر في ممباسة القديمة أطلقوا عليه مسجد المزروعي وهو قائم إلى يومنا هذا في ممباسة ، ومازال المزاريع مهتمين به ويعتنون بصيانته كثيراً [(٤)].

و في مدينة لامو بنيت العديد من المساجد ويشير الجدول التالي إلى المساجد التي تأسست فيما بين عامي ٧٧٢ –١٢٩٨هـ/ ١٣٧٠ – ١٨٨٠م) [(٥)].

---

(١) مبارك بن علي الهنائي : العمانيون وقلعة ممباسا ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ط ٣ ، (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ، ص ١٩ .

(٢) Abdallah Saleh Farsy : Baadhl ya Wanavyuonl Wa Klshafl Wa Masharlkl Ya Afrlka, p18.

(٣) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

(٤) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٥) عيدروس محسن جمل الليل : مساجد لامو ، معهد الثقافة الإسلامي بمسجد الرياض ، لامو ، كينيا ، ص ٢ .

المسجد	تاريخ البناء الهجري	تاريخ البناء الميلادي
مسجد الساحل (أقدم مسجد معروف)	٧٧٢	١٣٧٠
مسجد الجامع (حسب ما كتب على المنبر ، على أن هناك خلافاً حول استيراد المنبر من مسجد آخر أو أنه بني من أجل المسجد)	٩١٧	١٥١١
مسجد ننالالو	١١٦٧	١٧٥٣
مسجد رأس كوب أو رأس الخير	١٢١٢	١٧٩٧
مسجد أتكون أو السوق	١٢٣٩	١٨٢٣
مسجد جمعان	١٢٤٠	١٨٢٤
مسجد نيباي أو بندان	١٢٤٠	١٨٢٤
المسجد ميبا أو الجديد	١٢٦١	١٨٤٥
مسجد القبا (يعرف بمسجد موني علاوي نسبة إلى بانيه السيد علوي وكذلك مسكت ونواكي أي مسجد النساء)	١٢٦٦	١٨٤٩

المسجد	تاريخ البناء الهجري	تاريخ البناء الميلادي
مسجد الأزهر (يعرف بمسجد موان مشام أو عبدالله حامد وهما إسمان لمن ساهما في عمارته)	١٢٧٢	١٨٥٥
المسجد الأقصى أو باجوري	١٢٨٢	١٨٦٥
مسجد الشيخ محمد بن علي	١٢٩٣	١٨٧٦
مسجد الروضة	١٢٩٤	١٨٧٧
مسجد بموان أو ننياي	١٢٩٨	١٨٨٠

و بعد أن هاجر الداعية صالح بن علوي جمل الليل عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م من موطنه جزر القمر إلى مدينة لامو - كما سبق وأشرت – أسس مسجد الرياض عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٢م [١] .

مسجد الرياض كان ومازال صرح إشعاع إسلامي ، وقنديلاً ثقافياً في هذه المنطقة الحيوية من العالم ، والذي يقول فيه الأستاذ مبارك بن سالم بن حرز: " فإذا اعترف العالم بفضل جامعة المدينة التي " ابتدعها " معلم الإنسانية سيدنا

(١) صالح بدوي : المرجع السابق ، ص ٩ .

محمد ، ﷺ ، فإننا ، أبناء شرق إفريقية ، نعتز ونفتخر بهذا المسجد " .

وتقول جريدة " المدينة المنورة " السعودية في السياق نفسه : على بعد مئات وآلاف الأميال في أغوار شرق إفريقيا وبالتحديد في مدينة " لامو " كينيا حيث مقر مسجد الرياض ، توجد قلعة ومنارة للإسلام [١] .

مسجد الرياض بلامو ليس من المساجد القديمة ، فقد مضى على بداية تأسيسه ، قرن ونيف ، إلا أن دوره في نشر الثقافة العربية والعلوم الإسلامية يحتل مركز الصدارة بالنسبة إلى المساجد التاريخية في شرق إفريقية ؛ لأنه هو أول مسجد قام بإيواء وإعاشة التلامذة الوافدين إليه من مختلف أقطار شرق إفريقيا ، بل يعد هو المدرسة " الأم " وأقدمها في كينيا ، وفي شرق إفريقية كله [٢] .

وكان في الأساس مركزاً لتدريس المذهب الشافعي [٣] ، وكان الرياض في بداياته مجرد كوخ بسيط ، أقيم للصلاة ولمذاكرة العلوم ، في قطعة أرض ، منحها الحبيب منصب أبو بكر الحسيني للحبيب صالح . وبعد مدة بنى الحبيب صالح في المكان نفسه مسجداً بالأخشاب والطين والسقف ، وقوي العزم في بناء المسجد بالحجارة والنورة ، فتم ذلك في عام ١٣١٠هـ / ١٨٩٣م [٤].

---

(١) صالح بدوي : المرجع السابق ، ص ٢٠ ؛ حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

(٢) صالح بدوي : المرجع السابق ، ص ٢٠ ؛ حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ .

(٣) A.I.SALIM : Op.Cit. p152.

(٤) صالح بدوي : المرجع السابق ، ص ٢٠ – ٢١ ؛ حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٢٥ – ٣٢٦ .

وقد كانت " مدينة لامو " في عهد الحبيب صالح كعبة الوافدين من طلاب العلم من شتى بلدان شرق إفريقية ، وروضة علم وثقافة ، يشهد لذلك مسجد " الرياض " ورباطه اللذان أسسهما بها ، وتخرج على يديه ، منهما العدد الجم نشروا – بدورهم – العلم والثقافة العربية ، وخدموا الإسلام في شرق إفريقية كلها [١] ؛ حيث كان العلم وقتئذ تركة يرثه العائلة غير أخرى خشية تلاعب السفهاء به على ما يعتذرون ، ولكن مؤسس هذا المسجد جعل العلم في متناول الجميع حقاً مشتركاً كما أمر بذلك الإسلام [٢] .

كذلك تعددت مراكز العبادة في زنجبار ، حيث انتشرت المساجد بصورة كبيرة في الجزيرة ، والجدير بالملاحظة أنه كانت توجد في زنجبار مساجد خاصة بالنساء ، فقد ذكر ترمنجهام أنه يوجد في زنجبار مسجدان خاصان بالنساء . ويعتقد أن أحد هذه المساجد قد بني في عهد السيد ماجد في شمالي مدينة زنجبار بالقرب من قرية بوبوبو ، وفي بعض الأحيان كانت النساء تصلي مع الرجال في مسجد واحد ، لكن هناك ستار أو حجاب يعزل النساء عن الرجال ، وتكون النساء عادة في الجزء الأخير من المسجد .

كانت إدارة المساجد ، وخصوصاً الكبيرة منها ، من اختصاصات إدارة الأوقاف حيث تقوم الأخيرة بدفع مرتبات الإمام والمؤذن والفراش ، وتتكفل

---

(١) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

(٢) صالح شيخ باحسن جمل الليل : المرجع السابق ، ص ٩ .

بجميع نفقات المسجد [1] .

و سنعرض فيما يلي بعضاً من المساجد بمدينة زنجبار :

- **مسجد المنارة** : ويقع في حي ماليندي شرق المدينة ، وقد أنشئ في الأصل قبل عام ١١١٢هـ / ١٧٠٠م ، وأعيد بناؤه على يد محمد بن عبدالقادر في سنتي ١٢٥٠ – ١٢٥١هـ / ١٨٣٤ – ١٨٣٥م ، ومن أهم عناصره المئذنة ، وهي الوحيدة بالجزيرة .

- **مسجد جوفو** : ويقع في حارة كجفشني ، وقد أقامته في القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي عشيرة جمل الليل الشريف الحضرمية لأهل السنة ، وقد كان هذا المسجد من أشهر مراكز العلم .

- **مسجد بيرزا** : يقع أيضاً في حارة كجفشني ، ولا يعرف من قام ببنائه ، ويرجع تاريخ بنائه إلى ما قبل عام ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ، وكان مركزاً للعلم والتعليم .

- **مسجد الفورودانى** : وهو أول مسجد أقيمت فيه صلاة جمعة جامعة ، وقد أقام البناء الحالي سعيد بن سيف المحرمي قبل عام ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ، ثم قام الملك " مني مكوا " ملك المخاديمو ، أو ملك أهل الجزيرة من الزنوج ، والحاكم لهم من قبل السيد سعيد بن سلطان كحاكم محلي للجزيرة وأهلها من

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ٢٥٠ – ٢٥١ .

الأفارقة بتوسيع المسجد في عام ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م ، وقد اعتاد الصلاة فيه ، وكان يذكر اسمه في خطبة الجمعة في هذا المسجد ،مما يوضح أن الإسلام قد انتشر بين أهل الجزيرة من الزنوج ، فسعوا – تمثلاً بالعرب – إلى إقامة وإصلاح المساجد [1].

واستمر بناء المساجد الشافعية لتتسع لأهل السنة ، وهم الأغلبية من السكان المسلمين بالجزيرة ، ومن أبرز هذه المساجد :

– **مسجد المزاحم** : ويقع في حي ماليندي الذي أقامه العلامة أحمد بن أبي بكر سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م نيابة عن السيد حمد بن مزاحم من حضرموت ، ويوجد نقش حجري بالجدار الشرقي داخل محراب المسجد ذكر فيه عام الإنشاء ١٢٣٥هـ الموافق ١٨١٩م ، مما يعني أن المسجد أقدم من الإضافات التي تمت عليه بعد ذلك .

– **مسجد علي ودادي** : يقع في حارة كجفشني ، ويرجع تاريخ إنشائه إلى ما قبل عام ١٢٨٩ هـ / ١٨٧٢م .

– **مسجد الحمداني وبونا صادق** : يقعان بحي مكونازيني ، وقد أنشأه صادق بن عمر الحمداني بن فاطمة بنت أبي بكر الحمداني بعد عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م التي وقفت على المسجدين سبعة أوقاف عقارية تصرف ريعها على الأغراض الدينية .

---

(١) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

و في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي بدأ أهل السنة من الهنود في المشاركة بإقامة المساجد ، وكذلك ساهم أهل السنة من الأفغان بإنشاء مسجدي اللوجان ورجب في حي مكونازيني .

– **مسجد اللوجان** : أنشئ في عصر السيد ماجد بن سعيد قبل ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م ،وقد أنشأه السيد عبدالرحمن أحمد اللوجان وقد أوقف ابنه محمد بن أحمد اللوجان ، وهو أحد علماء أهل السنة ، على المسجد خمسة عقارات للإنفاق على إدارته .

– **مسجد رجب** : أنشأه السيد رجب بن عبدالرازق لوجان قبل عام ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، ويعتبر من أكبر مساجد أهل السنة من الهنود بالجزيرة (١).

وبنيت المساجد في الداخل ، ولعبت دوراً مؤثراً في نشر الإسلام ؛ ولكنها كانت بعيدة عن تجمعات المنازل بحكم النظام القبلي مثلما كان الحال في قبيلة الياو (٢).

أما في مجال التعليم فقد كانت نواته الأولى وبداياته المبكرة تتمثل في المدرسة القرآنية (الكتاب) وحلقات الدرس في المساجد ودور العلماء التي كانت تشكل في مجملها القاعدة الأساسية للتعليم الإسلامي التقليدي في زنجبار والمراكز

---

(١) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٨٨ – ٨٩ .

(٢) جمال عبدالوهاب : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

الإسـلامية الأخـرى في شرق إفريقيـة ، مثـل بيمبـا ولامـو وممباسـة وكلـوة ومالندي [١] .

يرجع تاريخ نشأة التعليم الإسـلامي العـربي في سـاحل شرق إفريقيـة إلى دخول الإسلام في القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، وبانتشار الإسـلام بدأ التعليم ينتشر فيها تـدريجياً وأصـبحت بعـض المـساجد والمراكـز التجاريـة مراكز للتعليم الإسلامي ، وكان العلـماء المحليـون هـم الـذين يقومـون بهـذه المهمة .

وقد قام بعض أهالي شرق إفريقية بالرحلـة إلى الحجـاز والـيمن والقـاهرة لمواصلة طلب العلم ، وعند مايعودون إلى بلادهم يباشرون التدريس والتعلـيم إما بفتح دهليز في البيت أو في المسجد ، وهكذا بدأ التعليم الإسلامي ينتـشر في البلاد [٢] .

وقد رسم أحد الرحالـة العـرب الـذي زار زنجبـار ، بعـد إعـلان الحمايـة البريطانية عليها ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ، واقع التعليم في زنجبار بصورة تسترعي الانتباه إذ قال : إنه من العار الفضيع الـشنيع أن كـل هـذه الجزيـرة ، بـل هـذه الدولة ، ليس لها مدرسة أميرية أو أهلية يتعلم فيها أبنـاء الـبلاد [٣] . وقـد أكـد

---

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٥٣ .

(٢) صالح شيخ باحسن جمل الليل : المرجع السابق ، ص ٨ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

المغيري ذلك قائلاً : " إن الجهل والإسراف الذي خيم على بعض العرب من قلة العلم لعدم وجود مدرسة عربية تعلم أولادهم "[(١)].

و هو بهذا يعيب على سلاطين زنجبار أنه لم يكن لديهم مدارس عربية قبل الاستعمار لتعليم اللغة العربية[(٢)] .

لقد ساد التعليم الإسلامي شرقي إفريقية ، كان تعليماً إسلامياً صرفاً ، واحتوى مرحلتين ، كانت الأولى مقصورة على تعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم في الكتاتيب ، وكانت العربية لغة التعليم في هذه المرحلة المبكرة ، واشتملت المرحلة الثانية على دراسات فشملت الفقه والحديث والتفسير ، واتخذت هذه المرحلة من المساجد أماكن لها ، حيث كانت تعقد حلقات الدروس[(٣)].

وكان سلاطين زنجبار والفئة المثقفة (العلماء) فيها يحرصون على نشر الدين الإسلامي ومبادئه بين سكان زنجبار وساحل شرقي إفريقية ، ولهذا بدؤوا في إنشاء مدارس القرآن الكريم (الخلاوي) ، والتي تعرف محلياً باسم (الدوكسي) ، في وسط تجمعات السكان ، وقد تولى التدريس في هذه المدارس

(١) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٦٢ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

(٢) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٩٥ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٧٤ .

(٣) سيد عبدالمجيد أبكر : المرجع السابق ، ٩٧ .

جملة من العلماء العرب المسلمين الذين نبغوا في علـوم اللغـة العربيـة ، والفقـه والتفسير [١] .

كانت المدرسة هي المسجد أو غرفة من المسجد ، وفي بعض الأحيان تكون المدرسة بيتاً خاصاً ، بالإضافة إلى بيت المعلم ، وفي زنجبار كانت أكبر مؤسـسة تعليمية هي مسجد غوف ، والتعليم في زنجبار مراحل مختلفة تبدأ بالكتاتيب ، ثم مرحلة دراسة العلوم العقلية والنقلية ، وقد اهتم سلاطين زنجبار والفقهـاء والعلماء بأن يحل الدين الإسلامي ، وثقافته محل الوثنية وعاداتها .

يبدأ التلاميذ بتعلم كتابة الأحرف ونطقها ، من خلال تقليد المعلم والقراءة خلفه ، ثم ينتقل إلى حفظ القرآن الكريم ، وخلال هذه المرحلة يتقيـد الطالـب بشيخ معين ، وبعد الانتهاء من حفظ القرآن ، يـصبح الطالـب حـراً في اختيـار معلمه الذي يأخذ عنه العلوم النقلية . والجدير بالملاحظة أن التعليم في زنجبار لم يكن مقتصراً على الأولاد فقط بل إن البنات كان لهن حظ كبـير مـن التعلـيم الـديني حيـث وجـد في زنجبـار عـدد مـن النـساء يعلمـن النـساء القـرآن في منازلهن [٢] .

كانت الدراسة تتم بواسطة اللغة السواحلية مع التركيز على العربية ، حيث كان المعلم يقرأ النص بالعربية ويفـسره باللغـة الـسواحلية ، وكانـت الطريقـة

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٨١ .

(٢) السابق ، ص ٢٨٢ .

المتبعة في تدريس العلوم هي أن يبدأ الطالب بالمختصرات ويتدرج حتى يـصل إلى المستوى المطلـوب . كـان للعلـماء عـدة تخصـصات منهـا النحـو والتفـسير والعلوم الشرعية وغيرها [(١)] .

أما الكتب المستخدمة – علاوة على القرآن الكريم – فهي تفـسير الجلالـين للسيوطي ، والحلي ، وألفية بن مالـك والآجروميـة في قواعـد اللغـة العربيـة ، ومنهاج الطالبين للنووي والمقدمة الحضرمية وغيرها [(٢)] .

وكانت بعض القبائل في تنجانيقا ترسل أبناءها إلى زنجبار ليتعلموا القراءة والكتابـة والقـرآن الكـريم ، وكـان لـديهم إعجـاب كبـير بالحـضارة العربيـة والإسلامية في زنجبار [(٣)] .

وكان السواحليون في القرى يبعثون بأطفالهم إلى المدارس الدينية التي يتولى التدريس فيها قضاة ، ومدة الدراسة تتراوح بين سـنة وثـلاث سـنوات تنتهـي بحفظهم القرآن الكـريم ومـن ثـم يعـودون إلى بيـوتهم وفي عـام ١٢٣٦هــ / ١٨٢٠م كان هناك حوالي أربع مدارس تقوم بتدريس القـرآن الكـريم والـدين الإسلامي في جزيرة " لامو " وثـلاث مـدارس في زنجبـار وفي خـلال ثـلاث سنوات ارتفع العدد إلى ١٥ مدرسة [(٤)] .

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٨٣ .

(٢) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

(٣) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) رأفت غنيمي الشيخ : دور عمان في بناء حضارة شرقي أفريقية ، ص ١٩٣ – ١٩٤ .

وتعد مدرسة الفلاح الإسلامية التي تأسست عام ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م أقدم مدرسة تأسست في ممباسة [١] ، ومن المساجد التي ساهمت في تعليم الأمور الدينية مسجد الميمني في ممباسة ، وقامت ببنائه جمعية الميمني عام ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م ، وتعقد في هذا المسجد حلقات تعليمية لتعليم الأمور الدينية [٢].

كما قام المزاريع بإنشاء مدرسة لتعليم الناس في وسط السوق القديم لمدينة ممباسه ، وزخرت هذه المدرسة بتعليم مختلف العلوم ، وقدم إليها أبناء ممباسة من العرب والأفارقة للتعلم وكسب المعرفة ، كما قاموا بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية ، فقد كان القضاة في ممباسة من المزاريع ، وما زال لهم هذا الامتياز إلى يومنا هذا ، حيث إنهم يحتفظون بمنصب قاضي قضاة ممباسة ، ويتوارثونه فيما بينهم [٣].

قام المسجد بدوره في إثراء الحركة التعليمية والعلمية والثقافية ؛ حيث إن المساجد لا تنشأ إلا في المدن ، أما أهل القرى فإنهم يتخذون أماكن صغيرة تتسع لعدد سكان القرية عند الصلاة ، وهي في صورة مساجد ، ولكنها مبنية من الطين والقش ، أما مساجد المدن أو عاصمة الإقليم فكانت مبنية من الحجارة واستخدم الملاط في بياض جدرانها ، وكذلك نقش الآيات القرآنية على الخشب، كما استخدمت العقود في بناء هذه المساجد .

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٤٤٠ .

(٢) السابق ، ص ٤٤٤ .

(٣) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

ولقد ساعد على صبغ الحياة اليومية بالصبغة العربية الإسلامية ، ذلك الدور الذي لعبه العلماء والفقهاء في إنشاء الكتاتيب في كل مكان ، وأنه لا يكاد يوجد مجتمع إسلامي ، وإن صغر عدده إلا وترى فيه مدرسة أو كتاب لتحفيظ القرآن الكريم يرأسه أحد الفقهاء الذي يقوم بتحفيظ القرآن الكريم وأمامة المصلين في الصلاة (١).

وكانت وظيفة مدارس القرآن الكريم ، يتعلم فيها الطفل قراءة وحفظ القرآن الكريم دون فهم معانيه ؛ وأن يكتب بالحروف العربية ولكن يشق عليه أن يصوغ موضوعاً باللغة العربية ، وأنه بسبب الاعتماد الشديد على هذه المدارس القرآنية للقيام بمهمة التعليم على مدى سنوات ، نضجت وكبرت أجيال من أبناء العرب والسواحلية وهم يتحدثون اللغة السواحلية ، والكل اهتم باللغة العربية لأجل لغة العقيدة والثقافة ، وهناك عدد كبير فهمها وكانوا قادرين على استخدامها في الكتابة (٢).

وينتقد بينت نظام تعليم المدارس القرآنية على أساس أنها لم تعط كل المهارات الأدبية للتلاميذ سوى التمسك بالقيم الإسلامية لدى النشء من أعضاء الجماعة العربية .

---

(١) عبدالفتاح مقلد غنيمي : المرجع السابق ، ص ٨٩ – ٩٠ .

(٢) A.I.SALIM : Op.Cit. p154.

و يرد الدكتور صالح على اتهام بينت " أن النظام التعليمي الإسلامي الذي قدم للمسلم الإفريقي في زنجبار ومدن الساحل أثر تأثيراً واضحاً على ثقافته وتكوين الثقافة السواحيلية حتى الآن ". وماذا بعد تعليم القيم الإنسانية التي استطاع بها المسلمون الأوائل نشر الإسلام في أنحاء المعمورة . ولقد كانت المدارس القرآنية هي أساس التعليم الإسلامي في شرق إفريقية عموماً وزنجبار خصوصاً فيقدم للأولاد والبنات من سن السادسة إلى العاشرة وهدفه أن يحفظ الطلاب القرآن الكريم [١] .

وهكذا نلاحظ أنه في ظل سلطنة زنجبار الإسلامية قد لعب العمانيون وغيرهم من عرب حضرموت دوراً رائداً في نشر التعليم في الساحل الشرقي الإفريقي ، وأصبحت زنجبار في القرن ١٣هـ/ ١٩م ملتقى للعلم وطلابه ومركز إشعاع للمناطق الساحلية والساحل الإفريقي .. فلذلك جذبت أعداداً كبيرة من العلماء والطلاب والدارسين وفدوا من شتى أنحاء شرق إفريقية ومن مناطق نائية وبعيدة مثل جاوة وجزر الهند الشرقية ؛ هذا فضلاً عن عمان وحضرموت . وقد كانت طرق التدريس أشبه بما كان يطبق في عمان وحضرموت والمدن المقدسة بالحجاز، وكذلك الأزهر الشريف الذي أصبح فيما بعد النموذج المثالي الذي يحتذى في الأوساط العلمية في زنجبار . ومن أشهر المراكز العلمية التي اشتهرت ذلك المعهد الذي ارتبط بمسجد جوفا في زنجبار ، وقد

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

قام بتأسيس هذه المدرسة أحد أفراد أسرة آل جمل الليل ، وهي من الأسر المعروفة بالعلم والفضل ، خاصة في مجال الدعوة الإسلامية في شرق إفريقية. إن المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية تنتشر في المنطقة عن طريق المعلم العربي ، وقد كان لهذا الإسهام في هذا المجال في شرق إفريقية نتائج إيجابية .. فمن أهم النتائج أنه أزال الأمية أولاً ، وربط المجموعات الإفريقية المختلفة بعضها ببعض ثانياً ، ثم مهد الطريق لارتباط هذه المجموعات بالعالم العربي والإسلامي ثالثاً .. ومن نتائج ذلك أيضاً أن المجموعات الإفريقية المسلمة أصبحت تعبر عن رغبتها في الانتماء والارتباط بالعنصر العربي في صور مختلفة تنعكس في تراثها [1].

و يتضح مما سبق مساهمة المزاريع وعدد من القبائل العربية الوافدة في شرق إفريقيا في بناء المساجد والمدارس الدينية التي أسهمت في ترسيخ الإسلام ، وبالتالي انتشاره .

---

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٥٤ .

المطلب الثاني : انحسار المد التنصيري في شرق إفريقيا :

كان العُمانيون قد بدؤوا في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي تهديم سيادة البرتغاليين في شرق إفريقية والمحيط الهندي ، الأمر الذي أدى إلى ظهورهم قوة لا يستهان بها في المنطقة من جهة ، وإلى أفول نجم البرتغاليين من جهة أخرى [1] . كان التحرر من الاحتلال البرتغالي الذي جثم على صدر المسلمين نحو قرنين نذيراً بانطلاقة إسلامية قوية . فقد عاودت الحركة الإسلامية نشاطها ، وبدأ المسلمون يعرضون ما فاتهم تحقيقه في السنوات الماضية ، ويدعون رجال الدعوة الإسلامية إلى أن يعودوا إلى قواعدهم ، التي طردوا منها ، وأخذ رجال الدعوة الإسلامية يسعون ؛ من أجل الوصول بدعوتهم إلى كل مكان ، وبدأت انطلاقة إسلامية قوية في تلك الأماكن ، وبدأ الأفارقة يقبلون من جديد على الإسلام ، ويدعون إليه ويشاركون إخوانهم العرب والمسلمين في القيام بالدعوة بين القبائل الوثنية .

وبدأ الإسلام يتوغل توغلاً حقيقياً إلى الداخل ، وامتد الإسلام عبر الغابات والأدغال والأحراش ؛ حتى وصل حوض الكونغو ، ودخل الإسلام هضبة البحيرات وكينيا وتنجانيقا ، وظهرت في الداخل رعية إسلامية ، وكذلك ارتفعت مآذن المساجد في كل القرى الواقعة على الطريق الساحلي ، والموصل إلى بحيرات نياسا وتنجانيقا ، بل إنه لا توجد قرية من تلك القرى ،

---

(١) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧١ .

إلا ووجد بها عدد كبير من المسلمين العرب والأفارقة السواحيلية ، الذين أخذوا ينشئون المساجد لهم لإقامة الشعائر الدينية [١] .

و هكذا ترتب على السيادة العربية الإسلامية العُمانية اليعاربية انطلاقة جديدة للإسلام ؛ مما يجعلنا نؤكد حقيقة تاريخية مهمة ، وهي أن تدخل عرب عُمان في شرق إفريقية لم يكن عاملاً مهماً في القضاء على السيطرة البرتغالية ، في ساحل شرق إفريقية فحسب ، بل أن أهمية هذا التدخل تكمن في أنه أتاح للدعوة الإسلامية والدين الإسلامي ، المناخ الصالح والملائم للانتشار دون عقبات ، فمن المفروض أن البرتغاليين قد تمكنوا في خلال المائتي عام ، التي قضوها في التمكن للعقيدة الكاثوليكية المسيحية ، ولذلك يعد كثير من المؤرخين أن سقوط قلعة يسوع المسيح البرتغالية في ممباسه ، إشارة مهمة إلى بداية انطلاق الدعوة الإسلامية ؛ بحيث لم يكن ذلك الحدث يشكل القضاء على السيطرة البرتغالية ، وإنما في إتاحة فرصة ملائمة لانتشار الإسلام [٢] .

لقد كانت من أهم إنجازات العهد اليعربي أنهم قاموا بتخليص المنطقة السواحيلية من محاولات البرتغاليين لإيقاف تطور الثقافة السواحيلية في اتجاهها البانتوي الإسلامي ، أما الانجاز الذي قدمته الفترة العربية فهو مد

---

(١) عبدالفتاح مقلد غنيمي : المرجع السابق ، ص ١٩٦ – ١٩٧ ؛ حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٤٣٤ – ٤٣٥ .

(٢) عبدالفتاح مقلد غنيمي : المرجع السابق ، ص ١٩٩ ؛ عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقيا في ظل دولة البوسعيديين ، ص ٢٨ .

المنطقة بدماء عربية جديدة عملت على تعليم الإسلام للوطنيين [١].

أما العهد البوسعيدي فيعد العصر الذهبي للوجود العربي والإسلامي في شرق إفريقيا حيث تدفقت الهجرات العربية من عُمان وحضرموت فساهمت هذه الفترة في فتح حدود الإمكان أمام الثقافة السواحيلية إلى الداخل .

إذن يمكن القول إن الفترة العُمانية التي أعقبت الوجود البرتغالي في شرق إفريقية أسهمت إسهامات في صياغة الثقافة السواحيلية بل تكاد تكون هي الفترة المسؤولة عن تأطير الثقافة السواحيلية [٢].

ويرى كثير من الباحثين في الفترة العُمانية بداية لتغلغل الإسلام في المناطق الداخلية في شرق إفريقية ، فوصل حتى أعالي الكونغو (زائير) في وسط القارة، بعد أن كان محصوراً لفترة طويلة في السواحل . كان لتلك الفترة دور كبير في انتشار الإسلام في أراضي شرق إفريقية الداخلية [٣].

ففي خلال هذه الفترة وما تلاها بدأت مرحلة جديدة للإسلام حمل عبأها التجار والمدرسون العرب إلى المنطقة الداخلية [٤] .

ومما يجدر ذكره في هذا الصدد ذلك الموقف المتميز بالمساواة والتسامح

---

(١) عبدالرحمن أحمد عثمان : الدور العُماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، ص ٣٠ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٤) الأمين أبو منقة وكمال محمد : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ .

والاحترام للأعراق والعادات المحلية الذي أبداه الحكام البوسعيديون ، وقد كان هذا من الأسباب الأساسية التي دفعت الأفارقة للاستجابة العفوية الإيجابية للإسلام ، خاصة في المجتمعات التي ارتادها العمانيون في منطقة الظهير الأفريقي .. يقول المغيري : " .. ومن جميل أخلاق سلاطين زنجبار عدم التعصب في الجنسية والأديان ؛ فجميع الأجناس النازلة بزنجبار من غير الجنس العربي قد قابلهم سلطان زنجبار بغاية الاحترام والمواساة في جميع أمور الحكومة وغير ذلك ، ومهما تصفحت تاريخ زنجبار لا تجد فرقاً بين العرب وسائر الأجناس " (١).

وقد أشار مراقب إنجليزي ، منذ أكثر من مائة سنة ، إلى هذه الظاهرة التي استرعت انتباهه في المجتمعات الإفريقية حيث قال : .. كيفما كانوا ، وحيثما ذهبوا .. فإن الدعاة المسلمين أظهروا رفقاً وتعاطفاً واحتراماً للعادات والعصبيات المحلية .. الشيء الذي كان – دون ريب– أحد أسباب نجاحهم والذي يحسن بمبشرينا ومعلمينا أن يقلدوه (٢).

إن العرب لم يعرفوا بأنهم دعامة تبشير ملتزمون ، فإن نشرهم للتراث العربي كان يلزمه عادة نشر الإسلام في المجتمعات الجديدة ، حيث كتبت له الغلبة على الدين المسيحي والمعتقدات الوثنية ، حتى أخذ المواطنون الأفارقة

---

(١) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٦٧ ؛ عمان في التاريخ : ص ٤٩٥ –٤٩٦ .

(٢) عمان في التاريخ : ص ٤٩٦ .

بزمام الأمر ، وصاروا يدعون إلى العقيدة الإسلامية بين مواطنيهم في صور يغلب عليها السلم [(١)] .

انتشر الإسلام في إفريقيا بقوة دفع ذاتية يذكيها بطريقة غير مباشرة واقع كل من المسيحية والديانة التقليدية ، وهو ما يثير تساؤلات ما زال يطرحها المفكرون الغربيون منذ القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ؛ لماذا ينتشر الإسلام في إفريقية على الرغم من كل ما يبذل على التنصير المسيحي ؟ [(٢)] .

يقول رولاند أوليفر : إنه من المشكوك فيه أن البعثات التنصيرية قادرة على وقف التوسع الإسلامي في أماكن ثبت فيها المسلمون نفوذهم ولو تأخر التدخل الأوروبي الواسع النطاق خمسين سنة أخرى لما أصبح الثلث الشمالي من القارة إسلامياً فقط بل أصبح ثلثاها أيضاً جزءاً من العالم الإسلامي [(٣)] .

زحفت جيوش من المنصرين على شرقي إفريقيا ، ودعم حركتهم انتشار الاستعمار الأوروبي في المنطقة ، والذي استشرى على حساب الدعوة الإسلامية في شرقي إفريقية بين بريطانيا وألمانيا في سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م ، وترك الميدان للبعثات التنصيرية ودعمت بالموارد المالية وبسلطان الدول الاستعمارية [(٤)] .

---

(١) عبدالرحمن أحمد عثمان وآخرون : أوضاع المسلمين في منطقة شرق إفريقيا السواحلية ، ص ٨ .

(٢) حورية توفيق مجاهد : تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا ، ص ١٤ – ١٥ .

(٣) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٤) سيد عبدالمجيد بكر : المرجع السابق ، ص ١٠٩ .

و لعل أهم ما واجه المسيحية من صعوبات عرقلت نشاطها التنصيري هو صبغها بالصبغة الاستعمارية حيث نظر إليها على أنها أداة استعمارية وملحقة بالإدارة الاستعمارية (١).

كذلك ارتبطت مصالحهم بمصالح دولهم المستعمرة خاصة ، واستخدمتهم النظم الاستعمارية على اختلافها لتحقيق أهدافها ؛ فالعلاقة متبادلة بينهم ، وكذلك المصلحة (٢).

فالتنصير لم يبدأ منذ عهود سابقة في إفريقيا ، وإنما جاء مع القوة الاستعمارية بصورة عامة ، فالقارة الإفريقية لم تشهد تنصيراً منظماً قبل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، ومعنى هذا فالنشاطات التنصيرية تزامنت مع النشاطات الاستعمارية الأخرى في القارة.

و يتضح من ذلك أنه لا يمكن أن ينجح التنصير وينتشر في المجتمعات الإسلامية إلا بمساعدة الحكومات الاستعمارية وما شابهها ، فهذا الفرق بين الدعوة الإسلامية والدعوات الأخرى مثل النصرانية ، فالدعوة الإسلامية انتشرت في أغلب البلاد بمجهودات فردية بسيطة ، أما الدعوة النصرانية فإنها اعتمدت على قوة السلاح في أغلب الأحيان ، وقوة المال ؛ إذ تحشد لها طاقات هائلة ومنافع مادية لجلب الأنصار ، ويدرك النصارى أن دعوتهم بدون هذا

(١) حورية توفيق مجاهد: الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية ، ص ٢٠٠ .

(٢) السابق ، ص ٢٠٢ .

لا يمكن أن تصل إلى الشعوب ، أو تجد معتنقين جداً ، واعترف أحدهم بأن الإسلام لم يكن له دعاة مخصصون يقومون بالدعوة إليه وتعليم مبادئه كما في المسيحية (١).

كان من مظاهر التعاون بين الإرساليات التنصيرية توحيد الخطط للتعامل مع الحكومات الاستعمارية ووضع برامج التعليم في مدارسها ، وكان من نتائج الشعور بالمصلحة المشتركة والخطر المشترك أن اتفقت كبرى الجمعيات المسؤولة عن التنصير مع الفاتيكان على عقد مؤتمرات تنصيرية عامة في أوقات متقاربة للتشاور وعرض الجهود ودراسة الأخطاء وتقدير النتائج وتعديل الخطط وسد الثغرات . ولم تقتصر أسلحة الإرساليات التنصيرية على التعليم ، بل امتدت إلى مجال الصحة وبناء المستشفيات ، فقد عملت زوجة المنصر هور في التمريض في زنجبار ، وفي يوم تركها زوجها مع زوجة رئيس القبيلة ، وكانت تشتكي من أسنانها فأعطتها بعض الأدوية وكسبت ثقة الناس والمواطنين حتى لاقت تأييد بعضهم فكانت تعالجهم بالمجان لاعتناق النصرانية (٢) .

و يقول المنصر دالى جود فراى : إن المسلمين على الدين الصحيح في زنجبار، ولكن من الممكن أن نحصل منهم على مهتدين من الشباب الصغير ، ولقد تحدثت مع أحدهم عن ديننا المسيحي في قراهم فوجدت لديه الإرادة

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٣٩١ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

ليستمع لما أقول ، وقرأت الإنجيل ومزامير داود (الزبور) على أحدهم ، وتعلم أن يقرأ في مدارسنا (مدارس التنصير) ولكنه لم يعتنق المسيحية ولكن سوف يكتسبها إذا ما عرف حقيقة معتقدنا فمعلموهم لم يعلموا شيئاً عن المسيحية ويملؤون عقولهم بتحريفات مختلفة .

الحقيقة أن التعليم التنصيري كان مشتبها فيه من جميع السكان المحليين في زنجبار وبمبا ، ولم يلق المنصرون النجاح المطلوب في التعليم وتنصير الأفارقة في زنجبار بل كان نجاحاً محدوداً [(١)] . ومن أسباب عدم الإقبال على التعليم التنصيري أنه مشكوك فيه من جميع المحليين ، وأن هذا التعليم رفضه المحليون لأنه يحمل في طياته المسيحية ولغة المستعمر ، وهذا أفسد التعليم الغربي [(٢)] .

و لما وجدت الإرساليات التنصيرية أن الإسلام لديه القدرة على الانتشار بدون إعانة الحملات ، ومع المعونات التي تقدم لنشر المسيحية فلم تستطع أن تنافسه جنباً إلى جنب ؛ لأنه كان لديه أسباب التكيف والثبات والوضوح للأجيال الحديثة ؛ لذلك كانت المسيحية السمو الطبيعي للوثنية الإفريقية [(٣)] ، ولقد ارتبط التنصير بالتجارة بسبب أن التنصير والتجارة يعدان امتداداً طبيعياً للمدنية الغربية ؛ فالتجارة الغربية كانت تقدم المعونات المالية للحركات التنصيرية لكي

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٢) السابق ، ص ١٦١ .

(٣) السابق ، ص ١٦٠ .

تساعدها في عملها التنصيري أو في حركتها الصليبية [١] .

و لما عجز المنصر أن يوصل المسيحية إلى الإفريقي أخذ يعد العدة للنيل من العرب والإسلام . ومن وسائل هذا النيل كانت تجارة الرقيق التي اتخذها لدعايات منظمة ضد العرب والتجار من المسلمين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية ؛ فإن كانت هذه التجارة قد عرفها العالم عن طريق الأوروبيين والأمريكيين ، وتصوير العرب على أنهم قناصة الرقيق وبائعو الرقيق ، ونتج عن هذه الدعاية المغرضة تنمية الشعور بالكراهية نحوهم ، وتوغلت الكراهية في نفوس الأفارقة من هذه الدعاية ، وبالتالي عرقلت انتشار الإسلام في هذه البلاد [٢] .

وذكر بعض الكتاب الغربيين أن هذه الدعوة قد نجحت وأثمرت في تنصير الأهالي وابتعادهم عن المسلمين ، وتنمية الشعور بالكراهية نحوهم [٣] .

ولكن سبنسر ترمنجهام نفى هذا التأثير ، كما نفى أصل القضية ، وهي إلصاق التهمة بالعرب والمسلمين بأنهم تجار رقيق ، حيث قال :

إن تلك الدعوى لم تضعف الإسلام أو تؤثر فيه ، ولم تدفعه إلى النكوص ،

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٦٠ – ١٦١ ؛ عبدالباقي محمد كبير : المرجع السابق ، ص ٦٤٧ .

(٣) عبدالباقي محمد كبير : المرجع السابق ، ص ٦٤٧ .

أو إلى اتخاذ دعاة له يدافعون عنه ، بل صمت الإسلام وانتظر حتى جاءت الفرصة ، ودخل المسلمون إلى نفس المنطقة الممتنعة ، وخالطهم الأهالي وعاشروهم ، فإذا بهم - أي الأهالي - يتبينون بأنفسهم ، ودون وسيط ، خطأ ما رسخ في أذهانهم عن المسلمين ، فاتجهوا إليهم وزاملوهم ودخلوا في الدين الجديد إعجاباً منهم بجلاله وروعته ..

ثم يرد ترمنجهام على تلك الدعوى بقوله : إن جلال الإسلام وروعته هما اللذان دفعا بالأهالي إلى أن يصبحوا هم أنفسهم دعاة له بعد أن كانوا من خصومه الكارهين ..

و لم يفته أن يشير ترمنجهام بأن التجار العرب والمسلمين لم يشتركوا ، من قريب أو من بعيد ، في الإغارات التي كانت تقع في الغابات لاقتناص العبيد وصيدهم (1) .

و كما - سبق وأشرت - كان للتجار المسلمين دور كبير في نشر عقيدة التوحيد بين الأفارقة ، إذ كان للتجار صلات قوية وجيدة بكل الناس ، وكان الأمراء والحكام في المنطقة يرحبون بهم ترحيباً عظيماً ، وكانوا يساعدونهم على تصريف ما معهم من البضائع وشراء ما يحتاجون إليه منهم ، وكانت هذه الصداقات تنقلب إلى دعوة إلى الإسلام ، وغالباً تكلل بالنجاح الكبير فيدخل

---

(1) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٢٦ – ٢٧ ؛ عبدالباقي محمد كبير : المرجع السابق ، ص ٦٤٧ – ٦٤٨ .

الأمير في الإسلام ، وتتبعه حاشيته ، ثم تتأسى به الرعية . وكان الإسلام أيضاً ينتقل من خلال التعامل المباشر بين التاجر المسلم والإفريقي حتى ولو لم يقصد التاجر دعوته مباشرة ، وإنما كان الإفريقي يتلمس حسن ذلك الدين من خلال تعامل التاجر الذي يدين به ، وكانت نتيجة لهذه الحركة التجارية التي صاحبها نشر للعقيدة الإسلامية من قبل التجار ، أن رأت الإرساليات في التجار المسلمين عدواً لدوداً يجب التخلص منه بكل الوسائل ، وأنه يجب إبعاد التجار المسلمين عن الأفارقة ، حتى تفسح المجال لنشر باطلها فسعت إلى ذلك سعياً حثيثاً (١) .

فقد استطاعت القوى الكنسية ، بالتعاون مع الإدارة الاستعمارية قطع الطريق البحري المار من ساحل كينيا إلى البلاد الإسلامية ، وحرمان المسلمين من أهم مصادر الثروة التي ظلوا يملكونها ويتحكمون فيها عبر العصور ، حتى برز منهم أمهر البحارة أمثال ابن ماجد وغيره ، حيث عمدت تلك القوى إلى الاستيلاء على الجزر والمواقع المتحكمة في ساحل شرق إفريقيا . كذلك ركزت الإرساليات والبعثات التنصيرية ، وخاصة البروتستانتية منها ، على الدخول في النشاط الزراعي ، خاصة حول محطات الإرساليات لتدريب المنصرين ، والاستفادة من المتنصرين الجدد من جهة ، والوقوف ضد التجار والمزارعين العرب من جهة أخرى ، ومنافستهم في هذا المجال إذ إنهم برزوا فيه وحققوا

(١) نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ١٥٩ – ١٦٠ .

نجاحاً كبيراً في مجال زراعة القرنفل والفواكه وقصب السكر والشاي وجوز الهند . وعندما وجدت البعثات التنصيرية أن الإسلام يتقدم بصورة جيدة في المنطقة أمام بطء تقدم النصرانية لجأت إلى الأساليب الخفية أو التي يمكن أن ترغب الأفارقة في النصرانية حسب رأيهم . وذلك عبر تقديم الخدمات الصحية والتعليمية في محاولة أخرى للتخلص من الوجود الإسلامي [1] .

و قد تناول ترمنجهام تخبط المنصرين ومحاولاتهم اليائسة في محاربة الإسلام وإخفاء حقيقة انتشاره ، وقد أبدى ترمنجهام استغرابه من الرغبة المشتركة بين العاملين في الحقل التنصيري والمستعمرين ، ويضرب مثلاً على إخفاقهم ونجاح المسلمين بقوله :

رأيت مركزاً للتنصير تقوم به سيدة منذ ثلاثين عاماً في منطقة جبلية نائية تقيم في منزل أنيق تحيط به حديقة صغيرة ، ولديها طائرة عمودية وضعت هي وطيارها تحت تصرف المرأة ، لكي تنقلها وقتما تشاء إلى وسط الغابة فتخاطب سكانها وتتحادث معهم بلهجاتهم التي أصبحت تتقنها إتقاناً تاماً ، وتقدم الهدايا إليهم ، وتعيش بينهم أياماً ، ثم تصحب المجذومين منهم بطائرتها إلى المركز العلاجي للجذام الذي أقامته وزودته بالأطباء والممرضات . في تلك المنطقة بالذات رأيت القوة الروحية للإسلام أمام ضخامة القوة المزودة بها البعثات التنصيرية فالقسيس الذي كانت هذه السيدة المنصرة قد أعدته من

(١) نور الدين عوض بابكر : المرجع السابق ، ص ١٦٠ – ١٦١ .

أهالي المنطقة ، ووضعت الإنجيل المكتوب باللهجة المحلية بين يديه ، لكي يسير داعياً وسط أهله وعشيرته ويعاونها في جذب المزيد من السكان إلى حظيرة الكنيسة ، هذا القسيس نفسه تحول إلى الإسلام ، عندما التقى بواعظ من أهل بلده وعاشره دون أن يقدم إليه هذا الواعظ شيئاً في مقابل ذلك ، ودون أن تكون لديه وسائل الانتقال إلى الغابة بالطائرات العمودية ، أو علاج المجذومين أو تقديم الكساء لمن يريد ، وكل الذي استطاعه هو أن عينه بعد إسلامه مؤذناً بمسجد القرية الذي يؤم الصلاة فيه (١).

و يحلل الدكتور صالح أسباب إخفاق التنصير بالقول : إن الهدف من الكنيسة هو تنمية الناس وتطويرهم وإن لم تقم بثورة ضد البيئة الاجتماعية والاقتصادية فسوف تقود الناس إلى الفقر والمهانة والذل ،حيث تكون الكنيسة غير مقنعة للإنسان ويكون الدين المسيحي مخطئاً يضعهم في انحطاط وخرافة متقبلة بشيء من الخوف (٢) .

كذلك اعتنق الزنوج المسيحية بسبب ما قدمته لهم الإرساليات التنصيرية من إقناعات مادية ، وعن ذلك تقول السيدة سالمة : " ويستمر اعتناقهم لها ما استمر إغداق العطايا عليهم ، وقد شكا لي أحد رجال الدين الإنكليز العاملين

---

(١) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٢٢ – ٢٣ ؛ عبدالباقي محمد كبير : المرجع السابق ، ص ٦٤٦ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

في ممباسة بأن عدد تابعيه يختلف زيادة ونقصاناً باختلاف كميات المؤن التي ترد إليه من الوطن " [(١)].

و كان اعتناق المسيحية في مبدأ الأمر ضئيلاً فردياً عندما كانت القبائل الوطنية تحافظ على تماسكها وتكتلها ولم تنتشر المسيحية نوعاً ما إلا بعد أن مال إليها واعتنقها بعض زعماء القبائل بغية الانتفاع بمعونة البعثات التنصيرية [(٢)].

و ارتبطت البعثات التنصيرية بالبعثات الكشفية الأوروبية وتغلغل المنصرون الأوروبيون في مقاطعات الشرق الإفريقي منذ منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي و نجحوا في تأسيس عدة مراكز تنصيرية لعبت دوراً هاماً في الحياة الدينية والاجتماعية للأفارقة [(٣)] .

حيث لاحظ عدد كبير من الرحالة ، والمكتشفون ، والمنصرون الأوروبيون عند مجيئهم إلى إفريقية الشرقية مدى قوة وفاعلية النفوذ الإسلامي ، وأثار ذلك قلقهم وخوفهم ، فحاولوا (تحت ستار محاربة تجارة الرقيق) تفعيل حركة التنصير ، لغرض الحد من حركة انتشار هذا النفوذ ، والوقوف أمام مده ، وتحت هذا الإطار تدخل مجهودات ليفنجستون وستانلى اللذين ، رغم اهتمامهما

---

(١) سالمة بنت السيد سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .

(٢) فاروق عبدالجواد : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٣) عمان في التاريخ : ص ٤٩٥ .

بحركة اكتشاف مخابئ القارة الإفريقية ، إلا أن جهودهما في تشجيع الهيئات والبعثات التنصيرية الأوروبية للاتجاه إلى منطقة شرق إفريقية خاصة وإلى القارة كلها عامة ، قد أثمرت يوم أن بدأت الكنيسة تهتم بتلك المناطق ، وترسل منصريها إليها (١).

و من الثابت أن هناك فرقاً بين كلمة التبشير وكلمة التنصير حيث إن التبشير يعني نشر المسيحية لغير المسلمين ، أما التنصير فيعني نشر المسيحية بين المسلمين . وتعددت الدوافع التي دفعت الجمعيات التنصيرية للتنصير من دوافع دينية وسياسية واقتصادية وإنسانية حيث كانت أهداف المنصرين المعلنة نشر المسيحية وأنهم جاؤوا إلى إفريقية بدافع ديني وهو نشر المسيحية والدعوة إلى الخلاص المسيحي (٢) .

لقد كان للتنصير أغراض سياسية حيث كان معاوناً للاحتلال فاعتمدت عليه الحكومة البريطانية أكثر من اعتمادها على القوات العسكرية فعملوا على التودد والاهتمام بالأفارقة وتنصيرهم ، وأعلنت البعثات التنصيرية أن هدف التنصير هو هدف حضاري إنساني يهدف إلى القضاء على الجهل ونشر التعليم وتعليم المواطنين القراءة والكتابة وبعض الحساب ورفع مستوى المعيشة ، ولقد اعتبرته ضرباً من ضروب التضحية البشرية وإنكاراً للذات والبطولة وجلب

---

(١) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

للتقدم ونقل الحضارة المسيحية الأوروبية .

بينما الحقيقة أن أهداف التنصير الحقيقية هي استغلال تلك الأوطان ، أرضاً وبشراً ، لامتصاص خيرات الأرض وتسخير الأيدي العاملة فيها لمصلحتهم ، وهناك أمر آخر خاص بالبلاد الإسلامية هو محاربة العقيدة الإسلامية وإضعافها في قلوب المسلمين ، ومحاولة تنفيذ ما عجزت عنه الحروب الصليبية من قبل ؛ وذلك لما يعلم المنصرون من خطر هذا الدين على مخططاتهم التنصيرية التي أضمروها [1] .

أدت الحملات الصليبية الدعائية ضد الإسلام والمسلمين إلى علاقات عدائية بين النصارى والمسلمين ، وبخاصة في أماكن الكثرة الإسلامية كمناطق الساحل الكيني حيث قاوم المسلمون بشدة نشاط المنصرين العدائي للإسلام ، وكاد الأمر أن يؤدي إلى مواجهات مباشرة بين الجانبين لولا حماية الإدارة البريطانية الاستعمارية للمنصرين ، فقد كتب " آرثر هاردنج " أول مفوض بريطاني لمحمية شرق إفريقية البريطانية " : كان كثير من المسلمين يشعرون عند مرورهم بالسوق ، وسماعهم لخطب المنصرين ومواعظهم ، أن أولئك المنصرين ما كانوا ليجرؤوا على مهاجمة دينهم الإسلامي في مثل تلك الأماكن العامة ، لولا السند الذي كانوا يجدونه من حكامهم الإنجليز " [2] .

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ .

كان هذا في ممباسه ، أما في لامو المدينة الساحلية المسلمة فقد كان العداء والمواجهة بين المسلمين والنصارى أمراً عادياً ، فحينما تمكنت البعثة الألمانية التنصيرية في عام ١٣٠٩هـ / ١٨٩١م من تنصير ثلاثة شبان مسلمين ، والعمل على إغراء رابع بالارتداد عن دينه ، هبت كل المدينة في ثورة عارمة ضد المنصرين ، وجرت عدة محاولات لاغتيال الشاب الرابع ، الأمر الذي جعله يبقى على دينه الإسلامي ، وهكذا يتضح لنا أن العلاقة بين الجانبين ، التي كان يشوبها الشك المتبادل تطورت إلى علاقات عدائية ، جاهر فيها المنصرون بعدائهم للإسلام وأهله ، في حين كان فيها المسلمون يحاولون تعويق ووقف تقدم النصرانية في أوساطهم ، كما كانوا في أحيان يرفضون تأمين تحركاتهم ، ونقل معداتهم من مكان إلى آخر (١) .

و عندما وجدت البعثات التنصيرية أن الإسلام متقدم جداً في زنجبار أمام بطء تقدم المسيحية قامت البعثات بوضع حل لذلك عن طريق التخلص من النفوذ العربي والإسلامي في شرق إفريقية ، وكتب سميث ماريناد (أعتقد أننا سوف نحقق الفوز في هذا المضمار عن طريق وجود الكنيسة ، مع المدرسة ، مع الصيدلية مع المستشفى وغيرها ؛ فإنه لا يمضي وقت طويل حتى يدرك أهل الكنيسة أن هناك من يهتم بهم كثيراً المسيحية وليس الإسلام) (٢) .

---

(١) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ – ٢٥٧ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٥٤ .

أوضح المغيري بثاقب فكره أن من أهداف السياسة البريطانية نشر الدين المسيحي بواسطة المنصرين والمنصرات ، وأن الرحمة التي قام بها رجال ونساء هذه الجمعيات بواسطة المدارس والمستشفيات قد حققت نجاحاً بين الزنوج فصار بعضهم يدخل في دين النصرانية [1] .

وعلى أية حال فإن نجاح المنصرين في شرق إفريقية من الناحية الدينية ضئيل جداً ، ولا يبرر بحال من الأحوال تلك الملايين من الجنيهات التي تنفق في سبيل التنصير ، والتي لو حولت إلى ذهب وفضة لرجح وزنها الأشخاص الذين يتنصرون بها كل عام .

هذا رد أحد الإفريقيين على أحد القسيسين حين سمعه يقول : إننا نجهد أنفسنا ونترجم الإنجيل إلى لغتكم الوطنية ونأتيكم بالتعليم وبالرحمة والأمن والعافية لتزكو نفوسكم ولتعيشوا في أمن ورخاء . وأما المسلمون فلا يأتونكم بشيء . فقال الإفريقي : نعم إنكم تأتوننا بالإنجيل وبمبادئ لا تؤمنون بها أنتم لأنكم لا تعملون بها ، وتأخذونا منا نظيرها أموالنا وأرضنا وحرياتنا ونصبح لكم عبيداً وخدماً .

أما المسلمون فحق أنهم يأتون هنا مزودين بقليل من المعرفة ، ولكنهم يعملون بما يعرفون ، ولا يأخذون منا شيئاً ، بل يعملون مثلنا في تعمير بلادنا

---

(١) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٩٢ – ٢٩٣ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

من غير أن يطغوا علينا ، وإذا قبلنا دينهم أصبحنا لهم إخوة وإخواناً ، وأما إذا قبلنا دينكم ظللنا لكم عبيداً وخدماً . خذوا إنجيلكم وردوا علينا أموالنا وحرياتنا ودعوا أرواحنا تذهب ولو إلى الشياطين . اعملوا بإنجيلكم أولاً ، ثم تعالوا للتنصير به ، فلم يحر القس جواباً (١).

إذن عجزت الإرساليات التنصيرية أن تجعل الدين المسيحي مفهوماً منبثقاً ومتلائماً مع البيئة الإفريقية ، بل اتخذ المستعمرون من المسيحية سلاحاً لتنفيذ أغراضهم ولتيسير حكمهم ، ولم يهتم كثير من المنصرين بمدى إدراك الإفريقي لتعاليم الدين المسيحي (٢).

ذكر بعض الباحثين الأوروبيين أن عملية نشر الإسلام في شرق القارة لم تكن تتبع خطة ، بل إن العرب لم يبذلوا مالاً من أجل تحويل الإفريقيين إلى الإسلام ولم يكونوا إيجابيين في ذلك (٣) ، إن نشر الدعوة الإسلامية ، وإن كان ينقصه الإمكانات والدعم المنظم للنشاط التنصيري ، إلا أنه لا يواجه مثل ما يواجهه ذلك النشاط التنصيري المسيحي من مشاكل : حيث المسلمون يعملون بمبدأ كل مسلم داعية لدينه (٤).

---

(١) محمود حب الله : المرجع السابق ، ص ٢٩ – ٣٠ .

(٢) فيليب رفلة : المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٣) عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(٤) حورية توفيق مجاهد : الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية ، ص ٢٠٠ .

و بالرغم من أن الأهداف الاقتصادية كانت من المحركات الرئيسة لانتقال العرب إلى داخل القارة ، إلا أن الدافع الديني قد لعب دوراً كبيراً في نشر الإسلام في الداخل [١] .

ولم يعمد سلاطين زنجبار ووكلاؤهم إلى إقامة دويلات في الداخل الإفريقي الشرقي . وعلى الرغم من أن التجار قد حملوا خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي علم السلاطين الأحمر معهم ، فإن اهتماماتهم الرئيسة قد تركزت في أعمالهم التجارية . مع ذلك ، لا يعني هذا أنه لم يوجد بين هؤلاء التجار من مارس التجارة بينما كان اهتمامهم الرئيس منصباً على النشاطات الدينية [٢] .

فكثيراً ما أقام هؤلاء التجار المسلمون مراكز تجارية داخلية ، أو ما يعرف بالقرى السواحلية ، في أي مكان يذهبون إليه ، وذلك بموافقة الحكام المحليين .

و قد بنيت الجوامع والمدارس القرآنية في كل قرية من هذه القرى للعبادة وتعليم العقيدة لأطفال المسلمين والداخلين الجدد في الإسلام . لقد تحول العديد من الأفارقة إلى الإسلام – من خلال تأثير هذه القرى السواحلية التي

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥١٨ .

(٢) بدرود . كاتيريغا : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

شكلت نموذجاً حقيقياً للثقافة والحضارة الإسلاميتين ضمن إطار شرق إفريقية [(١)] .

و تحدث ليفنجستون في عام ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م بأن الوجود العربي الكثيف في منطقة البحيرات قد عمل على نشر الإسلام واللغة العربية مما جعله لا يقدم نفسه كمسيحي بصورة صريحة ، فحينما كان يسأل إذا كان مسلماً أم لا فيرد " لا إنما أنا طفل لعيسى بن مريم " ومن ثم فإن الوجود العربي في منطقة البحيرات قد نقل ثقافة الساحل الإسلامية وملامح الحركة العلمية التي تجرى في زنجبار في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي إلى الداخل [(٢)] .

إن الإسلام في شرق إفريقية انتشر على نطاق فردي ، ولذلك تغلبت حضارة البانتو ، وكانت اللغة السواحلية مثلاً تحمل نسبة ٣٠ في المائة من المفردات العربية [(٣)] .

و بعد أن تمكن العرب من الوصول إلى الداخل في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي دخلت بعض القبائل الإفريقية في الدين الإسلامي . وتمكن العرب والسواحليون من أسلمة بعض القبائل المعروفة

---

(١) بدرود . كاتيريغا : المرجع السابق ، ص ٢٧٨ .

(٢) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٢٤ .

(٣) محاسن عبدالقادر الصافي : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

خلف الساحل نسبة لـصلاتهم بالقبائـل الـسواحلية المـسلمة وكـذلك بعـض القبائل من منطقة بحيرة نيانزا ، وبعض القبائـل النيليـة ، بالإضـافة إلى وجـود مجموعات صومالية وسواحلية ونوبية مسلمة .

و على الرغم من ذلك نجد أن نسبة المسلمين في كينيا تقل بكثير عن تنزانيا ؛ وذلك لانعدام المراكز التجارية الداخلية في كينيا ، إذا ما قورنت بتنزانيا حيث كان تأثير زنجبار والعرب محدوداً في نشر الإسلام بكينيا ولم تكن هناك طرق داخلية تخترق الـبلاد مـن الساحل إلى الداخل ؛ وذلك يعود لصرامة القبائل الكينية كما أسلفت مما حد من عملية انتشار الإسلام باستثناء أراضي قبائل نييكا (١) .

وكان من آثار مـا حققـه الإسـلام مـن تقـدم كبـير قبـل وصـول القـوى الاستعمارية أن حل التقويم الإسلامي في أجزاء كبيرة من إفريقيـة ، ودخلـت كلـمات عربية كثيرة في عدد من اللغات الإفريقية وتأثر الأفارقة بالثقافة الإسـلامية والهندسـة المعمارية الإسلامية والألقاب الإسلامية ، ونشأت الثقافة السواحيلية التي هي امتـزاج بين ثقافة البانتو والثقافة الإسلامية ، وكـذلك اللغـة الـسواحيلية التـي هـي اللـسان المشترك بين أنحاء شرق إفريقية وكان للشعب السواحيلي المسلم دور في نشر الإسلام وكتبوا اللغة السواحيلية بحروف عربية (٢) .

---

(١) محاسـن عبـدالقادر الـصافي : المرجـع الـسابق ، ص ١٢٢ – ١٢٣ ؛ عبـدالرحمن زكـي : المرجـع السابق ، ص ٩٣ – ٩٤ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٤ .

المبحث الثاني

النشاط الاقتصادي

المطلب الأول : انتشار الأسواق وزيادة التبادل التجاري في الداخل والخارج :

زنجبار منذ مئات السنين هي ميناء التصدير والاستيراد لكل شرق إفريقيا وتاجر تجارها في الذهب والعاج والعبيد من داخل إفريقية ، وجاب ميناء زنجبار دوات العرب وقوراب الأوروبيين وحظيت بالصادرات من بريطانيا والهند وألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية والبرتغال .

كانت التجارة العربية في شرق إفريقية مزدهرة قبل وقوع زنجبار تحت الحماية البريطانية ؛ حيث توفرت عوامل عديدة أدت إلى نمو التجارة العربية في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، حيث ساد الاستقرار السياسي للعرب ، وخاصة منذ بدء تولي السلطان سعيد أمور سلطنتي مسقط وزنجبار ، ولم يكن السيد سعيد إلا تاجراً كما وصف نفسه (١) .

كان للتجار المسلمين دوراً في ازدهار التجارة وفتح أسواق في غرب تنجانيقا ، ووصلت بضائع متنوعة إلى المناطق الداخلية حيث مستودع العبيد والعاج والحبوب والأقمشة ، وكذلك زيادة التجار الأفارقة على الساحل ، ووجود الأوروبيين مما نشط حركة التجارة .

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

فلقد لعبت التجارة العربية دوراً هاماً في تجارة شمال غرب المحيط الهندي وإلى جنوبه ؛ حيث جلبوا معهم السكر والدقيق والقطن والخزف لتبادله بالرقيق والعاج ، وأدى نشاط التجارة العربية في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي إلى امتداد طرق التجارة القديمة المتجهة للداخل نحو الغرب وظهور طرق جديدة ، وزاد سيل البضائع التجارية الأوروبية الأسيوية إلى الداخل ، ونمت أسواق الداخل ، وكانت هناك بضائع متنوعة تصل إلى المناطق الداخلية حيث الموقع الجغرافي المركزي ، والضواحي الخصبة ، وإمكانية التوسع في مناطق عامة بها مستودع العبيد والعاج والحيوانات والأقشمة والمصنوعات الحريرية (١) .

ويمكن القول بأن نفوذ التجار العرب امتد إلى أغلب أركان شرق إفريقية ووسطها تقريباً . وامتد إلى إقليم البحيرات العظمى والمجاري العليا للأنهار الكبرى ، وذاع صيتهم من سواحل المحيط الهندي شرقاً حتى البحيرات الاستوائية غرباً ، بدون أن تظهر لديهم أي أطماع أو محاولة للسيطرة على مقاليد الحكم بشكل قسري (٢) .

و تميز نظام الإدارة لهذه الدولة الواسعة بالبساطة وعدم التعقيد ؛ لأن التجارة كانت هي الطابع المميز لهذه الدولة العمانية ، وبالتالي عدم الاتجاه

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٩٤ – ٩٥ .

(٢) محمد حسن العيدروس : المرجع السابق ، ص ٣٩ .

إلى وضع الأنظمـة الإداريـة والاقتـصادية . ويتـضح ذلـك مـن تبـسيط نظـام الضرائب وجعله مطابقاً للنظام الجمركي الذي كان معمولاً به في مسقط حيث كانت الضريبة المفروضة على الواردات التي تأتي إلى الموانئ الإفريقية لا تتجاوز 5 ٪ من قيمتها في حين أعفيت الصادرات تماماً من الضرائب ، مما حرر عمليـة التصدير بالكامل (١) .كما تميز عهد الـسلطان سـعيد في شرق إفريقيـة ، بوضـع نظام نقدي بسيط ، يحل محل العملات المتعددة الجنسية التي كانت مستخدمة في شرق إفريقية ، كالريال النمساوي والإسباني والفرنسي . ولم يكـد ينتهـي عهـد الـسلطان سـعيد حتـى اختفـت العمـلات الأجنبيـة مـن الـسلطنة العربيـة – الإفريقية، وحل محلها النظام الجديد الذي استحدثه ، والذي يعتمد على الروبية الهندية (٢) . وهي عملة نحاسية يمكن استخدامها إلى جانب العملات الفـضية والذهبية الموجودة (٣) .

كذلك السلطان سعيد يتمتع بحاسة تجارية قوية ؛ ولذا فإنه قد اختار بعض السلع التجارية ذات العائـد الاقتـصادي الكبـير ، لكونهـا مطلوبـة في أسـواق أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، مثـل المطـاط والعـاج ، وجعـل تجارتهـا قاصرة عليه ، وحرم على رعاياه ، وكذلك الرعايا الأجانـب ، الاتجـار فيهـا إلا

---

(١) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٢٨ ؛ صـالح محـروس : المرجـع الـسابق ، ١٨ – ١٩ ؛ حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٦١ .

(٢) محمد حسن العيدروس : المرجع السابق ، ص ٤٠ .

(٣) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

عن طريقه فقط . أي إنه قد احتكرها لنفسه ليقضي على التنافس السوقي لها ، ويتحكم في سعرها وكميتها المطروحة في السوق ، وكان يصدر تلك السلع لحسابه الخاص عن طريق أسطوله البحري إلى البلاد الأجنبية . ولذلك فقد حول أسطوله البحري الكبير من الاستخدام العسكري إلى الناحية التجارية ليستفيد منه في عمليات النقل والتبادل التجاري في الموانئ العالمية (١) .

وعمد السلطان سعيد إلى البحث عن أسواق جديدة للتصدير غير الأسواق التقليدية في المحيط الهندي وشرق آسيا . أراد أن يفتح أسواق أوروبا ، فرحب بالتجار الأوروبيين والأمريكيين فعقد معاهدة مع الولايات المتحدة سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م ، ومع بريطانيا سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ، ومع فرنسا سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م ، وفي السنة التي مات فيها كانت أوروبا تستهلك أكثر من ثلث منتجات إفريقية . وقد أثرت هذه السياسة فتضاعفت تجارة مدن شرق إفريقية ، ففي سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م دخلت ميناء زنجبار أكثر من ٦٠ سفينة أوروبية وأمريكية ، وبلغ ثمن ما صدر من البضائع ١٤٦,٦٦٦ جنيهاً ، وبلغت الرسوم الجمركية المحصلة نحو ٢٢ ألف جنيه ، وقد أغراه هذا باحتكار التجارة ، وبدأت سفنه الخاصة ترتاد موانئ أوروبا (٢) .

---

(١) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٦٠ .

(٢) حسن أحمد محمود : المرجع السابق ، ص ٤٥١ .

ولقد كان للهنود دور مؤثر في أوجه الحياة المختلفة في شرق إفريقية ، وشجعهم السلطان سعيد على الاتجار والاستقرار في أملاكه في شرق إفريقية [١] . ونتيجة الانتعاش التجاري والزراعي تم استيراد رأس المال الأجنبي الهندي وأصبح الهنود طبقة أثرت بدرجة كبيرة حيث أقرضوا الأموال للعرب ، وتم تحصيل فوائد كبيرة عليها [٢] . وكان التجار الهنود – سواء كانوا من المسلمين أو الهندوس – يعرفون في ساحل إفريقيا الشرقي بإسم البانيان ، وقد اشتغل هؤلاء في الساحل كوسطاء بين التجار الأوروبيين وبين الأهلين ونجح البانيان في السيطرة على الأعمال التجارية بالساحل ؛ لأن العرب لم يظهروا مهارة كافية في الأعمال المالية والحسابية [٣] .

إن الاستعانة بالهنود في إنعاش قطاع التجارة الخارجية ، قد أضعف الدور الذي كان يمكن أن يقوم به التجار العرب ، والذي كان من المفروض ، أن يستعين بهم السلطان سعيد بدلاً من الهنود ، ويعتقد أيضاً أن ذلك قد ساعد على سيطرة الهنود على التجارة في شرق إفريقية [٤] .

كانت مالندي أكبر مراكز التصدير على الساحل بالإضافة إلى تاكونجو ،

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٦ .

(٢) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٣) رجب حراز : بريطانيا وشرق إفريقية من الاستعمار إلى الاستقلال ، ص ٣٤ .

(٤) حمامة خلفان غيث : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

ومماسة ، وغاسي ، وفانجا ، وزني [(١)] ، مدينة ممباسه صدرت الحنطة ، والقمح الهندي ، والعاج ، والصمغ ، والسمسم ، وكانت الحنطة تزرع في الحقول حول المدينة ، أما العاج فكان يأتي من قوافل العاج [(٢)] وكانت تنعقد الأسواق العامة في أجزاء من فانجا ، في هذه الأسواق قام أبناء قبيلة الديغو ببيع الحبوب وغير ذلك من المنتجات الزراعية لسكان الساحل مقابل السلع المستوردة ، وهؤلاء وجيرانهم قبائل السيغيجو ، ساهموا في أشغال القوافل ، اشتغلوا حمالين ، التي كانت تتوغل في أعماق الداخل من فانجا إلى موانئ مريما [(٣)] .

وكان من أشهر المراكز التجارية في سلطنة زنجبار مدن ويته وشاك شاك ، وهي الأسواق الرئيسة في بمبا . ومدينة زنجبار أكبر مركز مالي وتجاري للبيع والتصدير ، وكانت مدينة زنجبار أكبر المستوطنات العربية ومركز تجارة العرب [(٤)] .

ومن أهم المراكز التجارية آنذاك أيضاً مدينة بجمايو (على الساحل التنزاني المواجه لجزيرة زنجبار حالياً) حيث كانت في الطريق إلى الداخل من تنجانيقا [(٥)] . وقد اتخذ العرب بوغ مويو التي تبعد عن دار السلام بخمسة

---

(١) A.I.SALIM : Op.Cit. p 24.

(٢) السابق ، ص ٣٩ .

(٣) السابق ، ص ٢٩ .

(٤) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ٩٧ .

(٥) السابق ، ص ١٧ .

وأربعين ميلاً شمالاً ، مركزاً ومحطة للتوغل في داخلية البر الإفريقي ؛ لأنها قريبة من مدينة تابورة التي تبعد عنها نحو ٣٠٠ ميل ، ومن تابورة تشعبت الطرق وتفرقت للأسفار ، للتجارة جنوباً وشمالاً ومغرباً ، واتخذ العرب تابورة محطة لتجارتهم [(١)].

ولا شك أن تزايد التبادل التجاري على الساحل قد شجع التجارة الداخلية فكثر عدد القوافل التي تتردد على داخل القارة لجلب العاج والصمغ . فمنذ عام ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م نظمت الرحلات الدورية للقوافل ووصل نشاطها إلى البحيرات ، وشاهد ليفنجستون السفن العربية تجوب بحيرات إفريقية الوسطى مثل بحيرة فيكتوريا وتنجانيقا ونياسا [(٢)]. وفي هذا الصدد يذكر أن الأخوين سيان وموسى مزروي الهنديين كانا أول المغامرين لحساب السلاطين العُمانيين إلى أعماق القارة ، انطلاقاً من الساحل ، وذلك في عام ١٢٤١هـ/ ١٨٢٥م بقافلة تحمل أكثر من ١٥ طناً من اللؤلؤ والملابس . وكانت تجربتهما قاسية بسبب دفع أحدهما ، وهو سيان ، حياته في الطريق ، بينما عانى موسى خسارة كبيرة ، علاوة على خسارة أخيه ، إلى أن استقر به الأمر في منطقة بحيرة فيكتوريا أعواماً طويلة ، استعاد خلالها عافيته من الخسائر التجارية التي لحقت به في بداية الأمر. وقد ازدهرت تجارته في تابورا وكراغوى [(٣)] على وجه

---

(١) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٧١ .

(٢) جاد محمد طه : المرجع السابق ، ص ٩٩ .

(٣) كراغو : واحدة من ست محافظات تضم منطقة كغيرى التنزانية. وهي تقع على الحدود التنزانية ــ =

الخصوص ،وهو ما جعله يحتل المرتبة الأولى في المنطقة من حيث النجاحات التجارية في أواسط القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي [١].

وأما السلع الرئيسة التي كان يتم بمقتضاها التبادل التجاري مع العالم ، فهي العاج والقرنفل والتوابل والأخشاب والصمغ وجوز الهند والرقيق [٢] و**العاج** من السلع التجارية الهامة التي كانت هدف القوافل المتجهة إلى داخل القارة الإفريقية ، وكان التجار يتكبدون في سبيله الكثير من المتاعب والمشقات والنفقات المالية [٣] ، وحسبما يذكر المغيري فإن بعض التجار العرب في الساحل انخرطوا في صيد الفيلة بعدما اشتد الطلب على العاج [٤]. ثم يقوم هؤلاء التجار بعد ذلك ببيع العاج إلى تجار التجزئة على الساحل . وتختلف طرق نقل العاج من أماكن وجوده إلى الساحل لتصديره ، ففي بعض الأحيان يسحب على الأرض بعد حمايته بلفائف تعمل من الخيزران مع بعض أنواع النباتات ، وتلف حول العاج ، وأحياناً يحمل من قبل الحمالين ، الذين يقومون برحلات

=

الأوغندية. وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي ، ازدهرت هذه المدينة فأصبحت لها أهمية كبرى بالنسبة إلى التجار العرب . عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) حمامة خلفان غيث : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٣) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٦٢ .

(٤) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٣١٩ .

طويلة في الغابات الموحشة . ويعد من السلع التجارية الرئيسة في لامو ، ويجلب من عدة مناطق أخرى في شرق إفريقيا ، فهو ينقل من المناطق الداخلية إلى السواحل في كلوة وممباسه وتصدر كميات كبيرة منه إلى الخارج ، وأكثر الدول طلباً له بلاد الشرق الأقصى ، خاصة الهند والصين ، إذ تستهلك الهند منه كميات كبيرة [١].

صارت زنجبار مركزاً مهماً لتصدير العاج ، ويعد العاج المصدر من زنجبار أفضل أنواع العاج في العالم ، والعاج الذي يدخل في تجارة الجزيرة الزنجبارية نوعان ، الأول ويطلق عليه (كوتش) ويشمل الأنياب الكبيرة ، وقد اقتصر تصديره إلى الهند ، والنوع الثاني ويعرف بالصنف العالي ، وكانت سوقه الرئيسة القارة الأوروبية . وبلغت صادرات زنجبار من العاج في العام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م ستة عشر ألف فرسالة [٢] ، قدرت قيمتها بـ ٨٨٠,٠٠٠ دولار ، وارتفع الإنتاج عام ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م لتصل قيمته إلى ٩٣٠,٠٥٤ دولار ، وفي عام ١٢٩٣- ١٢٩٤هـ / ١٨٧٦ – ١٨٧٧م بلغ الإنتاج ما قيمته ١,٠٢١,٢٥٠ دولار ، لم تستقر صادراته على معدل معين فقد انخفضت قيمة صادرات العاج عام ١٢٩٥-١٢٩٦هـ / ١٨٧٨- ١٨٧٩م إلى ٧٦٠,٠٠٠ دولار [٣].

---

(١) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٦٢ – ٦٣ .

(٢) الفرسالة : وحدة وزن للعاج تعادل حوالي ٣٦ رطلاً . مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

وفي سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجـري احتـل العاج المرتبة الأولى في صادرات زنجبار مقارنة بالـسلع الأخـرى ذات الأهميـة العالية كالقرنفل والمطاط ، ولب جوز الهند (١) .

- ولنا ملاحظات حول تجارة العاج العربية في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي :

١ - أن دور العرب في تجارة العاج اقتصر على جمعه من الـداخل بـصيده أو شرائه من القبائل الإفريقية وبيعه للهنود ، دون أن يكون لهم يـد في تـسويقه أو تصديره مباشرة إلى خارج شرق إفريقية إلا من خلال وساطتهم .

٢ - أن عائد تجارة العاج العربية كان مرتفعاً نسبياً عن عائد تجارة الرقيـق ، ولكن عنصر المجازفة فيها كان عالياً وكان هذا سبباً أحياناً في فقدانهم مزارعهم وأراضيهم بالساحل لصالح الهنود.

٣- أن تجارة العاج العربية قد أصبحت الدعامـة الأساسـية لاقتـصاديات ساحل شرق إفريقية بعد حظر تجارة الرقيق وتقلصها تدريجياً ، وكانـت أربـاح هذه التجارة سبباً في نمو القطاع الزراعي في الساحل .

٤ - أن هذه التجارة كانت إحدى أسباب التكالب الأوروبي عـلى الـداخل وقد أحدثت تدميراً كبيراً لقطاع كبير من الفيلة ، الأمر الـذي اضـطر الإدارات

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

الاستعمارية فيما بعد إلى وضع ضوابط لتنظيم صيد الفيلة ، وبيع العاج .

٥ – أن الظهير التنزاني عانى أكثر من غيره من الآثار السلبية لتجارة العاج ، بسبب قتل معظم ثروته الحيوانية من الفيلة (١) .

وكانت سلطنة زنجبار تنتج ثلاثة أنواع من **الصمغ** ، الأول ، وهو الصمغ الذي تفرزه أغصان أشجار الصمغ ثم يتجمد ويسقط على الأرض ، وهذا النوع يأتي في المرتبة الثالثة من حيث الجودة ، وأشجار هذا النوع تنتشر على الساحل الإفريقي ما بين ممباسة ورأس دلجادو. والنوع الثاني ، يستخرج من جذور الأشجار التي اندثرت منذ مدة قريبة ، ويطلق على هذا النوع اسم (جاكازي) وهو أفضل من النوع الأول . أما النوع الثالث ، فيستخرج من جذور أشجار الصمغ الموجودة على الساحل الإفريقي التابع للسلطنة ، حيث تمتد أماكن وجوده ما بين ٣٠ – ٦٠ كيلوا متراً باتجاه الداخل ، وهو يوجد بكثرة على عمق قدم أو قدمين من سطح الأرض ، وهذا النوع من الصمغ نصف متحجر ، وهو أفضل أنواع الصمغ في زنجبار . وقد ازداد استخراج الصمغ بشكل كبير نظراً لزيادة الطلب الخارجي عليه ، بحيث صار ثالث سلعة تجارية في زنجبار من حيث الأهمية ، وقد احتل المرتبة الرابعة في صادرات زنجبار في سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري بين البضائع المصدرة (٢) .

---

(١) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠٦ – ٢٠٧ .

وللقرنفل مكانة مهمة في صادرات زنجبار ، فهو يأتي في المرتبة الثالثة بعد العاج والصمغ . إذ لم يمض سوى عشرين عاماً عن غرس شجرة القرنفل في زنجبار حتى صارت السلطنة العربية تنتج من القرنفل ١٨٠ ألف قنطار ، قدرت قيمتها بحوالي ١٠,٠٠٠,٠٠٠ روبية وقدرت قيمته مصادر أخرى بمليون باوند ، وقدر دخل مزارع السلطان سعيد وحدها من القرنفل بحوالي ٥٠,٠٠٠ قرش . وصار القرنفل يشكل نسبة ٥٠ إلى ٧٥ ٪ من صادرات زنجبار ، وأسهمت زنجبار بنسبة ٨٨ ٪ من الإنتاج العالمي للقرنفل [١]. وبالنسبة لسوق **القرنفل** الرئيس ، فقد كان يقع في مركز الجمارك من مدينة زنجبار ، ويجمع فيه جميع الإنتاج ، سواء ما كان من زنجبار أو بمبا لتصديره إلى الخارج . ويحمل من زنجبار على ظهور الحمير أو على رؤوس الحمالين ، بينما كان المحصول القادم من مزارع الساحل أو بمبا يحمل على السفن الشراعية ، وفي هذه الحالة غالباً ما كانت الشحنة تصل في حالة سيئة لتعرض المحصول للرطوبة والماء . لذلك نجد أن أسعار قرنفل جزيرة بمبا كانت متدنية مقارنة بزنجبار . ومعظم القرنفل يشترى للتصدير من قبل المؤسسات الألمانية والفرنسية والهندية ، ثم يرسل إلى بومباي وروتردام ومرسيليا ونيويورك ولندن، وأكثره يستعمل لاستخراج زيته ، الذي يستخدم في صناعة المستحضرات الطبية ، والعطور ، والحلويات [٢].

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٢) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٩٠ – ٩١ .

تأثر إنتاج زنجبار من القرنفل بسبب الإعصار الذي ضرب الجزيرة عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ونظراً لزيادة الضرائب على محصول القرنفل في جزيرة بمبه ، فضلاً عن زيادة الطلب عليه في السوق العالمية ، كل ذلك ساعد على زيادة ارتفاع أسعار القرنفل ، فقد وصل سعر فرسالة القرنفل إلى ٢٣ روبية ، ودخلت براعم وسيقان القرنفل في التصدير [١].

وشكل **جوز الهند** وزيته ما يقرب من ١٧ ٪ من مجموع صادرات زنجبار للعالم الخارجي ، وقد قدر فوربس مونرو إنتاج زنجبار من جوز الهند ، والمواد الزيتية الأخرى ، بالإضافة إلى السمسم ، بما يقرب من نصف مجموع واردات الصمغ والعاج . إن إنتاج زنجبار من جوز الهند لم يتأثر كثيراً مثل القرنفل بإعصار عام ١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م ؛ وذلك بسبب انتشار زراعة أشجاره في الساحل الإفريقي الشرقي ، لكن مع ذلك تراجع موقعه في صادرات زنجبار إلى المرتبة الخامسة بين المواد المصدرة في أواخر سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري [٢].

ومن ضمن صادرات زنجبار **السمسم** ، وقدر مجموع صادراتها منه عام ١٢٨٤هـ/ ١٨٦٧م ما قيمته ١١٠آلاف دولار ، وفي غضون السنوات القليلة اللاحقة تذبذبت قيمة صادراته فقد تراوحت بين ٣٨,٠٠٠ جنية إسترليني

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(٢) السابق ، ص ٢١٠ .

عام ١٢٩٣ - ١٢٩٤هـ / ١٨٧٦ - ١٨٧٧م ، ثم ارتفعت في العام التالي إلى ٤٢,٠٠٠ جنيه ،وزادت قليلاً في العام اللاحق فوصلت إلى ٤٣,٥٠٠ جنيه إسترليني [(١)].

وكان **الصدف** من ضمن السلع التي ترد إلى ميناء زنجبار من الساحل الإفريقي ، وكان الصدف مطلوباً في أسواق غرب إفريقية . لاستعماله كعملة هناك ، وقد تنبه التجار الألمان إلى وجود كميات كبيرة من هذه السلعة في السلطنة العربية ، فقاموا بالمتاجرة فيها ، واحتكروها لأنفسهم ، ومع حلول عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م تبوأ الصدف المرتبة الخامسة في صادرات زنجبار ، وبلغ قيمة ما صدر منه ٨٥,٧٩٥ دولاراً ، وقد بلغت قيمة ما صدر من الصدف والصمغ في عام ١٢٨٤هـ / ١٨٦٧م ٢٠٠,٠٠٠ دولار ، لكنه تراجع إلى المرتبة السادسة في سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري [(٢)] .

كذلك كان لتوقيع السلطان برغش على معاهدة إلغاء تجارة الرقيق في ممتلكاته عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م عظيم الأثر في بروز **المطاط** كسلعة تجارية في صادرات زنجبار ، فقد أدى وقف هذه التجارة بالقائمين عليها للبحث عن سلعة أخرى تعوضهم عن خسائرهم الناجمة عن وقف هذا النشاط . كانت

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢١١ .

(٢) السابق ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ .

غابات المطاط تنتشر بكثرة في زنجبار وبمبه والساحل الإفريقـي الـشرقي ، إلا أن بداية تصديره تأخرت حتى سبعينات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالـث عشر الهجري ، لكن هذه السلعة سرعان ما احتلت المرتبة الثالثـة في صـادرات زنجبار بعد العاج والقرنفل ، وقد بلغت قيمة ما صدر منه ١٢٩٣ - ١٢٩٤هـ / عام ١٨٧٦ – ١٨٧٧م بـ ٢٠٠ , ١٨٤ جنية استرليني ، وفي العام التالي ١٢٩٤ – ١٢٩٥هـ / ١٨٧٧ – ١٨٧٨م تراجعت قليلاً فقد قدرت صادرات زنجبار من المطاط بمبلغ ٨٠٠ , ١٦٢جنيه استرليني ، وبعد قيـام الثـورة الـصناعية في أوروبا ازداد الطلب على المطـاط الأمـر الـذي انعكـس إيجابيـاً عـلى صـادرات زنجبار منه ، فقد بلغت إيرادات السلطنة منه عـام١٢٩٦هــ / ١٨٧٩م ٢٥٠ ألف جنيـة اسـترليني ، وقـد استمرت زنجبـار في تـصدير المطـاط في العقـود اللاحقة [١].

بالإضافة إلى ما سبق ذكره فقد شملت صادرات زنجبار للـدول الأخـرى الحبوب . حيث تذكر المصادر بأن ما يقـرب مـن ٣٠ سـفينة تخـرج مـن مينـاء ماليـنـدي سـنوياً محملـة بـالحبوب إلى شـبه جزيـرة العـرب ، وأن مـا صـدر من الحبـوب في عـام ١٢٨٤هــ / ١٨٦٧م قـدرت قيمتـه بمبلـغ ١٥٠ ألـف دولار [٢].

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

(٢) السابق ، ص ٢١١ .

ويلاحظ أن القوافل التجارية كانت زعامتها عربية أو سواحيلية ؛ ولكنها كانت تتألف من الإفريقيين أساساً ، وكان العرب الذين يخرجون في صحبة القوافل غالباً من ذوي الإمكانات المادية المحدودة الذين كانوا يتطلعون إلى الثراء من خلال التجارة ، أما أثرياء العرب فكانوا يوفدون في قوافلهم بعض أتباعهم العرب أو السواحيليين ، بينما ظلوا هم بالساحل ، هذا باستثناء بعض حالات قليلة نجح فيها بعض العرب في تأسيس مراكز تجارية لهم في الداخل ؛ ومن ثم اهتموا بإدارة القوافل التجارية بين الساحل والداخل بأنفسهم ، كما وصل إلى الداخل عدد من وكلاء سلطان زنجبار من أجل التجارة (١) . إن العرب قد أسهموا إسهاماً كبيراً في المجال الاقتصادي ، فهم أول من اكتشفوا إمكانات المنطقة فربطوها بالتجارة الدولية ، وفتحوا الأسواق وشاركوا الإفريقيين في الأرباح ، وانعكست سياستهم الاقتصادية في التنافس الذي أوجدوه بين سياسات المناطق بعضها بالبعض الآخر ، وبالتالي يعد العرب أول من أحدثوا ثورة اقتصادية بالمفهوم الحقيقي عبر منطقة البحيرات (٢) .

ففي منطقة شرق بحيرة تنجانيقا ، التي شهدت أقوى أشكال الوجود الاقتصادي ، فهي بمثابة التفريعة التي تنتقل منها وإليها التجارة إلى أعالي الكونغو وبحيرتي فيكتوريا ونياسا ، كانت أول رحلة تجارية عربية قد وصلت

---

(١) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(٢) أحمد عبد الدايم : المرجع السابق ، ص ٥٥٥ .

إليها قبيل سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م، وبحلول سنة ١٢٥٦هـ/ ١٨٤٠م كان الكثيرون من التجار العرب يتاجرون في تلك المنطقة، مستخدمين الطريق القادم من تابورة إلى منطقة وسط البحيرة عند أوجيجي .

ووصلت العلاقات التجارية إلى ذروتها في الشمال الغربي للبحيرة، فكان العرب يتاجرون في الملح والأسماك والنحاس وزيت النخيل، وحدث اتصال بين شرق البحيرة وغربيها عبر شبكة من القوارب تصنع في أوجيجي (١) . وشهدت المنطقة على يد العرب نوعاً من الأسواق اليومية غرب البحيرة وشرقيها، حتى إن الرحالة كميرون ذكر سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م بأن سوق أوجيجي كان مملوءاً بالضجيج ومكتظاً للغاية ويحضر إليه أناس من أورونـدى ومناطق أخرى عبر البحيرة، وكانت أصناف التجارة تتمثل في البطاطا، والفواكه، وزيت النخيل، والطماطم، والخضروات، واللحوم، وقصب السكر، والملابس، والسلال . ومن خلال العرب ارتبطت المناطق بعضها بالبعض الآخر، فلقد تاجروا في شرق البحيرة مع المناطق الشمالية الغربية كبوكوبا وأوسومبورا واللتين أصبحتا فيما بعد رواندا وبوروندي . ونخلص من ذلك إلى أن العامل الداخلي قد لعب دوراً مهماً في جذب العرب كقوة خارجية للاندفاع والتأثير في المنطقة، وأن الأسواق العربية التي نشأت في تلك المناطق كانت مقدمة للسيطرة والضبط الإداري فيما بعد (٢) .

---

(١) أحمد عبد الدايم : المرجع السابق، ص ٤٦٨ – ٤٦٩ .

(٢) السابق، ٤٦٩ – ٤٧٠ .

كذلك ارتبط انتشار الأسواق وإنشاء المحطات العربية بالظروف التي حكمت ترحال العرب من شرق القارة إلى أرض الكونغو ، وحتمت عليهم الاستقرار في تجمعات كانت المدن وليدتها [(١)] ، يلتمسون فيها الراحة ويجمعون فيها متاجرهم ويلتقون بوكلائهم الذين كانوا يجمعون لهم السلع ، والحصول على المحاصيل التي غصت بها أرض الكونغو من معادن ، كالحديد والنحاس والذهب والفضة والفحم ، وما أنبتته الأرض لهم من الخضر ونخيل الزيت ، وجوز الهند والبهار والتوابل عموماً ما كان يزرعه الوطنيون من الفول السوداني والسمسم [(٢)]. وبسبب التقاء التجار في مدينة نيانجوى [(٣)] ، نشأت سوق رائجة سميت كيتيكو التي ضمت سلعاً مختلفة بجانب العاج والرقيق فبيعت فيها المصنوعات الفخارية ، والأقمشة التي تبودلت بالودع والخرز والنحاس . وأسلاك الحديد ، إلى جانب البطاطا ، والذرة ،والسمسم ، والدخن ، والفول ، والخيار ، والبطيخ ، والفول السوداني ، والموز ، وقصب السكر ، والفلفل الأخضر ، والفاكهة ، وزبدة وزيت النخيل ، وعسل النخل ، والبيض ، ومن الحيوانات والطيور كذلك تم تبادل شباك الصيد والسلال

---

(١) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٦٩ .

(٢) السابق ، ص ١٥ – ١٦ .

(٣) نيانجوى : حسن اختيار العرب الزنجباريون لموقعها إذ كانت تقع متطرفة ناحية الغرب جنوب مانييميا شرق خط طول ١٦ , ٢٦ درجة وجنوب خط عرض ١٥ , ٤ على يمين اللوالابا . وكانت ملتقى هاماً للطرق الآتية من كلا الساحلين الإفريقيين الشرقي والغربي . السابق ، ص ٢٦٨ .

والفؤوس والحراب والأسلحة ومقاعد الخيزران والحصير (١) .

كذلك انتشرت الأسواق في كابانجا وهي قرية وطنية كبيرة وكانت مركزاً من مراكز التجارة العربية . أما المانييما عموماً فكانت أول ما يلفت النظر إليها هي الأسواق فكلها مناطق تجارة تمثل كتلاً حيوية تضج بالغادين والرائحين حتى إنهم لا يضيعون وقتهم في تحية الآخرين فهؤلاء بائعو السمك يسرعون حاملين أسماكهم في أوانيهم الكبيرة ، وأولئك يقايضون بالكسافا وآخرين معهم بطاطس وخضروات ، وذاك يبيع الحبوب والموز والدقيق وزيت النخيل والملح والفلفل . وهذا يدل على أن العرب مثلوا أرستقراطية تجارية وأشاعوا الأمان والسلم (٢) .

وصف الرحالة الأسواق في الكونغو التي جلب إليها العرب منتجات الجزيرة العربية من بلح وسجاجيد ولآلئ ومجوهرات وملح وغير ذلك مما جمعوه من الساحل الشرقي ودخلوا بكل ذلك إلى الكونغو ليتبادلوه بالطعام والرقيق والعاج ، وقد ركز الرحالة في وصفهم على الأسواق التي اشترك فيها العرب ؛ لأنها فيما يبدو أنها كانت لها وزنها في اقتصاد الكونغو مثل سوق نيانجوى وأونيانيجي وكاسونجو (٣) .

---

(١) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٧٠ .

(٢) السابق ، ص ٢٧١ – ٢٧١ .

(٣) كاسونجو : مدينة تيبوتيب الرئيسية في الكونغو وأكبر المدن العربية قاطبة هناك ، وكانت أكبر مساحة من نيانجوى وتقع جنوبي نيانجوى . بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٧١ .

وكثيراً ما وصف الأوربيون الأسواق ، وهو المنظر الذي أثارهم بـضجيجه وحركته وصياح الباعة وحرصهم على أوقـاتهم ، وكيـف أنهـم كـانوا سريعـي الحركة بين بائع يقايض بالكسافا والبطاطس والخضر ، وآخـر يبيـع الحبـوب ، وثالث يعرض الفاكهة ، وتجمع حول بائع يكيل الدقيق وزيت النخيل ، وغـير هؤلاء ؛ ممن كانوا أمام تلال الملـح وحبـات الفلفـل ، والكـل في حركـة دائبـة وضجيج وغبار مرتفعين [١] .

كذلك ساعدت الرياح الموسمية على توثيق الصلة التجاريـة بـين سـواحل شبه الجزيرة العربية وزنجبار منذ القدم ، فقد كانت السفن التجاريـة تـصل إلى زنجبار وشرق إفريقية مع بداية شهر ديسمبر ، وتستمر حتى نهاية مارس ، وقد يزيد العدد عن المائة في زنجبار تنتظر موسم العودة.

حمل التجار العرب إلى زنجبار القهوة ، الصبار ، الخرز ، السمك المجفـف، الملح ، الزيت ، التمور ، الأقمـشة ، الحـصر ، البخـور ، العـسل ، فـضلاً عـن الحمير، والخيول والماشية . بينما تمثلت صـادرات زنجبـار إلـيهم في القرنفـل ، السمسم ، جوز الهند ، الخشب ، العبيد ، الحبوب ، وأن مـا يقـرب مـن ثلاثـين سفينة تصل حضرموت محملة بالحبوب من سلطنة زنجبار . وقد فرض العرب سيطرتهم على الحركة التجارية بين مـوانئ شرق إفريقيـة وزنجبـار مـن جهـة ، وموانئ شرق آسيا من جهة أخرى ، إذ كانت سـفنهم تنقـل الـسلع والبـضائع

---

(١) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٩٢ .

بأسعار رخيصة ، الأمر الذي لم تعتده السفن الأخرى [١]. وقد استثمر السلطان سعيد الوجود الهندي التجاري في زنجبار، لاسيما وأنه أدرك الولاء الذي أظهره الهنود لدولته في زنجبار ، وأصبحت لبلاده علاقات تجارية كبيرة مع شبه القارة الهندية ، ومناطق أخرى من آسيا ، وأصبحت للسلطان المذكور وكالات تجارية في مدن هندية مثل كلكتا ، وبومبي وغيرها ، وبلاد فارس ، والصين [٢].

سيطر التجار الهنود على مقدرات التجارة في زنجبار ، وقد كانوا تحت رعاية السلطان سعيد ، فقد عهد إليهم بشؤونه المالية ، وهذا ما يؤشر إلى كونهم مصدر ثقته ، كما قام السلطان بإعفائهم من الرسوم الجمركية لتسهيل نشاطهم التجاري.

التجار الهنود في أواخر القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي لم ينحصر وجودهم الكبير في زنجبار ، بل استقروا مع أسرهم في كل مدينة ، وإن الواردات والصادرات كانت تمر عبر أيديهم . واستغل التجار الهنود وصول الاتصالات البرقية إلى زنجبار . فأصبحوا ينافسون التجار الأجانب في شحن السلع بصورة مباشرة إلى بريطانيا ، وتلبية حاجة السوق العالمية من مصادر الثروة في زنجبار دون وسيط آخر . تضخم نفوذ الهنود التجاري في

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٣٠ .

(٢) رودولف سعيد روث : المرجع السابق ، ص ١٢٢ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٣١ – ٢٣٢ .

زنجبار إلى درجة دعت بعض المصادر إلى القول إن ثلاثة أخماس التجارة الخارجية لزنجبار كانت بأيديهم ، وأن مراكزهم التجارية أصبحت على امتداد واسع إذ وصلت إلى مدغشقر وجزر القمر وموزمبيق [١] .

كان من الطبيعي أن ينعكس وجود الجالية الهندية في سلطنة زنجبار على حجم التجارة القائمة بين زنجبار وشبه القارة الهندية ، كما كانت الموانئ الهندية طرقاً غير مباشرة للتجارة الهندية مع زنجبار ، ولاسيما بومبي ، حيث تمر الصادرات من زنجبار إلى عدن ثم إلى بومبي ، ومنها إلى بريطانيا ، واختلفت قيمة الواردات بين زنجبار والهند من وقت إلى آخر . ففي العام ١٢٨٣-١٢٨٤هـ / ١٨٦٦-١٨٦٧م قدرت واردات زنجبار من الهند بـ ٤,٠٨,٧٦٩ دولار . واحتلت الهند المرتبة الأولى وبعدها بريطانيا ، إذا بلغت واردات زنجبار منها ما قيمته ٣,٧١,٠٢٠ دولار . كما قدرت الواردات من الهند بصفة عامة للسنة ١٢٩٥-١٢٩٦هـ / ١٨٧٨ – ١٨٧٩م بقيمة ٢٥٢,٨٠٥ جنية استرليني . لكن الاستيراد من الهند انخفض في ثمانينات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري [٢] .

أما الصادرات إلى الهند فكانت أقل منها ، إذ شكلت صادرات زنجبار إلى الهند في السنة المذكورة ما قيمته ١٧٥,٩٩٧ جنيهاً استرلينياً . وقد تمثلت

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ – ٢٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٢٣٣ – ٢٣٤

صادرات زنجبـار إلى الهنـد في القـرن الثالـث عـشر الهجـري / التاسـع عـشر الميلادي في : العاج ، الصمغ ، القرنفل ، أسـنان فـرس النهـر ، وقـرون وحيـد القـرن ، عظـم الـسلحفاة ، الـشمع ، الزيـوت ، الجلـود ، خـشب الـصندل ، الأبنوس ، الأعمدة الخشبية . أما واردات زنجبـار مـن الهنـد فقـد تمثلـت في : السكر ، الأرز ، الـسمن ، البهـارات ، الهيـل ، البخـور ، الأدوات النحاسـية ، الخيـوط الحريريـة والذهبيـة ، الحبـال ، الأدوات الخزفيـة ، الـشاي ، المرايـا ، الصابون ، وغيرها .

لقد توسعت العلاقات التجارية لزنجبار لتشمل المناطق الجنوبيـة الـشرقية من القارة الإفريقية والجزر المجاورة لها في المحيط الهندي [(١)] .

وكانت جزيرة مدغشقر أكبر الجزر الإفريقية القريبة من الساحل الشرقي ، التي كانت تؤلف الأجـزاء الجنوبيـة لـسلطنة زنجبـار أن تكـون أحـد ميـادين التجارة مع هذه الجزيرة الصغيرة في مساحتها الكبيرة في تجارتهـا . كـان الأرز ، خشب الصندل ، الحصر، الحبال من أهم واردات زنجبار من جزيرة مدغشقر ، أما صادرات زنجبار إلى هذه الجزيرة ، فكانت تتمثـل في : جـوز الهنـد وزيتـه ، فضلاً عن السلع التي كانت تصل إلى زنجبار ثم يعـاد تـصديرها إلى مدغـشقر مثل الأقمشة بأنواعهـا (انكليزيـة ، أمريكيـة ، هنديـة) ، فـضلاً عـن الحريـر

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ – ٢٣٥ .

المستورد من عمان ، والملح ، والصابون ، والأواني الزجاجية ، فضلاً عن الأسلحة .

قدرت واردات زنجبار من جزيرة مدغشقر عام ١٢٧٦هـ / ١٨٥٩م بمبلغ ٨٩,٠٠٠ دولار وفي عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م حققت الواردات زيادة ملحوظة فقد بلغت ٩٤,٢٥٠ دولار، ثم قفزت في العام التالي حتى بلغت ٩٧,٥٠٠ دولار . وما من شك في أن العلاقات التجارية بين زنجبار ومدغشقر ، كانت محدودة النطاق مقارنة بالدول الأجنبية الأخرى في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي (١).

على أن هذا الرخاء المستمد من نقل التجارة لم يكن ليستمر طويلاً ، وقد بلغ ذروته في أواخر عهد السيد سعيد . ثم أخذت التجارة تنتقل إلى يد الأوروبيين تدريجياً . ولقد توقع جيان هذا المصير للتجارة العربية منذ تردده على شرق إفريقية في العقد الخامس من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري ، فذكر : " من المحتمل أنه لا يمضي زمن طويل حتى تدمر منافسة التجار الأوربيين والأمريكيين نظام التجارة الذي كان يستخدمه العرب والهنود -البانيان- والذي يقوم على الاحتكار والربا وذلك بفضل رخص الأسعار وتنوع السلع وجودتها " (٢).

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٣٦ .

(٢) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

ويمكن تعليل خطر المنافسة الأوروبية بأمرين :

الأول : كثرة تردد السفن التجارية الأوربية على المحيط الهندي ، وخاصة بعد استخدام البخار.

الثاني : فتح موانئ الساحل الشرقي الإفريقي للتجارة والملاحة الأوربية طبقاً للمعاهدات التجارية التي عقدها سلطان زنجبار السيد سعيد مع معظم الدول الكبرى . ثم تردد التجار الهنود على زنجبار بعد أن أصبحوا يستمتعون بجميع الامتيازات التي منحت للرعايا البريطانيين.

على أن العرب ظلوا يسيطرون ، حتى بعد عهد السيد سعيد ، على التجارة المحلية بين موانئ إفريقية من جهة والتجارة الخارجية بين إفريقية وبين أنحاء العالم الإسلامي من جهة أخرى ، ففي شتاء كل عام كانت نحو ١٧٠ سفينة تغادر سواحل بلاد العرب متجهة إلى الشرق الإفريقي ، ومنها نحو ٥٠ يملكها أهل مسقط ومشيخات الخليج ، وكانت تتوقف بنحو ١٢ ميناء وتقوم فيها بأعمال التبادل التجاري قبل أن تصل إلى زنجبار (١).

ولكن حينما بدأت بريطانيا تتخلى عن نفوذها في زنجبار بتنازلها عن بعض أجزاء من الأراضي لصالح دول أوروبية أخرى أمثال ألمانيا والبرتغال بموجب اتفاقيات ثنائية بين بريطانيا و ألمانيا من جهة ، وبين بريطانيا وألمانيا والبرتغال

---

(١) صلاح العقاد ، جمال زكريا : المرجع السابق ، ص ٧٥ ؛ محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٤ – ٧٥ .

من جهة أخرى دون استشارة صاحب الحق الشرعي في المنطقة السلطان برغش بن سعيد ؛ تدهور اقتصاد زنجبار تدهوراً ملحوظاً ، خاصة بعد إعلان الحماية ، ويرجع ذلك إلى تحول طرق التجارة عن تلك الجزيرة إلى مينائي ممباسة (البريطاني) ودار السلام (الألماني) منذ تسلمت إداريتهما شركات أوروبية لاستغلال شرق إفريقيا اقتصادياً [١] .

---

(١) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٢٣ .

المطلب الثاني : تطور الحقلين الزراعي والصناعي في شرق إفريقية:

لقد ظهرت مآثر الحضارة العربية الإسلامية واضحة في شرق إفريقية ، لكن المصادر الأوروبية في معظمها كانت حاقدة حاولت التقليل ، بل التهوين المتعمد في دور العرب والإسلام والمسلمين وتأثيرهم الحضاري في شرق إفريقية ، فنجد أنهم يشيرون إلى أن العرب لم يهتموا بإدخال الزراعة ، إلا بالقدر الذي يفي احتياجاتهم ، وما يكفيهم من الاستهلاك دون التصدير (١) ، وأن العرب والسواحلية لم يفكروا في استغلال المرتفعات الخصبة في كينيا كما فعل المستوطنون فيما بعد ، وتلك حقيقة علمية خاطئة ؛ إذ إن حركة تصدير المحاصيل الزراعية إلى خارج الساحل ، وإدخال المحاصيل المتعددة ، التي لم تكن معروفة من قبل تكذب هذه الأقوال ، إضافة إلى قولهم إلى أن كل ما انصرف إليه العرب وإخوانهم المسلمون من فارس والهند ، هو إشباع نهمهم في تجارة الذهب والعاج والعبيد ، ولكن حقيقة الأمر أن العرب أدخلوا محاصيل زراعية من آسيا إلى شرق إفريقيا كما أشرت ، وأنهم أقاموا صناعات معدنية ، وإنتاجاً معدنياً في الحديد والماس والذهب (٢) . وإلى السيد سعيد يرجع الفضل في إدخال زراعة القرنفل في جزيرتي بمبه وزنجبار ، ثم تطورت هذه الزراعة إلى حد أن الجزيرتين أصبحتا تنتجان أربعة أخماس المحصول العالمي من القرنفل .

---

(١) عبدالفتاح مقلد غنيمي : المرجع السابق ، ص ٨٦ ؛ جمال زكريا : الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، ص ٨٤ ؛ ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٩١ .

(٢) عبدالفتاح مقلد غنيمي : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

وقد شجع السلطان ماجد على زراعة أشجار السمسم وجوز الهند على الساحل ، وكثر استيرادها من زنجبار لاستخراج زيوتها كما اهتم بتطوير زراعة أشجار الصمغ والتوسع فيها (١) . وأصبح معظم الساحل شمال ممباسة مزروعاً لأول مرة منذ مائتي عام بعد أن نجحت زراعة محاصيل الحبوب في لامو ومالندي (٢) ، وأدخل العرب تطوراً اقتصادياً على مهنة الزراعة ، وجعلوها مهنة استقرار ، لما أنتجوه من محاصيل لها قيمة نقدية ، وخاصة الحبوب منها .

واستثمر العرب أراضي جزيرة زنجبار ، خاصة الجزء الشمالي الغربي منها الذي يمتاز بخصوبته الشديدة ، مع مناخها الرطب الممطر ، مما جعلها مناسبة لزراعة المحاصيل الاقتصادية ذات القيمة المادية العالية في الأسواق العالمية (٣) .

لم تكن جزيرة زنجبار قبل بدء الحركة المعمارية في عهد السيد سعيد سوى جزيرة فقيرة تنتشر على أرضها الغابات والحشائش وجذوع الأشجار ، ونشاط أهل الجزيرة يتركز في الجانب الشرقي منها ، حيث يسكنون ويمارسون نشاطهم الاقتصادي من زراعة ورعي وصيد الأسماك بطرق بدائية بسيطة ، وكان الجانب الغربي من الجزيرة تكسوه غابات تأوي إليها الحيوانات والحشرات ، ولهذا استحسن أهل الجزيرة من عرب وأفارقة السكن والعمل في الجانب

(١) محمد حامد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٣٢٤ .

(٢) محيي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٣) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

الشرقي منها ، وذلك لأنه سوي ومعتدل وأرضه صالحة للزراعة حيث يجري بالقرب من هذا الجانب نهر مويرا الذي ينبع من وسط الجزيرة ، وكذلك يوجد في الشمال الشرقي للجزيرة عين مياه جارية عذب ماؤها ، مما ساعد على تركز إقامة السكان وسط وشمال وشرق الجزيرة ، وتركوا غربها للغابات الكثيفة ، حتى قرر السلطان سعيد زراعة القرنفل ، ذلك المحصول الاقتصادي عالي القيمة في هذا الجانب من الجزيرة (١) .

وقد كان هناك تخطيط عام وخاص للأجزاء الصالحة للزراعة من أراضي الجزيرة ، حيث قسمت الأراضي طبقاً لدرجة خصوبتها ، فالأجزاء ذات الخصوبة العالية كائنة في مواقع جغرافية ممتازة والتي خصصت للسلطان سعيد أولاً ، ثم لأفراد أسرته ثانياً (٢) . وتعد الجزيرة الخضراء من أخصب مناطق شرق إفريقية ، حيث تجري فيها أنهار كثيرة بسبب سقوط الأمطار الغزيرة ، ويحيط بالجزيرة الخضراء حوالي سبع وعشرين جزيرة معظمها صالح للزراعة ، ومن هذه الجزر إنجاو ، وهي جزيرة واسعة المساحة ، تزرع فيها الحبوب ، ثم جزيرة فوندو ، التي يتوفر فيها الماء العذب . لذلك قامت فيها زراعة جوز الهند، والمانجو ، والبرتقال ، وهناك أيضاً جزيرة أفنج الواسعة ، كانت تقوم فيها زراعة البقول ، ثم جزيرة ماكونفو التي تشتهر بخصوبة أرضها لتوفر الماء

---

(١) حسن محمد عبد الله : المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٢) السابق ، ص ٧٢ .

العذب ، وكثرت فيها زراعة شجر جوز الهند ، وإلى الجنوب تقع جزيرة بانزا وأرضها ملائمة لزراعة جوز الهند [١] .

وفي منطقة سيو[٢] قام المزارعون بحفر عدة آبار لري المناطق الزراعية وتعلموا من العرب استخدام الجمال في حمل المياه بدلاً من الثيران ، حيث إن هذه الطريقة كان يتبعها المزارعون في مسقط ، ومن أهم المحاصيل التي تنتجها سيو البلح ، وذلك لاستخدام نظام معين في الري بحيث تحتفظ جذور النخيل برطوبة دائمة . لذا عدت سيو المنطقة الوحيدة على الساحل الشرقي التي تنتج البلح بكميات جيدة ، ونوعية ممتازة. أما المحصول الرئيس الذي يزرعه الزنجباريون ، وبصفة مستمرة ، فيعرف باسم موهوجو أو جذور الكسادا ، وهو عبارة عن نبات يشبه البطاطس وينمو بشكل قطري ، ووجد فيه نوعان : حلو ويؤكل بدون طهي ، وآخر مر المذاق يتطلب الغسل جيداً ، ثم يغلى ويجفف تحت أشعة الشمس ، ويطحن لعمل الخبز منه [٣]. وتشتهر زنجبار بزراعة الفلفل الحار بنوعيه الأخضر والأحمر وتنتشر زراعته بصفة رئيسة في القرى المرجانية ، في الجزء الشرقي من الجزيرة ، وكذلك في حدائق أهالي الجزيرة .

---

(١) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٧١ .

(٢) منطقة سيو : مدينة صغيرة تقع وسط جزيرة باتي على الساحل الشرقي لإفريقيا . السابق ، ص ٧١ .

(٣) السابق ، ص ٧٢ .

وقد اشتهر فلفل زنجبار عالمياً ، بأنه أقوى الأنواع حرارة . وتقوم زراعته على أيدي الأهالي الأصليين ، وبصفة خاصة المخاديمو ، الذين يكونون مجموعة صغيرة من التجار ، تقوم بشراء الفلفل الأخضر أو الأحمر الجاف من النساء أو الأولاد الصغار ، ثم يعيدونه للوسطاء من التجار الهنود ، الذين يبيعونه بدورهم للمؤسسات الأوروبية (١).

احتلت شجرة جوز الهند المرتبة الثانية في الميدان الزراعي في زنجبار ، على الرغم من أنها شجرة إفريقية عريقة في القدم مقارنة مع شجرة القرنفل الحديثة العهد ، كما أن الأهمية التي حظيت بها زراعة هذا النوع من الأشجار في زنجبار ناجم عن فوائده الأساسية ؛ إلى جانب أنها تمنح الظلال للقرنفل في مراحل زراعته الأولى لحمايته من أشعة الشمس .

كان جوز الهند كثير الانتشار في ساحل إفريقيا الشرقي قبل وصول السلطان سعيد . لكن الأخير شجع زراعتها في تلك الأرجاء ، وخصوصاً في الجزر المقابلة للساحل (٢) ، وتنمو أشجار جوز الهند في منطقة بنجاني ، وهي بلدة على الساحل الشرقي لإفريقية ، وكانت من مراكز العرب المشهورة التي تصدر منها البضائع للتجارة إلى داخلية البر الإفريقي . وتنمو فيها أشجار جوز الهند دون حاجة إلى عناية كبيرة ، ومعدل إنتاج كل شجرة حوالي ثلاثين ثمرة في

---

(١) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٧٢ – ٧٣ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

السنة الواحدة . وهو من المنتجات الزراعية الرئيسة الهامة في زنجبار [١] ، وأهم ما يميز زراعة هذا النوع من الأشجار أنها تزرع في كل فصول السنة ، الأمر الذي يؤدي إلى سرعة انتشار زراعتها في زنجبار وغيرها ، وتعد المواسم المطيرة أكثر ملاءمة لزراعتها .

كان هناك نوعان من أشجار جوز الهند زرعت في زنجبار ، الأول وهو الشائع في المنطقة ، وهو يتميز بارتفاع أشجاره ، ويحظى باهتمام سكان المنطقة على الرغم من أن إنتاجه يتم بعد أن يصل عمر الشجرة إلى ثماني سنوات ، أما النوع الثاني وهو صغير الحجم ويعرف بـ " جوز هند بمبا " الذي كان يتميز على الرغم من صغر حجمه بشراب لذيذ ومنعش ، ثم إن شجرته تثمر في السنة الخامسة من عمرها . وأهم ما يميز مزارع جوز الهند أن المعامل التي تستغل هذا المحصول تكون وسط مزارعه في زنجبار [٢] .

ووجد في زنجبار أنواع مختلفة من المحاصيل الزراعية ، البعض منها دخل في النطاق التجاري للجزيرة ، والبعض الآخر دخل في إطار الاستهلاك المحلي، ومن أهم هذه المحاصيل .

السمسم والدخن قامت زراعتهما في المناطق الغربية من الساحل في أراضي جزيرة زنجبار ، حيث توجد الأراضي الخصبة الصالحة لهذا النوع من

---

(١) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٧ – ١٨٨ .

المحاصيل، وكان السكان العرب والسواحليون هم القائمون بزراعتها ، والهدف من ذلك توسيع مشاريعهم الزراعية من جهة ، وزيادة أنواع المحاصيل في الجزيرة من جهة أخرى ، وقد حقق هذا المحصول فائضاً إلى درجة أن سلطنة زنجبار بدأت في تصديره إلى أسواق المحيط الهندي ، فضلاً عن أسواق أوروبا ، ولذلك ليس مصادفة أن تسمى ماليندي " بحر الدخن " (١).

ومن الحاصلات الزراعية المهمة **قصب السكر** الذي كان ينمو بشكل جيد في شرق إفريقية وكان يعتبر المحصول الرئيس المفضل قبل تحسن زراعة القرنفل خلال النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي (٢).

وعلى ما يبدو أن زراعة قصب السكر كانت تمارس في زنجبار لكن على نطاق محدود قبل وصول السلطان سعيد ، لكن اللافت للنظر أن اهتماماً ملحوظاً طرأ على زراعة هذا النوع من المحاصيل في عهده ، فقد كان السلطان سعيد يسعى إلى زراعة قصب السكر لأغراض تجارية (٣) ، وحسبما يذكر الفارسي فإن السلطان سعيد دعا خبيراً فرنسياً لبلاده يدعى " كلوسون "

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٨ – ١٨٩ ؛ صلاح العقاد ، جمال زكريا : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٢) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٨٩ .

لدراسة هذا المشروع وإمكانية إقامة مصنع للسكر لهذا الغرض [(١)]، إلا أن الأخير أخفق في تحقيق مشروع زراعة حديثة للسكر، لانشغاله في الوقت نفسه بزراعة نبات النيلة، مما أثر بصورة سلبية على القرنفل لأنه أصبح منافساً له [(٢)].

لكن هذه الأوضاع لم توقف زراعة قصب السكر، فقد نشط السكان العرب في إقامة المزارع على طول مصب نهر بنجان، وكانت هذه الحقول تدار من قبل الرقيق ضمن إطار دولة زنجبار، وعليه فإن زنجبار في عهد السيد سعيد، وحسب ما ذكره أحد المراقبين الأمريكان عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٧م، أنتجت ما يقرب من ٢٥٠,٠٠٠ طن.

لم تتوقف محاولات زراعة قصب السكر في زنجبار، ففي عهد السلطان ماجد جرت محاولات جديدة لزراعته، لكن في هذه المرة استعان السلطان بالخبرة الإنكليزية وكلف فريزر ليقوم بالإشراف على زراعة قصب السكر بل وتصنيعه، لكن هذا المشروع هو الآخر كان نصيبه الفشل [(٣)].

لم تعرف زنجبار زراعة **الأرز** قبل وصول العرب إليها، فهذا المحصول من المحاصيل التي أدخل العرب زراعتها إلى زنجبار، ونجح العرب في زراعة

---

(١) عبدالله صالح الفارسي: البوسعيديون حكام زنجبار، ص ١٣٣؛ مصطفى الجبو: المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٢) مصطفى الجبو: المرجع السابق، ص ١٩٠.

(٣) نفس المرجع والصفحة.

أفخر الأنـواع مـن الأرز [١]. وكـان الأرز في زنجبـار يـزرع عـادة في الأراضي المنخفضة والمشبعة بالماء ، ويزرع منه حوالي سبعة عشر نوعاً . وقـد كـان يعتـبر من الصادرات الرئيسة في زنجبار ، لكـن المنافـسة الـشديدة جـرت بـين الأرز والقرنفـل في بدايـة زراعـة الأخـير في الجزيـرة ؛ الأمـر الـذي دفـع الفلاحـين والمزارعين في حقول الأرز إلى العزوف عن زراعته مما أدى إلى انخفاض إنتاجـه في زنجبار ، وتركت للأرز مـساحة صـغيرة في المـزارع ، بـل صـارت زنجبـار تستورد الأرز ، ولعل العرب قاموا بتحويل الرقيق العاملين في زراعـة الأرز إلى حقول القرنفل [٢].

ومن ضمن الحاصلات الزراعية **شجرة القطن** التي كانت تزرع في منـاطق متفرقة من شرق إفريقية ، وقد حظيت ببعض الاهـتمام ، وكـان وقـت قطافهـا خلال شهري أكتوبر ونـوفمبر . كـما يـزرع المـوز في زنجبـار وفي عـدة منـاطق أخرى، وهو متعدد الأشكال والأنواع ، إذ يوجد منه أكثر مـن عـشرين نوعـاً ، منها موز الجنة والسكري . ويبلغ طول المـوزة الواحـدة في بعـض الأحيـان مـا يقارب من ثلثي ذراع . ويزرع في زنجبار أنواع مختلفة من الفواكـه ذات المـذاق المتميز مثل فاكهة الدوريان التي تشبه إلى حد كبير ثمرة الأناناس ، ولكنها أكبر حجماً ، وذات رائحة كريهة ، ولكن مذاقها طيب ، وتعتبر مـن أحـسن وأشـهر

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩١ ؛ ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٧٤ .

الفواكه في شرق إفريقيا [١] . ومن الفواكة الجيدة التي كانت تزرع في زنجبار الأناناس ، ويوجد منه نوعان : ذو القشرة الخضراء ، وذو القشرة الوردية ، وهو من الفواكه التي تنمو بشكل وفير في المناطق الخصبة جنباً إلى جنب مع محصولي الجوافة والقشطة . وعندما قدم العرب إلى شرق إفريقيا ، جلبوا معهم الكثير من المحاصيل الزراعية مثل : السمسم ، والبهارات الهندية ، وبعض الفواكه مثل الرمان والمانجو . وشجر المانجو لا يحتاج إلى عناية خاصة ، بل يمكن أن ينمو في أي مكان حتى في التربة الضعيفة [٢] .

لم تول سلطات زنجبار اهتماماً ملحوظاً بزراعة الحبوب في أراضي الجزيرتين زنجبار وبمبه ، بل اتجهت الأنظار صوب مناطق الساحل الإفريقي الشرقي ، ولاسيما الأجزاء الساحلية من ماليندي وبمبا ولامو [٣] ، عندما زار كرابف مالندي عام ١٢٦٤هـ/ ١٨٤٦م ، وجدها خربة ومدمرة ، ويتمنى أن تحتلها بريطانيا وتعيد إليها الازدهار مرة أخرى ، وتستخدم مركزاً تنصيرياً ، وبدلاً من ذلك جاء السلطان سعيد عام ١٢٧١هـ/ ١٨٥٤م وشجع إخوانه العرب على الاستيطان هنا وذلك تحت حماية من قوات البلوش ، وجاءت هجرات العرب من زنجبار ومن الجزيرة العربية وزادت بقدوم التجار الهنود ، وهؤلاء تدريجياً حولوا المدينة وأخذت الزراعة تتسع في الإقليم ، وفي

---

(١) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢) السابق ، ص ٧٦ – ٧٧ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩١ .

السبعينيات من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري أصبحت مالندي مخزن الغلال ، ليس فقط للساحل ، ولكن إلى مدى يستحق التقدير ، للجزيرة العربية وفارس اللذين استوردا الحبوب منها ، ويقال أن الإقليم كله أصبح يشبه مزرعة واسعة امتدادها حوالي عشرة أميال في الداخل (١). وقد كان الإنتاج على نطاق واسع ، الأمر الذي جلب انتباه القنصل البريطاني في زنجبار جون كيرك فوصف ماليندي بـ " مستودع حبوب شرق إفريقية " . وحسبما تذكر الكثير من المصادر الأوروبية فإن زنجبار كانت تمول اليمن بالحبوب ، وأشارت إلى أن ما يقرب من ٣٠ سفينة كانت تخرج من ماليندي سنوياً إلى حضرموت وحدها (٢).

وفضلاً عن الحبوب هناك عدة أنواع من المحاصيل التي كانت تزخر بها سلطنة زنجبار منها نبات (الكسافا) وهو يشبه محصول الكروم وتستخدم جذوره الدرنية التي تشبه البطاطا كغذاء للسكان ، وهناك نوع آخر من المحاصيل الغريبة ويدعى " فاكهة الخبز " وهي ذات أوراق بحجم أوراق نبات الموز ، وثمرتها بحجم الشمام الكبير ، ويعطي مادة نشوية على غرار الدقيق ، ويقال : إن ست شجرات منها تكفي الأسرة بما تحتاج إليه من هذا النوع من الخبز طول العام (٣).

---

(١) A.I.SALIM : Op.Cit. p115-116.

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩١ – ١٩٢ .

(٣) السابق ، ص ١٩٢ .

و فضلاً عن هذه المحاصيل توجد في زنجبار أنواع مختلفة من الخضروات والفاكهة منها البامية ، والقرع ، والباذنجان ، والطماطم ، والخس ، والجزر ، والنعناع ، والكرفس ، والملوخية ، واشتهرت زنجبار في إنتاج هذه المحاصيل بكميات بسيطة ؛ لكن أهم ما اشتهرت به من الفاكهة هي البرتقال [١] ، وتحدثت الكثير من المصادر عن ذلك بما يلفت الانتباه فقد ذكرت أن كل طرق الجزيرة محاطة بأشجار البرتقال فيمر الإنسان فيها وروائح الأشجار عابقة به من كل جانب [٢] ، ولهذا فليس غريباً أن يصف أحد الأوروبيين جزيرة زنجبار بأنها حديقة البرتقال [٣] . وقام العرب أيضاً بزراعة أرض الانياموزي التي تقع على ملتقى خطوط التجارة والقوافل المتجهة من تنجانيقا إلى وسط القارة ، بالرغم من أن أرضها لم تكن تصلح للزراعة إلا في بعض أجزائها حيث قاموا بغرس الأشجار والحدائق حول بيوتهم الفسيحة ، التي ضمت مخازن الغلال ، ومن حولها سكن الوطنيون والأتباع .

و قاموا بزرع الحبوب والخضروات وجلبوا معهم العديد من المحاصيل الزراعية كالشاي والبن والسكر ، وكانت هذه الأشياء جديدة على زنوج القارة

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٢) زاهر بن سعيد : تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار ، رتبه وصوبه لويس صابوجي، مراجعة محمد عيسى ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، د.ط ،(١٩٨١م)، ص ٤٨ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

في تلك المنطقة ، فعلموهم الاستقرار ، واستوردوا معهم بذور البصل وقاموا بغرسه هناك ، واستخدموه في طهي اللحم [(١)]. كذلك قاموا باستثمار طبيعة منطقة أوجيجي وقد ظهر أثر ذلك في الزراعة ، عندما زرعوا حولها مساحات واسعة من أشجار الموز والطلح ،كذلك عندما زحف الهنود في عام ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م شاركوا العرب في الزراعة عندما زرعوا مساحات واسعة من الأرز وهو العنصر الأساسي للآسيويين عموماً ، وذلك في المستنقعات التي أحاطت بها ، كذلك قاموا بزراعة الحبوب والفاكهة والخضروات في تابورة ، واستثمروا خصوبة تربتها [(٢)].

ومن دون شك كان للخبرة الزراعية التي اكتسبها العرب في موطنهم الأصلي بساحل عمان أعظم الأثر في ممارستهم للنشاط الزراعي ، ويعود لهم الفضل في إدخال أنواع مختلفة من المحاصيل غير المألوفة في زنجبار وشرق إفريقية [(٣)].

كان المزارعون العرب يعتمدون في تمويل مشاريعهم الزراعية على عدد من التجار الهنود الذين استوطنوا جزيرة زنجبار ، وكانوا يؤلفون دور البنوك التجارية في البلاد ، وكانت القروض التي تقدم من قبل هؤلاء التجار تتم

---

(١) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ١٧ –١٨ .

(٢) السابق ، ص ١٩ – ٢٠ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

مقابل رهن الأراضي الزراعية ، وما عليها من أشجار ، ومزروعات ، وأيد عاملة فضلاً عن إنتاجها من المحاصيل الزراعية ، وكانت نسبة الفوائد المفروضة على القروض تتراوح بين ١٥ – ٢٠ ٪ ، وإذا عجز المزارع عن تسديد الديون فإن عليه إعادة جدولة الديون بعد إضافة فوائد جديدة . وكان التجار الهنود يفضلون ترك المزارع لدى أصحابها ، ويكتفون بمراقبتها لغاية استيفاء ديونهم ، وكان التجار الهنود يفرضون على المزارعين بيع المحاصيل لهم إذا عجزوا عن الإيفاء بديونهم [١].

كان السيد سعيد من الحكام المستنيرين الذين يسعون لتحقيق أكبر قدر من النمو الاقتصادي لبلادهم ، فبعد أن نجح في النشاط الزراعي اتجه إلى الصناعة، التي تتوافر لها المواد الخام فاستقدم خبراء من الأجانب لدراسة إمكان إقامة مصنع لصناعة السكر في زنجبار . ولما هبطت أسعار القرنفل التي كانت تمثل جزءاً كبيراً من دخل السلطان سعيد ، وذلك بسبب المنافسة الشديدة من المناطق الإفريقية الأخرى التي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي ، فكر في إقامة مصنع أصباغ مستخدماً النيلة ، لكن هذه الفكرة لم تنجح بسبب قلة خبرة المهندس الفرنسي الذي كلفه إنشاء المصنع ، يضاف إلى ذلك أن السيد سعيد كان مهتماً بالتجارة في المقام الأول ، مما قلل اهتمامه بالصناعة حتى إنه لم يعبأ

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ١٩٣ .

بفشل مشروع المصنع . وكان في إمكانه أن يستعين بمهندس آخر أكثر كفاية وخبرة [١].

وعندما قدم العرب إلى زنجبار طوروا بعض الصناعات المحلية مثل استخراج الزيوت من أشجار النخيل ، والنارجيل ، والخروع . كما قامت بعض الصناعات الجديدة كصناعة الصابون ، الذي كانوا يصنعونه محلياً ، من حرق سباط الموز وأوراقه ، لاستخراج مادة البوتاس ، التي تخلط بعد ذلك بزيت النخيل .

وقد اشتهر المهاجرون السنغاليون الذين استقروا في زنجبار ، والهنود البانيان بصناعة وبيع المعادن الثمينة والأحجار الكريمة مثل : الذهب والفضة والمجوهرات ، كذلك صناعة بعض أشكال الزينة من ظهور السلاحف ، وخشب الأبنوس ، والعاج [٢].

وجلب العرب معدن النحاس من كاتنجا ، وصنعوا منه الأدوات وباعوه إلى قبيلة الاونياموبزى ، كحلي وسلاسل [٣]. وقام المسلمون بصهر الحديد الذي يوجد في المنطقة بكميات كبيرة ، واستغلاله في صنع بعض أنواع

---

(١) سعدية محمد سعيد : عمان والنفوذ البريطاني في عهد السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٦ – ١٨٥٦م ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات بجدة ، (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) ، ص ٨٨ .

(٢) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٣) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٥٢ .

الأسلحة، كالسيوف والخناجر وغيرها [١].

و نتج عن ذلك الوجود العربي أن أجاد عدد من الوطنين عمل العديد من الصناعات اليدوية مثل : البناء وصناعة الطوب ، وصناعة السلاح ، والمنتجات الحديدية الأخرى في شرق إفريقية [٢].

ومن القبائل الإفريقية التي ساهمت في الصناعة قبائل زنزا في شمال تنزانيا إذ كانوا متخصصين في إنتاج محراث الأرض الحديدي ، وأدوات وأسلحة الحرب ، بينما قبائل لو نالت شهرة في صناعة الأدوات الفخارية [٣].

وكانت صناعة غزل ونسج القطن شائعة على طول ساحل شرق إفريقية حتى سوفالا جنوباً ، وانتقلت المهارة في نسج القطن إلى المناطق الداخلية من شرق إفريقية . وحتى أوائل سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م كان الوطنيون كانياموىزى لا يزالون ينسجون ملابسهم القطنية بأيديهم ويزينون حافتها باللونين الأصفر والأسود .

وبزيادة نمو حجم وعدد القوافل التجارية المتقدمة من الساحل إلى الداخل، انتشرت المنسوجات الهندية الرخيصة في المنطقة الداخلية من شرق إفريقية ، ولم تلبث صناعة غزل ونسج القطن أن تعرضت للانقراض

---

(١) علي حسين الشطشاط : المرجع السابق ، ص ٤٥٨ .

(٢) بواقيم رزق مرقص : حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، ص ٢٨١ .

(٣) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

واستمرت مناطق قليلة في شرق إفريقيا قام سكانها بغزل ونسج ملابسهم القطنية .

وقد انحسرت الصناعات الوطنية في إنتاج الحبال والحصر والأواني الفخارية وأسلاك النحاس والفؤوس والأدوات الخشبية وإنتاج الملح والزيت والصابون ، وقد لاقت صناعات الملح والفؤوس رواجاً محلياً وباستيراد الآلات الأوروبية الحديثة اختفت الفؤوس الوطنية وحراب المازاى ، كما اختفت تدريجياً صناعة غزل ونسج القطن الوطنية (١) .

كذلك تعلم الشعب السواحلي ، وربما كان من عناصر البانتو الشرقيين المقيمين في أقصى الشمال في فترة مبكرة ، صناعة القوارب المبحرة في البحر والسفن الصغيرة (٢) .

وتقدمت زنجبار في صناعة المراكب العمانية ، واستفادت من خبرة العمانيين في تلك الصناعة ، فظهرت لدى الزنجباريين بعض المراكب ، مثل مركب الجهازي الذي يشبه مركب البدن في مؤخرته العريضة المربعة ، بالإضافة إلى مركب السنبوق والدو . حتى أصبح لزنجبار أثناء الوجود العماني أسطول بحري كبير من ضمن الأسطول العماني (٣) .

---

(١) سعد زغلول : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) رونالدو أوليفر ، أنتوني أتمور : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣) حمامة خلفان غيث : المرجع السابق ، ص ٤٨ .

كان الشيخ عبدالله بن سليمان يتحكم سنة ١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م في عملية النقل وصناعة المراكب عبر بحيرة تنجانيقا ، حيث أهدى لمونى خيرى الحاكم المحلي لمدينة جوما (تقع على ساحل البحيرة قريبة من أوجيجي) أحد أكبر مراكبه مطلقاً عليها لقب الحاكم المحبب لقلبه لازى ، ويشير ستانلى إلى قيام العرب بإطلاق أسمائهم على المراكب التي يمتلكونها [١] .

وفي أوجيجي مكن وقوعها على البحيرة العرب من إيجاد حوض لتصنيع القوارب الشراعية التي تحمل البضائع والمسافرين إلى الكونغو ومناطق التغلغل الأخرى [٢] ، وتشتهر أوجيجي بصناعة المراكب العربية ، ومن خلال هذه المراكب استطاع كل من برتون وسبيك الدوران حول بحيرة تنجانيقا في عام ١٢٧٥هـ/ ١٨٥٨م [٣] .

هكذا يتضح مما سبق براعة العرب في النشاط الزراعي ، وسعيهم في تنويع الحاصلات الزراعية ، وأن العرب أصبحوا ملاك الأراضي في هذا البلد ، والأفارقة أصبحوا فلاحين .

وحدث تطور صناعي أسهم في إنتاج بعض الصناعات المتنوعة كان أهل البلاد الأصليين يقومون بها ؛ إلا أنه في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي تقلصت هذه الصناعات لأنهم بدأوا يجلبونها من الخارج .

---

(١) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٤٧٤ .

(٢) عبدالرحمن السديس : تطور حركة انتشار الإسلام في شرق أفريقية في ظل دولة البوسعيديين ، ص ٦٩ – ٧٠ .

(٣) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٣٩ .

المبحث الثالث

الآثار الاجتماعية

المطلب الأول : النمو الحضاري للمزارعة :

لقد ترتب على الصلات والروابط التي قامت بين عُمان وشرق إفريقيا ظهور دور عُمان واضحاً في تحضير الشرق الإفريقي وهو دور كبير إذا قيس بمساحة عُمان أو حجم سكانها ؛ ولذلك يعتبر ذلك الدور من أهم الأدوار التي سجلها التاريخ لعُمان [1].

في السواحل وجدت الكثير من المباني الأثرية والقديمة إما مساجد أو قلاع بنى أكثرها المسلمون حتى قلعة ممباسة التي بناها البرتغاليون ما لبثت أن صارت معقلاً لجيوش المسلمين.

إذن في السواحل مآثر تاريخية أهمها حصن ممباسة ، وحصن لامو الذي بني في حرب كدوهو [2]. وحصن سيوى الذي بناه الشيخ إسحاق متاقا بن شيخ بأمر السيد ماجد بن سعيد . وسور بتى ولامو وأطلال وخرائب في سيوى ويته وطاقة وكتاو وشيلا ولامو ومالندي وكبريكاني وقيدى وكزمكازى وباغ مويو

(١) جمال زكريا : الدولة العمانية في شرقي أفريقية ، ص ٨٧ .

(٢) حرب كدوهو : وقعت ودارت في تلال شيلا على مقربة من الشاطئ ، وكانت بين أهل بته وممباسة ومؤيديهم وبين أهل لامو ومؤيديهم ، وذلك في سنة ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م . وفي هذه الحرب وقعت خسائر فادحة في العدد والعدد. محمد سعيد البيض : المرجع السابق ، ص ٣٦ .

وكلوه ومافيا وازيرا ورأس ياموانـا وغيرهـا كلهـا تنـوه بالحـضارة الإسـلامية السواحلية الداثرة [١].

و قد صكت الـسواحل العملـة والنقـود ولا تـزال بعـض هـذه النقـود في المتاحف وفي السواحل كراسي الخيزران من طراز قديم ، وأسرة فنية ، وصناديق آية من آيات الفن ، وأبواب ونوافذ مدهشة ومبهرة تدل عـلى التفـوق في الفـن ونقوش المساجد والأبواب وشبكات الدار إلى اليوم ما يبهـر عقـول الفنـانين . وقد تقدمت السواحل في فن تطريز السفن والثياب والأثـاث ، وإنهـا لحـضارة إسلامية عربية سواحلية يحق لها التقدير والتخليد [٢].

و لاشك أن العصر الـذهبي للوجـود العُـماني في شرق إفريقيـا هـو عـصر البوسعيديين حيث المـؤثرات الحـضارية عربيـاً وإسـلامياً في قمـة ازدهارهـا ، ويعتبر عهد السيد سعيد بن سلطان نموذجاً رائعـاً لازدهـار الحـضارة العربيـة التي اتسمت بملامح إنسانية وثقافية أسـهمت في ترقيـة وإثـراء شـتى نـواحي الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية . ولاشك أن الوجود العُماني في شرق إفريقية خلال عصر البوسعيديين ، يعد مؤشراً واضحاً على اكتمال ملامح الدولة العصرية بكل خصائصها السياسية والاقتصادية والاجتماعية [٣].

---

(١) محمد سعيد البيض : المرجع السابق ، ص ٤٣ .

(٢) السابق ، ص ٤٤ .

(٣) عمان في التاريخ : ص ٤٨٥ .

شهد القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي عودة البناء باستخدام الطوب الحجري ، وشاهد ذلك عدد من الأماكن الجديدة في بات ، وفي جزيرة مافيا وفي كلوه ، وممباسه ودخلت أعمال الترميم والإصلاح على المساجد وأنشئت مساجد جديدة . وحركة التشييد هذه تشير إلى عودة الازدهار الحضاري (١) .

أدخل العرب إلى شرق إفريقيا طرقاً هندسية متطورة جداً للمباني ، وذلك باستعمال الإسمنت والجير ، واستعمال الأحجار في البناء ، فحل الطراز الإسلامي ، في بناء القصور والمنازل والمساجد ، محل الأكواخ الإفريقية ذات الأسقف المخروطية التي كانت تبنى بجذوع الأشجار وأغصانها . لقد جاء العرب المسلمون بحضارة جديدة ، أتاحت للشعوب الزنجية طابعاً حضارياً متميزاً (٢) .

و أدت النهضة الزراعية والانتعاش التجاري في مدن الساحل إلى إعادة بناء عدد منها على نمط حديث مثل مدينتي كلوه ومالندي ، ووصلت هذه المدن إلى أوج ازدهارها خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري (٣) .

---

(١) A.I.SALIM : Op.Cit. p22.

(٢) علي حسين الشطشاط : المرجع السابق ، ص ٤٥٩ .

(٣) محي الدين مصيلحي : المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

يتحدث الرحالة الذين زاروا زنجبار في منتصف القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي عن الملامح العامة للجزيرة التي تحولت من قرية إفريقية تملؤها الأكواخ وتنعدم فيها مقتضيات الحضارة ، لتصبح تحفة معمارية إسلامية بفضل المشاريع التي أقامها سلاطين زنجبار للدفع بالتنمية ، وأصبح الطابع العربي ظاهراً في المباني والطرقات والمساجد (١) .

لقد تأثر الذوق الوطني الإفريقي بفن العمارة العربية الإسلامية الوافد من شبه الجزيرة العربية. والذي امتزج بالطابع الهندي ، فضلاً عن الطابع الإفريقي المحلي ؛ مما أعطى المسكن الزنجباري طابعه الخاص والمميز . وقد برز الطابع العربي واضحاً في تخطيط المدن في ساحل شرق إفريقيا وزنجبار (٢) . فحدثت نقلة نوعية في فن الهندسة المعمارية ، فصارت المنازل تبنى من الحجارة بعد أن كانت تبنى من الطين ، أو مجرد أكواخ من سعف النخيل ، وقد استخدمت مواد جديدة في بناء المساكن لم تكن معروفة من قبل (٣) .

و صارت المنازل تبنى من طابقين ، وتميزت بزخارف الأبواب والشبابيك ، التي صممت على الطراز الإسلامي ، وشملت الزخارف كذلك أسقف المنازل (٤) .

---

(١) بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ .

(٣) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٢٦١ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٥٣ – ٢٥٤ .

(٤) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

كان لسلاطين زنجبار والطبقة المترفة المتنفذة فيها عظيم الأثر في رفع مستوى الفن المعماري الزنجباري ، إذ إن هؤلاء ، ومن خلال زيارتهم لبعض الدول المتقدمة شاهدوا عن كثب ما وصلت إليه هذه الدول من تقدم في مجال العمارة والبناء ، فانعكس ذلك على الحياة العمرانية في زنجبار ، ويمكن أن يعد سلاطين زنجبار والشرائح الغنية في الجزيرة رواداً في نقل مظاهر العمران على الطراز الحديث إلى زنجبار وشرق إفريقية ، فتم استيراد مواد البناء ، وأحضروا المهندسين ، وأنفقوا الأموال لإشباع رغباتهم في هذا الميدان ، فبرزت للوجود القصور والحدائق ، والاستراحات ، وكذلك المساجد ، وقد عدت جميعها معالم تاريخية وآثاراً شاخصة توضح مدى ما وصل إليه الفن المعماري في شرق إفريقية في ظل الوجود العربي (١) .

يروي الرحالة الأجانب أن أول بناية تجلب أنظارهم عند وصول بواخرهم على مقربة من جزيرة زنجبار هو القصر الذي بناه السيد سعيد على شاطئ المحيط وأسماه قصر **" المتوني "** ، واسمه مأخوذ من نهر المتوني ، وهو نهر صغير في زنجبار ينبع من مكان غير بعيد عن القصر ، ثم يجري نحوه ويخترق بساتينه ، ثم ما يلبث أن يتفرع داخلها إلى جداول صغيرة تنساب صافية إلى مختلف الاتجاهات ، ثم تنتهي مياهه إلى المحيط (٢) .

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٥٥ – ٢٥٦ .

(٢) بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق ، ص ٥ .

و أنشأ السلطان سعيد **بيت الساحل** في مدينة زنجبار عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م ، وكان يتوسط بستاناً من الرمان وهو يتكون من طابقين غطي بسقف من القرميد الأحمر والأخضر (١) ، ويفصل هذا المنزل عن الساحل بجدار عال ، وكانت به شرفات بطول واجهته ، وقاعة واسعة للاجتماعات ، وعند الباب الرئيس توجد تسعة مدافع (٢) وكان السلطان سعيد يقيم فيه ثلاثة أيام من كل أسبوع . وقد كانت توجد خلف بيت الساحل إصطبلات الحيوانات بما فيها خيول تعود للسلطان سعيد (٣).

أما في عهد السلطان ماجد فقد بنيت دار الحكومة ، وهي تقع بين بيت العجائب والمسجد الكبير في زنجبار ، أي خلف بيت الساحل .

لم يول السلطان ماجد اهتماماً كبيراً بالبناء ، ويعود ذلك إلى ما عانته خزينة زنجبار من ضعف بسبب تقاسم ممتلكات السلطان سعيد من جهة ، والاضطرابات التي تعرضت لها زنجبار من جهة أخرى ، فضلاً عن الإعانة التي تكلفت بها زنجبار لمسقط والبالغة أربعين ألف ريال سنوياً ، والتي كانت تشكل عبئاً واضحاً على كاهل خزينة زنجبار (٤).

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٢) سالمة بنت السيد سعيد : المصدر السابق ، ص ٨٦ – ٨٧ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٥٧ .

(٤) السابق ، ص ٢٥٩ .

لكن السلطان برغش بعد توليه الحكم سافر إلى أوروبا ، وخلال تجواله ومشاهدته للطرز الحديثة في العمارة والتشييد وسرعة التقدم والتمدن بها ، ثارت في نفسه الغيرة والحماسة على بلاده وما بها من تخلف عن العصر ، ومما زاده سعياً لتحديث بلاده ، أنه أثناء عودته من أوروبا مر على مصر زمن حكم الخديوي إسماعيل ونزل بالقاهرة والاسكندرية والسويس ، وفي أثناء ذلك زار الآثار الفرعونية والإسلامية ورأى الحضارة المصرية العظيمة متمثلة في عمارتها وفنونها ، وكذلك كان لرؤيته دائرة سراي الخديوي إسماعيل الأثر الكبير في دفعه إلى القيام بحركة نشاط واسعة في الإنشاء والتعمير والتحديث على أرض جزيرة زنجبار (١).

كل ذلك كان محفزاً للسلطان برغش لإدخال بعض هذه المظاهر الحضارية إلى زنجبار ، وأبرز ما تم إنجازه في هذا المجال كان في عهده . بنى السيد برغش **قصر تشويني " دن النمر "** هذه السرايا في عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م وقد تعرضت للأضرار في الحرب العالمية الأولى. بنى السلطان برغش كذلك القصر الذي في مغومبانى ، وكان يقضي فيه عيد الفطر ، والملاحظ على هذا القصر أنه كان يعج بالأثاث الفخم (٢).

كذلك بناؤه لقصر العجائب وقد تم بناء هذا القصر عام ١٣٠١هـ /

---

(١) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٢) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٣٦؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٦٠ .

١٨٨٣م ، واسمه له دلاله واضحة على تميزه عن غيره من المباني ، وسط مدينة زنجبار ، فهو عبارة عن مبنى كبير يتكون من طابقين مع منارة عالية ، بنيت أعمدة أساسه الضخمة من الحديد ، وتظهر النوافذ من جميع جهاته ، ولقد زينت جميع النوافذ والأبواب بآيات من القرآن الكريم مكتوبة بماء الذهب ، وصممت حماماته على الطراز التركي .

و قد عد هذا القصر من عجائب البناء في كل شرق إفريقية ، وكانت تعقد في قصر العجائب الاجتماعات والحفلات الرسمية ؛ بيد أن مظهر هذا القصر لم يستمر طويلاً فقد تعرض في العام ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م للقصف من قبل البحرية البريطانية [١].

لم يقتصر اهتمام السلطان برغش على بناء القصور ، بل إنه أراد أن يكون له ولأسرته مكان يتنزه فيه ويقضي فيه أوقاتاً للراحة ، وقد تأثر كثيراً بزيارته لحدائق لندن ، فأنشأ بستان فكتوريا ، وهو عبارة عن حديقة كبيرة تشمل أنواعاً كثيرة من الورود والأزهار ، وكذلك بعض الأشجار المختلفة المنتشرة في زنجبار بحيث صارت تشكل حديقة وسط غابة ، و شيد له مبنى وسط هذا المكان ، وفي المرحلة اللاحقة لعهد السلطان برغش فتحت أبواب المنتزه لكافة السكان ، إذ أطلق عليه اسم (حديقة الناس) وغدا المبنى الذي يتوسطه يحمل اسم (قاعة فكتوريا) التي صارت مركزاً للمجلس التشريعي وكان ذلك زمن

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٦٠-٢٦١ .

الحماية البريطانية على زنجبار [(١)].

كان للسيد برغش استراحة أخرى تدعى بستان المرهوبي ، وكان هذا البستان على هيئة دائرة ، وقد بني عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م ، وهو يبعد عن زنجبار بحوالي ١٤ كيلو متراً شمالي المدينة [(٢)] ، وأنشأ في البستان حماماً خاصاً وأوصل إليه الماء بأنانيب حديد ، وقد بنى حوله سوراً من الحجر ليحميه ويحافظ على بهائه [(٣)].

و بنيت في عهد السلطان برغش منارة كبيرة أمام بيت العجائب وكانت شاهقة الارتفاع وجعل في قمتها فناراً يساعد أصحاب السفن على رؤيته من مكان بعيد ، وقام باستيراد ساعة كبيرة تم تركيبها على هذه المنارة تسمع دقاتها من مكان بعيد [(٤)].

لم ينحصر اهتمام السلطان برغش في بناء القصور والاستراحات بل تعداه ليشمل نواحي عدة في زنجبار ، وكان من بينها الطرق التي حظيت باهتمام ملموس من جانبه ؛ لاسيما وأن هذه الطرق لم تنل الاهتمام الكافي بها في عهد السلطان سعيد ، إذ كان الناس يسيرون على الأقدام أو الدواب ، وكان

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٦١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٤) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٣٣ ؛ مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ .

السلطان سعيد نفسه يتنقل في زنجبار على حصانه ، بل إن الملكة فكتوريا عندما أهدت إلى السلطان سعيد عربة تجرها الخيول لم يستخدمها في زنجبار لغياب الطرق المنظمة التي تسمح بمرور هذه العربة (١). لكن عهد السيد برغش شهد إنشاء طرق مرصوفة بالحجارة وبما توافر له من مواد طبيعية صالحة لسير الناس والخيول (٢) ، وأصبحت هذه الطرق أكثر اتساعاً من السابق ، وأصبح للطرق منافذ تصلها بالمزارع المنشرة بجزيرة زنجبار (٣) .

و مما تجدر الإشارة إليه أن عهد السلطان برغش دشن دخول الكهرباء لأول مرة إلى زنجبار ، حيث تم إنارة طرق المدينة ومنازلها ، وقد جلب السلطان برغش ماكنة لتوليد الكهرباء لإنارة البيوت والطرق (٤) ، ولعل زنجبار سبقت الكثير من دول إفريقيا في استخدام الكهرباء . ففي سبعينيات القرن التاسع عشر الميلادي / الثالث عشر الهجري استوردت كميات كبيرة من الكيروسين قدرت بـ ٢٠٠٠ صفيحة ، وارتفعت هذه الكمية عام ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م حتى وصلت إلى ٢٥٠٠٠ صفيحة في السنة لاستخدام هذه المادة في إنتاج الكهرباء (٥).

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ .

(٢) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٣) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

(٤) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ ؛ حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(٥) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٦٣ .

و هكذا يحق لنا القول : إن السيد برغش بن سعيد قام بنقل الحضارة الحديثة والمدنية التي رآها في سفره إلى زنجبار ، وطور الحياة العامة ، ولذلك فقد اعتبر عصره عصر إنجازات حضارية زاهية ، أضاءت بنورها حياة أهلها ، وأضافت الكثير إلى النشاط المعماري بالجزيرة ، سواء عن طريق السيد برغش نفسه ، أم عن طريق رعيته وحاشيته وشعبه الذين تمثلوا به في الإنشاء والتعمير على أرض شرق إفريقيا [١] .

أما المملكة المزروعية التي كانت في سواحل كينيا مملكة قرن واحد وعشر سنوات ، المملكة التي تركت أثر الحياة في تاريخ شرق إفريقيا عامة ، وفي تاريخ كينيا خاصة .

حيث برز العديد من القيادات المزروعية في عدد من المجالات الدينية ، والاقتصادية ، والعلمية ،كذلك ساهم المزروع في تنمية وحضارة كينيا[٢] .

ساهم المزاريع -كما سبق وأشرت- في بناء المساجد ، واهتموا بها واعتنوا بصيانتها كثيراً ، كما أنهم اهتموا بالطابع المعماري لمدينة ممباسة ، فقد ركزوا على الرموز والأشكال الهندسية الإسلامية وذلك من خلال المباني وأشكال النوافذ والأبواب في المدينة .

---

(١) حسن محمد عبدالله : المرجع السابق ، ص ٧٩ – ٨٠ .

(٢) Ghalib Yasuf Tamim: Op.Cit.p47.

والزائر للمدينة يدرك مدى تميز الطابع المعماري الإسلامي بها ، خاصة المدينة القديمة التي تحوي بين جنباتها مسجدين للعُمانيين هما مسجد المزروعي ومسجد المنذري [١].

ولما سقط الملك المزروعي في عام ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م فإن كثيراً من عظماء النسب والحسب انتقلوا إلى تكؤنغ ، وهذا يعني أنهم يريدون الانفصال ، ونقلوا كل ما عندهم إلى هناك سوى المملكة فحسب . بل انتقلوا إلى هناك ومعهم الرفاهية والغنى والحضارة وخبراتهم .

و أول من انتقل إلى هناك ، وأنشأ تلك المدينة هو النبيل المزروعي الشيخ راشد بن سالم بن خميس المزروعي عندما تخاصم مع الوالي المزروعي ما قبل الأخير الشيخ سالم بن أحمد المزروعي [٢] .

و قد أشار إليها المغيري ببلدة " تاك أونغ " عمرها الشيخ راشد في عهد السلطان ماجد بن سعيد ، وكانت من المراكز المشهورة في دولة العرب وسكانها من المشاقصة [٣]

---

(١) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٢) Abdallah Saleh Farsy : Op.Cit.p 19 .

(٣) المشاقصة قبيلة عمانية ، والمشاقصة بالرستاق أصلهم من منطقة " العزيزي " بولاية الظاهرة – عبري . وقد نزحوا إلى منطقة الرستاق بسبب النزاعات القبلية وقد لجؤوا إلى هذا المكان للاستجارة باليعاربة والمزارعة في منطقة الوشيل . ويتمركز المشاقصة في الوشيل وما جاورها بولاية الرستاق وفي ولاية بهلا ، هذا بالإضافة إلى بعض مناطق الخابورة . الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٠٣ .

والمزارعة من عرب عُمان (١).

و يشار إلى أن الشيخ مبارك بن راشد المزروعي عاش طوال عمره في " غاسي " في عهد السيد سعيد ، وفي عهد السيد ماجد أصبح والياً على " غاسي " وتزعم الشيخ مبارك ، وهو يعد زعيم الفرع الأكبر من الأسرة ، حكم الإمارة في غاسي ، وقد تمكن من أن يفرض نفسه ليس على منطقته " غاسي " فحسب وإنما امتد للمناطق القريبة منها ، بل إنه تعدى ذلك ليصبح له نفوذ فعلي على المنطقة الساحلية الممتدة من نهر " أومبا " إلى الداخل على بعد عدة أميال من ممباسة (٢).

ويذكر المغيري أن الشيخ مبارك بن راشد المزروعي بنى بيتاً حجرياً في منطقة " غاسي " في عهد السيد برغش بن سعيد ، وكذلك مسجداً في المنطقة نفسها ، كما بنى مسجداً آخر في ممباسة يعرف باسمه (٣).

كذلك شواكه في شمال الجزيرة الخضراء وقد وصفها الشيخ المغيري بأنها كانت مكاناً حياً وعامراً في أيام الدولة البوسعيدية ،كما كانت مركزاً مشهوراً من مراكز المزارعة (٤) .

---

(١) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٢) بنيان سعود التركي : الشيخ مبارك بن راشد المزروعي في شرق أفريقية ، ص ٧١ – ٧٢.

(٣) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٢٨١ .

(٤)السابق ، ص ٩١ .

وذكر المغيري أنه في شمال مليندي مقاطعة " أنغومينى ومبرؤى " آثار حية كانت عامرة في عهد دولة المزاريع ، وكانت من الأماكن المشهورة ، ومن المراكز المعمورة في الزمن القديم ؛ لأن على ساحل أنغوميني بناءً حجرياً على صورة بيت عربي ، كأنه سور مستدير من الشرق إلى الغرب ، غير أن أكثره منقعر .

و أما مبرؤى فهي من المراكز المشهورة في أيام دولة السيد برغش بن سعيد ، وفيها رابطة عسكر ، وبها آثار قديمة العهد من قبور وبناء حجري ، نوع من الرموز والفلسقية (١) .

و يمكن القول : إن الحضارة الإسلامية هي التي خلقت الحضارة المدنية على ساحل شرق إفريقية ، فما أن رسخت أسس الحضارة الإسلامية حتى حلت بالتدريج مكان المعتقدات والعادات الوثنية السائدة في مجتمع الساحل ، رغم أن محيط الحياة الإفريقية قد أعطاها أشكالاً خاصة (٢) .

إذن وصلت دولة البوسعيد الساحلية ذروتها في نهاية القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، ثقافياً ، وحضارياً وعمرانياً ، فكانت اللغة العربية هي لغتها الرسمية ، والسواحلية لغة عامة أهلها . وربما كان ذلك الازدهار الحضاري نتيجة لازدهارها الاقتصادي ، ونتج عن كليهما انتشار الإسلام في السواحل والداخل (٣) .

---

(١) سعيد المغيري : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

(٢) عمر مشرى محمد بشير : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(٣) تاج السر أحمد : المرجع السابق ، ص ٦٣ .

إن القيم الإنسانية التي تمتع بها العُمانيون خلال معاملاتهم التجارية ، وعلاقاتهم الإنسانية مع السكان التي اتسمت بقدر كبير من المرونة والتسامح والصدق مما ساهم في تقوية المناخ الحضاري المؤثر ، وأكسب عُمان سمعة حضارية كبيرة مما دفع الأفارقة دون تردد إلى أن ينهلوا من هذه التجربة الحضارية ، وأن يكونوا جزءاً من نسيجها الثقافي والاجتماعي [١] .

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٨٦ .

المطلب الثاني : تغيير التركيبة الاجتماعية للسكان :

من المميزات والخصائص التي صحبت الهجرات العربية من عُمان وجنوب الجزيرة سرعة الاندماج والانصهار في كثير من القبائل في الساحل ولعل من الأسباب الجوهرية التي يسرت انتشار الإسلام بإفريقية هو أن هذا الدين سرعان ما أصبح فكراً محلياً وثقافة قومية .

وأروع مثال هو نشأة وازدهار الحضارة السواحلية التي أصبحت معلماً بارزاً في هذا الجزء من إفريقية ، والتي ما هي إلا نتاج لهذا الامتزاج للحضارة العربية الإسلامية والثقافات الإفريقية المحلية (1) .

إن انتشار اللغة السواحلية بين السكان الأصليين بجانب العربية كان له أثر كبير في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية بين القبائل التي تقيم على الساحل ، وتلك التي تقيم حول الطرق والقوافل الرئيسية الممتدة من الساحل إلى بحيرة نياسا ، وإلى المدن والقرى الداخلية الواقعة على بحيرة تنجانيقا ، فولدت اللغة السواحلية ولادة إسلامية بمعنى أنها نتجت عن اختلاط قبائل البانتو بعد أن أسلمت بتأثير العرب من سكان الساحل حيث الاختلاط والتزاوج بينهم ، وأصبحت عامل ربط بين الساحل والداخل ، وانتشرت انتشاراً واسعاً فحمل العرب العُمانيون هذه اللغة الوليدة بالداخل ، وانتشرت مع التجارة والتجار ، ووحدت بين السكان في هذه المنطقة فكانت الثقافة السواحلية عاملاً للوحدة (2) .

---

(١) إبراهيم الزين صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(٢) ناصر بن حميد العدوى : الوجود العُماني في شرق إفريقيا ، نماذج من البحوث الفائزة في مسابقة المنتدى الأدبي ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ، ط ١ ، (٢٠٠١م) ، ص ١٢-١٣ .

والـشعب الـسواحيلي بـلا اسـتثناء يـدين بـدين الإسـلام عـلى المـذهب الشافعي [(١)] يقول ترمنجهام : والواقع أنه لا يوجد إفريقي واحد من الإباضية . وأكد الإفريقيون المسلمون أن الـسبب في ذلـك أن العـرب العمانيـين طـالبوا عبيدهم باتباع الشافعية ، ويرجع ذلك إلى اعتقادهم في تفوقهم العنـصري [(٢)] ، وهو ما انعكس سلباً على أصحاب هذا المـذهب في وقـت لاحـق ، حـين فقـد العُمانيون سيادتهم على المنطقة واضطروا إلى الاندماج في الوسط الإفريقي ، هذا إذا صح كلام ترمنجهام ، وهو ما يعني أن الإباضيين وجدوا أنفسهم معـزولين في بحر من المسلمين السنة من أتباع المذهب الـشافعي بعـد أن آل مـصير شرق إفريقية إلى السكان الأصليين للمنطقة [(٣)].

إن القبائل التي استوطنت السواحل الإفريقية مـن غـير العـرب العمانيـين الذين يمثلون الدوائر الحاكمة مجموعات من الـيمن والـشيرازيين مـن جنـوب فارس ، ولكن الغالبية ، بدون أدنى شك ، مـن العـرب الحـضارم مـن سـكان الشحر وحضرموت ، والمكلا ، وسائر البلـدان الحـضرمية العربيـة في الأجـزاء الوسطى لجنوب الجزيرة. أما بالنسبة للمجموعات الإفريقية فهناك خليط مـن

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٢) سبنسر ترمنجهام : المرجع الـسابق ، ص ١٥٤ ؛ عبـدالرحمن حـسن محمـود : المرجع الـسابق ، ص ٩٨ .

(٣) عبدالرحمن حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

معظم القبائل الساحلية والكثير من قبائل المناطق الداخلية لشرق إفريقية في زنجبار [١].

والعرب في سلطنة زنجبار انقسموا إلى ثلاث مجموعات رئيسة عرب حضرموت، وعرب عُمان، وعرب زنجبار بالإضافة إلى عرب جزر القمر [٢].

- **عرب الحضارمة وجنوب شبه الجزيرة العربية** : من أوائل العرب الذين جاؤوا من اليمن ولهم سماتهم المختلفة عن عرب عُمان، وهم معرفون بحب الهجرة في جميع أنحاء المحيط الهندي [٣]، أقاموا في زنجبار منذ قرون وتزوجوا من الشيرازيين والأفارقة وأصبحوا مع مرور الوقت زنجباريين أكثر من كونهم عرباً [٤]، ومن أهم الأسر الحضرمية التي وجدت في شرق إفريقية، قبل قدوم السيد سعيد إليها، الشاطرية، والمغازية، والأشراف، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام في شرق إفريقية وبالأخص (آل حسين، وآل جديد، وباعلوي، وآل جمل الليل ، ومهدي، والسقاف)، ولقد حافظ أفراد هذه الأسر على علاقاتهم بموطنهم الأصلي في حضرموت، وأقام عدد كبير منهم المستوطنات على الساحل، ولم يقبلوا تزويج بناتهم إلا من الأشراف – الذين ينتسبون لرسول الله ﷺ من ابنته فاطمة وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما – ورفضوا

(١) إبراهيم الزين صغيرون : المرجع السابق، ص ١٩٩

(٢) صالح محروس : المرجع السابق، ص ١١٨ .

(٣) عبدالوهاب صالح بابعير : المرجع السابق، ص ٩١ .

(٤) صالح محروس : المرجع السابق، ص ١١٩ .

أن تتزوج بناتهم من الهجرات العُمانية [(١)].

- **عرب عُمان** : وأكثر هؤلاء وفدوا مع السيد سعيد عند انتقاله للإقامة في زنجبار ، وقد قدر عددهم عام ١٢٧٣هـ / ١٨٥٦م بحوالي خمسة آلاف نسمة [(٢)] ، يمثل عرب عمان الطبقة الأرستقراطية والحكام وملاك الأراضي ؛ فعرب مسقط هم سادة الجزيرة ، وهم الفئة الحاكمة والمالكون للعبيد ، وأكبر ملاك لمزارع القرنفل وجوز الهند ، ولقد هاجر العُمانيون إلى شرق إفريقية وزنجبار من زمن بعيد . ومن أشهر القبائل التي هاجرت قبيلة السعديين ، والرياميين ، وبني هناه ، ثم الحبوس ، ومن أشهر القبائل المهاجرة من عُمان في عهد دولة البوسعيديين قبيلة الحارث ، والعماوى ، والالاوى ، والبوسعيدي ، والبهرى ، والعبد إسلام ، والجابري ، والجاسري ، والحاسمي ، والحبشي ، والرياما ، واللمكي ، والقاسمي ، والمغيري ، والمالكي [(٣)] .

- **عرب جزر القمر** : وهم سكان جزر القمر التي تكونت من أربع جزر تقع على الساحل الشرقي لإفريقية وأكبرهما جزيرة انجزيجة وتقع على المحيط الهندي وتسمى بالقمر الكبرى ، ثم يأتي بعدها في المساحة أنجوان التي كان يطلق عليها قنبلوا ، ثم مايوت ، وموهيلا . وقد هاجر العرب إلى هذه الجزر

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .

(٣) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

منذ القدم ويقال : إن جزيرتي قنبلوا أو انجوان فتحها الأزد الإباضيون وسكانها مزيج من العرب والشيرازيين والحضارمة والإفريقيين ، واللغة التي يتحدث بها القمريون هي السواحيلية ، وجميعهم مسلمون وكانوا شديدي التمسك بأوامر الدين الإسلامي (١) .

كان القمريون يهاجرون إلى زنجبار وماليندي وفي زنجبار كونوا أسراً كبيرة، وأصبح بعضهم وزراء مع قيام سلطنة آل بوسعيد . ويكاد من شدة اختلاط الأسر القمرية بالزنجبارية وإقامة القمريين بها أن يقول كل واحد في جزر القمر ، خصوصاً القمر الكبرى : إن جدي أو جد أبي أو أمي في زنجبار ، أو كان فيها وله أولاد هناك .

ذلك أن كل أسرة في زنجبار إذا لم تكن تنتمي لعُمان فإنها بالتأكيد تنتمي إلى القمر . وكثيراً ما نشأت مصاهرات بين الأسر القمرية والعربية في زنجبار . وأصبح كل من العرب والقمريين يمثلون الطبقة الأرستقراطية ويحتلون المناصب الوزارية فضلاً عن القضاة (٢) .

و حظي القمريون بمكانة عظيمة معتبرة لدى آل بوسعيد ، لجذورهم العربية من جهة ، ولمنزلتهم الثقافية من جهة أخرى ، مما أهلهم للعب دور فاعل في الحياة التعليمية والثقافية والسياسية والعسكرية وغيرها ، الأمر الذي

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

(٢) محمد ذاكر السقاف : المرجع السابق ، ص ٨١ .

كان له آثاره الإيجابية في الإسهام في مسيرة انتشار الثقافة الإسلامية وذيوع اللغة العربية في زنجبار وما حولها من بلدان شرق إفريقيا التي كانت تخضع لنفوذ الدولة السعيدية (١).

- **عرب زنجبار (العرب السواحيليون) :**

وهم الذين يدعون انتسابهم إلى العرب مع أنه من غير الممكن تميزهم عن البانتو الأفارقة من الناحية الجسمانية ، وينتسبون إلى العرب الأوائل الذين سكنوا المنطقة قبل وجود السلطنة العُمانية من حضرموت من مدينة الشحر أو من عُمان . ويدعون عرب زنجبار ، فكثير منهم استوطن في شرق إفريقية منذ أجيال ، وتزوجوا من السكان الأصليين . الحقيقة أن كثيراً منهم كانوا يميزون أنفسهم كعرب ، ولكنهم أفارقة أكثر منهم عرباً (٢).

ولقد قسمت باحثة السواحيلية إلى : القبائل السواحيلية وهم الشيرازية من أصل بانتوي ، والعرب السواحيلية ، وهم الذين استقروا في زنجبار ولهم أصول عربية ، والمستوعبون الذائبون وهم البانتوين الذين فقدوا نسبهم القبلي . وأخيراً السواحلية وهم الذين احتفظوا بطابعهم الأصلي (٣).

- **السواحيلية** : كلمة سواحيلي أصلها عربي تعني رجل الساحل ومحاولة

---

(١) حامد كرهيلا : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ .

(٢) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

(٣) ناجية محمد الصالح : المرجع السابق ، ص ٤١٤ ؛ صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

تحديد ما تحت هذا الاسم بشكل خاص مستحيل فهو يوضح مجموعة من السكان مختلفة جداً يعيشون في منطقة الساحل ، فالسواحيلي لا يخص فئة بعينها، ولكن يوضح الأفارقة من أصل بانتوي فلهم سمات زنجية مختلطة بدماء آسيوية وعربية موروثة ، يتميزون بالنحافة ودمهم مختلط . فمظهرهم وعاداتهم إفريقية ، ولهم بعض الخصائص الوراثية الموجودة من عدة قرون . وأهم ما يمثل الشعب السواحلي أن يكون حفيد الأفارقة ويتحدث السواحلية ، يعيش في منطقة شرق إفريقية من نهر جوبا في الشمال ونهر روفوما في الجنوب . ويعرف البعض السواحيلي أنه إنسان يعيش في الساحل ويتحدث السواحيلية وديانته الإسلام [(١)].

ومن العناصر التي تسكن شرق إفريقية أيضاً الهنود : حيث تعود علاقة الهنود بزنجبار وشرق إفريقية إلى أزمنة موغلة في القدم ، وانقسم الهنود في زنجبار إلى فئتين مسلمين وهندوس (بانيان).

ووجدت في زنجبار ثلاث طوائف إسلامية هندية هي : الخوجة ، البهرة ، والميمن ، وتشكل طائفة الخوجة الغالبية العظمى من الهنود المسلمين في زنجبار، وكانوا من المسلمين الشيعة الإسماعيلية ، وقد مارس الخوجة النشاط التجاري ، وكانت هذه الطائفة على علاقة قوية بالسكان المحليين . أما طائفة البهرة فهم مسلمون أيضاً وقد انخرط بعضهم في ممارسة النشاط التجاري ، في

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٣٠ .

حين مارس آخرون الأعمال اليدوية كالسمكرة ، وكان لطائفة البهرة مسجدهم الخاص بهم ، إذ لا يختلطون بالطوائف الإسلامية الأخرى [١] .

أما طائفة الميمن فلم يرد عن ذكرهم الكثير ، فهم مسلمون اختاروا المذهب الحنفي ، ويؤلفون أسراً قليلة العدد في زنجبار . أما الفئة الثانية من الهنود في زنجبار فهم الهندوس . ويعد هؤلاء من أصحاب أكبر رؤوس الأموال في زنجبار فهم الذين يقومون بتمويل النشاط التجاري فيها . ومما تجدر الإشارة إليه أن الهنود بصفة عامة تمتعوا بحماية القنصل البريطاني في زنجبار بوصفهم مواطنين إنكليز .

وفي بداية العام ١٢٨٧هـ/ ١٨٧٠م قدر عدد الهنود في زنجبار ، وعلى طول الساحل الإفريقي الشرقي التابع لها ، بحوالي ٣٧٠٠ هندي [٢] .

كذلك **أفارقة البر** كانوا يعرفون باسم وابارا جاؤوا إلى زنجبار للبحث عن وظائف خاصة في موسم جمع القرنفل ، وقد جاؤوا بأعداد كبيرة وأقاموا إلى نهاية الموسم ومع مرور السنين استوطن كثير منهم وبنوا المنازل في زنجبار ودخل بعضهم في الدين الإسلامي ، واكتسبوا العادات المحلية . ومع الوقت فقدوا لغة قبيلتهم وتعلموا ألفاظ السواحلية وأصبحوا سواحليين . وبعضهم رأوا أن زنجبار تعد فقط مكان عمل ، وتركوا أسرهم في البر ، ولم يندمجوا في

---

(١) مصطفى الجبو : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .

(٢) السابق ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ .

المجتمع المحلي . وكانوا غالباً نصارى أو وثنيين وقد تأثروا بالسكان المحليين في البر . فعلى سبيل المثال كان شرب الخمر بالنسبة للأفارقة هاماً ، وبالنسبة للسواحلية مخالف لتعاليم الإسلام حيث يحرم الإسلام المشروبات الكحولية . وكان أفارقة البر يعملون في الأعمال الدنيا (الأقل أهمية) مثل خدم منازل ، أو عمال شوارع ، أو عمال موانئ ، وهي وظائف تعتبر أدنى مرتبة ، وكانت بعيدة عن الشيرازيين والعرب . لقد جاء أفارقة البر الإفريقي من شرق إفريقية من قبائل نياموزيزى ونياسا وموكند (١) .

و العنصر المهم في تركيب السكان في زنجبار هو إحضار العبيد الذين جاؤوا بواسطة بائعي الرقيق من أجزاء مختلفة من إفريقية (شرق إفريقية ووسط إفريقية) ومن هذه المجموعات مجموعة واكوليا الذين جاؤوا كعبيد إلى زنجبار ، والثانية وازاليا الذين ولدوا من أباء عبيد ، وتجد من بينهم المسلمين ، والوثنيين . وهاجر بعض أفارقة البر إلى الجزيرتين وأقاموا بهما بعد نهاية موسم حصاد القرنفل ، ومعظمهم عمال ولم يختلطوا بالسكان المحليين ؛ لأنهم لم يكونوا مسلمين ، ولكن بعضهم تزوج من أسر بمباوية ، ونعني الناس الذين يعيشون في بمبا . وينقسم الأفارقة إلى من يعتبرون أنفسهم السكان الأصليين لزنجبار ، وذوي الأصول الحديثة من البر ، ومن يدعون بشيرازي ، وهو مفهوم مختلط إفريقي من أصل فارسي ، وهم أصول القبائل في زنجبار وبمبا

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٨ – ١٢٩ .

هم التمباتو والهاديمو والبمبا (١).

كذلك **الشيرازيون** : وهم المجموعة العنصرية الأكبر ، وأصلهم من الذين هاجروا من شيراز في إيران إلى عدة أجزاء من العالم العربي ، واختلطوا بالعرب في الساحل الشرقي في إفريقية ، واستطاعوا أن يكونوا إمارات لهم على الساحل - كما سبق وأشرت - إن شخصية الشيرازي مزيج من صفات العرب والأفارقة من البر ، ويتشابهون اجتماعياً وسياسياً (٢).

و لقد ظهرت بعض التأثيرات الآسيوية في الشخصية الشيرازية ، ولكنها تخلت بالتدريج عن ثقافتها الآسيوية ، واصطبغت بصبغة إفريقية عربية ، وأهم مجموعاتهم الهاديمو والتمباتوا الذين يعيشون في جزيرة بمبا ، وفي جزيرة تمباتو، والوابمبا الذين يعيشون في جزيرة بمبا (٣).

يزعم كوبلاند أن العرب عاشوا في شرقي إفريقيا كمستعمرين كغيرهم من المستعمرين الأوروبيين ، فيقول : كانت مدن ساحل شرق إفريقيا عبارة عن مستعمرات حربية ، وإن مجتمعها لم يكن عربياً بحتاً ، فقد ظل العرب ، كغيرهم من المستعمرين في إفريقية وغيرها من القارات ، طبقة أرستقراطية ويعيش بجوارهم الهنود ، الذين كان لهم نشاط ملحوظ في الأعمال المالية والتجارية (٤).

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق ، ص ١٢٩ – ١٣٠ .

(٢) السابق ، ص ١٣٢ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

ومما لاريب فيه أن العرب لم يكونوا بعيدين عن سكان البلاد الأصـليين أو متباعدين عنهم ، ولكن كل الحقائق والوقائع ، التي كانت تجري على الـساحة ، تبين لنا أنه كان هناك تقارب وتجانس واختلاط ومصاهرة ؛ مما ساعد على ذلك الاختلاط والاندماج ، وفي ذلك يعترف كوبلاند حيث يقـول إن روح المحبـة والأخوة والمساواة والتعاون ، هذه العوامل هي التي ساعدت على إيجـاد ذلـك الجو الملائم بين السكان الأفارقة ، وبين المهاجرين العرب ، والتي ترتب عليهـا الزواج والمصاهرة وصلة الأرحام والأنساب [(١)] .

وفي هذا الإطار فقد أورد الشيخ الأمين بعـض الأحـداث والـسمات التـي تؤكد ما ذهبنا إليه بالنسبة للعلاقات العربية الإفريقية التي سادت هذا الجزء في ظل دولة المزارعة . ففي حديثه عن الوالي الأول ناصر بن عبدالله يعلـق الـشيخ الأمين المزروعي على هذه الظاهرة قائلاً : وكان ناصر بن عبـدالله مـن الرجـال المعدودين بالحزم والشجاعة وحسن المعاملة والإنصاف بـين الرعيـة ، فحظـي بمحبة أهل البلد وإكرامهم . ولمـا أراد أن يتـزوج عـرض عليـه أعيـان ممباسـة كرائمهم فاختـار كريمـة شـيخ بـن أحمـد الكبـير أحـد سـلالة ملـوك ملنـدي الأقدمين، فتزوجها ورزق له منها بنت هي والدة مبارك بن أحمد بن مبارك بـن غريب المزروعي .

ويظهر مما جاء في المخطوط بـأن علاقـة المزارعـة قـد كانـت وطيـدة جـداً

---

(١) عبدالفتاح مقلد غنيمي : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

بالطوائف السواحلية الثلاث . ألا وهي الكلندينية ، والتنجانية ، والشنقامية وأتباعهم من القبائل الأخرى التي وقفت معهم في كثير من المحن نتيجة لوفائها للمعاهدات التي عقدوها مع الوالي الثالث علي بن عثمان بن عبدالله (١١٥٧ - ١١٦٨هـ / ١٧٤٤ - ١٧٥٤م) (١) .

ومن القبائل العربية التي أحدثت تغييراً اجتماعياً قبيلة الحارث العُمانية حيث حدث انقسام اجتماعي داخل فروع القبيلة نفسها ، فقد ذابت الفروع التي ارتحلت إلى الداخل في السكان المحليين بزواجهم من الإفريقيات (٢) ، ووصفهم المغيري بأنهم أسهموا في ترقية الحياة الاجتماعية في جزيرة زنجبار معدداً أهم فروع هذه القبيلة في قوله : .. أقاموا فيها العمران الطائل وهم البراونة ، والخناجرة ، والغيوث ، والمحارمة ، والسمرات ، والمراهبة ، وأولاد نادي ، والمطاوقة ، وأهل سناو، والأعاسرة على الأكثر ، وإن كان غيرهم من القبائل شاركهم في سكنى هذه الجزيرة ، وكلهم إباضية المذهب (٣) .

ومن الظواهر الاجتماعية الجديرة بالتسجيل روح الاندماج والانصهار التي تميز بها أعداد كبيرة من العُمانيين الذين هاجروا إلى تلك البلاد في هذه المجتمعات الإفريقية نتيجة لعملهم التجاري وكفاحهم الدؤوب في البحث عن

---

(١) إبراهيم الزين صغيرون : المرجع السابق ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .

(٢) أحمد عبدالدايم : المرجع السابق ، ص ٥٢٧ .

(٣) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٩ ؛ عمان في التاريخ : ص ٤٩٦ .

سبل العيش الكريم .. فقد ذكر بأن الذكور كانوا أثناء ترحالهم كثيراً ما يتزوجون نسوة من الإفريقيات سواء في القرى والمدن التي كانوا يمرون بها، أو يتزوجون من بنات رؤساء القبائل الإفريقية دعماً لعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية في تلك المناطق (١).

ومن إحدى تلك الحالات في بلدة أوفيرا التي تقع على الجزء الشمالي الغربي من بحيرة تنجانيقا حيث تزوج ثلاثة من الإخوة العُمانيين ثلاثاً من النسوة الإفريقيات . هذا التجانس الاجتماعي الذي تم في هذه الفترة من الحكم البوسعيدي له دلالات ومغزى عميق في تاريخ العلاقات العربية الإفريقية .. إن هؤلاء الرواد من العُمانيين من حملة مشاعل الحضارة العربية الإسلامية في مجاهل القارة الإفريقية ، ضربوا مثلاً رائعاً في الاندماج والانسجام الايجابي حيثما كانوا يقيمون بين من يتصلون بهم من الجماعات الإفريقية بالمشاركة الفاعلة في حياتهم الاجتماعية وتوثيق صلاتهم بهذا المنهج والأسلوب الإسلامي الذي لا يعرف التفرقة والفصل العنصري .

ونتيجة لهذا الموقف إلى حد كبير انصهر سكان بعض هذه المجتمعات في شرق إفريقية في الدم العربي .. هذه الرغبة في الزواج والمصاهرة بالإضافة إلى هيبة الإسلام وثراء حضارته تعللان لنا حقيقة أن الكثيرين من الأفارقة كانوا يشعرون بفخر الانتماء إلى النسب ، إضافة إلى هويتهم الإسلامية (٢).

---

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٩٨ .

(٢) السابق ، ص ٤٩٨ – ٤٩٩ .

وفيما يتعلق من تغيير بالوطنيين من زنوج وسواحلية يتضح ذلك من وصف المغيري لأحوالهم حيث قال : " وقد كان من الزنوج من كانت له أملاك وجواري وشوانب من أبناء جنسه ، كمثل موسى بن زايد خادم آل بوسعيد الذي كان يملك بالجزيرة الخضراء ... ستة آلاف قورة قرنفل وقدر ستين خادماً ، وكان يزوره أكابر العرب ... وكثير من أمثاله كان يملك شوانب وعبيد " (١).

وقد كان لكثير من السواحلية متاع وافر ، وكانوا في ثراء كبير . ففي ٢٦ رجب سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م توفى بعض السواحلية وليس له وارث في دونغا ، فاستفتوا السيد سعيد فأفتى بأنه " ... إن ظهر له وريث فالمال للوريث وإن لم يظهر وارث فأظن المال لبيت المال ..." أما عن تركة هذا المتوفى فقد " خلف الشوانب والبيوت والخدام بقدر السبعين " (٢).

ومن الآثار الاجتماعية البعيدة المدى للوجود العُماني في المناطق التي أصبحت خاضعة لسلطة البوسعيديين في شرق وأواسط إفريقية ، الدور الحضاري المتميز الذي قاموا به في نشر العادات التي تتعلق باللباس والأزياء ، وبالتالي محاربة عادة العري البدائية التي كانت منتشرة في كثير من المناطق

---

(١) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ١٨٦ ؛ عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

(٢) عبدالرحمن عبدالله الشيخ : المرجع السابق ، ص ٣٠ .

الداخلية في الساحل الإفريقي .. فالمجتمعات الإفريقية لم تقتد بهم في العقيدة واللغة فحسب بل قلدوهم في ملبسهم وأزيائهم .. فلم تعد القبائل الإفريقية ترتضي العري بل ارتدوا الملابس العربية البيضاء الفضفاضة الطويلة ووضعوا العمائم على رؤوسهم .. ومما لاشك فيه أن الأثر العربي والروح الإسلامية قد انعكس جلياً على أزياء الرجال والنساء على حد سواء .. فبالنسبة لملابس الرجال نجد أن (الكنزو) يمثل الزي المميز للرجال في المجتمع السواحلي والمجتمعات الإفريقية بالداخل ، وهو عبارة عن الثوب العربي الإسلامي الذي يتدلى إلى الأقدام وإلى مرفق اليدين وغالباً ما يكون من قماش أبيض (وهو نفس الثوب العماني الذي يسمى الدشداشة) .. ولقد ارتبط هذا الزي بالإسلام في إفريقية ، وقلما يكتمل هذا الزي في المنطقة السواحلية وغيرها من المجتمعات الإسلامية في تنجانيقا بغير (الكوفية) ؛ مما أكسب المسلمين والأفارقة مظهراً متميزاً وقدراً كبيراً من الوقار والحشمة (١) .

كان أمراء القبائل الإفريقية يربطون رؤوسهم بعصائب من حرير ، ويلف بها رأسه مع بقاء وسط رأسه مكشوفاً ، أما القادة والجنود فلهم عمائم من قطن، وكذلك لبس الفقهاء العمائم البيضاء ، بينما لبس عامة الناس الكمة السواحلية ، كما كانوا يرتدون الثياب القطنية والحرير ، بالنسبة للأمراء وكبار التجار ، كانوا يلبسون العباءة المطرزة بخيوط الذهب ، ويشدون أوساطهم بالخناجر

---

(١) عمان في التاريخ : ص ٤٩٧ – ٤٩٨ .

والسيوف المطعمة بالأصداف ، ويحملون في أيديهم العصي التي يطلقون عليها اسم (بكواره) ، كما أنهم يلبسون السراويل تحت تلك الثياب ، وبعضهم يلف على جسمه قطعة من القماش لستر عورته (١) .

أما بالنسبة للأسر السواحلية المنحدرة من أصول عربية عُمانية والمرتبطة بتلك الأصول ، فالسيف والخنجر المعقوق كانا من الأشياء الضرورية لاكتمال وتمام الأزياء .. ويتضح مما سبق أن أزياء الرجال كانت أشبه ما تكون بالزي العربي العُماني ، وأن المواطن السواحلي قد استعمل هذا الزي بكل ملحقاته وتفاصيله حتى وقت متقدم .

أما أزياء النساء فهي الأخرى تعكس الأثر العربي العُماني والروح الإسلامية . فمن أهم الأزياء السواحلية التي ترتبط بهذا الجانب العباءة النسائية السوداء أو ما يسمى بالسواحلية (البوي بوي) وتكون من قطعتين الجزء الرئيسي يلف حول الجسم ويغطيه حتى القدمين ، والجزء الثاني وهو عبارة عن عصابة من الحرير يلف بها الشعر ، وكان يشبه هذا الزي ، إلى حد كبير ، العباءة النسائية المستعملة في عُمان والخليج العربي (٢) ، وارتدت ثياباً فاخرة من الخرز ، ومطرزة بأسلاك الذهب ومزدانة بالأحجار الكريمة مع السروال واللحاف والقبقاب (٣) .

---

(١) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٢) عمان في التاريخ : ص ٤٩٨ .

(٣) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

يصف لنا المغيري ملابس المرأة في الساحل ، فيقـول : أمـا في جهـة لامـوه وممباسة ، إذا أرادت المرأة العربية خروجاً من مكان إلى آخر ، فتحمل الجـواري فوقها ثوباً واسعاً له جوانب فضفاضة من كل جهاته ، تسمى شراعاً ، وبزنجبار يسمى وكينغو ، وكل هذه الاحتياطات صوناً وحفظاً لشرف العادات العربية ، أما لباس المرأة في ذلك الزمن ، فخمار على رأسها وقميص وسراويـل وشـيلة ، تعم سائر جسدها وجوارب وحلق ، وتحلـت المـرأة العربيـة ببلاغـة في أسـفل الأنف ، وبدلة في وسطها ، وقلادة على العنق ، وحنحون على الصدر ، ونطل في الرجلين ، وخواتم في جميع أصابع يدها ، وبناجرى على ساعديها ، وعقام عـلى صدغيها ، وتكلف هذه الحلي مبالغ طائلة ، وإن كانت المرأة ذات ثروة ، فجميع حليها ذهب قيمته لا تقل عن خمسة آلاف روبيـة ، أمـا المـرأة المتوسـطة الحـال فتستعمل حليها ذهباً وفضة [(١)].

وهنا نرى مدى التشابه الكبير بين الملابس في شرق إفريقيا ، وبـين ملابـس أهل عُمان ، سـواء للرجـال أو النـساء ، فالدشداشـة والعمائـم والكمـه كانـت منتشرة في عمان وسواحل شرق إفريقية ، وحمـل الخنـاجر والـسيوف والعـصي كذلك ، والتشابه الكبير أيضاً بين ملابس النساء، وهذا يدل على التمازج الثقافي والحضاري والتعامل السمح بين الجانبيين وتقليـد كـل مـنهم الآخـر حتـى في اللباس [(٢)].

---

(١) سعيد المغيري : المصدر السابق ، ص ٣١٤ ؛ عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(٢) عبدالله سليمان الغيثي : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

وقد وصف شكيب أرسلان المجتمع السواحلي في تعليقه على كتاب " حاضر العالم الإسلامي " فقال : إن السواحيلين صورهم جميلة وتقاطيعهم لطيفة ، وهم أهل نظافة ينظفون أسنانهم ويغتسلون دائماً ، ولا يستعملون الوشم مثل الزنوج ويختتنون لأنهم مسلمون ، ومن عاداتهم لبس البياض ، ويجعلون على رؤوسهم كمة بيضاء إن لم يلبسوا الطربوش الأحمر . ولكنهم لا يلبسون البنطلون ، ونساؤهم لا يتنقبن ، ولكنهن يأتزرن بشيء اسمه " الشقه " يغطي الجسم ويجعلون على الأكتاف شيئاً اسمه " كونو " وهم إجمالاً سواء منهم سكان المدن أو القرى لا يشبهون في شيء سكان الداخل من الزنوج ، بل عندهم أدب وكياسة ، ومن صفاتهم حسن المعاشرة وقرب الألفة وسرعة العاطفة ، والبر بالأهل ، والحنو على الأولاد ، ويحبون السكن بعضهم قرب بعض ، ومنازلهم بغاية النظافة ، بل الشوارع التي بين بيوتهم نظيفة ، ويبنون بيوتهم صفوفاً ، ويغرسون أمامها صفوفاً من الأشجار الكبيرة [١] .

ويرى ترمنجهام أن المجتمع السواحلي برز إلى الوجود كمجتمع إسلامي ، بالرغم من أنه نما أساساً بتزايد شعوب البانتو أكثر مما سبق ، وتزايد بسبب تجمع المهاجرين ، مما جعل السواحليين ينتمون إلى عنصر البانتو أكثر من انتمائهم إلى العرب ؛ برغم ذلك فإن أوجه حياتهم المختلفة وتركيبهم الاجتماعي يقوم أساساً على الثقافة العربية الإسلامية [٢] .

---

(١) شكيب أرسلان : المرجع السابق ، ص ٧٥ .

(٢) سبنسر ترمنجهام : المرجع السابق ، ص ٢٤٥ .

إن انتشار الإسلام بين الشعوب الإفريقية الزنجية يخلف أثاراً بعيدة ، فإن الإسلام لم يترك أثراً عميقاً في التركيب العرقي لهذه الشعوب الزنجية فحسب ، بل إنه جاء بحضارة أتاحت لتلك الشعوب طابعاً حضارياً متميزاً ، ما زال واضحاً حتى اليوم ، مؤثراً في نظمهم الاجتماعية والسياسية ؛ ذلك لأن الإسلام حمل الحضارة إلى القبائل المتوحشة ، وجعل من الوثنية المنعزلة المتفرقة شعوباً متحالفة ، فقد وسع من أفقها ، ورفع مستوى حياتها بإيجاد مستوى اجتماعي أرقى بكثير من بعض الشعوب الأخرى المتمدنة [١].

لقد ترك العرب أثراً عميقاً وقوياً على المجتمع في شرق إفريقية ، وقد لمس جميع الرحالة ذلك في عادات الناس وتقاليدهم ، سواء في حياتهم اليومية المعتادة ، أو المناسبات والمعاملات ، ولا غرابة في هذا فقد كان أثر العرب واضحاً في جميع المجتمعات التي احتكوا بها ، فكان الطابع الإسلامي واضحاً ، وأدى الاحتكاك العربي بشعوب شرق إفريقيا لتعديل كثير من معتقداتهم وعاداتهم [٢].

وكان لهذا الاحتكاك انعكاساته على تغيير الواقع الإفريقي ، إذ إن العرب بذلوا جهداً عظيماً في نشر اللغة العربية ، ثقافة وحضارة ، باعتبارها لغة القرآن الكريم . وقد انسجم العنصر الإفريقي أمام مرونة اللغة العربية واستجابتها

---

(١) عمر سالم بابكور : المرجع السابق ، ص ٤٢٢- ٤٢٣ .

(٢) شوقي عطا الله الجمل : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

لمتطلبات الحياة الإفريقية ، واتخاذها لغة الدواوين والمصالح الحكومية ؛ لذا أقبل عليها الأفارقة طمعاً في وضع اجتماعي ووظيفي أفضل ، وتطلعاً لفهم أوسع لتعاليم الدين الإسلامي الذي دخلوا فيه طواعية [١] .

لقد انتشرت كلمات عربية كثيرة في اللغة السواحلية ، وتكتب هذه اللغة بالحروف العربية [٢]. إن اللغة السواحلية تعتبر بانتوية في قواعدها ، وولكنها فقدت بعض الخصائص الصوتية ، لكي تتلاءم مع الألفاظ العربية التي دخلتها، ويمكن القول أيضاً : إن اللغة السواحلية مركب لغوي من أصل بانتوي أفريقي مطعمة بألفاظ عربية .

لقد تطورت اللغة السواحلية بمرور الزمن وازدادت ثروة وقدرة على التعبير وأخذت من العربية وغيرها الكثير من المصطلحات الدينية والتجارية ، وتجاوبت اللغة السواحلية مع التطور المستمر ، واستطاعت أن تستمد من الثقافة العربية معيناً لا ينضب من المصطلحات الحضارية ؛ ولذا أصبحت لغة الثقافة والحضارة والحياة على الساحل وفي الداخل ، وتمكنت من أن تتغلب على كثير من اللغات الإفريقية المجاورة لها ؛ ولذلك استبدل السكان السواحلية لهجاتهم القديمة أو تعلموها كلغة ثانية حتى يتمكنوا من الاتصال بمن جاورهم من الشعوب والقبائل [٣].

---

(١) بوعلام بلقاسمي : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) صالح محمد بدوي : المرجع السابق ، ص ٤ ؛ انظر ملحق رقم (١٤).

(٣) عمر مشرى محمد : المرجع السابق ، ص ١٠٤ – ١٠٥ .

و للسواحلية لهجات منها (كيامو) نسبة إلى آمو وهي أم (كينغوزى) أي الفصيحة ، ومن أتقنها كان باستطاعته أن يكلم كل ذي لهجة بلهجته ونبرته ، وهي لهجة آمو وبته إلى ويتو وتانا ريفا وممبروى ومالندي وكليف وما جاورها . ولهجة (كيتيكوء) وهي لغة الباجون وفيها دقة التعبير والنبرات تبدأ هذه من كسمايو إلى فازة . ولهجة (كمفيتا) أي أهل ممباسه وسادت هذه اللهجة كتابية وهي لهجة ممباسه وتكؤنغ وكوالى وما جاورها .

ولهجة (كؤنغوجا) أي أهل زنجبار ، وهي لغة ممتعة في النطق قليلة المواد الأصلية . وهي لغة زنجبار والجزيرة الخضراء وكل تنجانيقا ، وهي أوسع اللهجات حيث عدد الناطقين بها [1].

و يتضح مما سبق أنه حتى بعد تراجع النفوذ العربي لم تكن منطقة شرق إفريقيا منطقة فراغ وإنما كان للوجود العربي الاجتماعي أثر ملموس تشكل في كافة الجوانب الأكثر أهمية لدى الشعوب الإفريقية التي تعايشت معها .

---

(١) محمد سعيد البيض : المرجع السابق ، ص ٣٨ – ٣٩.

الخاتمـــــــة

الخاتمة

بعد دراسة جهود قبيلة المزارعة في نشر الإسلام في شرق إفريقية في الفترة التاريخية التي امتدت بين سنة ١١١٠هـ وسنة ١٣١٣هـ يمكن أن نجمل بعض الاستنتاجات التي توصل إليها **البحث فيما يلي** :

* رأينا في الدراسة السابقة أن قبيلة المزارعة قدمت إلى عُمان من مدينة الشحر حيث استقروا فيها في القرون الوسطى في تاريخ غير معروف فسكنت مدينة الرستاق وما حولها من القرى ومنح وسمائل ، وهي قبيلة كبيرة واسعة الانتشار .

* وقد وصل المزارعة إلى شرق إفريقيا في عهد الإمام سيف بن سلطان الأول حيث قاد المزاريع جيشاً حرر مدينة ممباسة من الاحتلال البرتغالي ، ونجحوا في إقامة أسرة حاكمة في ممباسة ساهمت في استتباب الأمن وإقامة الإنصاف وردع الظلم ، وداموا في ممباسة ولاة وعلماء وأصحاب نفوذ إلى أن قضى السلطان سعيد على حكمهم .

* كما أوضحت الدراسة الصلات والعلاقات التي ربطت قبيلة المزارعة بعدد من القبائل الوثنية الإفريقية ؛ حيث بسطت نفوذها على عدد من القبائل وقامت بينها وبين جيرانهم الأفارقة سلسلة من التحالفات العسكرية إبان الاحتلال البرتغالي ، وحتى في صراعهم مع آل بوسعيد ومع البريطانيين . وواصل المزاريع بشكل سلمي توطيد سلطانهم ونفوذهم المحلي بين الأهالي من

قبائل البانتو ، وقد حدث ذلك الاستيطان بطريقة طبيعية سلمية دون اللجوء إلى أساليب القوة والعنف والاضطهاد .

* كما شرحت الدراسة الإرساليات التنصيرية التي كانت طلائع للاستعمار الأوروبي وكانت كل إرسالية تنصيرية تناصر دولتها الأمر الذي أخرج التنصير من إطاره الديني والروحي إلى إطار سياسي استعماري بحت .

* كما أثبتت الدراسة أنه بعد انقسام السلطنة العمانية ركز السلاطين على توسيع نفوذهم وإقامة مراكز ومحطات تجارية عبر الداخل ، وأن الانفتاح من الساحل إلى الداخل بعد تقسيم السلطنة كان من العوامل التي أدت إلى ذيوع الإسلام ، مما ساعد العرب على الاحتكاك بسكان الداخل ونشر الإسلام بينهم .

* وقد وضح البحث أن خضوع شرق إفريقيا للنفوذ الأوروبي خلال القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي ، قد شد أزر الإسلام وأدى إلى انتشاره في جهات كثيرة ، حيث لم تستطع السلطات الاستعمارية المختلفة ، أن تقف في وجه انتشار الإسلام الذي تم بصورة أوسع في ظل الوجود الاستعماري ؛ على الرغم من جهود التنصير الذي عمل تحت حظوته .

* ولقد كان للتجار المسلمين الفضل الأكبر في نشر الإسلام حيث استغل التجار هذا الوجود لصالح الحركة التجارية ولصالح الحركة الإسلامية ، وذلك أنهم أثناء تواجدهم في الساحل أو في الداخل كانوا يتوددون إلى الناس

ويخالطونهم ، على أن كثيراً من هؤلاء التجار كانوا يجمعون بين حرفتي التجارة والتعليم ، فأنشؤوا كتاتيب لتعليم القرآن الكريم أو بنوا مسجداً لأداء الشعائر الدينية ولتعليم الناس قواعد الإسلام وشعائره الصحيحة .

* وشرح البحث رغبة الأفارقة الوثنيين في الانتقال إلى الساحل للعمل في مزارع العرب ، وقد كان لهذه الهجرة القدح المعلى في دخول الأفارقة في الإسلام .

* وقد بينت الدراسة أن أغلب المزارعة شافعيو المذهب حيث انسلخوا من المذهب الإباضي وأصبحوا سنيين منصفين عندما اختاروا مذهب الإمام الشافعي ، غير أن المزاريع في الجزيرة الخضراء لم يغيروا المذهب إلا أناس قليلون ، وإنما غير المذهب من المزاريع من بقي في ممباسة.

و أن الذين نشروا الإسلام في شرق إفريقيا هم العلماء والدعاة اليمنيون الحضارم بدليل أن المذهب السائد في شرق إفريقيا كلها هو المذهب الشافعي الذي هو مذهب الحضارم .

* وتبين الدراسة أن مجتمعات الساحل لم تتبلور لمجتمعات متينة من حيث التعمق الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية إلا بعد هجرات العلماء وأسر الأشراف اليمنيين ، الذي كان جل همهم نشر الإسلام حيثما حلوا وارتحلوا ؛ وإلى هؤلاء يرجع الفضل في تقدم الإسلام وترقية الثقافة والحضارة العربية والإسلامية في كافة مدن السواحل .

* وشرحت الدراسة أن زنجبار عاصمة الدولة العمانية على الساحل الإفريقي أصبحت مركز إشعاع للدين الإسلامي في كل ما جاورها على الساحل الإفريقي إذ أشرق نور الإسلام لأول مرة في المناطق الداخلية من الساحل الإفريقي .

و أصبحت أوجيجي ، وهي أقدم مدينة في غرب تنزانيا ، مدينة إسلامية من الدرجة الأولى تعمل على دخول المنطقة من حولها في الإسلام . كذلك كان للوجود العربي الاقتصادي والسياسي في منطقة أعالي الكونغو الأثر الأهم في نشر الإسلام .

* كما كان لانتشار المساجد والمدارس الدينية في مدن شرق إفريقيا دور في نشر الإسلام والثقافة العربية والعلوم الإسلامية ، وقد كان مسجد الرياض بلامو يحتل مركز الصدارة بالنسبة إلى المساجد التاريخية في شرق إفريقية ، بل يعتبر هو المدرسة " الأم " وأقدمها في كينيا ، وكانت في الأساس مركزاً لتدريس المذهب الشافعي .

* وكان من آثار ما حققه الإسلام من تقدم كبير قبل وصول القوى الاستعمارية أن حل التقويم الإسلامي في أجزاء كبيرة من إفريقية ، ودخلت كلمات عربية كثيرة في عدد من اللغات الإفريقية وتأثر الأفارقة بالثقافة الإسلامية والهندسة المعمارية الإسلامية والألقاب الإسلامية ، ونشأت الثقافة السواحيلية وكذلك اللغة السواحلية التي هي اللسان المشترك بين أنحاء شرق

إفريقية وكان للشعب السواحلي المسلم دور في نشر الإسلام وكتبوا اللغة السواحلية بحروف عربية .

* وشرحت الدراسة كيف أن العرب قد أسهموا إسهاماً كبيراً في المجال الاقتصادي ، فهم أول من اكتشفوا إمكانات المنطقة فربطوها بالتجارة الدولية ، وفتحوا الأسواق وشاركوا الإفريقيين في الأرباح ، وانعكست سياستهم الاقتصادية في التنافس الذي أوجدوه بين سياسات المناطق بعضها بالبعض الآخر ، وبالتالي يعد العرب أول من أحدثوا ثورة اقتصادية بالمفهوم الحقيقي عبر منطقة البحيرات .

* ومن النتائج المهمة التي توصل إليها البحث أنه حتى بعد تراجع النفوذ العربي لم تكن منطقة شرق إفريقيا منطقة فراغ وأنما كان للوجود العربي الاجتماعي أثر ملموس تشكل في كافة الجوانب الأكثر أهمية لدى الشعوب الإفريقية التي تعايشت معها .

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولاً / الوثائق .

(أ) الوثائق غير المنشورة :

- العلاقة بين مسقط والساحل الشرقي لإفريقية، مع الإشارة الخاصة إلى زنجبار،المصدر(المركز الوطني للوثائق والبحوث – ابوظبي).
- رسالة من مسقط مع أخبار عن شؤون الأئمة في زنجبار،المصدر(المركز الوطني للوثائق والبحوث – ابوظبي).
- طلب دعم زنجبار المالي من قبل سلطان مسقط من حكومة بومباي، المصدر(المركز الوطني للوثائق والبحوث – ابوظبي).
- رسالة من الوكالة السياسية والقنصل في مسقط إلى المقيم السياسي في الخليج فيما يخص دفع دعم زنجبار إلى تركي بن سعيد سلطان مسقط، المصدر(المركز الوطني للوثائق والبحوث – ابوظبي).
- توضيح نسب السادة بجزيرة واسين ، المصدر (مركز الوثائق ، أرشيف زنجبار) .

(ب) الوثائق المنشورة :

- مقتطف من الكتاب (القاموس الجغرافي لقبائل العرب ، إصدارات الأرشيف) يعكس تأثير القبائل في الساحل الشرقي لإفريقية ،المصدر(المركز الوطني للوثائق والبحوث – ابوظبي).

- وثيقة قدوم المزاريع ، المصدر (تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية) .
- وثيقة رحيل البرتغاليين نهائياً عام ١٧٢٩م عن ساحل إفريقية الشرقي ، المصدر(تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية) .
- وثيقة عن تأسيس مدينة ممباسة ، المصدر(الهجرات العُمانية المتعاقبة وتأثيرها داخل المحيط الإفريقي).
- وثيقة باللغة السواحيلية مكتوبة بحروف عربية ،المصدر(الهجرات العُمانية المتعاقبة وتأثيرها داخل المحيط الإفريقي) .

ثانياً / المخطوطات :

- عربية :

▪ العلوي . (عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبي بكر باحسن جمل الليل ت ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٨م) .

* نشر النفحات المسكية في أخبار الشحر المحمية . مخطوطة من جزءين ، مكتبة الأحقاف للمخطوطات ، تريم .

- سواحلية :

.FARSY. (ABDALLAH SALEH).

BAADHI YA WANAVYUONI WA KISHAFI WA MASHARIKI YA AFRIKA ,

ARCHIEVES ZANZIBAR, ZANZIBAR.

ثالثاً / المصادر العربية والمعربة :

▪ ابن بطوطة (أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي ، ت ٧٧٩هـ) .

تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار(رحلة ابن بطوطة) ، تحقيق علي المنتصر الكتاني ، ج ١ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، د.ط ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .

▪ ابن فقيه (أبي بكر أحمد بن محمد الهمذاني) .

مختصر كتاب البلدان ، ليدن ، مطبع بريل ، د .ط ، ١٨٨٣م .

▪ ابن منظور (الأمام جمال الدين محمد بن مكرم ، ت ٧١١هـ) .

لسان العرب ، المجلد ٤ ، د. م ، دار صادر ، ط ١ ، ١٣٠٠هـ .

▪ المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي ، ت ٣٤٦هـ) .

مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق محمد محيي الدين ، ج٢ ، بيروت،دار المعرفة ، د.ط ، ١٩٨٢م .

▪ الإدريسي (أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الشريف ، ت ٥٥٩هـ) .

نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ج ١ ، د . م ، مكتبة الثقافة الدينية ، د . ط ، ٢٠٠٢م.

■ السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر ، ت٩١١ هـ) .

الجامع الصغير من حديث البشير النذير ، ج ٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، (د . ت) .

■ المزروعي (الأمين بن علي) .

دراسات في تاريخ عمان الحديث مخطوط تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية ، تحقيق إبراهيم الزين صغيرون ، لندن ، د.ن ، ط ١ ، ١٩٩٥م .

■ السيابي (سالم حمود) .

إسعاف الأعيان في أنساب أهل عُمان ، د.م ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ، د.ط ، ١٩٦٥م .

■ المغيري (سعيد بن علي) .

جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تحقيق عبدالمنعم عامر ، د.م ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، (د . ت) .

■ السالمي (نور الدين عبدالله بن حميد) .

تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج ٢ ، مسقط ، مكتبة الإمام نور الدين السالمي ، د.ط ، ١٩٩٥م .

▪ الفارسي (عبدالله صالح) .

البوسعيديون حكام زنجبار ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، سلطنة عُمان ، وزارة التراث القومي للثقافة ، ط ٣ ، ١٩٩٤م .

▪ الهنائي (مبارك بن علي) .

العمانيون وقلعة ممباسا ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ط ٣ ، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م) .

▪ بن سعيد (زاهر) .

تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار ، رتبه وصوبه لويس صابوجي ، مراجعة محمد عيسى ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة، د.ط ، ١٩٨١م .

▪ سلطان (سالمة بنت السيد سعيد) .

مذكرات أميرة عربية ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي ، مسقط ، وزارة التراث والثقافة ، ط٩ ، ، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م .

▪ هايند (سيدني لانجفورد) .

سقوط عرب الكونغو ، ترجمة أحمد العبيدلي ، أبوظبي ، هيئة أبوظبي للثقافة والتراث (كلمة) ، ط١ ، ٢٠١٠م .

■ ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي ، ت ٦٢٦هـ) معجم البلدان ، ج ٥ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، د . ط ، ١٩٩٧م

رابعاً / المراجع العربية والمعربة :

■ أرنولد . سير توماس :

الدعوة إلى الإسلام ،ترجمة حسن إبراهيم وآخرون ، د.م ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٣ ، ١٩٧٠م .

■ أوليفر . رونالدو وأنتوني أتمور:

إفريقيا منذ عام ١٨٠٠م ، ترجمة فريد بورى ، القاهرة ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط ١ ، ٢٠٠٥م .

■ إبراهيم . عبد الله عبد الرزاق :

المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا ، الكويت ، عالم المعرفة ، العدد ١٣٩ ، ١٩٨٩م .

■ الهنائي . مداد بن سعيد :

التاريخ والبيان في أنساب قبائل عُمان ، لندن ، دار الحكمة ، ط١ ، ٢٠١٠م .

■ البيض . محمد بن سعيد :

طي المراحل في تاريخ السواحل ، مالندي ، د.ن ، د.ط ، ١٤٢٦هـ .

■ الجنيد . عبدالقادر بن عبدالرحمن :

- الإسلام واليمنيون الحضارم بشرق إفريقيا ، د.م ، تريم للدراسات والنشر ، د.ط ، (د.ت) .

- العقود الجاهزة والوعود الناجزة في تراجم بعض الشخصيات البارزة ، د.م ، د.ن ، د.ط ، (د.ت) .

■ التركي . بنيان سعود :

زنجبار وجوارها الأفريقي ، الكويت ، مكتبة الكويت الوطنية ، ط١ ، ٢٠١٠م .

■ الحداد . حامد أحمد :

دراسات عن العرب والإسلام في شرق إفريقيا ، جدة ، دار المنهاج ، ط١ ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م .

■ الحداد . محمد أحمد مشهور :

حقائق تاريخية عن العرب والإسلام في إفريقية الشرقية ، د.م ، دار الفتح ، ط١ ، ١٩٧٣م .

■ الشيخ . عبدالرحمن عبدالله :

دول الإسلام وحضارته في إفريقيا بحوث في التاريخ الحديث ، الرياض ، دار اللواء ، ط ١ ، (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م) .

■ العمري . عمر صالح وزيد محمد خضر :

انتشار الإسلام في إفريقيا ، الرياض ، الدولي للنشر ، ط١ ، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م .

■ القاسمي . سلطان بن محمد :

تقسيم الإمبراطورية العُمانية ١٨٥٦ - ١٨٦٢، الشارقة ، د.ن ، ط٣ ، (٢٠٠٥م) .

■ السميط . عبدالرحمن حمود :

رحلة خير في إفريقيا ، د.م ، د.ن ، ط ٤ ، (٢٠٠٣م).

■ السميط . عبدالرحمن حمود وفاروق عبدالله بلال :

قبيلة الدينكا في جنوب السودان ، د.م ، مطابع القبس التجارية ، د.ط ، (د.ت) .

■ العقاد . صلاح وجمال زكريا :

زنجبار ، د.م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ط ، (١٩٥٩م) .

■ الملاحي . عبدالرحمن عبدالكريم :

الحضارم في ممباسا ودار السلام ١٩٣٠-١٩٦٠م ، المكلا ، دار حضرموت، ط١ ، ٢٠٠٤م .

■ الغنيمي . عبدالفتاح مقلد :

الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا ، القاهرة ، عالم الكتب ، د.ط ، ١٩٩٧م .

■ السيد . فاطمة :

التاريخ السياسي لسلطنة زنجبار الإسلامية ، مكة ، نادي مكة الثقافي ، ط ١ ، ١٤١٩هـ .

■ النقيرة . محمد عبدالله :

إنتشار الإسلام في شرقي إفريقيا ومناهضة الغرب له ، الرياض ، دار المريخ، ١٩٨٢م .

■ السقاف . محمد ذاكر :

جزر القمر عبر العصور ، مروني(جزر القمر) ، دار الصناعة للكتابة والطباعة ، د.ط ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م .

■ العيدروس . محمد حسن :

السلطان سعيد والعلاقات العربية – الأفريقية ، د.م ، دار المتنبي ، ط١ ، (د.ت) .

■ الجبو . مصطفى إبراهيم :

زنجبار في ظل الحكم العربي ١٨٣٢-١٨٩٠ ، سلطنة عُمان ، وزارة التراث والثقافة ، د.ط ، ٢٠٠٧م .

■ الجهني . مانع بن حماد :

الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، المجلد الأول، الرياض ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٤ ، ١٤٢٠هـ .

■ بدوي . صالح محمد :

الرياض بين ماضيه وحاضره ، د.م ، د.ن ، ط ١ ، ١٤١٠هـ .

■ بكر . سيد عبدالمجيد :

الأقليات المسلمة في إفريقيا ، د.م ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية ، د.ط ، (د.ت) .

■ بابكور . عمر سالم :

الإسلام والتحدي التنصيري في شرق إفريقيا ١٢٦١-١٣٩٦هـ/

١٨٤٤-١٩٥٠م ، مكة المكرمة ، جامعة أم القرى ، ١٤١٧هـ .

■ ترمنجهام . سبنسر :

الإسلام في شرق إفريقيا ، ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط١ ، (١٩٧٣م) .

■ جمل الليل . صالح شيخ باحسن :

كينيا ومراحل التعليم ، لامو ، كلية الدراسات الإسلامية ، ط١ ، (١٤٣٢هـ-٢٠١١) .

■ حسن . إبراهيم حسن :

انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء الكبرى ، القاهرة ، محاضرات ألقيت في معهد الدراسات العربية العالمية ، ١٩٥٧م .

■ حران . تاج السر أحمد :

الأقلية المسلمة في كينيا ، الرياض ، جامعة الأمام محمد بن سعود ، ط١ ، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م .

■ حراز . رجب :

- أفريقية الشرقية والاستعمار الأوروبي ، د.م ، دار النهضة العربية ، د.ط ، ١٩٦٨م .

- بريطانيا وشرق أفريقية من الاستعمار إلى الاستقلال ، د.م ، معهد البحوث والدراسات العربية ، د.ط ، ١٩٧١م .

■ حريز . سيد حامد :

المؤثرات العربية في الثقافة السواحيلية في شرقي إفريقيا ، بيروت ، دار الجيل ، ط١ ، (١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م) .

■ حب الله . محمود :

الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا ، القاهرة ، مطبعت منبر الشرق ، د.ط ، (د.ت) .

■ دياب . أحمد إبراهيم :

لمحات من التاريخ الأفريقي الحديث ، الرياض ، د.ن ، ط ١ ، ١٩٨١م .

■ درويش . مديحة أحمد :

سلطنة عُمان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، جدة ، دار الشروق ، ط١ ، ١٤٠٢ -١٩٨٢م .

■ روت . رودولف سعيد :

سلطنة عُمان خلال حكم السيد سعيد بن سلطان (١٧٩١- ١٨٥٦م) ، ترجمة عبدالمجيد حسيب القيسي ، البصرة ، مركز دراسات الخليج العربي ، د.ط ، ١٩٨٣م .

■ رفلة . فيليب :

الجغرافيــة الــسياسية لأفريقيــة ، د.م ، مكتبــة النهــضة المــصرية ، ط٢ ، (١٩٦٦م) .

■ زناتي .محمود سلام :

الإسلام والتقاليد القبلية في أفريقية ، د.م ، د.ن ، ط١ ، ١٩٦٩م.

■ زكريا . جمال :

الأصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، د.ط ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

■ زكي . عبدالرحمن :

الإسلام والمسلمون في شرق إفريقيا ، القـاهرة ، مطبعـة يوسـف ، د.ط ، ١٩٦٥م .

■ ستودارد . لوثروب :

حاضر العالم الإسلامي ، ترجمـة عجـاج نـويهض ، المجلـد الثـاني ، الجـزء الثالث ، د.م ، دار الفكر ، ط ٤ ، ١٩٧٤م .

■ شلبي . أحمد :

تـاريخ التربيــة الإسـلامية ، القـاهرة ، مكتبـة النهـضة المـصرية ، ط ٤ ، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

■ عبدالله . حسن محمد :

الحركة المعمارية في زنجبار ١٨٣٢ – ١٨٨٨ ، أبـوظبي ، المجمـع الثقـافي ، ط١ ، ٢٠٠١م .

■ عُـمان في التـاريخ ، وزارة لإعـلام ، لنـدن ، دار اميـل للنـشر ، د.ط ، ١٩٩٥م .

■ لويس . آي إم :

الإسلام في إفريقيا الاستوائية ، ترجمة عبدالرحمن عبدالله الشيخ ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ط١ ، ٢٠١٠م .

■ مجاهد . حورية توفيق :

الإسلام في إفريقيا وواقع المسيحية والديانة التقليدية ، د.م ، مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ط ، ٢٠٠٢م .

■ محمود . عبدالرحمن حسن :

الإسلام والمسيحية في شرق إفريقيا من القرن ١٨ إلى القرن ٢٠ ، بيروت ، دراسات الوحدة العربية ، ط١ ، (٢٠١١م) .

■ محمد . محمد عوض :

الشعوب والسلالات الإفريقية ، القاهرة ، د.ن ، د.ط ، ١٩٦٥م .

■ هولنجزوورث . ل . م :

زنجبار ١٨٩٠ - ١٩١٣ ، ترجمة حسن حبشي القاهرة ، دار المعارف ، ط ١، ١٩٦٨م .

■ يحيى . جلال :

تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ، الإسكندرية ، المكتب الجامعي الحديث ، د.ط ، (٢٠١٠م) .

خامساً / الرسائل العلمية:

■ إبراهيم . جمال عبدالوهاب :

المراكز التجارية في ساحل شرق إفريقيا خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، (١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م) .

■ آدم . زمزم عبدالرحمن :

التيارات العقدية في شرق إفريقيا وموقف الإسلام منها ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، (١٤١٣هـ / ١٩٩٢م) .

■ السديس . عبدالرحمن :

تطور حركة انتشار الإسلام في شرق إفريقية في ظل دولة البوسعيديين ١٨٣٢ - ١٩٣٠م ، رسالة ماجستير ، جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) .

■ الغيثي . عبدالله سليمان :

ولاية ممباسة في عهد دولة اليعاربة العُمانية ١٦٩٦ – ١٧٤٩م ، رسالة ماجستير ، جامعة السلطان قابوس ، (٢٠١٠م) .

■ الطيواني . سالم أحمد :

زنجبار منذ دخول الإسلام حتى قيام اليعاربة ، بحث تخرج ، معهد العلوم الشرعية ، مسقط ، (٢٠٠٠ – ٢٠٠١م) .

■ التركي . عبدالله إبراهيم :

تجارة الرقيق في سلطنة عُمان وموقف بريطانيا تجاهها ، ١٢٣٧-١٣٢٣هـ / ١٨٢٢ – ١٩٠٥م ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، (٢٠٠٠م) .

■ الصالح . ناجية محمد :

التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق إفريقيا ١٢٢١ - ١٣٦٧هـ / ١٨٠٦ – ١٩٤٧م ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م) .

■ بشير . عمر مشرى :

دراسة في تاريخ ساحل إفريقيا الشرقي (١٦٩٨-١٨٤٠م) ، رسالة ماجستير ، جامعة الخرطوم ، (١٩٩٣م) .

■ بابكر . نور الدين عوض :

أساليب المنصرين في الصد عن الإسلام في إفريقيا وطرق مواجهتها : دراسة ميدانية على دولة كينيا في الفترة من عام ١٤٠١-١٤٢٠هـ ، رسالة دكتوراه ، جامعة الأمام محمد بن سعود ، (١٤٢٢هـ) .

■ زغلول . سعد عبد ربه :

الاستعمار الألماني في شرق أفريقية ١٨٨٤- ١٩١٨م ، رسالة دكتوراه ، جامعة الإسكندرية ، (١٩٦٨م) .

■ سعيد . سعدية محمد :

عمان والنفوذ البريطاني في عهد السيد سعيد بن سلطان ١٨٠٦ –١٨٥٦م ، رسالة ماجستير ، كلية التربية للبنات بجدة ، (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) .

■ شويقة . فاروق عبدالجواد :

الإسلام والمسلمون في شرق أفريقية (دراسة جغرافية) ، رسالة دبلوم ، جامعة القاهرة ،١٩٦٠م .

■ عبدالله . محمد حامد :

علاقة بريطانيا بزنجبار في عهد السلطان برغش ١٨٧٠-١٨٨٨م ، رسالة دكتوراه ، جامعة القاهرة ، (١٤١٧هـ / ١٩٩٧م) .

■ عبدالرحمن . صلاح حامد :

النفوذ البريطاني في شرق إفريقيا ١٢٧٣ - ١٣١٣هـ / ١٨٥٦-١٨٩٥م ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، (١٤١٩هـ / ١٩٩٩م) .

■ غيث . حمامة خلفان :

التأثيرات العمانية في زنجبار ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٨م .

■ كرهيلا . حامد :

أثر الإسلام في تشكيل السلوك الاجتماعي في جزر القمر ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم درمان الإسلامية ، (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م) .

■ مرقص . بواقيم رزق مرقص :

حميد بن محمد المرجبي والوجود العربي في الكونغو ، رسالة ماجستير ، جامعة القاهرة ، (١٩٧٨م) .

■ محمد . صالح محروس :

سلطنة زنجبار تحت الحماية البريطانية ١٨٩٠-١٩٦٤م ، رسالة دكتوراه ، جامعة بني سويف ، (١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م) .

سادساً / الدوريات العامة :

- أبو سبيب . عبدالماجد يوسف :

العلاقات العُمانية الإفريقية والتنافس الاستعماري في عهد السلطان سعيد ، مجلة دراسات إفريقية ، العدد العاشر ، (١٩٩٣م) .

- التركي . بنيان سعود :

الشيخ مبارك بن راشد المزروعي في شرق أفريقية ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد٢٤ ، ٢٠٠٢م .

- الصافي . محاسن عبدالقادر :

المؤثرات العربية والإسلامية على الساحل الشرقي لكينيا في القرن التاسع عشر ، مجلة الدراسات العربية الأفريقية ، العدد ٢و٣ ، معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية ، (١٩٩١م).

- الشيخ . محمود عبدالرحمن :

الإرساليات المسيحية والمسلمون في شرق إفريقيا ١٨٤٤-١٩١٤ دراسة أولية عن تطور العلاقات المسيحية الإسلامية في إفريقيا في ظل الاستعمار الأوربي ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الخامس ، ربيع الأول ١٤١٠هـ- أكتوبر ١٩٨٩م .

■ الخضيري . محمد سليمان :

السياسة والتنصير في شرق إفريقيا في القرن ١٣هـ/ ١٩م ، مجلة جامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد التاسع عشر ، جمادي الأولى ١٤١٨هـ .

■ السديس . عبدالرحمن :

الحملات الفارسية على عُمان وسقوط حكم اليعاربة ، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثامن والعشرون ، (شوال ١٤٢٠هـ) .

■ الشطشاط . علي حسين :

الهجرات العربية إلى شرق إفريقيا ودورها في نشر الإسلام والعروبة ، الجماهيرية العظمى ، مجلة الجامعة الأسمرية ، السنة الأولى ، العدد الأول ، (٢٠٠٣م) .

■ اللمكي . ناصر بن سليمان :

حميد بن محمد المرجبي فاتح الكونغو ، مجلة الهلال ، العدد ١ ، (يوليو ١٩٠٦م) .

■ بابعير .عبدالوهاب صالح :

دور عرب عُمان في نقل الحضارة والثقافة العربية الإسلامية في بلاد زنجبار وبلاد الساحل ، مجلة البحوث والدراسات العربية ، العدد ٢٠ ، (١٩٩٢م) .

■ جريس . غيثان علي :

الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى، مجلة المؤرخ العربي ، العدد الثالث ، المجلد الأول ، (١٩٩٥م) .

■ حسين . أحمد عبدالدايم :

الوجود العربي في منطقة البحيرات الأفريقية الكبرى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، مجلة كلية الآداب ، السنة ١١ ، العدد ٢١ ، (٢٠٠٧م) .

■ عثمان . عبدالرحمن أحمد :

الدور العُماني في تقوية وتأصيل الإسلام في شرق إفريقيا ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الرابع عشر ، رمضان ١٤١٦هـ ، يناير ١٩٩٦م .

■ صغيرون . إبراهيم الزين : التراث العربي الإسلامي في شرق أفريقية دراسة أولية لمخطوط" تاريخ ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية" ، مجلة عالم الكتب ، المجلد السادس ، العدد الأول ، (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م).

■ مجاهد .حورية :

تاريخ انتشار الإسلام في إفريقيا الأبعاد والوسائل ، مجلة قراءات ، العدد السادس ، (١٤٣١هـ) .

سابعاً / أبحاث ألقيت في ندوات ومؤتمرات علمية :

- أبو منقة . الأمين وكمال محمد :

عوامل انتشار الإسلام في زمبابوي وأوغندا ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب العاشر ، د.م ، دار جامعة إفريقيا العالمية ، د.ط ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) .

- أبو العلا . إبراهيم عبدالمنعم :

عُمان معبراً لتجار الأندلس وعلمائها إلى الشرق الإفريقي في القرن ٥هـ/ ١١م (ابن ظنير الأنصاري الميورقي) نموذجاً ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) .

- الشيخ . محمود عبدالرحمن :

انتشار الإسلام في شرق إفريقيا ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الثالث عشر ، د.م ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، د.ط ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) .

- البوسعيدي . جمعة بن خليفة :

الهجرات العُمانية المتعاقبة وتأثيرها داخل المحيط الإفريقي ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) .

■ المعولي . زياد بن طالب :

العمانيون ونشر الإسلام والثقافة العربية في شرق إفريقيا ، المؤتمر الدولي الإسلام في شرق إفريقيا ، الكتاب العاشر ، (١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م) .

■ الطائي . سني محمد علي :

دور السياسة البريطانية في تقسيم السلطنة العربية الأفريقية ، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج وشرق إفريقيا ، رأس الخيمة ، مركز الدراسات والوثائق ، ط٢ ، (٢٠٠١م) .

■ العراقي . السر سيد أحمد :

الإسلام والصليبيون في ساحل إفريقيا في العصور الوسطى ، أبحاث ندوة رأس الخيمة ، ج٢ ، (١٩٨٧م) .

■ الشيخ . رأفت غنيمي :

– الآفرو عربية ككيان سياسي وحضاري (نموذج الدول العُمانية بشرق إفريقيا) ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الرابع ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦) .

– دور عُمان في بناء حضارة شرقي أفريقية ، حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد الثالث ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

■ المعمري . هيفاء أحمد :

العُمانيون ودورهم الثقافي في شرق أفريقية ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) .

■ الجمل . شوقي عطا الله :

دور العرب الحضاري في شرق إفريقيا في القرنين ١٦ – ١٧ ، أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية ، (١٩٨٧م) .

■ السعيدي . أحمد :

عُماني في الشرق الأفريقي "تيبوتيب" ناظراً ومنظوراً إليه ، ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) .

■ العدوى . ناصر بن حميد :

الوجود العُماني في شرق إفريقيا ، نماذج من البحوث الفائزة في مسابقة المنتدى الأدبي ، وزارة التراث القومي والثقافة سلطنة عمان ، ط ١ ، (٢٠٠١م) .

■ الملاحي . عبدالرحمن عبدالكريم :

اليمنيون في المهاجر الإفريقية (هجرة الحضارم) ، الشحر ، (١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م).

■ بلقاسمي . بو علام :

الوجود العُماني في شرق إفريقيا في مذكرات بعض الرحالة والقناصل الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، المؤتمر الدولي " الدور العُماني في الشرق الأفريقي " ، جامعة السلطان قابوس ، (ديسمبر ٢٠١٢م) .

■ بدوي . عيدروس محسن :

مساجد لامو ، معهد الثقافة الإسلامي بمسجد الرياض ، لامو ، كينيا .

■ جمل الليل .عيدروس وأحمد ابنا محسن بدوي :

الإسلام في كينيا فرص وتحديات ، معهد الثقافة الإسلامي بمسجد الرياض ، لامو ، كينيا ، (١٤٢٩هـ) .

■ حريز . سيد حامد :

مساهمة علماء شرق إفريقيا في الحضارة العربية الإسلامية من خلال مخطوطاتهم ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية ، الخرطوم ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد البحوث والدراسات العربية) ، (١٩٨٣م) .

■ حداد . عدنان :

انتشار الإسلام في إفريقيا الوسطى لاسيما في جمهورية الكونغو الديمقراطية، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الحادي عشر ، السودان، (٢٠٠٦م) .

■ زكريا . جمال :

– سلطنة مسقط وزنجبار بين الوحدة والانفصال ، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج وشرق إفريقيا ، رأس الخيمة ، مركز الدراسات والوثائق ، ط٢ ، (٢٠٠١م) .

– الاستعمار البرتغالي وأثره على العلاقات العربية الأفريقية ، العلاقات العربية الأفريقية دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (١٩٧٧م) .

– الدولة العمانية في شرقي أفريقية ، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، المجلد الثالث ، سلطنة عمان ، وزارة التراث القومي والثقافة ، (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م) .

■ طه . جاد محمد :

دور بريطانيا وألمانيا في تفكيك سلطنة زنجبار ، ندوة العلاقات العربية الأفريقية ، دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، (١٩٧٧م).

■ عثمان . عبدالرحمن أحمد وآخرون :

أوضاع المسلمين في منطقة شرق إفريقيا السواحلية ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا ، الكتاب العاشر ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م) .

▪ عثمان . عبدالرزاق علي :

البرتغاليون في شرق إفريقيا وطردهم منها ، ندوة الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج وشرق إفريقيا ، رأس الخيمة ، مركز الدراسات والوثائق ، ط٢ ، (٢٠٠١م).

▪ كبير . عبدالباقي محمد :

انتشار الإسلام في إفريقيا بأقلام أوروبية ، المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا، الكتاب الثالث عشر ، (١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م).

▪ كاتيريغا . بدورد :

علماء شرق إفريقيا وإسهاماتهم في الثقافة والحضارة الإسلامية – العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهمتهم في الحضارة العربية الإسلامية ، بغداد ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، (١٩٨٣ م) .

▪ مرقص . بواقيم رزق :

العرب والكونغو في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ، العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) .

■ مصيلحي . محي الدين محمد :

النشاط التجاري العربي في شرق إفريقيا في القرن التاسع عشر حتى بداية السيطرة الأوروبية على المنطقة ، العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، القاهرة ، دار الثقافة العربية ، ١٩٨٧م .

■ مرقص . بواقيم رزق :

الاستعمار البلجيكي وأثره على الوجود العربي في الكونغو ، (١٩٧٧م) .

ثامناً / المراجع الأجنبية :

- A.I.SALIM : The Swahili-speaking peopies of Kenya coast (1895-1965) ,1973 .

- Ghalib Yusuf Tamim :Maisha Ya Sh.Al-Amin bin Ali Mazrui (1891-1947) ,Kenya ,Signal press Ltd.

الملاحق

ملحق الوثائق

ملحق رقم (١)

MAZĀZĀRI'

Singular Mazrū'i مزروعي. An Arab tribe or Trucial 'Omān and the Sultanate of 'Omān. The majority are found in Abu Dhabi territory, where they are regarded as a section of the Bani Yās tribe, and the number of these is computed in the article on the Abu Dhabi Principality: besides these some are found in Dibai Town. Similarly, the Mazārī' of the 'Omān Sultanate are dealt with in the general article on that state, and an estimate of their strength is given there. The remainder are subjects of the Shaikh of Shārjah inhabiting Wādis Hām and Sfuni in the Rās-al- Khaimah District and Wādi Sfai in the district of Shamailīyah: in Wādi Hām, where they hold the villages of Adhan, 'Asimah and Fara', their number is about 500 souls; in Wādis Sfuni and Sfai it has not been ascertained but is probably inconsiderable. Besides these there are perhaps 300 Mazāri' at the village of Khān near Shārjah Town. The extent to which the Mazāri' are regarded, outside Abu Dhabi territory, as a section of the Bani Yās is uncertain; as a rule they are Ghāfiri in politics and Hanbali in religion.

131. *Mazārī'* (sing. *Mazrū'i* or *Mizra'i*)

A tribe of Oman, numbering about 6,400 souls, of whom 5,000 are in the Sultanate and 1,400 in Trucial Oman. In the Sultanate they are found at 'Alāyat el-Mazārī' and Wusheil in Western Hajar and at 'Aqr in Bātinah. In Trucial Oman they are found in Abu Dhabi and Dibai towns, in the village of Khān near Shārjah town, in Wādis Hām and Sfuni in the Ras el-Kheimah district, and in Wādi Sfei in the district of Shameilīyah.

They are as a rule Ghāfiri in politics and Hanbali in religion.

In Abu Dhabi territory they are regarded as a section of the Beni Yās.

ترجمة الملحق رقم (١)

المزاريع

مفردها مزروعي وهم قبيلة عربية في ساحل مهادن عُمان وسلطنة عُـمان. ووجدت أغلبتهم في أبو ظبي ، هنا يعتبرون جزءاً من قبيلة بني ياس ، وعدد من هذه القبيلة وردت الأرقام عنها في مقال يتناول إمارة أبو ظبي ، ويوجد بعض من أفراد القبيلة في مدينة دبي. وبالمثل فإن مزاريع سلطنة عُـمان تحدثت عنه مقالة ، وتحدثت المقالة عن قـوتهم. والباقي منهم رعايا تابعين لشيخ الشارقة حيث يسكنون وادي حام وسـافونى في رأس الخيمـة ، ووادي صاف في منطقة الشميلية : في وادي حـام حيـث يـسكنون قريـة تـسمى أطـان ، وعددهم حوالي ٥٠٠نسمة ، في وادي سافونى وصاف وهذا رقم مؤكد ويعتقد أنه لـيس عدد كبير . بالإضافة إلى هذا العدد هناك ثلاثمائة من المزاريع في قريـة خـان بـالقرب مـن الشارقة . والاهتمام بالمزاريع خارج منطقة دبي ، باعتبارهم فرع من بني ياس غير مؤكـد ، وكقاعدة هم غفارى ، وهم يعتنقون المذهب الحنبلي .

المزاريع (مفردها مزروعي)

قبيلة عُمانية ، يصل عـددها إلى حـوالي ٦,٤٠٠ نـسمة مـن بيـنهم ٥٠٠٠ في سـلطنة عُـمان ، وحوالي ١,٤٠٠ في منطقة ساحل عُمان المهادن . نفس السلطنة هم يتواجدون في عقر الباطنة . وفي منطقة ساحل عُمان المهادن يتواجدون في أبـوظبي وفي مدينـة دبي . وفي قرية خان بالقرب من الشارقة في وادي حام وفي سافونى في منطقة رأس الخيمة وفي وادي صاف في منطقة شامليلية .

وهم بشكل عام جعافرة ، وهم حنابلة المذهب .وفي منطقة أبـو ظبـي هـم جـزء مـن قبيلة بني ياس .

5. The Mazari'

56. The Mazari', as pointed out in paragraph 42, *supra*, are a widely scattered group. Members are found in all the towns of the Trucial Coast, in Wadi Ham in the northern part of al-Hajar, near al-Rustaq in the central part of al-Hajar, in several places on the coast of al-Batinah, and thousands of miles away along the east coast of Africa. Intrepid members of the Mazari' captured Mombasa from the Portuguese in the last years of the seventeenth century and then fought the rulers of Muscat during the next two centuries in an effort to preserve their independence. They even went so far in 1824 as to seek British protection over Mombasa and a long stretch of the African coast rather than submit to the ruler of Muscat.[1]

57. The *Admiralty Handbook* properly identifies the Mazari' as the large and scattered tribe that it is, and then adds that in "Abu Dhabi territory they are regarded as a section of the Beni Yas."[2] It is true that the Mazari' living in the disputed areas can be considered as a group apart from their brethren in other parts of Arabia and Africa, but the attempt to identify them with Bani Yas has neither a tribal nor a political justification.

---

1. R. Coupland, *East Africa and Its Invaders from the Earliest Times to the Death of Seyyid Said in 1856* (1938), p. 235. Coupland uses "Mazrui" as the name of the group; Mazru'i is properly used for an individual member thereof.

 Captain William Fitzwilliam Owen of the British Navy, who arranged for the establishment of the short-lived British protectorate of Mombasa, was the same officer who figured in the transactions leading to the *Delagoa Bay Arbitration* described in Chapter V, paragraph 16, *infra*.

2. *Admiralty Handbook*, vol. 1, p. 579.

ترجمة الملحق رقم (٢)

المزاريع

٥٦ . أن هؤلاء المزاريع وقد أشرنا إليهم في المقطع رقم ٤٢ ، هم جماعة واسعة الانتشار.و أفرادها يتواجدون في مدن الساحل المهادن في وادي حام في الجزء الشمالي من جبال الحجر بالقرب من الرستاق في الجزء الأوسط من جبال الحجر، وفي أماكن متعددة من ساحل الباطنة وعلى مسافة آلاف الأميال على امتداد ساحل شرق إفريقيا. قامت مجموعة من أفراد القبيلة الشجعان بالاستيلاء على ممبسة من البرتغاليين في السنوات الأخيرة من القرن السابع عشر ، ثم بعد ذلك دخلوا في حرب ضد حكام مسقط خلال القرنين التاليين في محاولة للمحافظة على استقلالهم . ولقد ذهبوا إلى أبعد من ذلك عام ١٨٢٤م إذ أنهم سعوا للحصول على الحماية البريطانية على ممبسة وعلى مسافة طويلة من ساحل شرق إفريقيا وقد فضلوا هذا على الخضوع لحاكم مسقط .

---

٥٧ . يعرف كتيب البحرية Admiralty Handbook قبيلة المزاريع ، أنهم قبيلة كبيرة واسعة الانتشار ويضيف أن منطقة أبو ظبي يعد هؤلاء جزءاً من بني ياس . وفي الحقيقة أن المزاريع يعيشون في المناطق المتنازع عليها ويعتبرون جزءاً من أشقاءهم في أجزاء أخرى من الجزيرة العربية وفي إفريقيا . ولكن محاولة ربط تعريفهم مع قبيلة بني ياس لا يجد له تبرير قبلي ولا سياسي .

ملحق رقم (٣)

THE COMING OF THE MAZRUI

In Arabia by the end of the seventeenth century,oman had driven out her Portuguese conquerors and mombasa, which was still restive under the Portuguese yoke, appealed to the lmam of oman to come to the rescue of his fellow muslims.with a strong navy at his command the lmam of oman and Muscat was able to answer the appeal.

Then there arose strife between the Portuguese on one hand and the whole Swahili coast together with the Yorubi lmam of muskat on the other.

So they combined and fought the Portuguese on the whole coast, leaving mombasa alone.

Afterwards the lmam sent word to the sultan of pate te drive the Portuguese out of the fort of mombasa, and that he was to proceed about the matter with care and great guile.

Soothe people of pata and mombasa made plans together and the patemen went to mombasa made plans together and the patemen went to mombasa in small parties of tens and twenties till many were gathered together at mombasa They waited for a Sunday and then rushed in on them suddenly,killing them and gaining possession of their fort and of their property.

Since that time the Portuguese have not had possession of any place on the coast.
Afterwards sultan Bwana Tamu sent a letter to the Yorubi lmam saying.'l have finished taking the fort and have tumed out the portuguese'. So the lmam answered, 'Give me the fort and l will send men to put in it, and you and l will combine that we may follow and drive out the Portuguese wherever we find them'.
So the lmam sent a tribe called the mazaru'I and they came with their soldiers and chief and seized the fort. This was the beginning of the mazaru'i coming to this coast. Later the lmam found him-self in difficulties as there were no receipts. only disbursements.
Then the mazaru'i said to him,'This will not do-leave us to find our own expenses and the fort shall remain yours in name'[١].

(١) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٤٧-٢٤٨ .

ترجمة الملحق رقم (٣)

قـــدوم المـــزاريـــع

عند نهاية القرن السابع عشر قام أهل عُمان بطرد الغزاة البرتغاليين من الجزيرة العربية ومن ممبسة ، وكانت لا تزال تعاني تحت نير البرتغاليين ، وناشدوا الأمام العُماني أن يساعد أخوانه المسلمين وقام أمام عُمان على رأس أسطول قوي ولبى هذا النداء .

وهنا بدأ صراع عنيف بين البرتغاليين من ناحية والسواحلية سكان الساحل يدعمهم أمام مسقط اليعربي .

بعد ذلك بعث الأمام إلى سلطان بات ليطرد البرتغاليين من قلعة ممبسة ، وكان له أن يتناول الأمر في شيء كثير من اليقظة ومن الخداع .

من هنا خطط أهالي بات وممبسة مع بعضهما ، وذهب رجال من بات إلى ممبسة لوضع الخطط المشتركة ، وذهب رجال بات إلى ممبسة في فرق صغيرة تتألف من عشرات الرجال أو مجموعات من عشرون رجلاً إلى أن اجتمع عدد كبير في ممبسة. وانتظر هذا الجمع حتى يوم من أيام الأحد وانطلقوا فجأة .

وقتلوهم واستولوا على القلعة وعلى ممتلكاتهم . ومنذ ذلك الحين لم يعد للبرتغاليين ممتلكات في أي مكان على الساحل .

بعد ذلك بعث السلطان بوانا تامو رسالة إلى الأمام اليعربي يقول " لقد أخذت القلعة وطردت البرتغاليين " ورد الإمام على الرسالة " سلمىَ القلعة ولسوف أبعث رجالي للإقامة فيها ، ولسوف نتعاون سوياً ونواصل طرد البرتغاليين حيث نجدهم " .

من هنا أرسل الأمام قبيلة تدعى المزاريع ، وهؤلاء جاؤا مع جندهم وزعيمهم واستولوا على القلعة .وهذه بداية ظهور المزاريع على الساحل . وبعد ذلك وجد الإمام نفسه يواجه مشكلات ومن بينها توقف الدخل مع زيادة الأنفاق .

قال له المزاريع " أن هذا الموقف لن يضطرنا أن نسعى لكسب مصادر الأنفاق ولسوف تبقى القلعة تحمل أسمك " .

ملحق رقم (٤)

FINAL DEPARTURE OF THE PORTUESE IN 1729

The statement quoted in the last extract,'since that time Portuguese have not had possession of any place on the coast' overlooks the Portuguese expedition from Goa, 1728-1729, which came at the request of the ruler of pate to help him expel the Arabs of oman. lt was temporarily successful in both pate and mombasa, but the high-handed manner of the Portuguese alienated the people of mombasa. Thefollowing account is translate from an Arabic manuscript obtained in mombasa by captain w.f.w. owen between 1821and 1826 .

The Portuguese acted upon his (The sultan of Battah's) words, punishing the people and treating them cruelly and made their chief people serve them, among whom was sheikh-ibn Ahmad of Melinda: and they flung stones at the people while they were at prayers: and they used to tum the people out of their houses, and take possession of them and take their wives to themselves: till the people of mumbasa were driven to despair, and could bear it no longer. So they consulted together about resisting them, and went to the Portuguese and said to them, 'we have heard that the lmam of uman is coming with an army against mumbasat: what is your opinion?' And they answered, 'wha! Do you say to it?'They replied, 'we think you should distribute the paddy

(rice in the husk) among the people, that they may beat it out for you; and do not keep any of it back,but lay up rice in store'.

They approved of this, and sent out all the paddy which was in the fort, and divided it among the people that they might beat it out; and there was but very little paddy left in the fort. Then the people of mumbasat did not give back the rice to the Portuguese; but everyone who had received any paddy to beat out kept the rice. Sowhen the great festival of the Portuguese came, they all went out of the fort to the feast; except a few, who remained in it: and the coast people surround them and slew thew,and seized the son of their Govemor. And they fought and the Portuguese were defeated.

Then the son of the Govemor, who had been made prisoner, sent to his father saying, 'make peace with the people, and leave the fort; or else lshall be slain; for l have no means of escaping from them. So the Portuguese made peace with the people of mumbasat, and asked quarter, and they gave them quarter,and sent them to Mozambique with their ships and their mariners(١).

(١) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٤٨-٢٤٩ .

ترجمة الملحق رقم (٤)

رحيل البرتغاليين نهائياً عام ١٧٢٩م

أن العبارة المقتبسة الأخيرة والتي تقول " منذ ذلك الحين لم يعد للبرتغاليين ممتلكات على الساحل " توجه النظر إلى الحملة البرتغالية من جوا ١٧٢٨-١٧٢٩م ، والتي جاءت بناء على طلب حاكم بات لأجل الاستعانة بهم لطرد عرب عُمان . ولقد كانت حملة ناجحة في بات وفي ممبسة ، ولكن أسلوب اليد العليا البرتغالية استعبدت شعب ممبسة .

أن الرواية التالية مترجمة عن مخطوط عربي حصل عليه في ممبسة الكابتن و ، ف ، و أوين owen ١٨٢١-١٨٢٦ :

لقد جاء دور البرتغاليين بناء على طلب (سلطان Battah) بمعاقبة الناس ومعاملتهم بوحشية ، وأن يخضعوا زعماءهم لخدمتهم ، وكان بين هؤلاء الناس شيخ ابن أحمد من مالندي واعتادوا على إلقاء المصليين بالحجارة عند إقامة الصلاة ، واعتادوا على طرد الناس من مساكنهم ، ويسلبوهم ممتلكاتهم ، وسبي نساءهم ، وبلغت روح أهالي ممبسة الحلقوم ، ولم يعودوا قادرين على التحمل أكثر من ذلك . وأخذ الناس يتشاورون مع بعضهم للقيام بالمعارضة ، وذهب الناس إلى البرتغاليين يقولون لهم " بلغنا أن أمام عُمان قادم على رأس جيش ضد ممبسة ، ماذا ترون ؟ " وجاء رد البرتغاليين " ماذا تقولون له ؟ " أجابوا نعتقد أنكم توزعون المعونة بين الناس ، وهؤلاء سوف يرووها لكم ، ولن ينتظروا عودتها لهم مرة أخرى ، والآن ضعوا الأرز في مخازنه " .

ووافقوا على هذا ، وأخذوا كل الأرز إلى القلعة ، ووزعوه بين الناس عسى أن يقوم الناس بضرب الأرز وكان في القلعة قليل من الأرز . وأهالي ممبسة لم يعيدوا الأرز للبرتغاليين . وكل من حصل على نصيب من الأرز قام بعملية الضرب .

وعندما جاء يوم الاحتفال المهرجاني البرتغالي خرجوا من القلعة للوليمة ، عدا عدد قليل بقى داخل القلعة ، وقام أهالي الساحل بمحاصرتهم وقتلهم ، وأسروا ابن الحاكم ، وحاربوا حتى هزم البرتغاليين .

أما ابن الحاكم الأسير ، أرسل إلى والده يقول : " لابد أن تعقد اتفاق سلام مع الناس ، واترك القلعة ولسوف يقتلوني ، وليس عندي وسيلة لأجل الهرب " .

ومن هنا اضطر البرتغاليين لصنع سلام مع ممبسة ، وطلبوا هوادة ، وبالفعل حصلوا على طلبهم ، وأرسلوهم إلى موزمبيق مع سفنهم وبحارتهم.

ملحق رقم (٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

توضيح نسب السادة بجزيرة واسين

الحمد لله واسع المن والفضل ، والصلاة والسلام على سيد الفرع والأصل ، سيدنا محمد وعلى آله أولي الهداية والنبل، أما بعد :فهذا توضيح ملخص لنسب السادة القاطنين بجزيرة (واسين) ونواحيها وهي جزيرة فى جنوب ساحل كينيا . وبالله التوفيق.

وهؤلاء السادة بتلك الجزيرة ينقسمون إلى فخذين :

الفخذ الأول : آل المسيلة وهم أحفاد محمد بن علوى الشهير بالشيبة بن عبد الله بن على المتوفى سنة ٧٨٤هـ بتريم ، بن الشيخ عبد الله باعلوى بن علوى بن الفقيه المقدم محمد بن على بن محمد صاحب مرباط بن على خالع قسم إلى آخر النسب. وقد ذكره صاحب شمس الظهيرة بقوله (وأما محمد فعقبه ببته والملـ) وكذلك ذكرهم السيد العلامة أحمد بن أبي بكر بن سميط العلوي الحضرمي في كتابه (تحفة اللبيب شرح لامية الحبيب)ص١٢٩ وكذلك أمير البيان شكيب أرسلان في (حاضر العالم الإسلامي).

وأول من قدم منهم إلى السواحل هو الشيخ السيد شيخ المولود بحضرموت سنة ١٠٤٦هـ وهو ابن أبى بكر بن عمر بن أبى بكر آل المسيلة باعلوى بن أحمد بن شيخ بن أبى بكر بن على بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن علوى الشهير بالشيبة.الخ. قدم السيد شيخ إلى (بته)وهو مميز ثم سافر إلى (زنجبار) ثم إلى (فمباكو) وعاش بالسواحل مدة ٢٥سنة إلى سنة ١٠٧٨هـ فانتقل إلى (الأنجزيجة) وبعد مدة مات بها .

وأول أولاده بالسواحل (فمباكو) هو أبوبكر الشهير بروغة نسبة إلى روغة بتريم ، وأمه بنت السلطان هناك فعرف بالسلطان أبى بكر وابنه السلطان حسن هو الذى بنى مسجد واسين فى يوم الأحد ٢٧من جمادى الأولى سنة ١١٦٢هـ وابن أبى بكر الثانى هو علوى جد آل المسيلة بواسين بن السلطان أبى بكر روغة بن الشيخ السيد شيخ وأحفاده هم :

١- هم السادة أبوبكر فعباد فعلوى فأحمد وكلهم أبناء السيد محمد بن أبى بكر بن قاسم بن أحمدبن علوى بن أبى بكر روغة الخ.وولده أبوبكر عبد الله وولده عباد الأمين وأولاد أحمد محمد الغزالى وعبد السلام ومحمد القاضى وقاسم وعبد الله وعبد الباسط وإسماعيل وعدنان ولهم ذرية غير هؤلاء.

٢- السيد عمر بن توبو بن السيد عمر (مشحر) بن علوى بن أحمد بن علوى بن أبى بكر روغة .

٣- الأستاذعبدالرحمن سقاف بن السيد علوى بن ناصر بن علوى بن أحمد بن علوى بن أبىبكرروغة . وله ذرية :عبد الله ومحمد مولى الدويلة ، ومحمد عبده ، والملك فيصل

الفخذ الثانى : قال باحسن الحديلى جدهم عبد الله الحديلى بن حسن الطويل بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن علوى عم الفقيه بن محمد صاحب مرباط ...الخ . ذكرهم صاحب شمس الظهيرة بقوله (فأما خسن الطويل فله ابنان : محمد جدآل باحسن الحديلى بالقارة قرب تريم ، وبالقمر وبالهند بسورت والمخا) اختلطوا بآل المسيلة مصاهرة ومجانسة وأشهرهم هناك :

١- محمد وطاهر وعلى وحسين : أبناء قاسم بن محمد بن طاهر بن قاسم بن طاهر بن أبى بكر بن طاهر بن أحمد بن حسين بن على بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرّحمن بن عبد الله الحديلى بن محمد بن حسن .. الخ النسب ولهم ذرية هناك .

والله الهادى إلى سواء السبيل

بقلم : محمد بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن سالم بن حسين بن سالم بن حسين بن عوض البيض باعلوى

منبع الرو عاشوراء ١٤٠٨هـ

SHEIKH AL
ASSISTANT …STRAR &
RTD. KADHI

ملحق رقم (٦)

ZANZIBAR.

BICENTENARY OF THE AL-BUSA'ID DYNASTY.

Issue of Commemorative Stamps.

An event of some importance in the Arab world is this year's celebration of the 200th anniversary of the foundation of the Al-Busa'id Dynasty, to which belong the rulers of Muscat and Zanzibar, for it was in the year 1744 that Ahmed bin Sa'id Al-Busa'id drove the enemies of his country from Muscat (now the capital of 'Oman on the east coast of Arabia) and himself assumed the Imamate, restoring peace to a land which had for seven years been distraught by civil war and foreign invasion.

Under the dominion of the Al-Ya'roby dynasty, predecessor to the Al-Busa'id, the Sultan Seif bin Sultan II, having been deposed by Sultan bin Murshid, was base enough to invite the Persians to support him against his usurper. The armies of Nadir Shah came in 1737 in greater strength than the Sultan Seif had intended and overran the whole country, bidding fair to reduce it to an alien yoke, had not Ahmed bin Sa'id, the Governor of Sohar, a town on the Al-Batinah coast some 150 miles north-west of Muscat, defied the invader with such good effect that he rallied to him the allegiance of every stout-hearted patriot. When in 1744 he recaptured for his country the city of Muscat, he had won for himself, as well by virtue of his personal qualities as by force of arms, the chiefdom of 'Oman. Thus was established the reigning house which, after two centuries, still demonstrates the tradition of sagacious and progressive rule which inspired its founder.

The Imam Ahmed bin Sa'id married an Al-Ya'roby princess and exercised spiritual and temporal power over 'Oman, with his capital at Rastaq, until his death in 1783. After this event there followed an unsettled period when rival claimants strove for power. Weakened by division, the country was again in danger of falling victim to the opportunism of its enemies, when in 1806 by a bold stroke, Sa'id bin Sultan bin Ahmed, grandson of the conqueror of 1744, and now a youth of no more than 15 years, seized control of the State and commenced a reign of exactly fifty years, which was to prove his genius as soldier, sailor, statesman, and administrator, and was to bestow untold benefit upon Zanzibar.

The connection between Arabia and the East Coast of Africa may be traced at least as long ago as the seventh century B.C., although the earliest record of 'Omani Arabs visiting this littoral is towards the end of the seventh century A.D. For the next thousand years or more the East African Coast had a chequered and turbulent history, 'Omani dominion waxing and waning according to the extent of support received from Arabia. Ahmed bin Sa'id himself sent governors to the ports of Mombasa, Kilwa, and Zanzibar in 1750, and in the years that followed Omani influence continued to increase.

Seyyid Sa'id bin Sultan maintained excellent relations with Great Britain, and in 1822 was concluded the first treaty directed against the abolition of slavery. In 1832 he transferred his capital from Muscat to Zanzibar and one of his first acts was, in 1833, to enter into a Treaty of Amity and Commerce with the United States of America; four years later an American Consulate was opened at Zanzibar. In 1841 a British Consulate was established there and its first Consul, Colonel Hammerton, was a very close friend of Seyyid Sa'id. It was upon the orders of this far-sighted ruler that cloves were planted widely in Zanzibar, an industry which has been the main source of the prosperity of this State during the past hundred years. Under Seyyid Sa'id's rule Zanzibar developed into a commercial metropolis of East Africa and at the time of his death in 1856 the whole of the trade of East Africa was centralized on the town of Zanzibar.

Seyyid Sa'id was succeeded in Zanzibar by Seyyid Majid bin Sa'id and in the year 1861 Muscat and Zanzibar became independent Sultanates under their respective rulers Seyyid Thweini and Seyyid Majid, both sons of Seyyid Sa'id. The age long trade and connection between the two sultanates has been maintained till this day and members of the Al-Busa'id Dynasty have continued to occupy the throne of both countries in unbroken succession.

His Highness the present Sultan of Zanzibar, Seyyid Sir Khalifa bin Harub, G.C.M.G., G.B.E., revered and beloved of his people, celebrated the Silver Jubilee of his most progressive reign in 1936. He has decided, in consultation with His Highness of Muscat, that the Bicentenary of the Al-Busa'id Dynasty shall be commemorated in Zanzibar on the 20th of November (the accession date of Seyyid Sa'id bin Sultan to the throne of this Sultanate) but that, owing to the war, the celebrations will be on a modest scale.

To mark the occasion His Highness the Sultan has approved the issue of commemorative stamps. Their design, in which His Highness has taken a keen personal interest, comprises a Muscat dhow under sail between the coasts of Southern Arabia and East Africa, illustrative of the historical connection between Zanzibar and Muscat. The issue, which is being printed by Messrs. Thomas de la Rue and Co., will be of four denominations, viz. 10 cents, 20 cents, 50 cents, and one shilling. Sale of the stamps will open on the 20th of November, the day of the celebrations, and will continue for twelve months unless supplies are exhausted earlier. The issue will be strictly limited and in no circumstances will it be reprinted.

ترجمة الملحق رقم (٦)

إصدارات لطوابع تذكارية

أن مرور مئتي عام على قيام أسرة البوسعيد يعد من أبرز الأحداث في العالم العربي ويجدر الاحتفال بالحدث ، وإلى هذه الأسرة ينتمي حكام مسقط و زنجبار ذلك أنه في عام ١٧٤٤م استطاع أحمد بن سعيد البوسعيد أن يطرد أعداء بلاده من مسقط (عاصمة عُمان الحالية على الساحل الشرقي من الجزيرة العربية) وتولى الإمامة واستعاد السلام إلى الأرض التي تحملت عدة سنوات آثار الحرب الأهلية والغزو الأجنبي .

تحت سيادة أسرة اليعاربة ، أسلاف أسرة البوسعيد ، قام سيف بن سلطان الثاني، مجرد أن خلفه سلطان بن مرشد ، باستدعاء الفرس لنصرته ضد المغتصب . ووصلت قوات نادر شاة في عام ١٧٣٧م بقوة هائلة لم يكن يتوقع سلطان بن سيف وصولها واجتاحت البلاد حتى تخضعها لسلطان الحليف الأجنبي ، لولا ظهور أحمد بن سعيد ، حاكم صحار ، وهي مدينة على ساحل الباطنة على مسافة حوالي ١٥٠كم شمال غرب مدينة مسقط ، وتحدى العدو بشكل جعل قلوب كل الوطنيين الشجعان يلتفون حوله . وفي عام ١٧٤٤م عندما أستطاع أن يستعيد مدينة مسقط كسب صفات شخصية ، بقوته العسكرية ، وأصبح زعيم عُمان . وهذه هي قصة قيام هذه الأسرة الحاكمة ، والتي بعد مرور قرنيين ، لا تزال مثالاً للحكم التقدمي .

تزوج الإمام أحمد بن سعيد واحدة من بنات أسرة اليعاربة وطبق في عُمان السلطتين الروحية والدنيوية ، وكانت عاصمته "الرستاق" حتى وفاته في ١٧٨٣م ، وبعد هذا الحدث عمت البلاد حالة من عدم الاستقرار عندما أخذت تظهر عناصر المنافسة على السلطة ، وبسبب حالة الانقسام التي عمت البلاد عادت مرة أخرى لخطر وقوعها ضحية لأعداءها الانتهازيين وفي عام ١٨٠٦م ، وبضربة جريئة ظهر سعيد بن سلطان بن أحمد ، حفيد بطل عام ١٧٤٤م ، وكان آنذاك عمره لا يتعدى الخمسة عشر عاماً ، و قبض على زمام الأمور في البلاد ، وبدأ فترة حكم استمرت قرابة خمسون عاماً ، ثبت خلالها ذكاء الجندية ، ومهارة البحار ، وفطنة رجل الدولة والحنكة الإدارية ، وكل الذي عاد على زنجبار بمنافع لا حصر لها.

أن علاقة الجزيرة العربية مع ساحل شرق إفريقيا نلمس جذورها الضاربة إلى القرن السابع ق.م ، وأقدم سجل يشير إلى زيارة عرب عُمان لهذه المنطقة تعود إلى القرن السابع الميلادي وبالنسبة لفترة الألف عام التالية أو يزيد فإن ساحل شرق إفريقيا شهد تاريخاً من القلاقل المتنوعة ، وكانت السيادة العمانية تجتاز فترات من القوة والضعف حسب مقدار الدعم الذي تحصل عليه من الجزيرة العربية ، أحمد بن سعيد نفسه أرسل ولاة إلى موانئ ممبسة ، وكلوة ، وزنجبار عام ١٧٥٠م . ولقد اتسع النفوذ العماني واستمر في الزيادة نتيجة لذلك .

سار السيد سعيد بن سلطان على سياسة قوته مع بريطانيا العظمى ، وفي عام ١٨٢٢م عقد معها أول معاهدة ضد تجارة الرقيق ، وفي عام ١٨٣٢م نقل عاصمته من مسقط إلى زنجبار ، وكانت أول أعماله في عام ١٨٣٣م عقد معاهدة صداقة وتجارة مع الولايات المتحدة ، وبعد أربعة سنوات افتتحت في زنجبار أول قنصلية أمريكية . وفي عام ١٨٤١م قامت هناك في زنجبار أول قنصلية بريطانية وأول قنصل عين فيها هو الكولونيل هامرتون وكان صديقاً مقرباً من السيد سعيد . وبناء على أوامر هذا الحاكم بعيد النظر اتسعت زراعة القرنفل في زنجبار وأصبحت هذه الزراعة المصدر الأساسي لازدهار هذه الدولة خلال المائة عام التالية ، تحت السيد سعيد بن سلطان تطورت وازدهرت أحوال زنجبار حتى أصبحت المدينة التجارية المرموقة على ساحل شرق إفريقيا ، وعند وفاته عام ١٨٥٦م تركزت كل تجارة ساحل شرق إفريقيا في مدينة زنجبار .

تولى السيد ماجد بن سعيد حكم زنجبار، وفي عام ١٨٦١م أصبحت كل من مسقط وزنجبار سلطات مستقلة تحت حكم كل من السيد ثويني والسيد ماجد أبناء السيد سعيد . أن العلاقة التجارية الضاربة في القدم والعلاقات بين السلطتين استمرت حتى هذا الوقت ، واستمر أبناء أسرة البوسعيد يترقون العرش في الدولتين في خط لا ينقطع.

صاحب الجلالة سلطان زنجبار الحالي السيد خليفة بن حارب (G.C.M.G.G.B.E) المبجل والذي يحبه شعبه احتفل بالعيد الفضي لحكمه المتقدم في عام ١٩٣٦م. ولقد عزم بعد التشاور والتباحث مع جلالته سلطان مسقط أن يكون الاحتفال بالمئة السنوية الثانية لأسرة البوسعيد تقوم في يوم عشرون من نوفمبر (وهو تاريخ اعتلاء السيد سعيد بن سلطان عرش هذه السلطنة) ولكن بسبب الحرب ، سوف يكون الاحتفال على أدنى وضع متوسط و لأجل تميز هذه المناسبة والعلو من شأنها وافق جلالته على إصدار طوابع تذكارية . وتصميم هذه الطوابع أخذت اهتمام صاحب الجلالة كان أخرامها على شكل قارب صغير على شكل تصميم مسقط ، يجهز للأبحار ما بين ساحل جنوب الجزيرة العربية وشرق إفريقيا ، وهذا الشكل يعبر عن العلاقة التاريخية بين مسقط وزنجبار .والإصدار الذي تحت الطبع بواسطة messrs Thomas do la rue and co . يطرح للاستخدام في أربعة أسعار وهي عشرة سنتثات ، وعشرون سنتاً وثلاثون سنتاً وأخيراً نصف سلن . ولسوف يبدأ طرح الطوابع للبيع يوم عشرون من نوفمبر ، وهو يوافق يوم الاحتفال ، ولسوف يستمر طرح الطوابع فترة عام إذا لم يستوعب السوق كافة الطوابع . ولسوف يكون الإصدار محدوداً ولن يعاد إصداره .

ملحق رقم (٧)

No. 1474 of 1871.

Oriental Translator's Department

20th December 1872. [1871]

Substance of a letter from H. H. Seyyed Toorkee bin Syed Saeed, Sultan of Muscat, to His Excellency the Governor of Bombay dated 24th Ramazan 1288 Hijree (7th December 1871) and received and ordered to be translated on the 19th December 1871.

A.C.

I am in great difficulties as my Income has decreased whilst my expences have increased. It is an undisputed fact that want of money spoils every arrangement. The want in my case is owing to the non receipt for three years from Zanzibar of the annual allowance of 40,000 Dollars fixed by Govt. I therefore request that Your Excellency will be pleased to cause the same to be paid to me as early as possible and I shall feel greatly obliged to you. If I had not been in want, I would not have given this trouble to Your Excellency. I shall be happy to execute any commission Your Excellency may have to be executed here.

True Copy. (Sd.) Venayek Wasoodew

Oriental Translator to Govt.

Assistt. Resident Persian Gulf

ترجمة ملحق رقم (٧)

رقم ١٤٧٤ لعام ١٨٧١م

قسم الترجمة الشرقية

٢٠ ديسمبر ١٨٧٢م [١٨٧١م].

رسالة من صاحب الجلالة السيد تركي بن سعيد،سلطان مسقط إلى صاحب السمو حاكم بومبي،بتاريخ ٢٤ من رمضان ١٢٥٨ه ، الموافق ١٧ من ديسمبر ١٨٧١م ، ووصلت ، ونقلت للترجمة يوم ١٩من ديسمبر ١٨٧١م .

إنني أواجه أزمات عظيمة الشدة وذلك أنه حدثت نقصان كبير في الدخل وتقابله زيادة في النفقات والحقيقة التي لا جدال فيها شدة الحاجة إلى المال ، والترتيب اليسير في حالتي هذه بالحصول على الحصة المقررة السنوية من إعانة زنجبار عن ثلاث سنوات مقدماً ، مقدارها ٤٠٠٠ دولار حددتها الحكومة وأن سموكم تزداد سعادة أن تسهل الحصول على هذا الدعم المالي على وجه السرعة ولسوف يسعدني التزامكم ، ولولا أنني أحتاج إلى هذا المبلغ ، لن أسبب لسموكم مثل هذه المتاعب ولسوف أكون سعيداً أن أتولى تنفيذ أي مهمة يكلفني بها سموكم .

التوقيع

ملحق رقم (٨)

No. 933 of 1872.

To,

His Highness Syed Toorkee
Sultan of Muscat.

Your Highness.

I have received through Major Ross your letter of the 7th Dec: last, regarding the payment of the Zanzibar Subsidy, and in reply have the honor to inform Your Highness that the question is under the consideration of H. M's Secretary of State for India.

I beg that you will continue to favor me with communications regarding the state of Your Kingdom.

Bombay Castle. Believe me &c.
10th February 1872. (Sd) W. R. S. V. FitzGerald

True Copies/
(Signed) G. Gilder
For Assistt. Secretary

True Copy

Jos. Cros. Edwards
Assistt. Resident Persian Gulf

ترجمة ملحق رقم (٨)

رقم ٤٣٣ لعام ١٨٧٢م .

إلى صاحب الجلالة السيد تركي سلطان مسقط .

أؤكد لجلالتكم أنني تسلمت رسالة الميجور روسي بتاريخ ٧ من ديسمبر الماضي و التي تناولت حصة زنجبار من الإعانة ، ورداً على الرسالة لي عظيم الشرف أن أحيطكم بالعلم أن المسألة تحت الدراسة و محط الاعتبار من الوزير المفوض في الهند .

و أتمنى أن يواصل جلالتكم دعمي بالاتصالات فيما يتعلق بأحوال مملكة جلالتكم قلعة بومباي .

١٠ فبراير ١٨٧٢م .

و . ر . فتزجيرالد .

ملحق رقم (٩)

[3] 112

INDO-EUROPEAN TELEGRAPH DEPARTMENT.

Gwadur STATION,
31st July 18

At 1-28 p.M. the 31st day of July 1874

Received the following Telegraphic Despatch sent from Calcutta

on 31st at 12:13 p.M.

To Political Resident

Address Persian Gulf Muscat post pack

Yours of twenty fifth Toorkee may be allowed to draw on next six months subsidy in advance if found necessary

Foreign

Charges to pay.

Rs.	a.	p.

J. F. Barly Clerk.

ترجمة ملحق رقم (٩)

رسالة من الممثل السياسي و القنصل في مسقط إلى المقيم السياسي في منطقة الخليج ...... تتناول حصة الإعانة التي يدفعها زنجبار إلى طارق بن سعيد سلطان مسقط .

قسم البرق الهندي – الأوروبي .

محطة جوادر ٣١ يوليو .

الساعة ١,٢٨ صباحاً – اليوم الثالث من يوليو ١٨٧٤م .

استقبال البرقية التالية قادمة من كلكتا .

يوم ٣١ من يوليو ٢٠ ، ١٢ صباحاً .

إلى المقيم السياسي

العنوان الخليج الفارسي : مسقط صندوق بريد .

يحصل طارق على حصته أربعة من خمسة و عشرون في خلال الشهور التالية من المعونة مقدماً في حالة أن تستدعي الضرورة ذلك .

التوقيع

ملحق رقم (١٠)

No. 344/141 of 1874

From,

Major S. B. Miles

H. B. M's Political Agent

and Consul Muscat

To

Lieutenant Colonel E. C. Ross.

H. B. M's Political Resident

in the Persian Gulf

Bushire

Dated Muscat 5th August 1874

Sir,

I have the honor to report that in the month of March last when His Highness Seyyed Toorkee was paid an advance of the Zanzibar Subsidy for 6 months I deducted from the amount of $ 20,000 the sum of $ 3,000 on account of the allowance payable to Seyyed Abdul Azeez at $ 300 per mensem for ten months viz from September 1873 to July 1874 the period to which the advance extended.

2. Seyed Abdul Aziz [illegible]

to

ترجمة ملحق رقم (١٠)

رقم ٣٦٦ / ١٤١ لعام ١٨٧٤م.

من ميجور س ب مايلز ، الممثل السياسي البريطاني و القنصل في مسقط .

إلى الكولونيل ب – س / وش المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي ، بوشهر ، بتاريخ ٥ من أغسطس مسقط .

المحترم :

لي عظيم الشرف أن أخبرك أنه في الشهر الماضي عندما حصل صاحب السمو السيد تركي بشكل مقدم من إعانة زنجبار عن الشهور ، استقطعت من المقدار ٢٠٠٠ دولار ، المقدار ٣٠٠٠ دولار مقدار الحصة المدفوعة إلى السيد عبدالعزيز ٥٠٠ دولار عن المعاش عن فترة عشرة أشهر تبدأ من سبتمبر ١٨٧٤م ، إلى يوليو ١٨٧٥م ، و هي الفترة التي تغطي هذا المقدم .

انتقل السيد عبدالعزيز إلى مسقط يوم ١٠ من مايو ١٨٧٤م ، وقد مكث ثمانية أشهر داخل الأقاليم البريطانية من بنادر و أن مقدار ٦٠٠ دولار عن حصته شهرين بقيت في الخزانة باسم صاحب السمو .

إن صاحب السمو السيد طارق ملزم أن يدفع للسيد عبدالعزيز مقدار ٥٠٠ دولار شهرياً تبدأ من يوم ١٠ مايو ، و عبر سموه عن حاجته الشديدة إلى ما يزيد عن ٦٠٠ دولار حتى يوفي المقدار المفروض لشقيقه منذ التاريخ ، و لقد كررت الدعم المالي إلى سموه و أنني على يقين أنني سوف أحصل على موافقة منك .

تقبل فائق الاحترام ،،،

التوقيع

الممثل السياسي وقنصل مسقط .

ملحق رقم (١١)

No. 1116 of 1874
1654

From
Lieut. Colonel E. C. Ross
H. B. M's Political Resident
in the Persian Gulf,

To
Major S. B. Miles
H. B. M's Political Agent
and Consul,
Muskat.

British Residency Bushire
Dated, 19th August 1874

Sir,

I have the honor to acknowledge the receipt of your letter No. 344/141 dated 3rd instant.

Your having refunded the portion of His Highness Abdul Aziz's pension over received and due to His Highness the Sultan has my entire concurrence.

I have the honor to be
Sir
Your Most obedt. Servant

[signature] Lt. Colonel
Offg. Pol. Resdt. Persian Gulf

ترجمة ملحق رقم (١١)

رقم ٤١٤ / ٤٥٤ لعام ١٨٧٤م .

من المقيم السياسي البريطاني في الخليج العربي .

إلى الميجور أ.ب. مليب. الممثل السياسي البريطاني في مسقط .

من بوشهر ، بتاريخ ١٩ أغسطس ١٨٧٤م .

المحترم :

لي عظيم الشرف أن أؤكد وصول رسالتك رقم ٣٤٤ / ١٤١ بتاريخ يوم الخامس ، لقد قدمت الدعم المالي في نصيب صاحب السمو عبدالعزيز و المقره لمعاشه بقرار من عظمة السلطان .

لي عظيم الشرف أن أكون خادمكم المطيع .

From,

The Secretary to the Governt. of India

To,

The Political Resident
in the Persian Gulf

Dated Fort William, the 7th Sept. 1874

Foreign Depart.
Political } Sir,

I am directed to acknowledge

No. 925/185 of 17th Augt. — receipt of your letters marginally noted,
No. 926/186 of — D°. — reporting that His Highness Syud Toorkee has fixed the sum of $ 500 as the monthly allowance of his brother Syud Abdool Azeez during his residence at Muscat.

The Viceroy and Governor General in Council is glad to learn that this arrangement has been made and that the Connection of the Government of India with the payment of Abdool Azeez stipend has ceased. His Excellency in Council also approves of Major Miles' proceedings in paying to His Highness Syud Toorkee the balance in hand of the advance of the Subsidy which was kept back for the adjustment of the allowance payable to Abdool Azeez while in India.

ترجمة ملحق رقم (١٢)

رقم ٢٠٢٩

من الوزير المفوض للحكومة في الهند .

إلى المقيم السياسي في الخليج العربي .

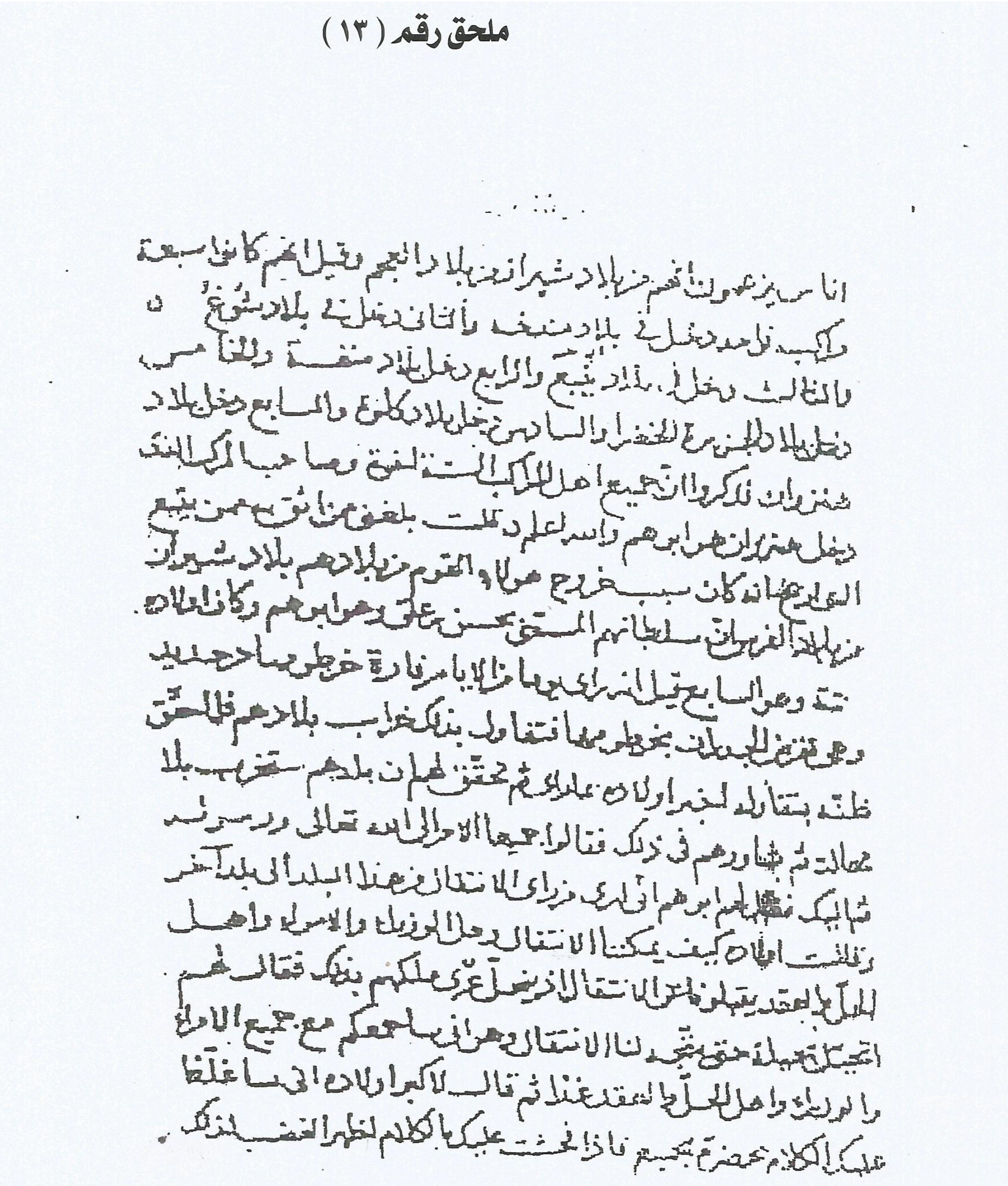
بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٨٧٤م .

من القسم السياسي .

المحترم :

وجهت لي تعليمات أن أؤكد وصول رسالتك بكل السرور أشير إلى أن صاحب السمو السيد تركي حدد مقدار ٥٠٠,٠٠ ريال و هي الحصة الشهرية المقررة لشقيقه السيد عبدالعزيز خلال إقامته في مسقط .

إن النائب و الحاكم يعبر عن سعادة غامرة أن يسمع بترتيبات هذه المساعدة و أن علاقة الحكومة في الهند بالحصة المقررة لعبدالعزيز توقفت و صاحب السمو أيضاً يتفق مع رأي الميجور مليب و الإجراءات التي وضعها لأجل أن يدفع للسيد تركي المقدار المحدد مقدماً من الإعانة ذلك الذي ترك لأجل ترتيب الحصة المقررة للسيد عبدالعزيز أثناء وجوده في الهند .



ملحق رقم (١٣)

انا سـ يزعمون انهم من بلاد شيراز من بلاد العجم وقيل انهم كانوا سبعة
مراكب الواحد دخل في بلاد منبخه والثاني دخل في بلاد شونغ ن
والثالث دخل في بلاد بتيج والرابع دخل بلاد منفسة والخامس
دخل بلاد الجزيرة الخضراء والسادس دخل بلاد كلوة والسابع دخل بلاد
شنزوان تذكروا ان جميع اهل المراكب الستة لنبي وصاحب المركب
دخل شنزوان هو ابوهم واسم العلم كلمت بلغتهم انتي ممن يتبع
السلاطين انه كان سبب خروج هولاء القوم من بلادهم بلاد شيراز
من بلاد العجم ان سلطانهم المسمى حسن علي وهو ابوهم وكان اولاده
ستة وهو السابع قيل انه رأى في منامه الايام زيارة خرطوم ساحر جديد
وهو فرض للجرذان بخرطومها انتفاول بذلك خراب بلادهم فالحق
ظنه بتفاؤله لخبر اولاده علم الحكم تحقق خراب بلادهم ستخرب بلا
محالة ثم شاورهم في ذلك فقالوا جميعا الامر الى الله تعالى ورسوله
ثم ابيك فقال لهم ابوهم اني ارى من رأي الانتقال من هذا البلد الى بلد آخر
فقالت اولاده كيف يمكننا الانتقال وحل الوزراء والامراء واهل
الحل والعقد يتعلمون خبر الانتقال اذ حصل عزم منكم بذلك فقال لهم
احتيلوا حيلة حتى يتهيأ لنا الانتقال وهو اني سأجمعكم مع جميع الامراء
والوزراء واهل الحل والعقد غدا ثم قال لاكبر اولاده اني سأغلظ
عليك بالكلام تحضرهم بجميعهم فاذا فعلت عليك بالكلام لتظهر الغضب لذلك

حول تأسيس مدينة ممباسا جرى فيها ذكر الأشقاء السبعة الذين هاجروا إلى البر الإفريقي وساهم في تأسيس العديد من الحواضر[١] .

---

(١) جمعة بن خليفة البوسعيدي : المرجع السابق ، ص ١١ .

ملحق رقم (١٤)

النص

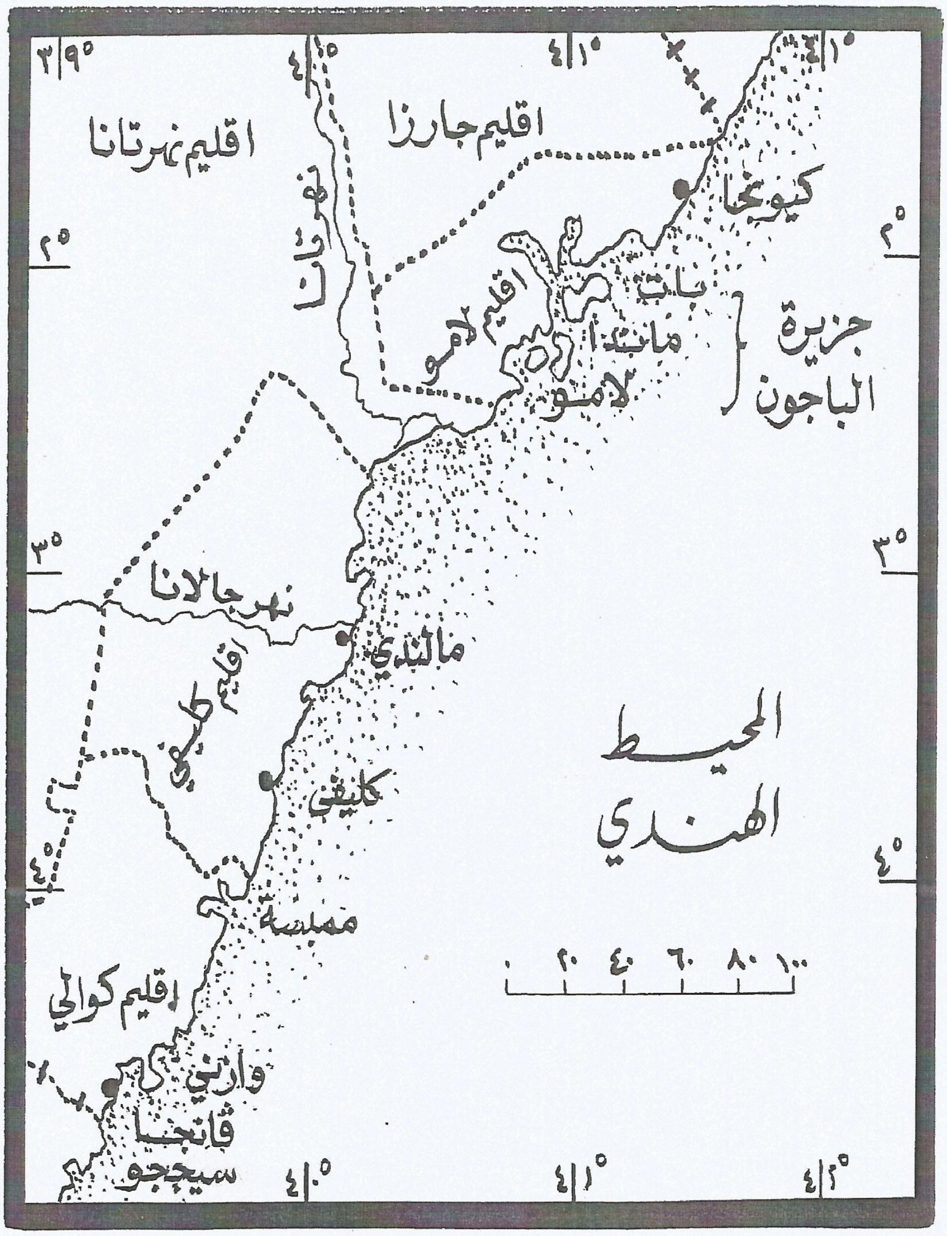


وثيقة باللغة السواحلية ، مكتوبة بحروف عربية تبين من خلالها ، الخط العربي المعتمد في بعض المكاتبات وتأثير الوجود العربي الإسلامي في السواحل الشرقية الإفريقية[1] .

(١) جمعة بن خليفة البوسعيدي : المرجع السابق ، ص ٧ .

ملحق الخرائط

خريطة رقم (١)



* أهم المراكز والجزر ومناطق الشعوب الناطقة بالسواحلية على الساحل الكيني ، وهي المنطقة التي شهدت ولاية المزارعة في أفريقية الشرقية [1] .

---

(١) الأمين المزروعي : المصدر السابق ، ص ٢٥١ .

بتصرف

خريطة رقم (٢)



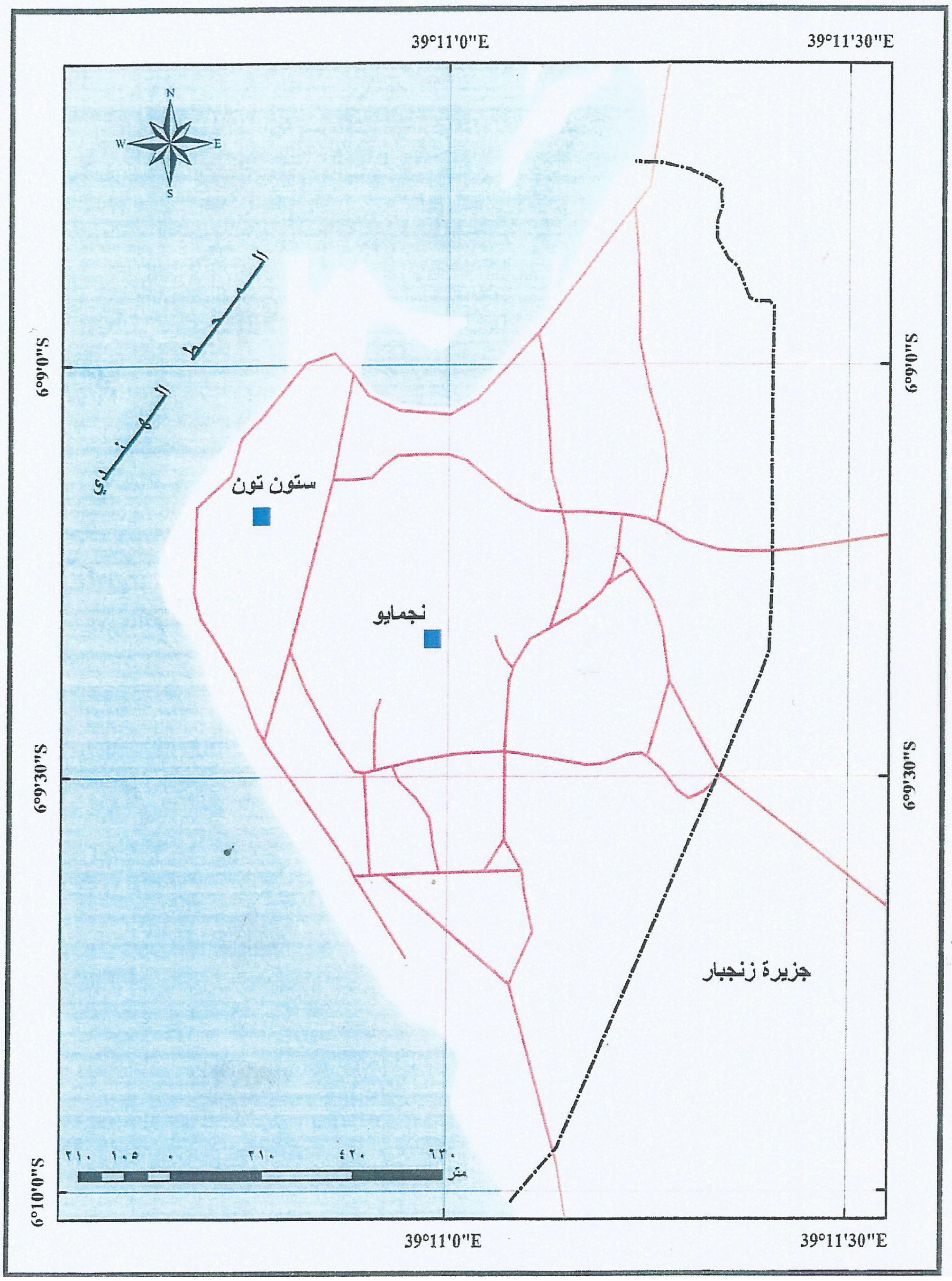
❋ الإمبراطورية العمانية في عهد السيد سعيد[١] .

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق .

بتصرف

خريطة رقم (٣)



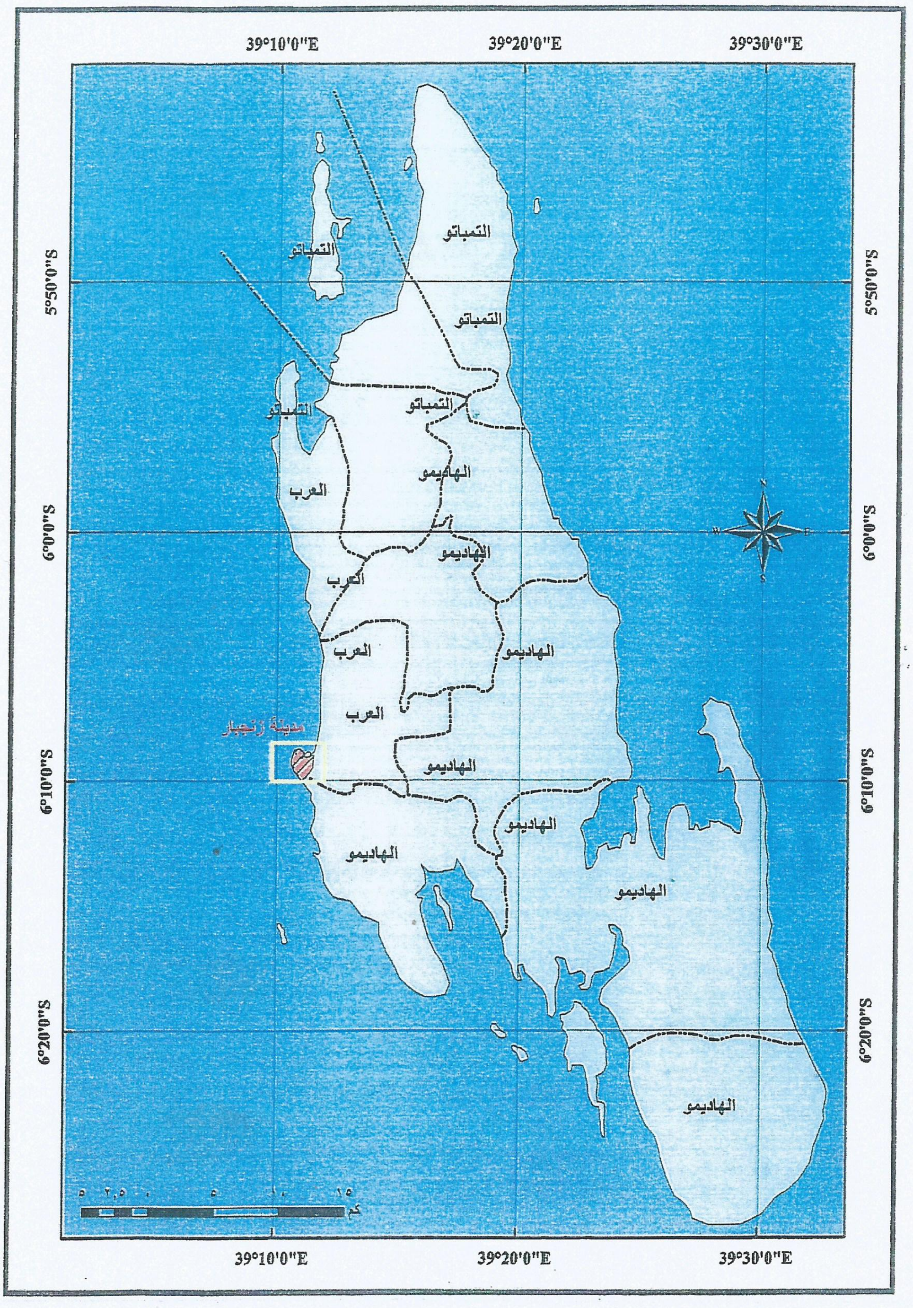
❋ مدينة زنجبار[١] .

---

(١) صالح محروس : المرجع السابق .

بتصرف

خريطة رقم (٤)



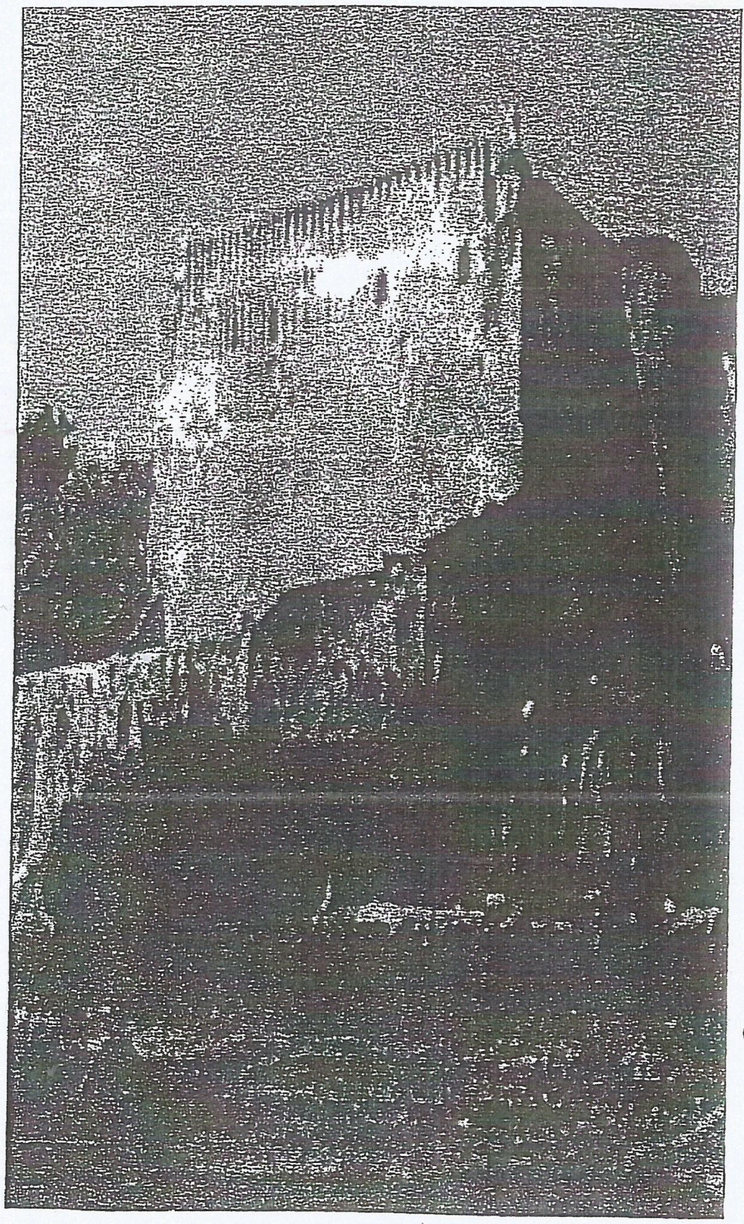
* المجموعات العرقية في جزيرة زنجبار[1] .

(١) صالح محروس : المرجع السابق .

بتصرف

ملحق الصور

صورة رقم (١)

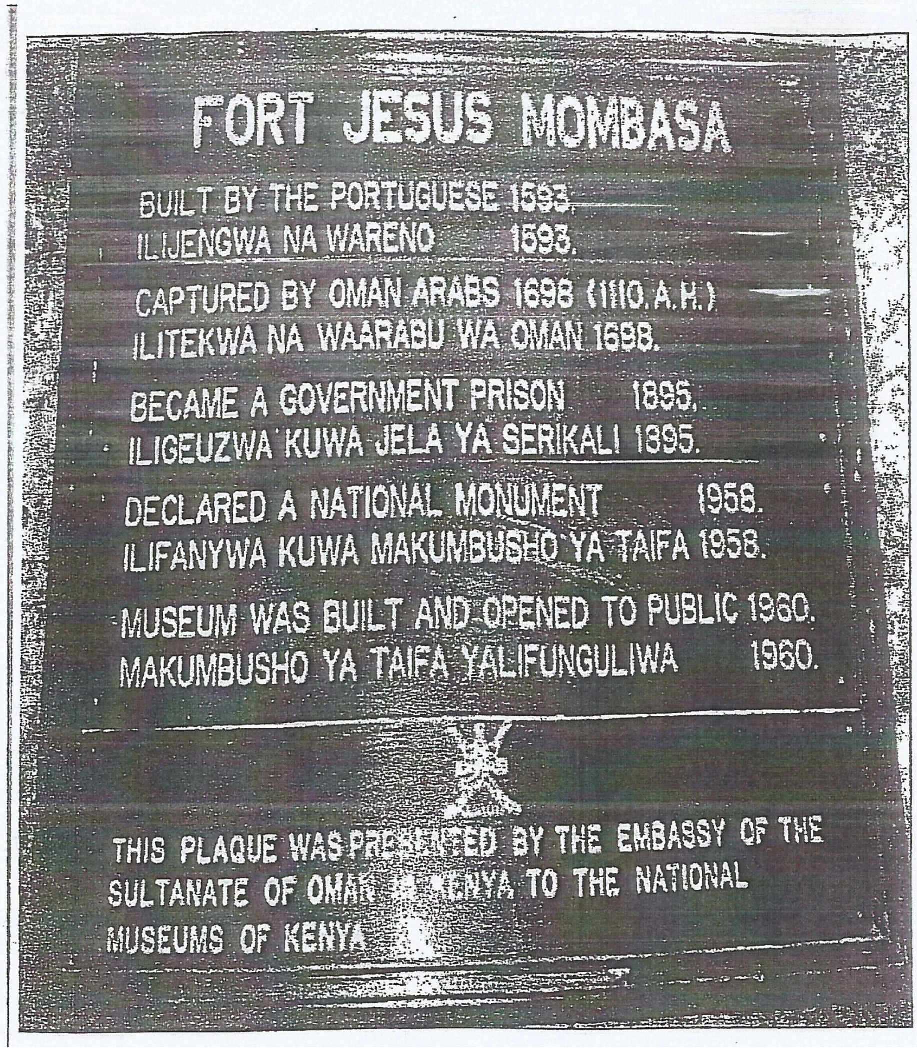


القلعة التي بناها البرتغاليون في ممباسا [1]

---

(١) عبد الرحمن محمود : المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

صورة رقم (٢)



هذه اللوحة المكتوبة باللغتين الانكليزية والسواحلية مثبتة على جدار القلعة المذكورة ، وهي تحوي التاريخ الذي مرت به إلى يومنا هذا . وحسب اللوحة ، بنى البرتغاليون القلعة عام ١٥٩٣ ، واستولى العمانيون عليها عام ١٦٩٨ . وقد تحولت إلى سجن حكومي في عام ١٨٩٥ ، وأُعلنت في عام ١٩٥٨ أثراً تاريخياً وطنياً ، كما أعيد ترميمها في عام ١٩٦٠ وأصبحت متحفاً مفتوحاً للعامة والخاصة منذ ذلك التاريخ [1] .

---

(١) عبد الرحمن محمود : المرجع السابق ، ص ١٧٨ .

فهرس الموضوعات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**